سلسلة
معارف إلهية
تكشف عن آخر ما توصلت إليه
أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام

٤٠

تعريف
حقيقة الإمام (عليه السلام)
والإمامة الإلهيَّة

بقلم
الشيخ كامل بدر الحلفي

سلسلة
معارف إلهيَّة
تكشف عن آخرَ ما توصَّلت إليه
أَتباع مدرسة أَهل البيت عليهم السلام
(٤٠)

تعريف
حقيقة الإمام عليه السلام
و
الإمامة الإلهية

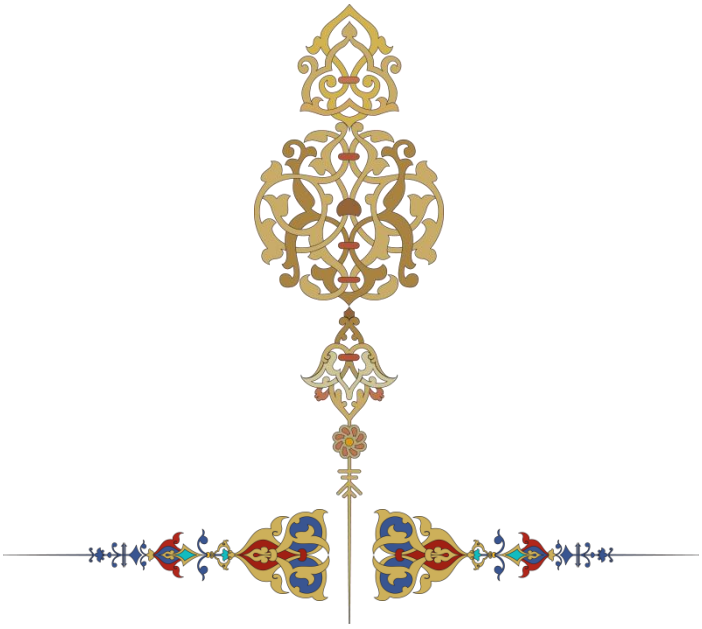

تَعْرِيفُ
حَقِيْقَةَ الإِمَام عليه السلام
والإِمَامَة الإِلهيَّة

بقلم
الشَّيخ كامِل بَدِر الْحِلْفِيّ

أسم الكتاب /

تعريف
حقيقة الإمام عليه السلام
والإمامة الإلهيّة

بقلم /

الشيخ كامل بدر الحلفي

النجف الأشرف

سنة الطبع /

١٤٤٧هـ - ٢٠٢٦ م

الطبعة / الثانية

منقحة ومزيدة

اخراج/

المهندس يوسف الخزعلي

٠٧٨١١٣٥٢٠٧٣

محفوظة جميع الحقوق

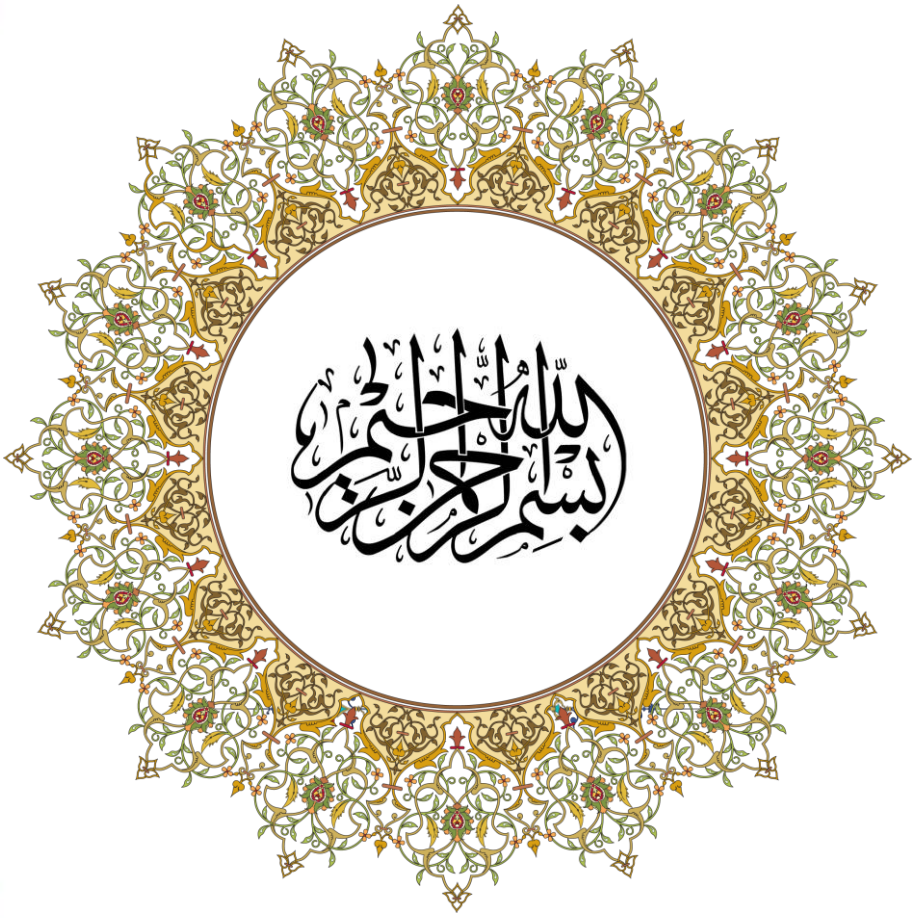
بسم الله الرحمن الرحيم

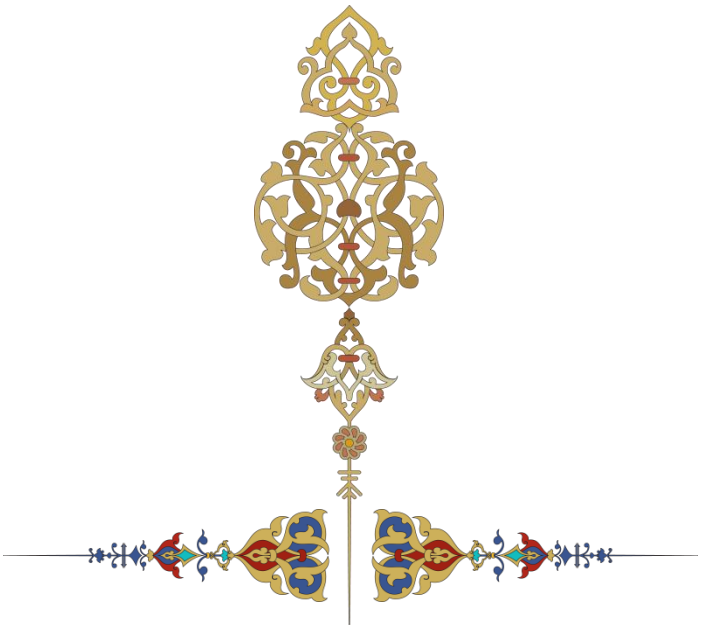

الْمُقَدَّمَة

الحمدُ لِلّٰـه الواحد لا من عدد ، والدَّائم لا بِأَمَد ، والقائم لا بعمد ، مقتدرٌ بالآلاء ، وممتنع بالكبرياء ، ومُتملِّك على الأَشياء ، فلا دهر يخلقه ، ولا وصف يُحيط به ، وصلَّىٰ الله على سيِّد خلقه مُحَمَّد ، نور الأَنوار ، وكلمة الجبَّار ، وراية الحقّ الَّتي مَنْ تبعها نجا ، ومَنْ تأَخَّرَ عنها هوىٰ ، وعلى آله المنهج الحكيم ، والصِّراط القويم ، والسَّبيل المُستقيم ، والرُّكن الحطيم ، وصفوة الكلمة الباقية إِلى يوم الحشر المأخوذ لها الميثاق والولاية من الذَّرِّ ، والعيون الصَّافية النَّابعة من ينابيع الوحي والإِلهام ، سفينة النَّجاة ، صاحبة السُّبُل اللائحة والطُّرُق الواضحة ، واللَّعنة الدَّائمة أَبد الآباد ودهر الدُّهور على أَعدائهم وشانِئِيهم وظالميهم ومُتابعيهم وغاصبي حقوقهم ، ومُنكري فضائلهم ومناقبهم ، ومناوئي شيعتهم من الأَوَّلين والآخرين.

وبعد : هذا هو الإِصدار الأَربعون الَّذي مَنَّ الله عزَّوجلَّ علينا أَنْ

وَفَّقَنا لإِصداره ضمن هذه السلسلة ، وهي : سلسلة المعارف والعقائد الإِلٰهيَّة ؛ المُستفادة من بيانات الوحي القطعيَّة بالقطع العقلي ، بل والوحياني، والمُستفاد جملة من بحوثها من الأَبحاث العلميَّة والمعرفيَّة والعقائديَّة والعقليَّة الحديثة الدَّائرة في أَروقة حوزة النجف الأَشرف ، وبعضها الآخر جهود وتحقيقات خاصَّة ، والَّتي تحمل جملة هذه الأَبحاث والتَّحقيقات في طيَّاتها آخر ما توصَّلت إِليه أَتباع مدرسة أَهل البيت عليهم السلام في جامعة العلم الكُبرىٰ (حوزة النَّجف الأَشرف) ، وكُلُّ ذلك إِداءً لواجب الدِّين والشَّريعة ، وقياماً بفروض الخدمة للحنيفيَّة البيضاء ، وإِحياءً لِـمَا قد اِنْدَرَسَ من معالم الدِّين والإِيمان ، وانْطَمَسَ تحت أَطباق البَلَىٰ ، وإِعلاءً لكلمة الحقِّ ؛ كلمة العدل والصِّدق ، ونشراً لأَلوية معارف الإِسلام المُقدَّس والإِيمان الأَقدس ، وذبّاً عن مدرسة الحقيقة ؛ مدرسة أَهل البيت صلوات اللّٰـه عليهم.

وهذا الإِصدار يتعرَّض لـ : (تعريف ماهيَّة وحقيقة الإِمام عليه السلام والإِمامة الإِلٰهيَّة) ، وهي ماهيَّة عظيمة ومهولة وخطيرة جِدّاً ، تختلف اِختلافاً نوعيّاً وماهويّاً وجوهريّاً ومن دون قياس ؛ وتختلف رتبةً ونوعاً عن ماهيَّة وحقيقة الإِمامة الإِلٰهيَّة الثَّابتة لبقيَّة سائر الأَنبياء والرُّسُل والأَوصياء عليهم السلام ؛ وذلك لسعة إِمكانيَّات أَهل البيت عليهم السلام ، وسعة وعظم وخطر دولتهم الشَّاملة لجملة عوالم الخلقة والوجود والإِمكان ؛ وكافَّة مخلوقاتها اللامتناهية ، من بداية الخلقة والوجود إِلى ما لا نهاية.

لكن : جلَّ ما في هذا التَّصنيف من معلومات وحقائق ومعارف مُغَيَّبَة عن عقول وأَذهان أَتباع أَهل البيت عليهم السلام فضلاً عن غيرهم ، ولم يُشَمَّ رائحتها بَشَرٌ ، ولم يتعرَّض لها أَحدٌ بنبرة شفة قَطُّ قبل هذا التَّصنيف ؛ مع أَنَّها ثابتةٌ بوجدان وفطرة كُلّ مؤمنٍ ، بل وثابتةٌ في بيانات الوحي المُتواترة بالتَّواتر العقلي ، بل واللَّفظي ، والمقطوع بها بالقطع العقلي ، بل والوحياني.

ثُمَّ إِنَّه ينبغي الإِلتفات : أَنَّ جلَّ هذه الجهود والتَّحقيقات وما فيها من علوم ومعارف وعقائد ثابتة في هذا التَّصنيف أَي: ما يُقارب من (٩٥٪) جهود وتحقيقات خاصَّة لم تُعرض قبل هذا اليوم قَطُّ.

والله المُوفِّق للخير والرُّشد والسَّداد ، وصلَّىٰ الله على سيِّد الأَنبياء مُحَمَّدٍ وبقيَّة أَهل البيت الغرِّ الميامين ، النُّجباء المُكْرَمين.

من جوار مرقد أَمير المؤمنين عليه السلام

الشَّيخ كامل بدر الحلفيّ

الثلاثاء/ ٢١ مُحَرَّم/ ١٤٤٥هـ.

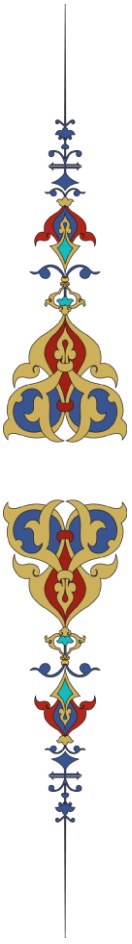

تعريف ماهيَّة وحقيقة الإمام والإمامة الإلهيَّة

إنَّ تعريف ومعرفة حقيقة إمامة أَهل البيت (صلوات اللَّـه عليهم) ؛ ومعرفة ماهيَّتها النَّوعيَّة ـ وهي ماهيَّة عظيمة ومهولة وخطيرة جِدّاً ـ تختلف رتبةً ونوعاً عن ماهيَّة وحقيقة الإمامة الإلٰهيَّة الثَّابتة لبقيَّة سائر الأَنبياء والرُّسل والأَوصياء عليهم السلام كالنَّبيّ إبراهيم عليه السلام.

وعليه: فينبغي لِـمَنْ يُريد تعريف ماهيَّة وحقيقة إمامة أَهل البيت (صلوات اللَّـه عليهم) أَنْ لا يُعرِّفها بالتَّعريف العام للإمامة الإلٰهيَّة الـمُتمتِّع بها بقيَّة أَنبياء أُولي العزم عليهم السلام ؛ فإنَّها بالقياس لإمامة أَهل البيت (صلوات اللَّـه عليهم) جنس عالي، وإمامة أَهل البيت (صلوات اللَّـه عليهم) إمامة إلٰهيَّة أُخرىٰ تختلف عن إمامة بقيَّة الأَنبياء والرُّسل والأَوصياء ، إختلافاً نوعيّاً وماهويّاً وجوهريّاً من دون قياس ؛ لسعة إمكانيَّات أَهل البيت (صلوات اللَّـه عليهم)، وسعة دولتهم الإلٰهيَّة اللامتناهيَّة ، الشَّاملة لجملة عوالم الخلقة والوجود ؛ وكافَّة

مخلوقاتها اللامتناهيَّة ، من بداية الخلقة والوجود إلى ما لا نهاية له.

تعاريف المدارس البشريَّة للإِمامة الإِلهيَّة

لكن: مَنْ يُراجع كُتُب أَصحاب علم الكلام وعلم الفلسفة والعرفان ، وكُتُب بقيَّة أَصحاب المدارس المعرفيَّة البشريَّة ، قديماً وحديثاً ، عند الخاصَّة والعامَّة فسيجد أَنَّهم عرَّفوها بتعاريف ، منها :

١ـ الإِمامة : رئاسة عامَّة دينيَّة ، مشتملة على ترغيب عموم النَّاس في حفظ مصالحهم الدِّينيَّة والدنيويَّة ، وزجرهم عمَّا يضرَّهم بحسبها[١].

٢ـ الإِمامة : خلافة الرسول في إقامة الدِّين ؛ بحيث يجب اتباعه على كافَّة الأُمَّة[٢].

٣ـ الإِمامة : رئاسة عامَّة في أُمور الدِّين والدُّنيا[٣].

٤ـ الإِمامة : خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدِّين وسياسة الدُّنيا[٤].

جملة مُؤاخذات على تعاريف المدارس البشريَّة للإِمامة الإِلهيَّة

وغير خفيٍّ على الناقد البصير عندما يعمل نظره في ملحمة التَّحليل ، وسندان التَّعَمُّق ، ويغوص في بحر التَّفكير يجد أَنَّها تعاريف ناقصة ، وقاصرة

---

(١) قواعد العقائد ، الخواجة نصير الطوسي: ١٠٨.

(٢) المواقف : ٢١١.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المُقدِّمة، ابن خلدون: ١٩١.

وهابطة ، ومُنْحَطَّة جِدّاً ، مُميتة للحقائق ، ومُحجِّرة للعقول ، وقاتلة لروح التَّفكير الحر ، والبحث العلمي[١]، والتَّصَدِّي للمسؤوليَّة[٢] الدِّينيَّة والشَّرعيَّة ، ومولِّدة لهبوطٍ عقائديٍّ ومعرفيٍّ لدىٰ جملة البشريَّة ، بل مُطلق المخلوقات خطير وشنيع وفظيع جِدّاً ، وذلك من وجوه ، منها [٣] [٤]:

---

(١) هذا عطف على كلمة : (التَّفكير) ، فتكون العبارة هكذا : (وقاتلة لروح البحث العلمي).

(٢) هذا عطف على كلمة : (الحقائق) ، فتكون العبارة كالتَّالي : (ومميتة للتصدِّي للمسؤوليَّة الدِّينيَّة والشَّرعيَّة).

(٣) هذا القصور في تعاريف القوم والهبوط المعرفي والمؤاخذات والإشكالات والتساؤلات الواردة على إثره على حقيقة الإمام والإمامة الإلٰهيَّة إلى يومنا هذا تأتي كذلك في تعاريفهم لنبوَّة سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله ورسالته ، بل وللنُّبُوَّة بشكل عام ، وللرسالات السَّماويَّة.

(٤) هذه التَّعاريف الهابطة ، بل الخاطئة في بيان حقيقة إمامة أَهل البيت (صلوات اللَّـه عليهم) الإلٰهيَّة نشأت نتيجة الجدل الكلامي الدَّائر بين المدارس الكلاميَّة ؛ فانشغل علماء الخاصَّة عن استخراج درر معارف بيانات الوحي ؛ فهبط مستوىٰ بحث علم الكلام والمعارف هبوطاً خطيراً.

وبعبارة أُخرىٰ : أَنَّ للجدل والخصومة في الدِّين آفات ؛ لأَنَّها تنزل بصاحبها عن سعة الحقيقة اللامتناهيَّة ؛ وعن أُفق الحقيقة الواسع واللامتناهي للدِّين إلى أُفق ضيِّق ؛ وهو ما يمليه عليه الطرف الآخر ، ومِنْ ثَمَّ أَحد آفات المداراة بقول مطلق وفي كُلِّ شيءٍ ـ فإِنَّها وإِنْ كانت زينة ، لكنَّها ـ : تُلوِّن المُداري وتُلوِّثه باعتقادات ومباني وما يُدين به الطرف من حيث لا يشعر.

وعلى هذا قس : حال التَّقيَّة حرفاً بحرف ؛ فإِنَّها كثيراً ما تُعمي وتطمس الحقيقة.

المُؤاخذة الأُولى :

حصر دور الإِمامة الإِلهيَّة على البعد السياسي

إِنَّها قصرت دور إِمامة أَهل البيت عليهم السلام الإِلٰهيَّة وولايتها ومهامِّها ومسؤوليَّاتها وشؤونها وإِدارتها وتدبيرها ويد تصرُّفها ، ودور الإِمام من أَهل البيت عليهم السلام وولايته ومهامِّه ومسؤوليَّاته وإِدارته وتدبيره ويد تصرُّفه على البُعد السياسي[1] فقط ، والحال أَنَّ بيانات الوحي المتواترة ـ منها : ما سيأتي (إِنْ شاء اللّـه تعالىٰ) ـ تثبتها لِـمُطلق شؤون المخلوقات وأَحوالها.

المُؤاخذة الثَّانية :

إِنقطاع إِمامة الإِمام عليه السلام بعد انتقاله إِلى عَالَم البرزخ

إِنَّها قصرت دور إِمامة أَهل البيت عليهم السلام الإِلٰهيَّة وولايتها ومهامِّها ومسؤوليَّاتها وشؤونها وإِدارتها وتدبيرها ويد تصرُّفها ؛ ودور الإِمام من أَهل البيت عليهم السلام وولايته ومهامِّه ومسؤوليَّاته وشؤونه وإِدارته وتدبيره ويد تصرُّفه على هذه النشأة الأَرضيَّة ، فبمجرَّد إِنتقاله (صلوات اللّـه عليه) إِلى الرفيق الأَعلىٰ وعَالَم البرزخ الصَّاعد تنقطع إِمامته الإِلٰهيَّة وولايته ، وتُسلب مهامِّه وأَدواره ومسؤوليَّاته وشؤونه وإِدارته وتدبيره لهذه النشأة الأَرضيَّة وعَالَم الدُّنيا الأُولىٰ ، وتُغلَّ يد تصرُّفه (والعياذ باللّـه تعالىٰ).

لكن : الثَّابت في بيانات الوحي المتواترة ـ منها : ما سيأتي (إِنْ شاء اللّـه

---

(١) أَحد تعاريف السياسة : فن إِكتشاف الواقع الموصل للغاية.

تعالىٰ) ـ إمتداد إمامة أَهل البيت عليهم السلام الإلٰهيَّة وهم (صلوات اللّٰـه عليهم) في عَالَم البرزخ الصَّاعد إلى نشأتنا الأَرضيَّة هذه ، فيتصرَّفون عليهم السلام في هذا العَالَم ـ عَالَم الدُّنيا الأُولىٰ ـ وهم في عَالَم البرزخ ، ومن ثَمَّ يتوَهَّم مَنْ يظنُّ أَنَّ سلسلة مراتب الولاية تتبدَّل من أَصلٍ إلى أَصلٍ.

المُؤاخذة الثَّالثة :

عدم شمول إمامة أَهل البيت عليهم السلام الإلٰهيَّة لبقيَّة العوالم

إِنَّها حصرت دور إمامة أَهل البيت عليهم السلام الإلٰهيَّة وولايتها ومهامِّها ومسؤوليَّاتها وشؤونها وإِدارتها وتدبيرها ويد تصرُّفها ، ودور الإِمام من أَهل البيت عليهم السلام وولايته ومهامِّه ومسؤوليَّاته وشؤونه وإِدارته وتدبيره ويد تصرُّفه بنشأتنا الأَرضيَّة هذه ـ أَي : عَالَم الدُّنيا الأُولىٰ ـ .

لكن : الثَّابت في بيانات الوحي المتواترة ـ منها : ما سيأتي (إِنْ شاء اللّٰـه تعالىٰ) ـ إِمتداد إِمامة أَهل البيت عليهم السلام الإلٰهيَّة وهم في هذه النشأة الأَرضيَّة ، بل وفي جملة العوالم ـ سوآء أَكان في هذا العَالَم أَو في العوالم السَّابقة أَو اللاحقة ـ ويتصرَّفون وهم عليهم السلام في عالمهم في بقيَّة عوالم الخلقة والوجود والإِمكان اللامتناهية ، ويتصرَّفون (صلوات اللّٰـه عليهم) في كافَّة المخلوقات اللامتناهية أَيضاً ، ويديرون ويُدبِّرون أُمورها وشؤونها وأَحوالها ، وما يَرد إِليها وما يَصدر منها ، ولا تخرج عن شؤونهم عليهم السلام ومسؤوليَّاتهم وتصرُّفاتهم مثقال حبَّةٍ من خردلٍ من عوالم الخلقة والوجود والإِمكان ومخلوقاتها اللامتناهية ، ولا أَصغر من ذلك ولا أَكبر ، ولا تحجبهم (صلوات اللّٰـه

عليهم) القيود والظروف والأَحوال ، ففي نشأتنا الأَرضيَّة هذه وهم (صلوات اللّـه عليهم) يعيشون بيننا ، ويأكلون ويشربون ويمشون في الأَسواق ، ويُمارسون حياتهم الطبيعيَّة : مسؤولون عليهم السلام عن مُطلق العوالم اللامتناهية ؛ وعن كافَّة المخلوقات اللامتناهية أَيضاً ، ويديرونها إِدارة اللطيف للأَغلظ ، ويتصرَّفون فيها تصرُّف اللطيف في الأَغلظ كيف يشاء ، ولهم عليهم السلام اليد العليا في الرَّفع والوضع والتَّغيير ، والتصرُّف بما يشآؤون ، ولا يعزب عن إِرادتهم عليهم السلام ومسؤولياتهم وتصرُّفاتهم في طُرِّ العوالم وجملة المخلوقات مثقال ذرَّة في السماوات والأَرضين ولا أَصغر من ذلك ولا أَكبر ، بل هم (صلوات اللّـه عليهم) داخلين في جميع شراشر وجزئيَّات تلك العوالم وسائر المخلوقات دخول اللطيف في الغليظ لا بالممازجة والمزاولة ، وخارجين عنها لا بالمفارقة والمزايلة ، وأَقرب إِليها من حبل وريدها ؛ كُلُّ ذلك بإِذنٍ وقوَّةٍ ومددٍ وعطاءٍ وفضلٍ ومِنَّةٍ من اللّـه ـ المسمَّىٰ ـ جلَّ شأنه.

إِذَنْ: الإِمام من أَهل البيت عليهم السلام وإِنْ كان يعيش بيننا ، لكنَّه مسؤول مسؤوليَّة إِلٰهيَّة عن جملة عوالم الخلقة والوجود والإِمكان ومخلوقاتها اللامتناهية ـ كحاله عليه السلام في بقيَّة العوالم السَّابقة واللاحقة ـ ويدير ويُدبِّر أُمورها وشؤونها ، يتصرَّف فيها خلافةً للّـه ـ المُسَمَّىٰ ـ تقدَّس ذكره صاحب الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة ، بمددٍ وتأييدٍ ، وقوَّةٍ وعطاءٍ منه تعالىٰ ذكره.

المُؤاخذة الرَّابعة :

الإمام عليه السلام مُجَرَّد ناقل وحي

إِنَّهم جعلوا الإِمام من أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) مُجَرَّد ناقل وحي وشريط تسجيل ليس إِلَّا.

لكن : الثَّابت في بيانات الوحي المتواترة ـ منها : ما سيأتي (إِنْ شاء اللّـه تعالىٰ) ـ : أَنَّ ذواتهم عليهم السلام المُقدَّسة بحور وحي زخَّارة لا نهاية له أَبداً ، وترجمان مُعَبِّر لمعاني بحور الوحي وحقائقه الزخَّارة اللامتناهية.

أَحد الفوارق بين أَهل البيت عليهم السلام وبقيَّة كُمَّل المخلوقات

ذوات أَهل البيت عليهم السلام ترسانة وحي إِلهيّ لا ينقطع أَبداً

ولك أَنْ تقول : إِنَّ ترجمة الوحي والعبور من حقيقة من حقائقه إِلى حقيقة أُخرىٰ تتطلَّب من ممارسها أَنْ تكون ذاته ترسانة وحي وعلم لدنِّيّ ؛ ومعرفة إِلٰهيَّة لا نهاية لها ، تساوي ، بل تساوق الـمُترجَم ، وهذا لا يتمكَّن منه مخلوق قَطُّ ـ لا نبيّ مرسل ولا ملك مقرَّب ـ إِلَّا أَهل البيت عليهم السلام. وهذا أَحد الفوارق بين أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) وبين بقيَّة كُمَّل المخلوقات ، منهم : بقيَّة أَنبياء أُولي العزم والملائكة المُقرَّبين عليهم السلام ؛ فإِنَّه مهما علا شأو وشأن بقيَّة كُمَّل المخلوقات وارتفعت وارتقت مراتبهم ومقاماتهم وفضائلهم وكمالاتهم إِذا قيست إِلى مراتب أَهل البيت عليهم السلام ومقاماتهم وفضائلهم وكمالاتهم لابُدَّ أَنْ تكون محدودة ، بخلاف مراتب ومقامات وفضائل وكمالات أَهل البيت عليهم السلام فإِنَّها ليست محدودة ، ولا توجد نسبة

رياضيَّة بين المحدود واللامحدود ، فمهما بلغ المحدود فإنَّه إذا قيس إلى اللامحدود يبقىٰ لا شيء وصفراً على جهة الشمال.

وسيأتي (إنْ شاء اللَّـه تعالىٰ) مزيد بيان ، وإقامة الأَدلَّة على جميع ما تقدَّم بيانه ، فانتظر هنيئة.

وبالجملة : هناك خطأٌ فاحشٌ أَرتكبته أَقلام كُتُب مُتكلِّمي المدارس الإِسلاميَّة الأُخرىٰ ، انسحب على بحوث كثير من مُتكلِّمي الإِماميَّة ؛ فإِنَّهم زعموا : إختصاص بحث الإِمامة الإِلٰهيَّة بالقيادة الإِعتباريَّة ؛ ومن باب علم: السياسة والقانون وما شاكلهما[1]، وهي كما ترىٰ لهجة خدعة ، ظاهرة التَّكليف ، بيِّنة التوليد ، تخطب على نفسها أَنَّها فخفخة قول مِـمَّنْ داخله الشَّكّ ، واستولىٰ عليه الرَّيب ، وأَباطيل خُيِّلت لهم ، وخُلطت عليهم ، ومفتريات اختلقوها من تلقاء أَنفسهم ، وظنون فاسدة ، وتوهُّمات كاذبة أَملتها عليهم أَنفسهم الأَمَّارة بالسوء ، فعميت بصائرهم ، وتاهت أَفكارهم، وسفهت أَحلامهم ، بل كالشَّمس بلا حجاب وستار أَنَّها على غير أَصلٍ فنيٍّ وقاعدةٍ صناعيَّةٍ ، فيكون منهج خُدعة ، مخالفٌ لِـمَا قامت عليه بيانات الوحي الظافرة الباهرة.

ومعناه : إِنكار سعة أَدوار إِمامة أَهل البيت عليهم السلام الإِلٰهيَّة ، وتأثيراتها

---

(١) **ينبغي** الالتفات : أَنَّه يجب أَنْ لا تُقرأ الظواهر السياسيَّة في حياة المعصوم عليه السلام وسيرته التأريخيَّة بقراءة تاريخيَّة وسيرويَّة وسياسيَّة وقانونيَّة بحتة ، بل لابُدَّ من قراءتها بقراءة عقائديَّة ومعرفيَّة ، ومن البُعد العقائدي والمعرفي الإِلٰهي أَيضاً ؛ وذلك لوجود جانب غيبيّ ؛ وجهة تكوينيَّة إِلٰهيَّة لا متناهية فيه عليه السلام.

الخطيرة والمهولة جِدّاً ، وسعة أَدوار وتأثيرات أَئمَّة أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) ؛ الَّتي لا تصل إِليها عقول الخلائق ، كغرائب شؤونهم وأَفعالهم وأَحوالهم الَّتي لو جُمعت في كفَّة ، وجُمعت شؤون وأَفعال وأَحوال جملة الخلائق في كفَّةٍ أُخرىٰ لرجحت عليها كما يرجح العرش على الذَّرة ، بل لو قيس كُلّ ما جاءت به جملة بقيَّة المخلوقات ؛ وكُلّ شؤونها وأَفعالها وأَحوالها من بداية الوجود والخلقة إِلى ما لا نهاية له إِلى شؤون وأَفعال وأَحوال أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) لكان لا شيء وصفراً على جهة الشمال ؛ لأَنَّ ما يصدر من جملة بقيَّة المخلوقات لابُدَّ أَنْ يكون متناهياً ، وما يصدر من أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) لا متناهي أَبد الآباد ودهر الدهور ـ كما ثبت في محلِّه ـ ولا توجد نِسبَة رياضيَّة بين المتناهي واللامتناهي ، فدائماً يكون فعل المتناهي صفراً بالقياس إِلى اللامتناهي ، وإِلَّا ـ أَي : لو أُعطي المتناهي قيمة ولو كانت ضئيلة جِدّاً كالواحد بالمليار ـ لانقلبت ماهيَّة اللامتناهي وصارت متناهية ، وبطلان إِنقلاب الماهيَّة من أَوضح الواضحات ، بل هو خُلف الفرض. ومن ثَمَّ نشأ من تلك التعريفات خرق اتَّسع على الراقع ؛ فبان الصبح لذي عينين ، ونشأت منها تشكيكات وشُبهات ، وإِشكالات وتساؤلات لا زالت قائمة إِلى يومنا هذا.

حقيقة إِمامة أَهل البيت عليهم السلام على طبقات لا متناهية

القرآن الكريم بجملته يحوم حول إِمامة أَهل البيت عليهم السلام

والحال أَنَّ مَنْ يُراجع بحور معارف الوحي المؤَّاجة ، وراجع أَوَّلها

وآخرها ، وتدبَّر في أَلفاظها ومعانيها وحقائقها ، والَّتي لا يُدرَك طرفها ، ولا يبلغ قعر بحورها الخضم الزاخرة ، والَّتي من تقدَّمها غرق في بحر الإِفراط ، ومن تأَخَّر عنها زهق في برِّ التفريط ، الَّتي لا تُخرِج إِلى عوجٍ ، ولا تُزيل عن منهج حقٍّ ، طريق الحقّ الأَبلج ، وصراط اللَّـه المُستقيم ، وأَراد التقاط درر الحقيقة ، ومشىٰ كما تشاء الصناعة العلميَّة والقواعد الأُصوليَّة ، وانبثق له نور الحقيقة ، وتجلَّىٰ عنه ظلام الجهل ، وانكشفت لديه الحكمة فسيصل إِلى منزلةِ جَبَلاً فنْداً ، وَحَجَراً صلداً ،لا يرتقيها الحافر ، ولا يوفي عليها الطائر ، وسيجد أَنَّ لحقيقة الإِمامة الإِلٰهيَّة الـمُتَمتِّع بها أَهل البيت (صلوات اللَّـه عليهم) مراتب ودرجات وطبقات لا متناهية أَبد الآباد ودهر الدُّهور ، غاية في الخطورة ، عجيبة وغريبة ، ومهولة جِدّاً ، بل القرآن الكريم بجملته يحوم حومها ، ويطوف طورها ، ويدور بأَكمله حول حقيقتها وماهيَّتها وشؤونها ؛ وحقيقة وماهيَّة وشؤون نبوَّة سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله ؛ وحقيقة وماهيَّة أَهل البيت (صلوات اللَّـه عليهم) وشؤونها ، فهو كتابٌ سماويٌّ إِلٰهيٌّ لبيان : الهويَّة النَّبويَّة لسيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله ، والهويَّة الولويَّة لأَهل البيت عليهم السلام.

وهذا ما تشير إِليه بيانات الوحي ، منها :

بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام : «**إِنَّ اللَّـهَ جعل ولايتنا أَهل البيت قطب القرآن ، وقطب جميع الكُتُب ، عليها يستدير مُحكم القرآن ، وبها نَوَّهت الكُتُب ، ويستبين الإِيمان ، وقد أَمر رسول اللَّـه صلى الله عليه وآله أَنْ يُقتدىٰ بالقرآن وآل مُـحَمَّد ، وذلك حيث قال في آخر خطبة خطبها : إِنِّي تارك فيكم الثقلين : الثقل الأَكبر ، والثقل الأَصغر ، فأَمَّا الأَكبر فكتاب ربِّي ، وأَمَّا الأَصغر فعترتي**

أَهل بيتي فاحفظوني فيهما ، فلن تضلُّوا ما تمسَّكتم بهما»[١].

ودلالته واضحة.

ومن ثَمَّ مَا ورد في بيان قوله تقدَّس اسمه : ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ**﴾[٢] برهانٌ وحيانيٌّ دالٌّ على قاعدة معرفيَّة قرآنيَّة أَصيلة ، حاصلها : (أَنَّ الغاية والغرض الأَصلي في كلِّ ما ورد من قصص كُمَّل المخلوقات في القرآن الكريم : إِشارة إِلى سيِّد الأَنبياء وبقيَّة أَهل البيت صلوات اللَّـه عليهم).

وهذا ما تُشير إِليه بيانات الوحي ، منها :

بيان الإِمام الباقر عليه السلام : «... **بل فينا ضَرَبَ اللّـهُ الأَمثال في القرآن ، فنحن القرىٰ الَّتي باركَ اللّـه فيها ...**» [٣].

فمقصود القرآن الأَصلي والجدِّي والغائي من ذكر أَحوال وشؤون وقصص النَّبيّ : (آدم ، ونوح ، وإِبراهيم ، وموسىٰ ، وعيسىٰ) وبقيَّة الأَنبياء والرُّسُل ، والأَوصياء والأَصفياء عليهم السلام ، وكُمَّل النساء كـ : (حوآء ، ومريم ، وآسِيَة) ليس نفس هذه الذوات المُقدَّسة ، بل مخلوقات أُخرىٰ أَقدس ؛ أَوَّلها إِنشاءً وخلقةً ، وأَعظمها شأناً ورفعةً ، وأَرفعها مقاماً ، وأَخطرها هولاً ومسؤوليَّةً وإِدارةً ودوراً في عوالم الوجود والإِمكان والخلقة اللامتناهية ،

---

(١) بحار الأَنوار ، ٨٩ : ٢٧/ح٢٩. تفسير العيَّاشي ، ١: ٥.

(٢) يوسف : ١١١.

(٣) بحار الأَنوار ، ٢٤ : ٢٣٢ ـ ٢٣٣/ ح١. احتجاج الطبرسي : ١٧٨.

وأَعلاها شأواً وقدسيَّةً إِلٰهيَّة ؛ وهم : سيِّد الأَنبياء وبقيَّة أَهل البيت الأَطهار صلوات اللّـه عليهم. فما ورد في بيان وصيَّة سيِّد الأَنبياء ﷺ : مقام (مريم الكبرىٰ) ، كنعتٍ ومقامٍ من نعوت ومقامات فاطمة الزهراء صلوات اللّـه عليها حينما أَخذ بيدها حال إِحتضاره ووضعها بيد أَمير المؤمنين (صلوات اللّٰـه عليهم) ، وقال : «**يا عَلِيّ ، هٰذه واللّـه سيِّدة نساء أَهل الجنَّة من الأَوَّلين والآخرين ، هٰذه واللّـه مريم الكبرىٰ...**»[1] برهانٌ وحيانيٌّ دالٌّ على أَنَّ (مريم) الَّتي ذُكرت في بيانات القرآن الكريم ليست هي المراد والمقصود الأَصلي والجدِّي والغائي ، وإِنَّما هي قنطرة وتذكرة ؛ ومَثَل مُقدَّس ومطهَّر للمقصود النهائي : (فاطمة الزهراء صلوات اللّـه عليها).

هٰكذا حال آسِيَة بنت مُزاحِم ؛ فإِنَّها وإِنْ كان مِـمَّن كملن واصطفين ، لكنَّها ذُكرت في بيانات القرآن الكريم كمَثَل ضَرَبَه اللّـه (عزَّ وجلَّ) لِـمَنْ قتلها فرعون عصرها (عثمان) : السيِّدة رقيَّة بنت سيِّد الأَنبياء صلَّىٰ اللّـه عليهما وعلى آلهما ؛ فإِنَّها الأَعظم شأناً ، والأَرفع مقاماً.

وعلى هذا قس : أَحوال وشؤون ومقامات بقيَّة كُمَّل المخلوقات الواردة في بيانات القرآن الكريم ؛ فإِنَّ الغاية النهائيَّة منها الإِشارة إِلى أَحوال أَهل البيت (صلوات اللّٰـه عليهم) وشؤونهم ومقاماتهم.

بعد الإِلتفات : إِلى أَنَّ المراد الجدِّي في الكلام : أَعظم دلالة دائماً من المراد الإِستعمالي.

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٢: ٤٨٤/ح٣١. الطرف : ٢٩ ـ ٣٤.

وهذا يدلُّ على مدىٰ عظمة وخطر وهول حقائق أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) ، وعلوّ شؤونهم ومقاماتهم. ومن ثَمَّ ورد في بيان الإِمام الرضا (صلوات اللّـه عليه) بحضور الخؤون ـ المأمون ـ العبَّاسي : إِنَّ اللّـه عزَّوجلَّ لم يُسلِّم في القرآن الكريم على آل نبيٍّ قَطُّ إِلَّا على آل محمَّد صلى الله عليه وآله.

فانظر :

بيانه (صلوات اللّـه عليه) : «... **فإنَّ اللّـه عزَّوجلَّ أَعطىٰ مُحمَّداً وآل مُحمَّد من ذلك فضلاً لا يبلغ أَحد كُنْه وصفه إِلَّا من عقله ، وذلك أَنَّ اللّـه عزَّوجلَّ لم يُسَلِّم على أَحدٍ إِلَّا على الأَنبياء عليهم السلام ، فقال تبارك وتعالىٰ: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾**[1] ، **وقال : ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾**[2]، **وقال : ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾**[3]، **ولم يقل : سلام على آل نوح ، ولم يقل : سلام على آل إبراهيم ، ولا قال : سلام على آل موسىٰ وهارون ، وقال عزَّ وجلَّ : «سلام على آل يس» : يعني : آل مُحمَّد.** فقال المأمون : قد علمت أَنَّ في معدن النُّبوَّة شرح هذا وبيانه ...»[4].

وهذه الآية القرآنية الكريمة قد وردت بقرائتين : إحداهما : «إِل ياسين» ، والأُخرىٰ : «آل ياسين» ، وفي كليهما دلالة على المطلوب ، فإِنَّ

---

(١) الصافات : ٧٩.

(٢) الصافات : ١٠٩.

(٣) الصافات : ١٢٠.

(٤) بحار الأَنوار ، ٢٥: ٢٢٠ ـ ٢٣٣/ح٢٠. أَمالي الصدوق : ٣١٢ ـ ٣١٩. عيون الأَخبار: ١٢٦ـ١٣٣. تحف العقول : ٤١٥ـ ٤٣٦.

(ياسين) أَحد أَسمآء سيِّد الأَنبياء ﷺ ، و (إِل) : الرحم ، كما ورد في بيان قوله جلَّ شأنه : ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾[1] ، وتعني في اللغة : (آل) ، فكان معناهما واحداً ، فالتفت.

ويُضاف لِـمَا تقدَّم : بيان قوله جلَّت آلاؤه : ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾[2]؛ فإذا كان آل إبراهيم عليهم السلام أُعطوا ملكاً إِلٰهيّاً عظيماً ؛ فكيف بالأَخطر والأَعظم دوراً ومسؤوليَّة وهيمنة وإِدارة إِلٰهيَّة لطُرِّ العوالم وكافَّة المخلوقات : أَهل البيت : سيِّد الأَنبياء وبقيَّة أَهل البيت صلوات اللّـه عليهم.

ومِنْ كُلِّ هذا يتَّضح : إِتفاق المسلمين على أَنَّ القرآن الكريم نصَّ : على أَنَّ لأَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) مقامات وشؤون فوق مقامات وشؤون بقيَّة أَنبياء أُولي العزم عليهم السلام.

وعليه : فإِذا لم يؤتَ بتعريفٍ كاشفٍ عن حقيقة الإِمامة الإِلٰهيَّة ؛ باعتبار: أَنَّها تنصيبٌ وفعلٌ من أَفعال السَّاحة الإِلٰهيَّة ؛ فلا يُلبّى العطش البشري لمعرفتها، ومعرفة خصائصها وشؤونها [3]، ولا تُحلُّ الإِشكالات والإِثارات والتساؤلات المثارة عليها.

وهذا أَمرٌ بالغُ الأَهميَّة والخطورة ، يدعو الباحثين إِلى إِعادة النظر

---

(١) التوبة : ١٠.

(٢) النساء : ٥٤.

(٣) **ينبغي الإِلتفات** : أَنَّ زيادة معرفة المخلوق بأَئمَّة أَهل البيت الأَطهار (صلوات اللّـه عليهم) يوجب علو مراتبه ودرجاته ؛ وعلو تكامل جوهره.

والفحص والتنقيب ؛ فيما أَصحرت به بيانات الوحي الباهرة الوافرة ؛ عن حقيقة إِمامة أَهل البيت (صلوات اللَّـه عليهم).

وإِذا رجعنا إلى تلك البيانات لوجدناها على طوائف ، تذكر كُلُّ واحدةٍ منها بعض خصائصها وفصولها وأجناسها ، وبضمِّ بعضها إلى الآخر يتجلَّىٰ التعريف المناسب.

ومن هذا الطوائف الَّتي تُمثِّل كُلّ واحدةٍ منها ركناً من أَركان ماهيَّة وحقيقة إِمامة أَهل البيت عليهم السلام[1]:

الإِمامة : بعثة إِلهيَّة

الطائفة الأُولىٰ : ما دلَّ على أَنَّ الإِمامة الإِلٰهيَّة بعثة إِلٰهيَّة.

ويُمثِّلها :

بيان قوله تعالىٰ : ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[2]. [1]

---

(١) **يجدر الإِلتفات** : قبل الخوض في هذه الطوائف إِلى ضابطة وحيانيَّة وعقليَّة ومعرفيَّة ؛ لمعرفة أَحكم محكمات القرآن الكريم والسُّنَّة الشَّريفة ، وهي : (أَنَّ بيانات الوحي المُتعرِّضة لأَركان وبنود وأَعمِدَة الدِّين تكون أَحكم ومن دون قياس من بياناته المُتعرِّضة لأَركان وبنود وأَعمِدَة الشريعة ؛ لأَنَّ الدين وحقيقته وحقائقه أَعظم وأَخطر من دون قياس من الشَّريعة وحقيقتها وحقائقها).

(٢) البقرة : ٢٤٧.

ودلالته واضحة ، بعد الإلتفات إلى أَنَّ عنوان : (المُلك) هو أَحد عناوين الإمامة الإلٰهيَّة.

ثُمَّ إِنَّه ينبغي الإلتفات : أَنَّ المستفاد من هذا البيان الشريف : أَنَّ الرسالات الإلٰهيَّة لا تنحصر بالنُّبُوَّة ـ خلافاً لِـمَا تخيَّلته العامَّة وما ثبت في كُتُب مُتكلِّمي الفريقين ـ بل مُتنوِّعه ، أَحدها : (الإمامة الإلٰهيَّة) ، فإِنَّه وصفها بـ : (البعثة) ، ومعناها : مأموريَّة ورسالات وسفارة إلٰهيَّة.

الإمامة الإلٰهيَّة : (هداية إيصاليَّة)

الطَّائفة الثانية : ما دلَّ على أَنَّ أَهل البيت الأَطهار عليهم السلام هم : (الهداة).

ويُمثِّلها :

بيان الإمام الباقر عليه السلام : «**في قوله اللَّـه عزَّوجلَّ : ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾**[٢] **فقال: رسول اللَّـه صلى الله عليه وآله المُنذر ، ولكُلِّ زمانٍ مِنَّا هادٍ يهديهم إلى ما جاء به نبيّ اللَّـه صلى الله عليه وآله ، ثُمَّ الهداة من بعده عَلِيّ ، ثُمَّ الأَوصياء واحد بعد واحد**»[٣].

وهذا برهانٌ وحيانيٌّ دالٌّ على أَنَّ أَحد الأَجناس المأخوذة في الإمامة الإلٰهيَّة هو : (الهداية) ، وهي هداية إيصاليَّة لا إرائيَّة.

والفارق بينهما :

← (١) **لا بأس بالإلتفات** : أَنَّ إمامة (طالوت) الإلٰهيَّة انتقلت حال حياته إلى النَّبيّ داود عليه السلام. وإلى هذا يشير بيان قوله تبارك وتعالىٰ ـ المُفسَّر ببيانات أَهل البيت عليهم السلام ـ : ﴿وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٥١].

(٢) الرعد : ٧.

(٣) بحار الأَنوار ، ١٦ : ٣٥٨/ ح ٥٠.

أَمَّا الهداية الإرائيَّة فهي تعني : إرائة الطريق والسبيل للمخلوق من بعيد ، وتعريفه به وبالهدف والمطلب والغاية ، وتشخيصها له ، وبيان التنجيز وإقامة الحُجَّة ، وهذا هو شأن النُّبوَّة ؛ فإنَّها هداية إرائيَّة.

وأَمَّا الهداية الإيصاليَّة فهي تعني : الأَخذ بيد المخلوق وإيصاله إلى الهدف والمطلب والغاية ، وهذا هو شأن الإمامة الإلٰهيَّة ؛ فإنَّها هداية إيصاليَّة، وهي الأخطر.

الإمام مفروض الطَّاعة

الطَّائفة الثَّالثة : ما دلَّ على أَنَّ مَنْ متعته يد السَّاحة الإلٰهيَّة بهذه الإمامة الإلٰهيَّة لابُدَّ أَنْ يكون مفروض الطَّاعة.

ويُمثِّلها :

بيان الإمام الرضا عليه السلام : «... **الإمام ... مفروض الطَّاعة** ...»[1].

ودلالته واضحة.

الإمامة الإلٰهيَّة حقيقة تكوينيَّة

الطَّائفة الرَّابعة : ما دلَّ على أَنَّ الإمامة الإلٰهيَّة حقيقة تكوينيَّة.

ويُمثِّلها :

١ـ بيان أَمير المؤمنين عليه السلام : «... **أنا صاحب أمر النبي** صلى الله عليه وآله **، قال اللّـه**

(١) بحار الأَنوار ، ٢٥: ١٢٣/ ح٤. إكمال الدين : ٣٨٠ ـ ٣٨٣. معاني الأَخبار : ٣٣ ـ ٣٤. عيون الأَخبار: ١٢٠ ـ ١٢٣. الأمالي : ٣٩٩ ـ ٤٠٢.

عزَّوجلَّ : ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾[١]، وهو : روح اللَّـه ، لا يعطيه ولا يلقي هذا الرُّوح إِلَّا على ملكٍ مُقَرَّبٍ أَو نَبِيٍّ مرسلٍ ، أَو وصيٍّ منتجبٍ ، فَمَنْ أعطاه اللَّـه هذا الرُّوح فقد أبانه من النَّاس، وفوَّض إِليه القدرة ، وأَحيىٰ الموتىٰ ، وعلم بما كان وما يكون ، وسار من المشرق إلى المغرب ، ومن المغرب إلى المشرق في لحظة عين ، وعلم ما في الضمائر والقلوب ، وعلم ما في السَّماوات والأرض... أَنا أَمير كُلّ مؤمنٍ ومؤمنةٍ مِـمَّن مضىٰ ، ومِـمَّن بقي ، وأُيدتُ بروح العظمة ... لا تُسمُّونا أَرباباً وقولوا في فضلنا ما شئتم فإِنَّكم لن تبلغوا من فضلنا كُنْه ما جعله اللَّـه لنا ، ولا معشار العشر ؛ لأَنَّا : آياتُ اللَّـه ودلائله ، وحُجج اللَّـه وخلفاؤه وأُمناؤه وأئمَّته ، ووجه اللَّـه ، وعين اللَّـه ، ولسان اللَّـه ، بنا يُعذِّب اللَّـه عباده ، وبنا يُثيب ، ومن بين خلقه طَهَّرنا واختارنا واصطفانا ، ولو قال قائل : لِـمَ ، وكيف ، وفيم ؟ لكفر وأَشرك ؛ لأَنَّه : ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾[٢] ... أَنا أُحيي وأُميت بإِذن ربِّي ، أَنا أُنبئكم بما تأكلون وما تدَّخرون في بيوتكم بإِذن ربِّي ، وأَنَا عَالِمٌ بضمائر قلوبكم ، والأَئمَّة من أَولادي عليهم السلام يعلمون ويفعلون هذا إذا أَحَبُّوا وأَرادوا ؛ لأَنَّا كُلُّنا واحد ... ونحن إِذا شئنا شاء اللَّـه، وإِذا كرِهْنا كرِهَ اللَّـهُ ، الويل كلّ الويل لِمَن أَنكر فضلنا وخصوصيَّتنا ، وما أَعطانا اللَّـهُ ربُّنا ؛ لأَنَّ مَنْ أنكر شيئاً مِـمَّا أَعطانا اللَّـه فقد أَنكر قدرة اللَّـه عزَّوجلَّ ومشيَّته فينا... لقد أَعطانا اللَّـه ربُّنا ما هو أَجلُّ وأَعظم وأَعلىٰ وأكبر من هذا

---

(١) غافر : ١٥.

(٢) الأنبياء : ٢٣.

كُلِّه ... قد أَعطانا ربُّنا عزَّوجلَّ علمنا للاسم الأَعظم ؛ الَّذي لو شئنا خرقت السَّماوات والأَرض ، والجنَّة والنَّار ، ونعرج به إلى السَّماء ، ونهبط به الأَرض ، ونُغَرِّب ونُشَرِّق ، وننتهي به إلى العرش فنجلس عليه بين يدي اللّـه عزَّوجلَّ، ويطيعنا كلَّ شيءٍ حتَّىٰ السَّماوات والأَرض ، والشَّمس والقمر والنجوم ، والجبال والشَّجر والدواب والبحار ، والجنَّة والنَّار ، أعطانا اللّـه ذلك كلّه بالاسم الأَعظم الَّذي عَلَّمَنا وخصَّنا به ، ومع هذا كلّه نأكل ونشرب ونمشي في الأَسواق ، ونعمل هذه الأَشياء بأَمر ربّنا ، ونحن عباد اللّـه المكرمون الَّذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ، وجعلنا معصومين مُطَهرين ... وحقَّت كلمة العذاب على الكافرين ، أَعني: الجاحدين بكلِّ ما أَعطانا اللّـه من الفضل والإِحسان ...» [1].

وتقريب الدلالة واضح ؛ فإِنَّ جميع هذه الآثار أُمور تكوينيَّة ، ولقاعدة السنخيَّة لابُدَّ أَنْ يكون المؤثِّر وهو الإِمامة الإِلٰهيَّة أَمر تكوينيٌّ أَيضاً.

مضافاً : أَنَّ الأَثر يدلُّ على المؤثِّر ، وجميع آثار إِمامة أَهل البيت عليهم السلام الإِلٰهيَّة هذه أُمورٌ تكوينيَّةٌ ، فتكون إِمامتهم (صلوات اللّـه عليهم) الإِلٰهيَّة أَمراً تكوينيّاً أَيضاً.

٢ـ بيان الإِمام الرِّضا عليه السلام : «**... إِنَّ الإِمامة : أَجلّ قدراً ، وأَعظم شأناً، وأَعلىٰ مكاناً ، وأَمنع جانباً ، وأَبعد غوراً من أَن يبلغها النَّاس بعقولهم ، أَو ينالوها بآرائهم ، أَو يقيموا إِماماً باختيارهم. إِنَّ الإِمامة : خَصَّ اللّـه بها إِبراهيم الخليل عليه السلام ، بعد النُّبوَّة والخلَّة ، مرتبة ثالثة ، وفضيلة شرَّفه بها ،**

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٦: ١ ـ ٧/ ح١.

وأَشاد بها ذكره ، فقال : ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾[١] ، فقال الخليل عليه السلام ـ سروراً بها ـ : ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾[٢]، قال اللَّـه عزَّوجلّ: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[٣]، فأبطلت هذه الآية إمامة كلّ ظالم إلى يوم القيامة ، وصارت في الصَّفوة ، ثُمَّ أَكرمه اللَّـه عزَّوجلَّ بأن جعلها في ذرِّيَّته : أَهل الصَّفوة والطَّهارة ، فقال عزَّوجلَّ : ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ * وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾[٤]، فلم تزل في ذرِّيَّته يرثها بعض عن بعض ، قرناً فقرناً حتَّىٰ ورثها النَّبيّ صلى الله عليه وآله ، فقال اللَّـه عزَّوجلَّ: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٥] ، فكانت له خاصَّة فقلَّدها صلى الله عليه وآله عليّاً ؛ بأمر اللَّـه عزَّوجلَّ على رسم ما فرضها اللَّـه عزَّوجلَّ ، فصارت في ذرِّيَّته الأَصفياء ، الَّذين آتاهم اللَّـه العلم والإيمان بقوله عزَّوجلَّ : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ﴾[٦]، فهي في ولد عَلِيّ عليه السلام خاصَّة إلى يوم القيامة ؛ إِذ لا نبيّ بعد مُحمَّد صلى الله عليه وآله ، فمن أَين يختار هؤلاء الجهال ؟! إنَّ الإمامة هي : منزلة الأَنبياء ، وإرث الأَوصياء. إِنَّ الإِمامة : خلافة اللَّـه عزَّوجلَّ وخلافة

---

(١) البقرة : ١٢٤.
(٢) البقرة : ١٢٤.
(٣) البقرة : ١٢٤.
(٤) الأنبياء : ٧٢ ـ ٧٣.
(٥) آل عمران : ٦٨.
(٦) الروم : ٥٦.

الرسول، ومقام أَمير المؤمنين ، وميراث الحسن والحسين عليهما السلام ، إِنَّ الإِمامة : زمام الدِّين ، ونظام المسلمين ، وصلاح الدُّنيا ، وعزّ المؤمنين. إِنَّ الإِمامة : أُس الإِسلام النامي ، وفرعه السَّامي ، بالإِمام تمام الصَّلاة ...»[1].

ودلالته واضحة ؛ فإنَّ الدِّين وأركانه وأُسسه وأَعمدته أُمورٌ مجعولةٌ بالجعل الإِلٰهي التَّكويني ، وحيث إِنَّ الإِمامة الإِلٰهيَّة من الدِّين ، بل من أَركانه وأُسسه وأَعمدته كانت مجعولة بالجعل الإِلٰهي التَّكويني أَيضاً.

وهذا ما أَشار إِليه بيان قوله (صلوات اللّٰـه عليه) : «**إِنَّ الإِمامة : خصَّ اللّٰـه بها إِبراهيم الخليل عليه السلام بعد النُّبوَّة والخلَّة ، مرتبة ثالثة ... فقال: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾**[2]».

بل الإِمامة هبة إِلٰهيَّة تكوينيَّة ، ووراثة اِصطِفائيَّة ، وهي أُمور إِلٰهيَّة اِصطِفائيَّة تكوينيَّة ، وروح تنتقل من صفيٍّ إِلى صفيٍّ آخر.

وهذا ما أَشار إِليه بيان قوله (صلوات اللّٰـه عليه) : «**فلم تزل في ذرِّيَّته يرثها بعض عن بعض ، قرناً فقرناً حتَّىٰ ورثها النَّبيّ صلى الله عليه وآله ... فكانت له خاصَّة فقلَّدها صلَّىٰ اللّٰـه عليه وآله عليّاً عليه السلام؛ بأمر الله (عزَّوجلَّ) على رسم ما فرضها اللّٰـه (عزَّوجلَّ) فصارت في ذرِّيَّته الأَصفياء ، الَّذين آتاهم اللّٰـه العلم والإِيمان ... فهي في ولد عَلِيّ عليه السلام خاصَّة إِلى يوم القيامة ... الإِمامة : ... إِرث الأَصفياء ... وميراث الحسن والحسين عليهما السلام**».

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٥ : ١٢٠ ـ ١٢٨/ح٤. عيون أَخبار الرِّضا عليه السلام ، ١ : ١٦٣/ ح١. كمال الدِّين: ٣٨٠ ـ ٣٨٣. معاني الأَخبار : ٣٣ ـ ٣٤.

(٢) البقرة : ١٢٤.

بل الإِمامة : تقليدٌ إِلٰهيٌّ اصطفائيٌّ تكوينيٌّ.

وهذا ما أَشار إِليه (صلوات اللّٰـه عليه) بقول : «**فكانت ـ الإِمامة ـ له خاصَّة فقلَّدها** ﷺ **عَليّاً** ...».

إِذَنْ : الإِمامة الإِلٰهيَّة أَمر تكوينيّ.

وعليه : قس بقيَّة أَبواب العقائد: (التَّوحيد ، والنُّبُوَّة ، والرِّسالة ، والمعاد) حرفاً بحرف ؛ فإِنَّ الجميع يرتضع من ثدي واحد.

وهذه قضيَّة مُهمَّة جِدّاً ، ينبغي مراعاتها في موارد البحث والإِستنباط.

إِمامة أَهل البيت عليهم السلام شراكة مقامات

الطَّائفة الخامسة : ما دلَّ على أَنَّ إِمامة أَهل البيت (صلوات اللّٰـه عليهم) شراكة مقامات تابعة لسيِّد الأَنبياء ﷺ [1]، وأَحد تلك الشراكات : أَنَّ أَهل البيت عليهم السلام ورثة كُمَّل المخلوقات.

ويُمثِّلها :

١ـ بيان أَمير المؤمنين (صلوات اللّٰـه عليه) : «... **الإِمامة ميراث الأَنبياء ، ومنزلة الأَصفياء ، وخلافة اللّٰـه ، وخلافة رسل اللّٰـه ، فهي عصمة وولاية وسلطنة وهداية** ...»[2].

---

(١) **وبعبارة أُخرىٰ** : أَنَّ هويَّة بقيَّة أَهل البيت (صلوات اللّٰـه عليهم) ليست منحازة عن هويَّة سيِّد الأَنبياء ﷺ، بل مدمجة ومندمجة في هويَّة نبوَّته ﷺ ، وهويَّة نبوَّته ﷺ مدمجة ومندمجة ومعجونة في هويَّة العترة الطَّاهرة عليهم السلام، والإِلتفات إِلى هذه القضيَّة أَمر بالغ الأَهميَّة والثمرة والخطورة.

(٢) بحار الأَنوار ، ٢٥ : ١٧٠/ ح٣٨.

٢ـ بيان الإمام عليّ بن الحسين عليهما السلام : «... **فنحن ورثة الأَنبياء ، ونحن ورثة أُولي العزم** ...»[١].

ودلالته ـ كدلالة سابقه ـ واضحة ، فإنَّ سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله ورث جملة علوم ومقامات مَنْ تقدَّمه مِنْ كُمَّل المخلوقات ـ الأَنبياء والرُّسُل والأَوصياء والأَصفياء عليهم السلام ـ وزيد عليها ، وحيث إنَّ أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) ورثوا بالوراثة الاِصطِفائيَّة تلك العلوم والمقامات من سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله كانت لهم شراكة علوم ومقامات تابعة لسيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله.

٣ـ بيان الإمام موسىٰ الكاظم عليه السلام : «... **شيعتنا مِنَّا ، ونحن من رسول اللّـه صلى الله عليه وآله ، ورسول اللّـه من اللّـه بسبب** ...»[٢].

وهذا أَحد تفاسير هذا البيان الشَّريف.

لإمامة أَهل البيت عليهم السلام أَيادٍ خطيرة ومهولة

الطائفة السَّادسة : ما دلَّ على أَنَّ أَهل البيت عليهم السلام مُتِّعوا بأَيادٍ وآليّاتٍ عديدةٍ ، خطيرةٍ مهولةٍ جدّاً منحتهم إيّاها يد الساحة الإلٰهيَّة.

الاسم الأَعظم

منها : الاسم الأَعظم.

فلاحظ : بيانات الوحي ، منها :

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٣ : ٣٦٦/ ح٣٠. كنز جامع الفوائد : ٢٨٤.
(٢) بحار الأَنوار ، ٤٨ : ٩٥. الكافي ، ١ : ٤٨١.

١ـ بيان أَمير المؤمنين عليه السلام ، عن سلمان الفارسي ، قال : «... **والَّذي فلق الحبَّة وبرأ النسمة إِنِّي لأَملكُ من ملكوت السَّماوات والأَرض ما لو علمتم ببعضه لَـمَا احتمله جنانكم، إِنَّ اسم اللَّـه الأَعظم على اثنين وسبعين حرفاً ، وكان عند آصف بن برخيا حرف واحد فتكلَّم به فخسف اللَّـه عزَّوجلَّ الأَرض ما بينه وبين عرش بلقيس حتَّىٰ تناول السرير ، ثُمَّ عادت الأَرض كما كانت أَسرع من طرف النظر ، وعندنا نحن واللَّـه اثنان وسبعون حرفاً ، وحرف واحد عند الله (عزَّوجلَّ) استأثر به في علم الغيب ، ولا حول ولا قُوَّة إِلَّا باللَّـه العليّ العظيم ، عرفنا من عرفنا وأَنكرنا من أَنكرنا ... لو أَنَّني أردتُ أَن أَجوب الدُّنيا بأسرها والسَّماوات السَّبع وأَرجع في أَقلِّ من الطرف لفعلتُ؛ بما عندي من اسم اللَّـه الأَعظم. فقلنا: يا أمير المؤمنين ، أنت واللَّـه الآية العظمىٰ ، والمعجزة الباهرة بعد أَخيك وابن عمِّكَ رسول اللَّـه صلى الله عليه وآله**»[1].

٢ـ بيانه عليه السلام أَيضاً : «... **قد أَعطانا ربُّنا (عزَّوجلَّ) علمنا للاسم الأَعظم ، الَّذي لو شئنا خرقت السَّماوات والأَرض ؛ والجنَّة والنَّار ، ونعرج به إِلى السَّمآء ، ونهبط به الأَرض ، ونُغَرِّب ونُشَرِّق ، وننتهي به إِلى العرش ، فنجلس عليه بين يدي اللَّـه (عزَّوجلَّ) ، ويطيعنا كُلُّ شيءٍ حتَّىٰ السَّماوات والأَرض ، والشَّمس والقمر والنجوم ، والجبال والشَّجر والدَّواب والبحار ، والجنَّة والنَّار ، أعطانا اللَّـه ذلك كلّه بالاسم الأَعظم ؛ الَّذي علَّمنا وخصَّنا به، ومع هذا كلّه نأكل ونشرب ، ونمشي في الأَسواق ...**»[2].

ودلالتهما واضحة.

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٧ : ٣٣ ـ ٤٠/ ح٥. المحتضر : ٧١ ـ ٧٦.

(٢) بحار الأَنوار ، ٢٦ : ٧/ ح١.

رُوحُ القُدُس

ومنها : (روح القدس)[1] أَو (الرُّوح الأَمري) ، وهو حقيقة القرآن الكريم الصَّاعدة ، وهو أَحد أَرواح أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم).

فانظر : بيانات الوحي ، منها :

أَوَّلاً : بيان أَمير المؤمنين عليه السلام : «... **وصار محمَّد نبيّاً مرسلاً وصرتُ أَنا صاحب أَمر النَّبيّ صلى الله عليه وآله ، قال اللّـه عزَّوجلَّ : ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ**

---

(١) ينبغي الإلتفات : أَنَّه يطلق البعض خطأً واشتباهاً عنوان : (روح القدس) على جبرئيل عليه السلام ، لكنَّ الثابت في بيانات الوحي المعرفيَّة : أَنَّه عنوان يُطلق على حقيقة القرآن الكريم الصَّاعدة ، والَّتي يُطلق عليها أَيضاً عنوان : (الروح الأَمري).
نعم ، جبرئيل عليه السلام يُطلق عليه في بيانات الوحي عنوان : (الروح الأَمين).
ثُمَّ إِنَّ الثابت في بيانات الوحي المعرفيَّة ، منها : بيان قوله جلَّ قوله : ﴿**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا**﴾ [الشورى : ٥٢] ، أَنَّ روح القدس شريحة وشعاع يسير من أَرواح سيِّد الأَنبياء وبقيَّة أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم).
وجبرئيل عليه السلام وإِنْ كان ملكاً عظيماً وقد وصفه البارِي تقدَّس اسمه في كتابه الكريم بأَوصاف عظيمة، كما ورد في بيان قوله تعالىٰ : ﴿**إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ**﴾ [التكوير : ١٩ ـ ٢١] ، لكنَّه إِذ قيس إِلى (روح القدس) ـ حقيقة القرآن الكريم الصَّاعدة ـ فهو ـ جبرئيل عليه السلام ـ قطرة في بحره ـ روح القدس ـ . وهو ـ روح القدس ـ ليس إِلَّا قطرة في بحور حقيقة سيِّد الأَنبياء وبقيَّة أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) الزخَّارة الطمطامة المُتلاطمة. وقد مرَّ وسيأتي (إِنْ شاء اللّـه تعالىٰ) مزيد بيان وأَدلَّة على جميع ذلك.
وهذه النتف والحقائق المعرفيَّة لو لم يُبيِّنها أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) فَمَنْ الَّذي يشمُّها وترد على خاطره.

عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾[١]، وهو : روح اللَّـه لا يعطيه ولا يلقي هذا الرُّوح إِلَّا على ملك مُقرَّب أَو نبيٍّ مرسل أو وصيٍّ مُنتجب ، فمَنْ أَعطاه اللَّـه هذا الرُّوح فقد أَبانه من النَّاس ، وفوَّض إِليه القدرة ، وأَحيىٰ الموتىٰ وعلم بما كان وما يكون ، وسار من المشرق إِلى المغرب ، ومن المغرب إِلى المشرق في لحظة عين ، وعلم ما في الضمائر والقلوب ، وعلم ما في السَّماوات والأَرض ...»[٢].

ثانياً : بيان الإِمام عليُّ بن الحسين عليهما السلام ، عن جابر بن يزيد الجعفي ، قال : «... يا جابر ، أَو تدري ما المعرفة ؟ المعرفة إِثبات التوحيد أَوَّلاً ثُمَّ معرفة المعاني ثانياً ... وهو قوله تعالىٰ : ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾[٣]، وتلا أَيضاً : ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٤] ... وأَمَّا المعاني فنحن معانيه ومظاهره فيكم ، اخترعنا من نور ذاته ... ونحن إِذا شئنا شاء اللَّـه ، وإِذا أَردنا أَراد اللَّـه ... فمن أَنكر شيئاً ورده فقد ردَّ على اللَّـه جلَّ اسمه ، وكفر بآياته وأَنبيائه ورسله ... قلتُ : يابن رسول اللَّـه ، ومن المُقصِّر ؟ قال : الَّذين قصَّروا في معرفة الأَئمَّة ، وعن معرفة ما فرض اللَّـه عليهم من أَمره وروحه. قلتُ : يا سيِّدي ،

---

(١) غافر : ١٥.

(٢) بحار الأَنوار ، ٢٦ : ١ ـ ٧/ ح١.

(٣) الكهف : ١٠٩.

(٤) لقمان : ٢٧.

وما معرفة روحه ؟ قال عليه السلام : أَن يعرف كلّ مَنْ خصَّه اللَّـه تعالىٰ بالرُّوح فقد فوَّض إِليه أَمره يخلق بإذنه ، ويحيي بإذنه ، ويعلم الغير ما في الضمائر ، ويعلم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة ؛ وذلك أَنَّ هذا الرُّوح من أَمر اللَّـه تعالىٰ ، فَمَنْ خصَّه اللَّـه تعالىٰ بهذا الرُّوح فهذا كامل غير ناقص ، يفعل ما يشاء بإِذن اللَّـه ، يسير من المشرق إِلى المغرب في لحظة واحدة ، يعرج به إِلى السَّمآء وينزل به إِلى الأَرض ويفعل ما شاء وأَراد. قلتُ : يا سَيِّدي ، أَوجدني بيان هذا الرُّوح من كتاب اللَّـه تعالىٰ ، وإِنَّه من أَمر خصَّه اللَّـه تعالىٰ بمُحمَّدٍ صلى الله عليه وآله ، قال : نعم ، اقرأ هذه الآية : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾[1]، وقوله تعالىٰ : ﴿أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾[2]...»[3].

ثالثاً : بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام : «... **فينا روح رسول اللَّـه** صلى الله عليه وآله»[4].

ودلالة الجميع واضحة ولا غبار عليها ؛ وأَنَّ أَحد الحقائق والفصول والأَركان والأُسس المأخوذة في ماهيَّة وحقيقة الإِمامة الإِلٰهيَّة : (روح القدس) ، أَي : الرُّوح الأَمري ، وهو : حقيقة القرآن ومرتبته الصَّاعدة.

وهذا ما يشير إِليه بيان الإِمام موسى بن جعفر عليهما السلام بقوله : «... **وإِنَّ**

---

(١) الشورى : ٥٢.

(٢) المجادلة : ٢٢.

(٣) بحار الأَنوار ، ٢٦ : ٨ ـ ١٧/ ح٢.

(٤) المصدر نفسه ، ٢٥ : ٦٢ ـ ٦٣/ ح٤١. بصائر الدرجات : ١٣٦.

اللّـه يقول في كتابه : ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى﴾[1]، وقد ورثنا نحن هذا القرآن الَّذي فيه ما تُسيَّر به الجبال ، وتُقَطَّع به البلدان ، وتُحيىٰ به الموتىٰ ...»[2].

ومعناه : أَنَّ ارتباط الإِمام عليه السلام الرُّوحي والغيبي بالسَّاحة الإِلٰهيَّة حبل غيبيٌّ إِبداعيٌّ تكوينيٌّ ؛ ممدود بين أَعماق الغيب إلى بدنه الشريف.

وإِلى هذا أَشار بيان حديث الثقلين[3]، الوارد عن سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله: «**إِنِّي قد تركت فيكم الثقلين ما إِنْ تَمَسَّكْتُم بهما لن تضلُّوا بعدي ، وأَحدهما أَكبر من الآخر : كتاب اللّـه حبل ممدود من السَّماء إِلى الأَرض ، وعترتي أَهل بيتي ، أَلَا وإِنَّهما لن يفترقا حتَّىٰ يردا عَلَيَّ الحوض**»[4].

بعد الإِلتفات : أَنَّ حقيقة القرآن الكريم الصَّاعدة ـ كما تقدَّم ـ هو: (روح القدس) ، وقد تقدَّم من بيانات الوحي : أَنَّه أَحد أَرواح أَهل البيت عليهم السلام ، فيكون الحبل الَّذي أَشار إِليه بيانه صلى الله عليه وآله هذا ممدود من السَّماء وأَعماق عَالَم الغيب إِلى بدن الإِمام عليه السلام.

وعليه : فالاثنينيَّة والتعدُّد الحاصل بين أَهل البيت عليهم السلام والقرآن الكريم هذا في حالة النزول ، لكنَّهما يصيرا شيئاً فارداً وحقيقة واحدة ـ

---

(١) الرعد : ٣١.

(٢) بحار الأَنوار ، ١٤ : ١١٢ ـ ١١٣/ ح٤. أُصول الكافي ، ١: ٢٢٦.

(٣) **ينبغي الالتفات** : أَنَّ مفاد بيان حديث الثقلين في الأَصل قرآنيّ وفي عِدَّة سور ، كما ذكرت ذلك بيانات أَهل البيت عليهم السلام.

(٤) بحار الأَنوار ، ٢٣ : ١٠٦/ ح٧.

وهو: (روح القدس أَي : الرُّوح الأَمري) ـ في المراتب الصَّاعدة ؛ ومن ثَمَّ صار الإِمام من أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) قرآناً ناطقاً.

بعد الإلتفات : أَنَّ المراد من معنىٰ كلمة : (حتَّىٰ) الواردة في بيان قوله صلى الله عليه وآله: «**حتَّىٰ يردا عَلَيَّ الحوض**» كبقيَّة المعارف الإِلٰهيَّة ليست الغاية والنهاية ، بل الوصول والإِستمرار.

وهذا ما تُشير إِليه بيانات الوحي الأُخرىٰ ، منها :

١ـ بيان قوله تعالىٰ : ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾[1].

أَي : يروا ويستمر العذاب الأَليم في حقِّهم.

٢ـ بيان قوله جلَّ قوله : ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾[2]، فإِنَّه وإِن فُسِّر (اليقين) في هذا البيان الشَّريف بـ : (الموت) ، فإِنَّ العبادة تبقىٰ واجبة ولازمة على المخلوق اتِّجاه خالقه مُستمرَّة بعد الموت ولا نهاية لها ؛ لأَنَّ الدِّين والمداينة والعبادة عبارة عن العلاقة بين الخالق ـ المُسمَّىٰ ـ تقدَّس ذكره والمخلوق ، وهذه العلاقة تبقىٰ مستمرَّة ولا نهاية لها مع جملة المخلوقات وعبر كافَّة عوالم الخلقة والوجود والإِمكان.

هكذا حال بيان قوله صلى الله عليه وآله : «**وإِنَّهما** ـ أَي : القرآن الكريم بطبقته وحقيقته الصَّاعدة ، والعترة الطَّاهرة بقيَّة أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) ـ **لن يفترقا حتَّىٰ يردا عَلَيَّ الحوض**» ؛ فإِنَّ هذا التقارن والتَّلازم ، بل

---

(١) الشعراء : ٢٠١.

(٢) الحجر : ٩٩.

الإِستلزام يبقىٰ حين الحوض وبعده ، ويستمر إِلى ما لا نهاية له.

والنكتة : ما تقدَّم ؛ من أَنَّ (روح القدس ـ أَي : الرُّوح الأَمري ـ) هو أَحد أَرواح أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة ولا تفارقهم أَبداً. فالتفت إِلى هذه النتف المعرفيَّة والعلميَّة واغتنم تربت يداك.

الفارق بين أَهل البيت عليهم السلام وبقيَّة الصحابة

ومنه يتَّضح : أَحد الفوارق بين حقيقة : أَمير المؤمنين والزهراء والحسن والحسين (صلوات اللَّـه عليهم) من جهة ، وبين بقيَّة الصحابة من جهة أُخرىٰ؛ فإِنَّ الجميع قد سمع من سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله ؛ لكنَّه لا يتوفَّر في ذوات بقيَّة الصحابة ، بل وذوات طرّ المخلوقات مهما علت مراتبها ومقاماتها وفضائلها وكمالاتها ما يتوفَّر في ذوات أَهل البيت (صلوات اللَّـه عليهم) ؛ من ترسانة وحي وعلم ومعارف فوق ما لا يتناهىٰ بِمَا لا يتناهىٰ مُدَّة وعِدَّة وعُدَّة.

فانظر : بيانات الوحي ، منها ـ إِضافة لِـمَا تقدَّم وما سيأتي إِن شاء اللَّـه تعالىٰ ـ :

١ـ بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله الوارد في بيان ولادة أَمير المؤمنين عليه السلام : «... **ولقد هبط حبيبي جبرئيل في وقت ولادة عَلِيّ فقال : يا حبيب اللَّـه ، العليّ الأَعلىٰ يقرء عليك السَّلام ، ويهنِّئكَ بولادة أَخيكَ عَلِيّ ، ويقول : هذا أَوان ظهور نبوَّتكَ ، وإِعلان وحيكَ وكشف رسالتكَ ؛ إِذ أَيَّدتكَ بأَخيكَ ... فقم إِليه واستقبله بيدك اليمنىٰ ... فقمتُ مبادراً فوجدتُ فاطمة بنت أَسد أُمّ عَلِيّ وقد جاء لها المخاض ... ثُمَّ قال لي : امدد يدكَ يا مُحمَّد ، فمددتُ يدي اليمنىٰ**

نحو أُمّه فإذا أَنا بِعَلِيٍّ على يدي ، واضعاً يده اليمنىٰ في أُذنه اليمنىٰ ، وهو يُؤذِّن ويُقيم بالحنيفيَّة ، ويشهد بوحدانيَّة اللّـه عزَّوجلَّ وبرسالاتي ، ثُمَّ انثنىٰ إِليَّ وقال : السلام عليكَ يا رسول اللّـه ، ثُمَّ قال لي : يا رسول اللّـه ، أقرء؟ قلتُ: اِقرء ، فوالَّذي نفس مُحَمَّد بيده ، لقد ابتدأ بالصحف الَّتي أَنزلها اللّـه عزَّوجلَّ على آدم فقام بها ابنه شيث ، فتلاها من أَوَّل حرف فيها إِلى آخر حرف فيها ، حتَّىٰ لو حضر شيث لأَقَرَّ له أَنَّه أَحفظ له منه ، ثُمَّ تلا صحف نوح ثُمَّ صحف إِبراهيم ، ثُمَّ قرأ توراة موسىٰ ... ثُمَّ قرأ زبور داود ... ثُمَّ قرأ إِنجيل عيسىٰ ... ثُمَّ قرأ القرآن الَّذي أَنزل اللّـه عَلَيّ من أَوَّله إِلى آخره فوجدتَّه يحفظ كحفظي له السَّاعة من غير أَنْ أسمع منه آية ، ثُمَّ خاطبني وخاطبته بما يخاطب الأَنبياء الأَوصياء ، ثُمَّ عاد إلى حال طفوليَّته ، وهكذا أَحد عشر إِماماً من نسله ...» [1].

٢ـ بيان أَمير المؤمنين عليه السلام ، عن الأصبغ بن نباتة قال : «لَـمَّا قدم عَلِيٌّ عليه السلام الكوفة صلَّىٰ بهم أَربعين صباحاً فقرأ بهم : ﴿**سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى**﴾[2] فقال المنافقون : واللّـه ما يحسن أَنْ يقرأ ابن أَبي طالب القرآن! ولو أَحسن أَنْ يقرأ لقرأ بنا غير هذه السورة ، قال : فبلغه ذلك ، فقال : **ويلهم إِنِّي لأَعرف ناسخه ومنسوخه ، ومحكمه ومتشابهه ، وفصاله من وصاله ، وحروفه من معانيه ، واللّـه ما حرف نزل على مُحَمَّد صلى الله عليه وآله إِلَّا وأَنا**

---

(١) بحار الأَنوار ، ٣٥ : ١٩ ـ ٢٣/ح١٥. الروضة : ١٧ ـ ١٨. روضة الواعظين : ٧٢ ـ ٧٤. الهداية الكبرى: ١٢٦.

(٢) الأعلىٰ : ١.

أعرف فيمَنْ نزل ، وفي أَيِّ يومٍ نزل ، وفي أَيِّ موضعٍ نزل ، ويلهم أما يقرؤون: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾[1]... ويلهم واللّـه ، إِنّي أَنا الَّذي أَنزل اللّـه فِيَّ : ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾[2]؛ فإنَّا كُنَّا عند رسول اللّـه ﷺ فيخبرنا بالوحي ، فأعيه ويفوتهم ، فإذا خرجنا قالوا : ماذا قال آنفاً»[3].

٣ـ بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام : «في قوله تعالىٰ : ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾[4] قال : وعت إِذن أَمير المؤمنين عليه السلام ما كان وما يكون»[5].

٤ـ بيانه عليه السلام ، عن عليِّ بن عبد العزيز ، عن أَبيه ، قال : «قلت لأَبي عبد اللّـه عليه السلام: جعلتُ فداك ، إِنَّ النَّاس يزعمون أَنَّ رسول اللّـه ﷺ وجَّه عليّاً عليه السلام إِلى اليمن ليقضي بينهم فقال عليٌّ عليه السلام: فمَا وردت عَلَيَّ قضية إِلَّا حكمت فيها بحكم اللّـه وحكم رسول اللّـه ﷺ ، فقال : صدقوا. قلتُ : وكيف ذاك ، ولم يكن أُنزل القرآن كُلّه؟ وقد كان رسول اللّـه ﷺ غائباً عنه ؟ فقال: تتلقَّاه به روح القدس»[6].

ودلالة الجميع على المُدَّعىٰ واضحة ولا غبار عليها.

---

(١) الأعلى : ١٨ـ١٩.
(٢) الحاقة : ١٢.
(٣) بحار الأَنوار ، ٤٠ : ١٣٨/ ح٣١. بصائر الدرجات : ١٣٥.
(٤) الحاقة : ١٢.
(٥) بحار الأَنوار ، ٤٠ : ١٤٣/ ح٤٦. بصائر الدرجات : ١٥١.
(٦) بحار الأَنوار ، ٢٥: ٥٧/ ح٢٣. بصائر الدرجات ، ٢ : ٣٦٢/ ح٢. ١٦ـ ١٠. مختصر البصائر: ٤٦/ ح٢ـ٢.

ومنه يتَّضح : مدىٰ فظاعة وانحطاط مقولة قائلهم ؛ صاحب البذرة الشيطانيَّة الإبليسيَّة الفظيعة الخطيرة ، الَّتي حرَّفَت الإسلام من أَصله وجذره وأَساسه ـ عمر بن الخطَّاب ـ في رزية الخميس : «حسبنا كتاب اللَّـه»[1] ؛ فإنَّه أَيُّ شيءٍ وعىٰ هذا القائل ووعت هذه الأُمَّة ، بل المخلوقات من كتاب اللَّـه العزيز؟!! فهل تناوله أَو تناولته كيما يُستغنىٰ عن تراث سيِّد الأَنبياء والعترة الطَّاهرة (صلوات اللّٰـه عليهم) ، إنَّ هذه المقولة وأَشباهها ونظائرها جرأة على الشريعة القويمة ، وهتك لأَستار السُّنَّة الكريمة ، وأَقاويل تضع الحبلىٰ منها لشناعتها ، وتضحك الثكلىٰ منها لغرابتها ، ونقول لقائلها : (أَين ضلَّت مطيَّتك يا حسَّان) ، فأَين الذهب من الرغام ، وأَين الثرىٰ من عرش علوم الرحمٰن.

وبالجملة : أَنَّ الوحي الإلٰهيّ يحتاج إلى عبور وتعبير ومحطَّات ، وترجمة معاني وحقائق لا نهاية لها ، وبعض هذه المحطَّات لا يمكن لمخلوقٍ قطُّ دركها والوصول إلى معانيها ومعارفها وحقائقها ، بل ولا العروج ؛ بل لا يحتملها إلَّا ملك مُقرَّب أَو نبيّ مرسل ، أَو عبد أَمتحن اللَّـه قلبه للإيمان.

فانظر : بيانات الوحي ، منها :

بيان الإمام الباقر عليه السلام : «**إنَّ حديث آل مُحمَّد صعب مستصعب، ثقيل مُقَنَّع ، أَجرد ذكوان ، لا يحتمله إلَّا ملك مقرَّب ، أَو نبيّ مرسل ، أو عبد أَمتحن اللَّـه قلبه للإيمان ، أَو مدينة حصينة ، فإذا قام قائمنا نطق وصدَّقه**

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٥ : ٨٨.

القرآن»[١].

وبعض هذه المحطَّات لا يمكن لمخلوقٍ قَطُّ تحمُّلها ؛ وإِنْ كان ملكاً مُقرَّباً ، أَو نبيّاً مرسلاً ، أَو مؤمناً ممتحناً.

فلاحظ : بيانات الوحي ، منها :

بيان الإِمام الباقر عليه السلام ، عن أَبي إِسحاق اللَّيثي ، قال : «**... إِنَّ من حديثنا وسرّنا وباطن علمنا ما لا يحتمله ملك مُقرَّب ، ولا نبيّ مرسل ، ولا مؤمن ممتحن. قلتُ : يا سيِّدي ومولاي فَمَنْ يحتمله إِذاً ؟ قال : ما شاء اللَّـه وشئنا ...**»[٢].

وبعض هذه المحطَّات والمراتب لا يمكن لطُرِّ العوالم وجملة المخلوقات العروج إِليها ودركها ودرك معارفها ، بل ولا تحمُّلها ولا يحتملها إِلَّا هم (صلوات اللَّـه عليهم).

فانظر : بيانات الوحي ، منها :

بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام ، عن أَبي الصَّامت ، قال : «**إِنَّ من حديثنا ما لا يحتمله ملك مُقَرَّب ، ولا نبيّ مرسل ، ولا عبد مؤمن. قلتُ : فمَنْ يحتمله؟ قال : نحن نحتمله**»[٣].

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢ : ١٩١/ح٢٧.
(٢) المصدر نفسه ، ٦٤ : ١٠٢ ـ ١٠٣/ح٢١.
(٣) المصدر نفسه ، ٢ : ١٩٣/ح٣٦.

بعض خصائص هذا المبحث

ومن خصائص هذا المبحث أَنَّه يوقف الباحث على مباحث أُخرىٰ مُهمَّة وخطيرة جِدّاً ، منها :

مبحث النزاع الدستوري ، وهو من أَعقد النزاعات الحاصلة بين سلطات الدولة الثلاث ـ التشريعيَّة ، والتنفيذيَّة ، والقضائيَّة ـ فإِنَّه لابُدَّ من الإِلتجاء في حلِّه : الإِحتكام لجهةٍ عُليا ، لها سيادة الحسم لِـمِثْلِ هذه القضايا والمواقف والنِّزَاعات والصِّرَاعات ، وهي : (المحكمة الدستوريَّة) ؛ فإِنَّ أَصحابها يتمتَّعون بمكنة وقدرة الوقوف على بواطن قوالب أَلفاظ ومعاني وحقائق دستوريَّة لم تكن عند غيرهم ـ كـ : رئيس الدولة ، ورئيس البرلمان ، ورئيس السلطة القضائيَّة ، وأَصحاب الخبرة من الكُتل البرلمانيّة ـ مع أَنَّهم من أَبناء اللغة الَّتي كُتِبَ بها الدُّستور ، ومن ثَمَّ يُضطرُّ ـ بعدما كانت حقيقة الدستور ليست قائمة في الأَلفاظ ، بل في معانيه وحقائقه الَّتي لا يُخبرها إِلَّا الخبير الدستوري ـ في الأُمور الشائكة المُتعلِّقة به إلى مُفسِّرٍ ومُترجمٍ لغوامضه ومبهماته ، وصاحب علم ومعرفة أَرفع في قراءته وتفسيره. ويُصطلح على مَنْ يتمتَّع بهذه المكنة والقدرة بـ : (الترجمان) ، والمراد منه : مَنْ يتمتَّع بعلمٍ ومعرفةٍ وإِحاطةٍ بمنظومة العلم ، يتمكَّن من خلالها : معرفة أُصول تشريع ذلك العلم وفروعه.

وعليه : فهل يحقُّ في مِثْلِ تلك الخلافات والنِّزَاعات والصِّرَاعات أَنْ يقول قائلهم : «حسبنا دستور الدولة» !! فإِنَّ نقوش وأَلفاظ فقراته بعدما كانت صامتة وصمَّاء ولا تنطق بنبرة شفة ، وكان المتجاذبون كُلّ يجرّ النَّار إِلى

قرصه فلا تشفع ـ تلك النقوش والأَلفاظ ـ في حلِّ مسائله وقضاياه المُعقَّدة ، لاسيما الشائكة ، وحينئذٍ لا تكون يد الحلّ إِلَّا عند من يُحيط بعمق وجذور وبواطن : قوالب أَلفاظه ، ومعانيه ، وحقائقه ليس إِلَّا .

هكذا حال الإِختلافات الشرعيَّة والدينيَّة لاسيما المعرفيَّة منها ، بل والعقائديَّة ، والنِّزَاعات والصِّرَاعات بين أَصحاب المذاهب والأَديان والملل، فلا تُحلُّ إِلَّا بيد مَنْ كان مُحيطاً بعمق وجذور وبواطن قوالب التَّشريعات والمعارف والعقائد الإِلٰهيَّة ، وبواطن معانيها وحقائقها ، ولا يوجد ذلك إِلَّا في أَهل البيت الأَطهار (صلوات اللّـه عليهم).

وهذا ما أَشارت إليه بيانات الوحي ، منها :

بيان خطبة فاطمة الزهراء صلوات اللّـه عليها[1]: «... **وطاعتنا نظاماً**

---

(١) لا بأس في المقام بالإِلتفات إِلى القضايا الأَربع التَّالية :
الأُولىٰ : المعروف : أَنَّ لفاطمة (صلوات اللّـه عليها) خطبتين ، لكنَّه ثبت بالتتبُّع الناقص أَنَّ لها أَربع خطب في أَربعة مواطن ، وليست لها أَربع نسخ لخطبةٍ واحدة ، وأَحد هذه المواطن : في المسجد النبوي. وهي الخطبة المعروفة. الأُخرىٰ : عندما أَتتها (صلوات اللّـه عليها) نساء المهاجرين والأَنصار. وهذه أَيضاً خطبة معروفة. ثالثها : حينما أَتتها عائشة بنت طلحة ، فخطبت (صلوات اللّـه عليها) ، ونشرتها ابنة طلحة. رابعها : عند قبر حمزة عليه السلام أَو في مكان آخر.
الثَّانية : أَنَّ خُطْب فاطمة الزهراء (صلوات اللّـه عليها) كانت تشريح وتحليل للأَوضاع دقيق ورقيق.
الثَّالثة : أَنَّ أَمير المؤمنين والبتول فاطمة (صلوات اللّـه عليهما) جناحان وفرسان نوران نبويَّان إِلٰهيَّان في مواجهة تربية هذه الأُمَّة وتمرُّدها ، لكن الأُمَّة لم تتحمَّل ولم تخضع ولم تنصاع تربويّاً لهما (صلوات اللّـه عليهما) ، ولا زالت إِلى الآن. ←

للملَّة ، وإمامتنا أَماناً من الفرقة ...»[1].

→ **الرابعة** : المعروف ـ بحسب تدبُّر كثير من أَكابر الفريقين ـ : أَنَّ فاطمة الزهراء (صلوات اللّـه عليها) حينما احتجَّت في قضيَّة فدك احتجَّت بحجج لا تدافع بينها ؛ بل بينها تمام الموافقة والموائمة والمؤازرة ؛ فإِنَّه يمكن للإِنسان تَملُّك الشيء الواحد بأسباب مُتعدِّدة لا تضارب بينها.

الحُجَّة الأُولىٰ : أَنَّها وارثة أَبيها صلَّىٰ اللّـه عليهما وعلى آلهما وراثة اصطفائيَّة. وقد اعترف علماء العامَّة والجمهور بـ : أَنَّ وراثة النَّبيّ سليمان من أَبيه النَّبيّ داود عليهما السلام الواردة في بيان قوله تعالىٰ : ﴿**وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ**﴾ [النمل: ١٦] وراثة اِصطِفائيَّة. وحيث إِنَّ لسيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله ولاية على الفيء شاملة لكلّ الأَرض ؛ انتقل هذا الإِرث بالوراثة الاِصطِفائيَّة من ضمنه أَرض فدك ـ بنصِّ بيان قوله تعالىٰ المُتقدِّم وغيره ـ بعد استشهاده صلى الله عليه وآله إِلى قرباه : فاطمة الزهراء وأَمير المؤمنين وبقيَّة أَهل البيت عليهم السلام.

لكن : هذه القضيَّة غفل عنها الكثير من الخاصَّة ، وحصروا وراثتها عليها السلام من أَبيها صلى الله عليه وآله بالوراثة الماليَّة الماديَّة.

والحقُّ : أَنَّ إِرث فيء الأَرض وإِن كان ماليّاً ماديّاً ، لكنَّ ماليَّته ليست ماليَّة ماديَّة فرديَّة فقط ؛ لأَنَّه لَـمَّا كانت ـ هذه الماليَّة ـ لها سعة شاملة لجملة الأَرض كانت ولاية اِصطِفائيَّة.

الحجَّة الثَّانية : أَنَّ أَبيها صلى الله عليه وآله وهب أَرض فدك لها.

الحُجَّة الثَّالثة : أَنَّ أَرض فدك كانت تحت يدها حين استشهاد أَبيها صلى الله عليه وآله ؛ فتكون داخلة في ملكها ؛ لقاعدة اليد من دون حاجة إِلى بيِّنة.

الحُجَّة الرابعة : أَنَّ أَرض فدك سداد دين مهر أُمّها خديجة ، وهذا إِرث اِصطِفائي ورثته من أُمِّها (صلوات اللّـه عليها).

(١) بحار الأَنوار ، ٢٩ : ٢٢٣.

قضايا ثلاث

وللتوضيح أَكثر ينبغي الإِلتفات إِلى القضايا الثلاث التَّالية :

القضيَّة الأُولى :

روح القدس هو حقيقة القرآن الكريم الصَّاعدة

حقيقة القرآن الصَّاعدة أَحد أَرواح أَهل البيت عليهم السلام

إِنَّ المراد من (روح القدس) أَي : الروح الأَمري الوارد في بيان قوله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾[1] ـ كما تقدَّم ـ هو حقيقة القرآن الكريم الصَّاعدة ، والمراد منه ليس تنزيل القرآن الكريم الموجود بين دفتي المصحف الشريف ، وإِنَّما هو مقام وجودي علوي لا يتجافىٰ عن مقامه ، وقوله تقدَّس ذكره بعد ذلك : ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا﴾[2] دالٌّ على أَنَّ القرآن الكريم بهذه الحقيقة الصَّاعدة هو من عَالَم النور[3]، وقوله جلَّ قدسه في تتمَّة هذا البيان الشَّريف : ﴿نَّهْدِي بِهِ مَن

---

(١) الشورىٰ : ٥٢.

(٢) الشورىٰ : ٥٢.

(٣) **ينبغي الإِلتفات** : أَنَّ المقصود من (عوالم النُّور) الواردة في بيانات الوحي : عوالم فوق عَالَمَ الآخرة الأَبديَّة ـ عَالَمَ الجنَّة والنَّار الأَبديَّتين ـ تتصاعد إِلى العرش ، بل وفوقه.

إِذَنْ : عوالم النُّور على طبقات ، بعضها دون العرش ، والآخر في مرتبة العرش ، والثَّالث فوق العرش.

﴿نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾[١] دالٌّ على أَنَّ هناك ثلَّة من المخلوقات المُقدَّسة وهم بقيَّة أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) ورثوا بالوراثة الإِصطفائيَّة هذا النور والرُّوح الأَمري من نور حقيقة سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله ومراتبها الصَّاعدة. وهذا ما تُشير إِليه بيانات الوحي الأُخرىٰ ـ إِضافة لما تقدَّم ـ منها :

١ـ بيان قوله تعالىٰ ذكره : ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾[٢].

٢ـ بيان قوله جلَّ ذكره : ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾[٣].

٣ـ بيان قوله تقدَّس ذكره : ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾[٤].

٤ـ بيان تفسير الإِمام الصَّادق عليه السلام : «... **وأَمَّا قوله** : ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾[٥] ... ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾[٦] ... **والرُّوح : روح القدس، وهو في فاطمة** عليها السلام ...»[٧].

---

(١) الشورى : ٥٢.
(٢) النحل : ٢.
(٣) الواقعة : ٧٧ـ٧٩.
(٤) فاطر : ٣٢.
(٥) القدر : ٣.
(٦) القدر : ٤.
(٧) بحار الأَنوار ، ٢٥ : ٩٧/ ح٧٠.

وهذه وغيرها براهين وحيانيَّة دالَّة على أَنَّ فاطمة الزهراء وبقيَّة أَهل البيت الأَطهار عليهم السلام مُحدَّثون من الرُّوح الأَمري.

القضيَّة الثَّانية:

حقيقة القرآن الكريم الصَّاعدة من عَالَم الأَمر

حقيقة القرآن الصَّاعدة خارجة عن عَالَم الزَّمان والمكان

إِنَّ نزول جملة القرآن الكريم ليلة القدر على قلب سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله في طبقة السَّمآء الرابعة والمعبَّر عنها بـ : (البيت المعمور) ، والمشار إِليها في بيانات الوحي ، منها : بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام : «**نزل القرآن في ليلة القدر إِلى البيت المعمور جملة ، ثُمَّ نزل من البيت المعمور على رسول اللَّـه صلى الله عليه وآله في طول عشرين سنة...**»[1] ليس نزول أَصوات ولا معاني ـ باعتراف المُحقِّقين من الفريقين ـ وإِنَّما هو نزول من سنخ عَالَم الأَمر، وهو عَالَم نوري ـ كما تقدَّم ـ.

ومنه يتَّضح : أَنَّ حقيقة الوحي خارجة عن عَالَم الزمان والمكان والأَجسام والمقادير ، بل هو أَعظم شيء في خلقة اللَّـه ، فإِنَّ العلم بعدما كان أَعظم الكمالات ، والوحي أَعظم علم ، كان الوحي أَعظم الكمالات ؛ فهو أَعظم من السَّماوات ومن الجنَّة الأَبديَّة ومن الكرسي ومن العرش ومن عَالَم الملكوت.

---

(١) بحار الأَنوار ، ٨٢ : ٥٢.

وعليه : فَمَنْ يبغي فهم حقيقة سيِّد الأَنبياء وحقائق بقيَّة أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) وشخصيَّاتهم فعليه أَنْ يفهم أَوَّلاً : الكون ، والكائنات ؛ وعوالم الخلقة والوجود والإِمكان ، والخلقة كيف هي ومن أَين بدأت وإِلى أَين تذهب[1].

فائدة : تتَّضح من خلال بيان المُقدِّمات الثلاث التَّالية :

المُقدِّمة الأُولى :

ليلة القدر مخلوق إِلهيّ خطير

إِنَّ ليلة القدر مخلوق إِلٰهيّ مهول وعظيم وخطير جِدّاً ، خُلِق في بداية

(١) يوجد في تعابير بيانات الروايات دلائل وإِشارات دالَّة على أَنَّ عوالم السَّماوات تعني : حياة مستقبليَّة لبني البشر.
مثاله : (يوم القيامة) ؛ فإِنَّه عَالَمٌ من عوالم السَّماوات ـ سوآء أَكان في السَّمآء السَّابعة أَو السَّادسة أَو غيرهما ـ وحياة مستقبليَّة سيمرّ بها بني البشر شاؤوا أَم أَبوا ، مقدارها : خمسون أَلف سنة ، كما صرَّحت بذلك بيانات الوحي.
ويظهر من كثير من بيانات الروايات : أَنَّ للعوالم المُستقبليَّة الَّتي سيمرّ بها الإِنسان كـ : (عَالَم البرزخ) و(عَالَم الرَّجعة) إِرتباطات على مرِّ عصور وأَزمان نشأتنا الأَرضيَّة هذه ، وارتباطات أُخرىٰ بعوالم السَّماوات ؛ فإِنَّ السَّماوات تعني : عوالم أَلطف من هذه النشأة الأَرضيَّة (عَالَم الدُّنيا الأُولىٰ) ، ومن نشأة عَالَم البرزخ ، ومن نشأة عَالَم الرَّجعة (آخرة الدُّنيا) ، ومن المعلوم : أَنَّ الأَلطف داخل في جميع شراشر وجزئيَّات العوالم الأَغلظ لكن بالممازجة والمزاولة ، ويحيط بها ويهيمن عليها. وهذا ما صرَّحت به بيانات الوحي المستفيضة ، بل المتواترة ، بل فهمه علماء الفيزياء الجدد ، المُتضلِّعين بـ : (علوم الروح) ، وقالوا : أَنَّنا نفهم من سمآء أَولىٰ ، وثانية ، وثالثة وهلمَّ جرّاً : عوالم أُخر ؛ أَلطف فألطف ، وطاقات أَبهر فأَبهر ، وأَشدُّ فأَشدّ.

عَالَمَ الدُّنيا ؛ الـمُمتد ـ عَالَمَ الدُّنيا بحسب إِطلاقات بيانات الوحي ـ إِلى السمآء الأُولىٰ ، بل إِلى الرابعة ، بل قد تشمل بعض إِطلاقاتها السَّمآء السَّابعة.

فانظر : بيانات الوحي ، منها :

بيان أَبي جعفر عليه السلام ، قال : « **لقد خلق اللَّـه تعالىٰ ليلة القدر أَوَّل ما خلق الدُّنيا ، ولقد خلق فيها أَوَّل نبيّ يكون ، وأَوَّل وصيّ يكون ، ولقد قضىٰ أَنْ يكون في كلِّ سنةٍ ليلةٍ يهبط فيها بتفسير الأُمور إِلى مِثْلها من السَّنَة المُقبلة ، فمَنْ جحد ذلك فقد رَدَّ على اللَّـه تعالىٰ علمه ؛ لأَنَّه لا يقوم الأَنبياء والرُّسل والمُحَدَّثون إِلَّا أَنْ يكون عليهم حُجَّة بما يأتيهم في تلك الليلة مع الحُجَّة الَّتي يأتيهم مع جبرئيل** عليه السلام ...»[1].

ودلالته واضحة.

المُقدِّمة الثَّانية :

حقيقة ليلة القدر أَحد طبقات حقيقة فاطمة عليها السلام المتوسِّطة

إِنَّ ذلك المخلوق المهول والخطير هو أَحد طبقات حقيقة فاطمة الزهراء عليها السلام المتوسطة.

فلاحظ : بيانات الوحي ، منها :

١ـ بيان الإِمام الباقر عليه السلام : «**إِنَّ فاطمة هي ليلة القدر ، مَنْ عرف فاطمة**

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٥ : ٧٣/ ح٦٣. كنز الفوائد : ٣٩٥ـ ٣٩٨.

حقّ معرفتها فقد أَدرك ليلة القدر ، وإِنَّما سميت فاطمة لأَنَّ الخلق فطموا عن معرفتها ، ما تكاملت النُّبوَّة للنَّبي حتَّىٰ أَقَرَّ بفضلها ومحبَّتها ، وهي الصدِّيقة الكبرىٰ ، وعلى معرفتها دارت القرون الأُولىٰ»[1].

٢ـ بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام في تفسير قوله تعالىٰ : «﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾[2] : الليلة : فاطمة. والقدر : اللَّـه ، فَمَنْ عرف فاطمة حقّ معرفتها فقد أَدرك ليلة القدر ، وإِنَّما سميت فاطمة لأَنَّ الخلق فطموا عن معرفتها»[3].

٣ـ بيان تفسيره عليه السلام أَيضاً : «... وأَمَّا قوله : ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾[4] يعني : فاطمة عليها السلام ...»[5].

ودلالته ـ كدلالة سابقيه ـ واضحة.

المُقَدِّمة الثَّالثة :

أَحَد طبقات حقيقة الزَّهراء عليها السلام : النَّفس الكُلِّيَّة

أَحَد المهام الإِلهيَّة المُوكلة للزهراء عليها السلام : تقدير أُمور الخلائق ليلة القدر

إِنَّ تقدير أُمور جملة العوالم وكافَّة المخلوقات ـ كما سيأتي إِنْ شاء اللَّـه تعالىٰ في الأَبحاث التالية ، بل وتقدم ـ بيد طبقات حقيقة الزهراء صلوات

---

(١) بحار الأَنوار ، ٤٣ : ١٠٥. تفسير فرات الكوفي ، في تفسير سورة القدر.
(٢) القدر : ١.
(٣) بحار الأَنوار ، ٤٣ : ٦٥/ح٥٨.
(٤) القدر : ٣.
(٥) بحار الأَنوار ، ٢٥ : ٩٧/ ح٧٠.

اللّـه عليها الصَّاعدة ، وهي طبقة النَّفس الكليَّة.

والنتيجة : أَنَّ ما يُقدَّر في ليلة القدر لطُرِّ العوالم وجميع المخلوقات أَحد المهام الإِلٰهيَّة العظيمة المُوكلة إِليها صلوات اللّـه عليها. فالتفت ، واغتنم تربت يداك.

القضيَّة الثَّالثة :

وحي وجود سيِّد الأَنبياء ﷺ النَّازل من طبقات نوره المباركة

إِنَّ بدن ونفس سيِّد الأَنبياء ﷺ الجزئيَّان يلتقطان وحي السَّمآء ؛ من نور وقلب سيِّد الأَنبياء ﷺ ، وهو : (البيت المعمور) في طبقة السَّمآء الرابعة، والَّذي نزلت عليه حقيقة القرآن الكريم ونوره دفعة واحدة ليلة القدر في العوالم السَّالفة.

وعلى هذا قس : الأَبدان والنفوس الجزئيَّة لذوات بقيَّة أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) ؛ فإِنَّها تلتقط ذبذبات الوحي من نور ذلك القلب والنور المبارك لسيِّد الأَنبياء ﷺ.

وإِلى هذا تشير بيانات الوحي ، منها :

١ـ ما ورد عن سيِّد الأَنبياء في بيان ولادة أَمير المؤمنين صلوات اللّـه عليهما وعلى آلهما ـ المتقدِّم ـ : «... **ولقد هبط حبيبي جبرئيل في وقت ولادة عَليّ فقال : يا حبيب اللّـه ، العليّ الأَعلىٰ يقرء عليكَ السَّلَام ويهنئك بولادة أَخيكَ عَلِيّ ، ويقول : هذا أَوآن ظهور نُبوَّتك ، وإعلان وحيكَ ، وكشف**

رسالتكَ ؛ إذ أَيَّدتُكَ بأَخيكَ ووزيركَ وصنوكَ وخليفتكَ ، وَمَنْ شددتُ به أَزركَ ، وأَعلنتُ به ذِكركَ ، فقم إليه واستقبله بيدك اليمنىٰ ... فقمتُ مبادراً فوجدتُ فاطمة بنتُ أَسد أُمّ عَلِيّ وقد جاء لها المخاض ... فقال حبيبي جبرئيل : ... أُمدد يَدَكَ يا مُحَمَّد ، فمددتُ يدي اليمنىٰ نحو أُمِّه فإذا أَنَا بِعَلِيٍّ على يدي ، واضعاً يده اليمنىٰ في أُذنه اليمنىٰ ، وهو يؤذِّن ويُقيم بالحنيفيَّة ، ويشهد بوحدانيَّة اللَّـه (عزَّوجلَّ) ، وبرسالاتي[1]، ثُمَّ انثنىٰ إِلَيّ وقال : السَّلَامُ عليكَ يا رسول اللَّـه ، ثُمَّ قال لي : يا رسول اللَّـه ، أَقرء ؟ قلتُ : اِقرء، فوالَّذي نفس مُحَمَّد بيده ، لقد ابتدأ بالصحف الَّتي أَنزلها اللَّـه (عزَّوجلَّ) على آدم ، فقام بها ابنه شيث فتلاها من أَوَّل حرف فيها إلى آخر حرف فيها ، حتَّىٰ لو حضر شيث لأَقَرَّ له أَنَّه أَحفظ له منه ... ثُمَّ قرأ القرآن الَّذي أَنزله اللَّـه عَلَيّ من أَوَّلَه إِلى آخره ، فوجدته يحفظ كحفظي له السَّاعة من غير أَنْ أسمع منه آية ، ثُمَّ خاطبني وخاطبته بما يُخاطب الأَنبياء الأَوصياء ، ثُمَّ عاد إِلى حال طفوليَّته ، وهكذا أَحد عشر إِماماً من نسله...»[2].

ودلالته على ما تقدَّم واضحة ؛ وإِلَّا كيف قرأ (صلوات اللَّـه عليه) القرآن كُلّه وسيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله لم يُبعثُ بَعدُ ، ولم يُنزِل منه جبرئيل عليه السلام حرفاً واحداً!!.

---

(١) في روضة الواعظين : (برسالتي). وفي الروضة : (ويشهد للَّـه بالوحدانيَّة وبرسالتي).

(٢) بحار الأَنوار ، ٣٥ : ٢١ ـ ٢٢/ح٥. الروضة : ١٧ ـ ١٨. روضة الواعظين : ٧٢ ـ ٧٤.

٢ـ بيان الإمام الصَّادق عليه السلام ، عن عَلِيِّ بن عبد العزيز ، عن أَبيه ، قال: «**قلتُ لأَبي عبداللَّـه عليه السلام: جُعْلْتُ فداك ، إِنَّ النَّاس يزعمون أَنَّ رسول اللَّـه صلى الله عليه وآله وجَّه عليّاً عليه السلام إِلى اليمن ليقضي بينهم ، فقال عليٌّ عليه السلام : فما وردت عَلَيَّ قضيَّةٌ إِلَّا حكمتُ فيها بحُكم اللَّـه وحُكم رسول اللَّـه صلى الله عليه وآله. فقال: صدقوا. قلتُ : وكيف ذاك ولم يكن أُنزل القرآن كلَّه ؟ وقد كان رسول اللَّـه صلى الله عليه وآله غائباً عنه ؟ فقال : تتلقَّاه به روح القدس**»[1].

ودلالته قد اِتَّضحت.

٣ـ بيانات الوحي الواردة في بيان مصحف فاطمة صلوات اللَّـه عليها[2]، جمعاً بين بيانات الوحي الدَّالَّة على أَنَّه (أَملاه سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله عليها وخطَّه أَمير المؤمنين صلوات اللَّـه عليهما بيده) وبياناته الأُخرىٰ الدَّالَّة على أَنَّه (حصل ذلك بعد استشهاده صلى الله عليه وآله) ، ومعناه : ما تقدَّم ، وأَنَّها كانت تتلقَّاه من قلب ونور أَبيها صلوات اللَّـه عليهما وعلى آلهما في طبقة البيت المعمور

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٥ : ٥٧/ح٢٣. بصائر الدرجات : ١٣٤. مختصر البصائر : ١.

(٢) مصحف فاطمة (صلوات اللّـه عليها) أَعظم من الإِنجيل والتوراة والزبور وصحف الأَنبياء عليهم السلام، بل هو في كفَّة وكُتُب بقيَّة جملة الأَنبياء عليهم السلام المُتقدِّمين في كفَّة أُخرىٰ ؛ فإِنَّه من الأُمور المُسلَّمة : أَنَّه ليس في الكتب السَّماويَّة المُتقدِّمة وصحف الأَنبياء عليهم السلام علم : (ما كان وما يكون) ، بينما من أَوصاف مصحف فاطمة عليها السلام ـ كأَوصاف القرآن الكريم ـ أَنَّ فيه ما كان وما يكون إِلى يوم القيامة ؛ فكلُّ مَنْ يملك إِلى يوم القيامة وكلّ الأَحداث البشريَّة إِلى يوم القيامة أَيضاً في مصحف فاطمة (صلوات اللَّـه عليها).

من السَّمآء الرابعة ، وتذكره لأَمير المؤمنين فيخُطَّه بيمينه[١].

---

(١) يجدر الإلتفات إلى القضيَّة التَّالية ، وهي : أَنَّه ليس في اقتران وزواج أَمير المؤمنين من فاطمة (صلوات اللّـه عليهما) بُعد بدنيّ وفرديّ حسب ، ولا إقتران وزواج وسكن روحي فحسب ، ولا بُعد الزوجيَّة العادي ، ولا بُعد زواج أُسري فقط ، وإنَّما هو زواج واقتران ولاية إلٰهيَّة عظيمة بولاية إلٰهيَّة عظيمة أُخرىٰ ، وزواج واقتران نور عظيم بنورٍ عظيم آخر ، ومشاركة نور في الولاية، واقتران كفؤيَّة في الولاية في عَالَم النور وعَالَم الملكوت ، وتشارك في الولاية وفي شعشعة أَنوار السَّاحة الربوبيَّة.

وهذا ما تشير إليه بيانات الوحي المعرفيَّة ، لكن بقراءةٍ معرفيَّة عقائديَّة سياسية أَشارت إليها بيانات أَهل البيت عليهم السلام ، منها :

بيان قوله عزَّ مَنْ قائل : ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ١٩ – ٢٢].

فقوله تعالىٰ : ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ إشارة معرفيَّة إلى أَنَّ إقتران أَمير المؤمنين بفاطمة الزهراء (صلوات اللّـه عليهما) إقتران بحران ، أَحدهما : ما تُمثِّله حقيقة أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه) ، وهو: (بحر العلم) ، والآخر : ما تُمثِّله حقيقة فاطمة الزهراء (صلوات اللّـه عليها) ، وهو : (بحر النُّبوَّة). وهذان البحران من عوالم : الغيب والملكوت والنور والولاية الإلٰهيَّة.

وقوله تعالىٰ ذكره : ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ إشارة معرفيَّة إلى حقيقة سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله ، فإنَّها البرزخ بين هاتين الولايتين الإلٰهيَّتين.

وقوله تبارك وتعالىٰ : ﴿لَا يَبْغِيَانِ﴾ إشارة معرفيَّة إلى أَنَّ لكلٍّ منهما (صلوات اللّـه عليهما) مسؤوليَّاته الإلٰهيَّة الخاصَّة في الولاية ، وفي العقيدة وفي الدِّين ، وفي ولاية الأَمر في بُعده الدِّيني ، وفي ولاية الأَمر في بُعده السياسي.

وقوله تبارك اسمه : ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ مشير إلى حقائق بقيَّة أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم).

وإلى كلِّ هذا أَشارت بيانات تفسير أَهل البيت عليهم السلام، منها :

١ـ بيان الإمام الصَّادق عليه السلام : « في قوله عزَّوجلَّ : ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾، قال : عَلِيٌّ وفاطمة. ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾ قال : لا يبغي عَلِيّ على فاطمة ، ولا تبغي فاطمة على عَلِيٍّ : ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ الحسن والحسين عليهما السلام». بحار الأَنوار، ٢٤ : ٩٧/ ح١.

٢ـ بيانه عليه السلام أَيضاً : « في قوله : ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ قال : عليٌّ وفاطمة بحران عميقان لا يبغي أَحدهما على صاحبه».

وفي رواية : « ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ : رسول اللَّـه. ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ : الحسن والحسين». بحار الأَنوار، ٤٣ : ٣٢/ ح٣٩.

٣ـ عن ابن عبَّاس قال : «إن فاطمة عليها السلام بكت للجوع والعرىٰ ، فقال النَّبيُّ صلى الله عليه وآله: اقنعي يا فاطمة بزوجكِ ، فواللَّـه ، إنَّه سيِّد في الدُّنيا ، وسيِّد في الآخرة ، وأَصلح بينهما ، فأنزل اللَّـه: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾، يقول: أَنا اللَّـه ، أَرسلتُ البحرين : عَلِيّ بن أبي طالب عليه السلام بحر العلم ، وفاطمة بحر النُّبوَّة ، يلتقيان يتَّصلان ، أَنا اللَّـه أَوقعتُ الوصلة بينهما ، ثُمَّ قال : ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ مانع رسول اللَّـه صلى الله عليه وآله ... ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا﴾ يا معشر الجنّ والإِنس ﴿تُكَذِّبَانِ﴾ بولاية أَمير المؤمنين عليه السلام ، أَو حبّ فَاطمة الزَّهراء عليها السلام؟ فاللؤلؤ: الحسن ، والمرجان الحسين...». بحار الأَنوار ، ٢٤ : ٩٩/ ح٦. مناقب آل أبي طالب ، ٣ : ١٠١.

٤ـ عن فرات الكوفي ، عن ابن عبَّاس أَيضاً ، قال : «في قوله تعالىٰ : ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ ، قال: عليٌّ وفاطمة. ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾، قال : رسول اللَّـه صلى الله عليه وآله. ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾، قال: الحسن والحسين عليهما السلام».

وحدَّثنا عَلِيُّ بن عتَّاب والـحسين بن سعيد وجعفر بن مُحَمَّد الفزاريّ ، عن الصَّادق عليه السلام يقول: «**هكذا معنىٰ الآية. وقال : عَلِيُّ بن موسىٰ الرِّضا** عليه السلام **هكذا**». بحار الأَنوار ، ٣٧ : ٦٤/ ح٣٤. تفسير فرات الكوفي: ١٧٧.

ودلالة الجميع واضحة.

فانظر:

أَوَّلاً : بيان الإمام الصَّادق عليه السلام : «... **وعندنا واللَّـه مصحف فاطمة ، ما فيه آية من كتاب اللَّـه ، وإِنَّه لإِملاء رسول اللَّـه** صلى الله عليه وآله **، وخَطَّه عَلِيٌّ** عليه السلام **بيده** ...»[1].

← ومن ثَمَّ ما قامت به فاطمة الزهراء (صلوات اللّـه عليها) من تسجيل بناء وبنيان عقائدي ومعرفي لم تكن فيه مُخالفة للمسار العقائدي والمعرفي ؛ أَو المسار الولائي ؛ أَو لمسار الولاية السياسيَّة ؛ أَو الولاية الإِعتقاديَّة لأَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليهما) ، ولم تَخُن في الدِّين بمواثيق اللّـه ، ولا بمواثيق سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله ، ولا بمواثيق الدين ، شبيه ما حصل بين النَّبيّ موسىٰ والخضر عليهما السلام في القضيَّة الواردة في سورة الكهف ، فإِنَّ كلَّ واحدٍ منهما لم يتعدَّ على صلاحيَّات الآخر ، ومن ثَمَّ وصف النَّبيّ موسىٰ عليه السلام نفسه بأَنَّه تابع للخضر عليه السلام.

فانظر : بيان قوله جلَّ وتقدَّس الحاكي لخبرهما : ﴿**فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا * قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا**﴾ [الكهف: ٦٥ـ ٦٦].

وهكذا حال الخضر عليه السلام ؛ فإِنَّه لم يفرض على النَّبيِّ موسىٰ عليه السلام إِتِّباعه أَو عدم إِتباعه، وإِنَّما ترك الخيار مفتوحاً للنَّبيّ موسىٰ عليه السلام.

فلاحظ : بيان قوله تقدَّس ذكره : ﴿**قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا**﴾ [الكهف: ٧٠].

وبالجملة : ما تقدَّم بيان واضح وصريح دالٌّ على علوِّ مقامات فاطمة الزهراء (صلوات اللّـه عليها) الإِلٰهيَّة ، وتقدُّمها على مقامات الأَئمَّة الأَحد عشر من بقيَّة أَهل البيت عليهم السلام ، فإِنَّ مقاماتها الإِلٰهيَّة كفؤ لمقامات أَمير المؤمنين عليهما السلام الإِلٰهيَّة ، وأَصل لكلِّ مقامات الأَصفياء.

(١) بصائر الدرجات ، ١ : ٣١٠/ ح٥٨٧ ـ ٥.

ثانياً : بيانه عليه السلام أَيضاً : «**مصحف فاطمة عليها السلام ما فيه شيء من كتاب اللَّـه ، وإِنَّما هو شيءٌ أُلقي عليها بعد موت أَبيها صلَّىٰ اللَّـه عليهما وعلى أَولادهما**»(١).

ودلالتهما قد اِتَّضحت أَيضاً.

حقيقة أَمير المؤمنين عليه السلام الصَّاعدة الباب الحصري لحقيقة سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله الصَّاعدة

ومن كلِّ هذا تتَّضح : كثير من بيانات الوحي الواردة في المقام ، **منها**:

أَوَّلاً : بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله : «**أَنا مدينة العلم ، وعَلِيٌّ بابها**»(٢).

بتقريب : أَنَّ هذا البيان الشَّريف جاء لبيان معارف وحقائق وعقائد دينيَّة ، وحيث إِنَّ الدِّين ومعارفه وعقائده شاملة لجملة المخلوقات ولكافَّة العوالم كان هذا البيان الشريف كذلك شامل لجملة المخلوقات والعوالم.

وعليه : فيكون بيان قوله صلى الله عليه وآله : «**أَنَا مدينة العلم**» إِشارة إِلى تلك المرتبة والطبقة الصَّاعدة من قلبه ونوره المبارك. وقوله صلى الله عليه وآله : «**وعَلِيٌّ بابها**» إِشارة أَيضاً إِلى قلب ونور أَمير المؤمنين (صلوات اللَّـه عليه) المبارك في تلك الـمرتبة والطبقة ؛ فإِنَّه الباب الأَوحد والحصري لتلك المدينة العظيمة المهولة المباركة.

وعلى هذا قس : أَشباه ونظائر هذا البيان الشَّريف ، منها:

---

(١) بصائر الدرجات ، ١ : ٣٢١/ ح٦٠٩ـ ٢٧.

(٢) بحار الأَنوار ، ١٠ : ١٢٠/ ح١. التوحيد : ٣١٩ ـ ٣٢٣. الأَمالي : ٢٠٥ ـ ٢٠٨، المجلس: ٥٥.

١ـ بيان قوله صلى الله عليه وآله أيضاً : «**أَنَا مدينة الحكمة ، وعَلِيٌّ بابها**»(١).

٢ـ بيان قوله صلى الله عليه وآله أيضاً : «**أَنَا مدينة الفقه ، وعَلِيٌّ بابها**»(٢).

ثانياً : بيان الإمام الباقر عليه السلام : «... **إِنَّه ليس أَحَدٌ عنده علم إِلَّا خرج من عند أَمير المؤمنين عليه السلام ، فليذهب النَّاس حيث شاؤوا ، فواللَّـه ليأتينهم الأَمر من هاهنا ـ وأَشار بيده إِلى المدينة ـ**»(٣).

ودلالته ـ كدلالة سابقيه ـ قد اِتَّضحت ؛ فإِنَّه شامل بإِطلاقه لجميع العلوم الحقَّة في ذلك الزمان ، بل وفي كلِّ زمان ؛ فإِنَّه بعدما كان بياناً لمعارف وحقائق وعقائد دينيَّة؛ وحيث إِنَّها شاملة لجملة العوالم ولكافَّة المخلوقات كان ـ هذا البيان الشَّريف ـ شاملاً أَيضاً ـ كدين سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله ـ لسائر العوالم وجميع المخلوقات من بداية الخلقة إِلى ما بعد عَالَم الآخرة الأَبديَّة ؛ فليس أَحد من جملة المخلوقات قَطُّ ؛ وفي كافَّة العوالم عنده علم إِلَّا وقد خرج من عند أَمير المؤمنين صلوات اللَّـه عليه.

الفيوضات الإِلهيَّة لا تكون إِلاَّ عن طريق حقيقة سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله وحقيقةَ أَمير المؤمنين عليه السلام

ومنه يتَّضح أَيضاً : أَنَّ الَّذي يُنبئ عن اللَّـه عزَّوجلَّ بالمباشرة ليس هو إِلَّا سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله حسب ، أَمَّا بقيَّة المخلوقات المُكرَّمة فلا تنبئ عن اللَّـه

---

(١) بحار الأَنوار ، ٣٦ : ١١١/ ح٥٩. تفسير الإِمام : ٢٦٤ ـ ٢٦٥.

(٢) مستدرك سفينة البحار ، ٨ : ٢٨٨. إِحقاق الحقّ : ٥٠٥/ ح٥. الغدير ، ٦ : ٨١.

(٣) بصائر الدرجات ، ١ : ٤٦/ ح٥٥ ـ ١.

تقدَّس ذكره إِلَّا بتوسط طبقات حقيقة سيِّد الأَنبياء ﷺ الصَّاعدة ؛ فبقيَّة أَنبياء أُولي العزم ـ كالنَّبيّ إِبراهيم ـ ، بل وطبقات حقيقة سيِّد الأَنبياء ﷺ المتوسطة والنَّازلة ؛ والملائكة المُقرَّبين ـ كجبرئيل وإِسرافيل ـ وحقيقة القرآن الكريم الصَّاعدة لا ينبؤون عن اللَّـه تعالىٰ ذكره بالمباشرة ، وإِنَّما بتوسُّط نور وطبقات حقيقة ذات سيِّد الأَنبياء ﷺ الصَّاعدة ، بل ولا ينبؤون عن نور سيِّد الأَنبياء ﷺ وطبقات حقيقته الصَّاعدة من دون واسطة ، وإِنَّما بواسطة بابه الأَوحد : نور وطبقات حقيقة ذات أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه) الصَّاعدة ، فالَّذي ينبئ عن نور وحقيقة ذات سيِّد الأَنبياء ﷺ الصَّاعدة من دون واسطة قَطُّ ليس هو إِلَّا نور وطبقات حقيقة ذات أَمير المؤمنين عليه السلام الصَّاعدة.

وعليه : فيكون وحي جبرئيل عليه السلام ليس هو من اللَّـه عزَّوجلَّ بالـمباشرة ، بل من نور وقلب سيِّد الأَنبياء ﷺ في تلك الطبقة ، وبواسطة نور وقلب أَمير المؤمنين (صلوات اللَّـه عليه) في تلك الطبقة أَيضاً ، ثُمَّ يوصله ويُبلِّغه بدن ونفس سيِّد الأَنبياء ﷺ الجزئيَّين ، فحقيقة وحي جبرئيل عليه السلام هو من سيِّد الأَنبياء إِلى سيِّد الأَنبياء ﷺ ، بوساطة نور أَمير المؤمنين عليه السلام.

وهذا ما يوضِّح : نكتة وسبب وفلسفة : غاية التواضع الَّذي يبديه جبرئيل عليه السلام لسيِّد الأَنبياء ﷺ.

فانظر : بيانات الوحي ، منها :

بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام : «**كان جبرئيل إِذا أَتىٰ النَّبيّ ﷺ قعد بين يديه**

قعدة العبد ، وكان لا يدخل حتَّىٰ يستأذنه»[١].

وعلى هذا قس : نبوَّة بقيَّة الأَنبياء والرُّسل عليهم السلام ، منهم : بقيَّة أَنبياء أُولي العزم ، كالنَّبيّ إبراهيم عليه السلام ؛ فإنَّها ليست من اللّـه (جلَّ ذكره) بالمباشرة ، وإنَّما بواسطة نور وقلب وطبقة حقيقة سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله الصَّاعدة ؛ وبتوسط نور وقلب وطبقة حقيقة أَمير المؤمنين عليه السلام الموازية لتلك الطبقة والمرتبة.

وإلى هذا تُشير بيانات الوحي ، منها :

١ـ بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله مخاطباً أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه) : «**ياعَلِيُّ ، كنتَ مع الأَنبياء سرّاً ومعي جهراً**»[٢].

٢ـ بيان أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه) : «**كنتُ مع الأَنبياء باطناً ومع رسول اللّـه ظاهراً**»[٣].

٣ـ بيانه (صلوات اللّـه عليه) أَيضاً : «**كان اللّـه ولا شيء معه ، فأَوَّل ما خلق نور حبيبه مُحمَّد** صلى الله عليه وآله **... فقطرت منه قطرات كان عددها مائة أَلف وأَربعة وعشرين أَلف قطرة ، فخلق اللّـه تعالىٰ من كلِّ قطرةٍ من نوره نبيّاً من الأَنبياء ، فلمَّا تكاملت الأَنوار صارت تطوف حول نور مُحمَّد** صلى الله عليه وآله **، كما تطوف الحجاج حول بيت اللّـه الحرام ، وهم يُسبحون اللّـه ويحمدونه...**»[٤].

٤ـ بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام ، عن المُفضَّل ، قال : «**قال لي أَبو**

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٦ : ٣٣٨/ ح٢. علل الشرائع : ١٤.

(٢) معارج العُلىٰ (مخطوط).

(٣) مصباح الهداية : ١٤٢.

(٤) بحار الأَنوار ، ٥٤ : ١٩٨ ـ ٢٠٢/ ح١٤٥.

عبداللَّـه عليه السلام: يا مُفضَّل ، أَمَا علمت أَنَّ اللَّـه تبارك وتعالىٰ بعث رسول اللَّـه صلى الله عليه وآله وهو روح إِلى الأَنبياء عليهم السلام ؛ وهم أَرواح قبل خلق الخلق بألفي عام؟ قلتُ: بلىٰ. **قال: أَما علمتَ أَنَّه دعاهم إِلى توحيد اللَّـه وطاعته واتباع أَمره، ووعدهم الجنَّة على ذلك ، وأَوعد من خالف ما أَجابوا إِليه وأَنكر النَّار؟ فقلتُ: بلىٰ»**[1].

ودلالة الجميع واضحة على أَنَّ نبوَّة سائر الأَنبياء والرُّسل عليهم السلام لا تكون إِلَّا عن طريق نور ومراتب حقيقة سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله الصَّاعدة ، وحيث ثبت في بيانات الوحي في المسائل والأَبحاث المُتقدِّمة ، بل وما سيأتي (إِنْ شاء اللَّـه تعالىٰ) : أَن نور وطبقات حقيقة أَمير المؤمنين عليه السلام الصَّاعدة هي السبيل والطريق الحصري الوحيد للوصول إِلى فيض نور سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله كانت نبوَّة سائر الأَنبياء والرسل عليهم السلام ووحيها وكُلّ ما يتعلَّق بارتباطها بالسَّاحة الإِلٰهيَّة عن طريق نور وحقيقة طبقات أَمير المؤمنين عليه السلام الصَّاعدة. وهذا بعض ما قصداه البيانان الأَوَّلان.

والخلاصة :

أَوَّلاً : أَنَّه من نور سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله وطبقات حقيقته الصَّاعدة أُوحي إِلى جملة بقيَّة الأَنبياء والرسل والأَوصياء ، منهم : بقيَّة أَنبياء أُولي العزم عليهم السلام، بل وأُوحي من ذلك النور وتلك الطبقة الصَّاعدة إِلى حقيقة القرآن الكريم الصَّاعدة الـمُتمثِّلة بـ : (الروح الأَمري ؛ روح القدس) ، بل وأُوحي من ذلك النور وتلك الطبقة الصَّاعدة إِلى بدن ونفس سيِّد

(١) بحار الأَنوار ، ٣٩ : ١٩٤ ـ ١٩٦/ ح٥. علل الشرائع : ٦٥.

الأَنبياء صلى الله عليه وآله في هذه النشأة الأَرضيَّة ، لكن : بتوسُّط نور أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه) وطبقات حقيقته الصَّاعدة الموازية لنور وطبقات حقيقة ذات سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله الصَّاعدة. وحينئذٍ يصحُّ أَنْ يُقال : أَنَّ جملة الأَنبياء والرسل عليهم السلام ينبؤون عن سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله ، وهو صلى الله عليه وآله يأخذ الوحي من اللّـه (عزَّوجلَّ) بالمباشرة ومن دون واسطة.

ثانياً : أَنَّ نبوَّة سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله وبوساطة أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه) ثابتة في كلِّ العوالم السَّابقة واللاحقة ولطرِّ المخلوقات.

وشأن هذه النُّبوَّة أَخطر وأَعظم هولاً من نبوَّته صلى الله عليه وآله في هذه النشأة الأَرضيَّة ؛ لخطر وعظم هول تلك العوالم.

ومنه تتَّضح : بيانات الوحي الواردة لبيان مقامات سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله ، منها : مقام : (عبداللّـه ورسوله) ، فإِنَّه مقام عظيم ، لا يختصُّ بهذا العَالَم والنَّشْأَة الأَرضيَّة ، بل يأتي أَيضاً في بقيَّة العوالم والنَّشَآة السَّابقة واللاحقة ، فهو صلى الله عليه وآله : (عبد اللّـه ورسوله) في عَالَم الأَظلَّة والذَّرّ والميثاق ، وفي عَالَم الأَصلاب والأَرحام ، وفي عَالَم : البرزخ النَّازل والصَّاعد ، والرجعة والقيامة والآخرة الأَبديَّة وغيرها ، وهو صلى الله عليه وآله الواسطة الحصريَّة بين اللّـه (تقدَّس ذكره) وجملة مخلوقاته في كلِّ العوالم والنَّشَآة.

ثالثاً : أَنَّ المراد من بيانات الوحي القائلة : «**مَنْ زار الإِمام عارفاً بحقِّه** ...»[1] أَي : عارفاً بجهة الإِضافة بين أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) وبين اللّـه (عزَّوجلَّ) ؛ كيما يكون التوجُّه به إِلى السَّاحة الإِلٰهيَّة.

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢ : ١٤٧/ح٧. و: ج٣٦ : ٢٨٦/ح١٠٧. و: ج٩٩ : ٤١/ح٤٣.

وإلى كلِّ ما تقدَّم تشير بيانات الوحي الأُخرىٰ ، منها :

١ـ بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله مخاطباً أَمير المؤمنين (صلوات اللّٰـه عليه) : «... **يا عَلِيّ ... وأَنتَ السبب بين اللّٰـه وبين خلقه بعدي ، فمن جحد ولايتكَ قطع السبب الَّذي فيما بينه وبين اللّٰـه ، وكان ماضياً في الدَّرجات**[1]**، يا عَلِيّ ، ما عُرف اللّٰـه إِلَّا بي ثُمَّ بكَ ، ...**»[2].

٢ـ بيانه صلى الله عليه وآله أَيضاً : «**لو لا أَنا وَعَلِيّ ما عُرِفَ اللّٰـه ، ولولا أَنا وَعَلِيّ ما عُبِدَ اللّٰـه ، ولولا أَنا وعَلِيّ ما كان ثواب ولا عقاب ، ولا يستر عَلِيّاً عن اللّٰـه ستر ، ولا يحجبه عن اللّٰـه حجاب ، وهو الستر والحجاب فيما بين اللّٰـه وخلقه**»[3].

٣ـ بيانه صلى الله عليه وآله أَيضاً : «... **ثُمَّ جعلنا عن يمين العرش ثُمَّ خلق الملائكة فسبَّحنا وسبَّحت الملائكة ، فهللنا فهللت الملائكة ، وكبَّرنا فكبَّرت الملائكة ، وكان ذلك من تعليمي وتعليم عَلِيّ ، وكان ذلك في علم اللّٰـه السَّابق : أَنَّ الملائكة تتعلَّم مِنّا التَّسبيح والتَّهليل ، وكلّ شيءٍ يُسَبِّح للّٰـه ويكبِّره ويهلِّله بتعليمي وتعليم عَلِيّ...**»[4].

٤ـ بيان أَمير المؤمنين عليه السلام : «... **أَنا الخضر عَالِم موسىٰ ، وأَنَا مُعَلِّم**

---

(١) في المصدر : (وكان ماضياً في الدركات).

(٢) بحار الأَنوار ، ٢٢ : ١٤٧/ ح١٤١. كتاب سليم بن قيس : ٢١٥ ـ ٢١٦.

(٣) بحار الأَنوار ، ٤٠ : ٩٦/ ح١١٦. كتاب سليم بن قيس : ١٦٨ ـ ١٧٠.

(٤) بحار الأَنوار ، ٢٦ : ٣٤٥ ـ ٣٤٦/ ح١٨. إرشاد القلوب : ٢١٥ ـ ٢١٦.

سليمان بن داود ...»[١].

٥ـ بيانه عليه السلام أَيضاً : «**... أَنا كلمة اللّـه النَّاطقة في خلقه ... أَنا صاحب الهبات بعد الهبات ولو أَخبرتكم لكفرتم ... أَنا صاحب القرون الأُولين ... أَنَا المعطي ، أَنا المبذل ... أَنَا البيت المعمور ، أَنَا السقف المرفوع ، أَنَا البحر المسجور ... أَنَا المذكور في السَّماوات والأَرض ، أَنَا الماضي مع رسول اللّـه في السَّماوات ...**»[٢].

٦ـ بيان الإِمام الباقر عليه السلام : «**ليس شيء أَقرب إِلى اللّـه تعالىٰ من رسوله ، ولا أَقرب إِلى رسوله من وصيِّه ، فهو في القرب كالجنب ...**» [٣].

ودلالة الجميع واضحة.

العلم اللدنِّي وعلم التَّأويل

الطائفة السَّابعة : ما دلَّ على أَنَّ يد السَّاحة الإِلٰهيَّة أَمدَّت أَئمَّة أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) بـ : (العلم اللدنِّي) و (علم التأويل).

ويُمثِّلها :

بيان قوله جلَّ قدسه الوارد لبيان قضيَّة الخضر مع النَّبيّ موسىٰ عليهما السلام: ﴿**فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا**﴾[٤]،

---

(١) بحار الأَنوار، ٢٦ : ٦/ ح١.
(٢) مشارق أَنوار اليقين / الخطبة الإِفتخاريَّة.
(٣) بحار الأَنوار ، ٢٤ : ٢٠٢/ ح٣٦.
(٤) الكهف : ٦٥.

وقوله جلَّ جلاله بعد ذلك : ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾[1]، وقوله جلَّ ثناؤه في خاتمة هذه القضيَّة : ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾[2].

تقريب الدلالة يتوقَّف على مُقَدِّمتين :

الأُولىٰ : أَنَّ الثابت في بيانات الوحي ، بل وفي هذا البيان الشَّريف : أَنَّ الخضر عليه السلام من كُمَّل المخلوقات وحُجَّة مُصطفاة ، وقد أَمدَّه اللَّـه عزَّوجلَّ بـ : (العلم اللدنِّي) و(علم التأويل).

الثَّانية : أَنَّ الثابت في بيانات الوحي الأُخرىٰ المتواترة ـ منها : ما تقدَّم في الطائفة الرابعة ـ : أَنَّ يد السَّاحة الإِلٰهيَّة أَمدَّت أَئمَّة أَهل البيت (صلوات اللّٰـه عليهم) بكافَّة ما كان ثابتاً لكُمَّل المخلوقات وزيادة.

والنتيجة : أَنَّ يد السَّاحة الإِلٰهيَّة أَمدَّت أَئمَّة أَهل البيت عليهم السلام بـ : (العلم اللدنِّي) و (علم التأويل)[3].

---

(١) الكهف : ٧٨.

(٢) الكهف : ٨٢.

(٣) **ينبغي الإلتفات** : أَنَّ عقليَّة المعصوم عليه السلام وحي ، لكنَّه ليس نبويّاً ، وإِنَّما لدنِّي. والعلم الوحيانيُّ أَرقىٰ وأَكمل أَصناف العلم ورأس هرمها. ومن ثَمَّ من الخطأ الفاحش التَّعبير عن حسن تصرُّف المعصوم بـ : (الدهاء) وما شاكله ؛ لكونه ـ والعياذ باللَّـه ـ ليس أَهل تحايل ، بل أَهل حكمة وبصيرة إِلٰهيَّة ثاقبة.

إمامة أَهل البيت عليهم السلام لها سر ولها علانية

الطائفة الثامنة : ما دلَّ على أَنَّ لأَئمَّة أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) سر وعلانية ، ولسرِّهم أَسراراً[١].

ويُمثِّلها :

١ـ بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام : «**إِنَّ أَمرنا سرّ مستتر ، وسرّ لا يفيده إِلَّا السرّ ، وسرّ على سرّ ، وسرّ مقنَّع بسرٍّ**»[٢].

٢ـ بيانه عليه السلام أَيضاً : «**إِنَّ أَمرنا هو الحقّ ، وحقّ الحقّ ، وهو الظَّاهر ، وباطن الظَّاهر ، وباطن الباطن ، وهو السرّ ، وسرّ السرّ ، وسرّ المستسر**[٣]**، وسرّ مقنَّع بالسرِّ**»[٤].

٣ـ بيان زيارة سيِّد الشهداء (صلوات اللّـه عليه) : «... **آمنت بسركم**

---

(١) مَنْ أَراد تدوين دورة عقائديَّة فعليه ذكر نكتة مُهمَّة في باب : (النُّبوَّة) ، وباب : (الإِمامة) لم تذكر من قبل ، مع أَنَّها طافحة في أَبجديَّات بيانات الوحي الإِلٰهي الوافرة الباهرة ، حاصلها : أَنَّ لأَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) ظاهراً وباطناً ، ولبواطنهم بواطناً وأَسراراً ، ولِأَسرارهم أَسراراً ومُستسرّاً.
وهذه نكتة عقائديَّة مُهمَّة جِدّاً ، وفائدة معرفيَّة جليلة وخطيرة ومهولة جِدّاً ، أُرتشفت من بيانات الوحي ، لاسيما بيانات أَدعيتهم وزياراتهم (صلوات اللّـه عليهم) المتواترة.

(٢) بحار الأَنوار ، ٢ : ٧١/ ح٣١.

(٣) وفي نسخة : (وسرّ المستتر).

(٤) المصدر نفسه ، ٢ : ٧١/ ح٣٣.

وعلانيتكم ، وبظاهركم وباطنكم ...» [١] [٢].

ودلالة الجميع واضحة.

وحي الإمامة وحي إلهيّ من دون واسطة

الطائفة التاسعة : ما دلَّ على أَنَّ وحي إِمامة أَهل البيت عليهم السلام وحي إِلٰهيّ من دون واسطة ، بخلاف النُّبوَّة.

ويُمثِّلها :

١ـ بيان أَبي جعفر عليه السلام ، عن إِسحاق القُمِّيّ ، قال : «**قلتُ لأَبي جعفر** عليه السلام: **جُعِلْتُ فداك ، ما قدر الإِمام ؟ قال : يسمع في بطن أُمَّه ، فإذا وصل إِلى الأَرض ... يتشعَّب له عموداً من نورٍ من تحت بطنان العرش إِلى الأَرض يرىٰ فيه أَعمال الخلائق كُلِّها ، ثُمَّ يتشعَّب له عمود آخر من عند اللَّـه إِلى أُذن الإِمام ، كُلَّما احتاج إِلى مزيد أُفرغ فيه إِفراغاً**»[٣].

٢ـ بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام : «**إِنَّ للَّـه عموداً من نورٍ ، حجبه اللَّـه عن جميع الخلائق ؛ طرفه عند اللَّـه ، وطرفه الآخر في أُذن الإِمام ، فإِذا أَردا اللَّـه شيئاً أَوحاه في أُذن الإِمام** عليه السلام»[٤].

٣ـ بيانه عليه السلام أَيضاً ، عن صالح بن سهل ، قال : «**كنتُ جالساً عنده**

---

(١) بحار الأَنوار ، ٩٨ : ٢٦٠. المزار الكبير : ١٤٣ ـ ١٤٤.

(٢) إِنَّه من أَراد التَّعرُّف على البطاقة الشخصية للإِمام عليه السلام فعليه : مراجعة إِضافة إِلى بيانات القرآن الكريم والروايات مراجعة بيانات الأَدعية والزيارات وهما الأَهم.

(٣) بصائر الدرجات ، ٢ : ٣٤٥/ ح١٥٧٥ ـ ٦.

(٤) بحار الأَنوار ، ٢٦ : ١٣٤/ ح٩. بصائر الدرجات ، ٢ : ٣٤٠/ ح١٥٧٠ ـ ١.

فقال لي ابتداءً منه : يا صالح بن سهل ، إنَّ اللّـه جعل بينه وبين الرسول رسولاً ، ولم يجعل بينه وبين الإمام رسولاً. قال : قلتُ : وكيف ذاك ؟ قال: جعل بينه وبين الإمام عموداً من نورٍ ، ينظر اللّـه به إلى الإمام ، وينظر الإمام به إليه ، فإذا أراد علم شيءٍ نظر في ذلك النُّور فعرفه»[1].

ودلالة ـ كدلالة سابقيه ـ واضحة.

٤ـ بيانه عليه السلام أيضاً : «**إنَّ لنا مع اللّـه حالات لا يسعنا فيها نبيّ مرسل ، ولا ملك مُقرَّب**»[2].

ودلالته قد اتَّضحت ؛ فإنَّه برهانٌ وحيانيٌّ دالٌّ على أنَّ أهل البيت عليهم السلام يتمتَّعون بوحيٍ ليست فيه واسطة ملك مُقرَّب ـ كجبرئيل وميكائيل وإسرافيل ـ ، بل ولا روح القدس.

وهذا النحو من الوحي تنتفي فيه ماهيَّة (مُحمَّد ، وعَلِيّ ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين) وماهيَّات بقيَّة أهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) ؛ ليصحبوا أسماء إلٰهيَّة لا تُرىٰ فيها مرتبة من مراتب ذواتهم الشَّريفة.

وهذا أعظم أنواع الوحي ومراتبه ، ومنه يتغذىٰ روح القدس (حقيقة القرآن الكريم الصَّاعدة) ، فضلاً عن جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل عليهم السلام.

---

(١) بحار الأنوار ، ٢٦ : ١٣٤/ح١٠. بصائر الدرجات ، ٢ : ٣٤٠ ـ ٣٤١/ ح١٥٧١ ـ ٢. المحتضر : ١٢٨.

(٢) أربعون العلامة المجلسي : ١٧٧. الكلمات المكنونة : ١٠١. بتغيير يسير في العبارة. بصائر الدرجات: ٢٣/ ب١١.

حاكميَّة إمامة أَهل البيت عليهم السلام شاملة لجملة البشر

الطائفة العاشرة : ما دلَّ على أَنَّ إمامة أَهل البيت (صلوات اللّٰـه عليهم) حاكمة ومُهيمنة على جملة البشر ؛ من بدء الخِلقة والوجود إِلى أَبد الآباد ودهر الدُّهور ، منهم بقيَّة كُمَّل البشر ؛ فإِنَّ بقيَّة جملة الأَنبياء والمرسلين والأَوصياء والأَصفياء عليهم السلام وإِن كانوا من كُمَّل المخلوقات لكنَّهم مع ذلك يحتاجون إِلى مخلوقات أَعلىٰ منهم رتبة ومقاماً وعلماً وشرفاً وفضلاً وكمالاً ، يُؤمُّونهم وينظِّمون ويُديرون أُمورهم ، وأَئمَّة أَهل البيت (صلوات اللّٰـه عليهم) هم الَّذين متَّعتهم يد ساحة القدس الإِلٰهيَّة بخاصيَّة إِدارة أُمور وشؤون الكُمَّل من موقع تكويني إِلٰهيّ أَرفع وأَعلىٰ.

فلاحظ : بيانات الوحي ، منها :

أَوَّلاً : بيان الحديث القدسي ، عن عدَّة من أَصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، منهم جابر بن عبدالله الأَنصاري، قال: «... **ثُمَّ نظر آدم عليه السلام إِلى نور قد لمع فسدَّ الجو المُنخرق ، فأَخذ بالمطالع من المشارق ، ثُمَّ سرىٰ كذلك حتَّىٰ طبق المغارب ؛ ثُمَّ سما حتَّىٰ بلغ ملكوت السَّماء ، فنظر فإذا هو نور مُحمَّد صلى الله عليه وآله ، وإذا الاكناف به قد تضوَّعت طيباً ، وإِذا أَنوار أَربعة قد اكتنفته عن يمينه وشماله ومن خلفه وأمامه ، أشبه شيء به أَرجاً ونوراً ، ويتلوها أَنوار من بعدها تستمد منها ... فبهر آدم صلَّىٰ اللّٰـه عليه ما رأىٰ من ذلك ، وقال : يا عَالِمِ الغيوب ... مَنْ هذا الخلق السعيد الَّذي كرَّمت ورفعت على العالمين ؟! ومَنْ هذه الأَنوار المكتنفة له ؟! فأَوحىٰ اللّٰـه عزَّ وجل إِليه : يا آدم ، هذا وهؤلاء وسيلتكَ ووسيلة من أسعدتُ من خلقي ، هؤلاء السَّابقون المُقرَّبون**

والشَّافعون المُشَفَّعون ، وهذا أَحمد سيِّدهم وسيِّد بريَّتي ...» [١].

ودلالته واضحة.

الأَدب الإلهي كاشف عن صلاحيات ومواقع إلهيَّة

بعد الإلتفات إلى أَمر استقرَّت عليه كلمة مُحقِّقي المُتكلِّمين والمُفسِّرين وغيرهم من بُحَّاث المعارف يجدر الإلتفات إليه ، حاصله : أَنَّ الأَدب الإلٰهي من اللّـه (عزَّوجلَّ) مع أَصفيائه ، أَو من الأَصفياء معه تعالىٰ ، أَو بين الأَصفياء يرجع في حقيقته إلى أَنَّ مَنْ حُبي بهذا الأَدب يتمتَّع بمقامات دينيَّة ، وصلاحيَّات شرعيَّة ، ومواقع عقائديَّة.

مثاله : ما حصل من النَّبيّ موسىٰ إتجاه الخضر عليهما السلام ، في الحوارية الَّتي جرت بينهما ، وحكتها بيانات سورة الكهف[٢]:

فإنَّه حينما يصف نفسه بـ : (التابع في بيان قوله جلَّ جلاله ـ المُقتصّ لخبرهما ـ : ﴿**قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا**﴾[٣]، ليست قضيَّة مجاملات أَو تعارفات أَو مدائح ، وإنَّما حقيقة كاشفة عن مقامات وشؤون وهِبَات إلٰهيَّة يتمتَّع بها الخضر دون النَّبيّ موسى عليهما السلام ، ومعناه: أَنَّ للخضر موقعيَّة إلٰهيَّة غيبيَّة ، لا يتمتَّع بها النَّبيّ موسىٰ عليه السلام ؛ وإنْ كان له عليه السلام[٤] من جهةٍ أُخرىٰ فضلاً وكمالاً وموقعيَّة إلٰهيَّة غيبيَّة ؛ لا يتمتَّع بها الخضر

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٦ : ٣١٠ ـ ٣١٥/ ح٧٧. تفضيل الأَئمَّة : (مخطوط).

(٢) سورة الكهف : ٦٥ ـ ٨٢.

(٣) الكهف : ٦٦.

(٤) مرجع الضمير : (النَّبيّ موسىٰ عليه السلام).

عليه السلام ، امتاز وتقدَّم بها عليه.

وعلى هذا قس : ما فعله الخضر عليه السلام ؛ فإنَّه لم يقل للنَّبيّ موسىٰ عليه السلام : (اتبعني) ، وإنَّما قال : ﴿فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي﴾[1] فإنَّه لو كانت له ولاية تفوق ولاية النَّبيّ موسىٰ عليه السلام من جميع الجهات لكان المناسب له أَن يَبُتَّ بالقضيَّة ، ولا يجعل الخيار بيد النَّبيّ موسىٰ عليه السلام.

ومعناه : أَنَّ بينهما عليهما السلام مشاركة ولائيَّة إلٰهيَّة وتوزيع أَدوار إلٰهيَّة.

إِذَنْ : في عَالَم الأَصفياء نظم ولائي غيبيّ إلٰهي ، دقيق ورشيق جِدّاً ، وصفاء عجيب في دقَّة الحقائق والمواقع والمأموريَّات والمناصب والمواقع والمقامات الإلٰهيَّة بشكل بديع ؛ لا يزيد فيها مخلوق على حَدِّه وقدره المتمتَّع به من يد السَّاحة الإلٰهيَّة.

وبالجملة : الأَدب الإلٰهيّ ـ من اللّـه عزَّوجلَّ إتِّجَاه الأَصفياء ، أَو من الأَصفياء إتِّـجَاهه (تقدَّس اسمه) ، أَو بين الأَصفياء المُصطفين بالإصطفاء الإلٰهي ـ يُحدِّد مواقع الأَصفياء الرسميَّة الإلٰهيَّة ودرجات الولاية الإلٰهيَّة.

ثُمَّ إنَّ ما ورد في كثير من بيانات الوحي ، منها :

بيان قوله تقدَّست أَسماؤه : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾[2].

---

(١) الكهف : ٧٠.

(٢) الحجرات : ٢.

براهين وحيانيَّة دالَّة على أَنَّ التَّأَدُّب مع سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله ليس من فروع الدِّين ، بل من أُصوله ، وإِلَّا كيف تحبط الفروع مطلق أَعمال المُكلَّف منها: الأُصول والإِيمان ، فكيف يحبط سوء أَدب فرعي مع سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله الإِيمان باللَّـه تعالىٰ.

ثانياً : بيان أَمير المؤمنين عليه السلام : «**... الإِمام ... يختاره اللَّـه ويجعل فيه ما يشاء ويوجب له بذلك الطاعة والولاية على جميع خلقه ... وأَخذ له بذلك العهد على جميع عباده ، فمَنْ تقدَّم عليه كفر باللَّـه من فوق عرشه ... فالعزة للنَّبيّ وللعترة ... فهم رأس دائرة الإِيمان وقطب الوجود ، وسماء الجود ، وشرف الموجود ... فالإِمام ... مهيمن اللَّـه على الخلائق ، وأَمينه على الحقائق، وحُجَّة اللَّـه على عباده ... هذا كلّه لآل مُحمَّد ، لا يُشاركهم فيه مُشارك... خلقهم اللَّـه من نور عظمته ، وولَّاهم أمر مملكته ... علم الأَنبياء في علمهم ، وسِرّ الأَوصياء في سرِّهم ، وعزّ الأَولياء في عزِّهم كالقطرة في البحر ، والذَّرَّة في القفر... ومن أَنكر ذلك فهو شقيٌّ ملعون يلعنه اللَّـه ويلعنه اللاعنون... فهم مبدء الوجود وغايته ، وقدرة الرَّبّ ومشيئته ... وحُجَج اللَّـه على الأَوَّلين والآخرين ... وان اللَّـه لم يخلق أحداً إِلَّا وأَخذ عليه الإِقرار بالوحدانيَّة والولاية للذريَّة الزَّكيَّة ، والبراءة من أعدائهم...**»[1].

ثالثاً : بيان الإِمام الباقر عليه السلام : «**... لا يقوم الأَنبياء والرُّسل والمُحدَّثون إِلَّا أَنْ يكون عليهم حُجَّة ...**»[2].

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٥ : ١٦٩ ـ ١٧٤/ ح٣٨.

(٢) المصدر نفسه : ٧٣/ ح٦٣. كنز الفوائد : ٣٩٥ ـ ٣٩٨.

ودلالته ـ كدلالة سابقه ـ واضحة.

رابعاً : بيانه عليه السلام أَيضاً : «**إِنَّ اللّـه تبارك وتعالىٰ حيث خلق الخلق ... قال: أَلَستُ بربِّكم؟ قالوا : بلىٰ شهدنا أَنْ تقولوا يوم القيامة إِنّا كُنَّا عن هذا غافلين ، ثُمَّ أخذ الميثاق على النَّبيِّين ، فقال : أَلَسْتُ بربِّكم ، وأَنَّ هذا مُحَمَّد رسولي ، وأَنَّ هذا عَلِيٌّ أَمير المؤمنين؟ قالوا : بلىٰ ، فثبتت لهم النُّبوَّة ، وأَخذ الميثاق على أُولي العزم ، أَنَّني ربّكم ، ومحمَّد رسولي ، وعَلِيّ أَمير المؤمنين ، وأوصياؤه من بعده ولاة أَمري ، وخزَّان علمي ، وأَنَّ المهدي أنتصر به لديني، واظهر به دولتي ، وأنتقم به من أعدائي ، وأُعبد به طوعاً وكرها ، قالوا : أقررنا يا ربّ ، وشهدنا...**» [1].

ودلالته واضحة ؛ فإِنَّ نفس طلب الإِقرار بهذه الثلاثة دليل على أَنَّهم محكومين بها شاءوا أَم أَبوا.

ويضاف إِليه : أَنَّ أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه) لَـمَّا مُتِّع بهذا الـمقام والمنحة والهبة الإِلٰهيَّة في بدء الخلقة ؛ كانت مُفَعَّلة في حقِّه في تلك العوالم ، وحيث إِنَّ الأَنبياء والرُّسل والأَوصياء والأَصفياء عليهم السلام قمَّة هرم المخلوقات المؤمنة ، وأَجلىٰ مصاديقها كان أَمير المؤمنين وبقيَّة أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) أُمرائهم وأَئمَّتهم.

---

(١) بحار الأَنوار ، ٦٤ : ١١٤/ ح٢٣. الكافي ، ٢ : ٨.

شمول الإمامة الإلهيَّة لجملة أَحوال وشؤون العوالم والمخلوقات

الطائفة الحادية عشر : ما دلَّ على أَنَّ حقيقة وبنود ومحاور وأَعمدة الإمامة الإلٰهيَّة لا تقتصر على عَالَمَ الدُّنيا الأُولىٰ ـ كما حصرتها الكُتُب الكلاميَّة وغيرها ـ بل تشمل طرّ العوالم والمخلوقات اللامتناهية ؛ من بداية الخلقة والوجود إلى ما لا نهاية له ، منها : عَالَمَ البرزخ ـ وهو حاشية لعَالَمَ الدُّنيا ـ وعَالَمَ آخرة الدُّنيا (الرجعة)[1]، وعَالَمَ القيامة ، وعَالَمَ الآخرة الأَبديَّة

---

(١) **ينبغي الإلتفات** : أَنَّ كافَّة الأَئمَّة الأثني عشر (صلوات اللّـه عليهم) ـ منهم : الإمام الحُجَّة بن الحسن عجل الله تعالى فرجه الشريف ـ يرجعون في عَالَمَ الرجعة كرَّات ومرَّات ، لكنَّ أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه) أَكثرهم رجوعاً ، ويرجع جميعهم (صلوات اللّـه عليهم) إلى الأَرض في عَالَمَ الرَّجعة في الدولة النهائيَّة والأَخيرة ، وهي دولة سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله ، وقبلها تكون دولة أَمير المؤمنين عليه السلام ، وهي آخر دولة له عليه السلام، ربَّى وطوَّع البشريَّة لها كرَّات ومرَّات ؛ كيما تستأهل البشريَّة لأَعظم دولة يُقيمها (صلوات اللّـه عليه).

والثابت في بيانات الوحي المستفيضة : أَنَّ البشريَّة لا تتأهل في دولة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف لوجود سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله ، ومن ثَمَّ يأتي بعد الإمام الحُجَّة سيِّد الشهداء عليهما السلام ليقيم دولته ، فدولة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف مُمهِّدَة لدولة سيِّد الشهداء عليه السلام ولكمال عظيم ، ثُمَّ يأتي دور أَمير المؤمنين عليه السلام ليُقيم دولته الأُولىٰ في الرجعة ، فدولة سيِّد الشهداء مُمَهِّدَة لدولة أَمير المؤمنين عليهما السلام الأُولىٰ ، ومع كُلّ هذا لم تستأهل البشريَّة بعدُ فاحتاج أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه) إلى الرجوع كرَّات ومرَّات أَكثر من بقيَّة أَهل البيت عليهم السلام على الإطلاق ، وهذه عقيدة من ضروريَّات عقيدة الرجعة.

إِذَنْ : البشريَّة لا تستأهل ـ أَي : ليست مؤهلة لـ ـ وجود سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله ، بل ولا لوجود سيِّدة النساء (صلوات اللّـه عليها) في عَالَمَ الرجعة إلَّا في نهاياتها ، فلها (صلوات اللّـه عليها) رجعة مع أَبيها صلى الله عليه وآله في دولته الخاتمة والعظمىٰ. ←

وهذا ما يوضح سر وفلسفة سرعة لحاقها بأبيها (صلوات اللّـه عليهما وعلى آلهما) بعد استشهاده ورحيله إلى الرفيق الأَعلىٰ ، فلم تبقَ تحت ظل إمامة أَمير المؤمنين عليه السلام طويلاً ، فضلاً عن بقائها تحت ظل إمامة الحسنين (صلوات اللّـه عليهم) ، وصارت تحت ظل وهيمنة اللّـه تقدَّس ذكره وأَبيها صلى الله عليه وآله ، فأَيُّ فيضٍ نبويّ هذا.

وهذا ما يشير إليه بيان رثاء أَمير المؤمنين عليه السلام بعدما دفنها ونفض تراب قبرها من يده ، وهاج به الحزن والأَلم ، فدار طرف وجهه إلى قبر سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله وقال: «**السَّلام عليكَ يا رسول اللّـه عنِّي ، والسَّلام عليكَ عن ابنتك ، وزائرتكَ ، والبائتة في الثرىٰ ببقعتك ، والمختار اللّـه لها سرعة اللحاق بكَ ، ... لقد استرجعت الوديعة، وأخذت الرهينة ... سرعان ما فُرِّق بيننا وإلى اللّـه أَشكو ... فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلى بثّه سبيلاً...**». بحار الأَنوار ، ٤٣ : ١٩٣/ ح٢١.

وفي هذا البيان الوحيانيُّ محطَّات عظيمة وعجيبة ، وأَسرار لطيفة وبديعة دالَّة على مدىٰ عظمة شخصيَّة ومقامات فاطمة الزهراء (صلوات اللّـه عليها) ، منها :

١ـ أَنَّ البشريَّة لا زالت بعدُ لم تستأهل طول بقائها ، كحال أَبيها (صلوات اللّـه عليهما وعلى آلهما) ، بل البشريَّة إلى الآن لم تستأهل الإمام الحُجَّة بن الحسن عجل الله فرجه ، بل ولم تستأهل بقائهما (صلوات اللّـه عليهما وعلى آلهما) في دولة ظهوره عجل الله فرجه ، ومن ثَمَّ يأتي دور سيِّد الشهداء عليه السلام ودولته في عَالَم الرجعة، فيكون دور الإمام الحُجَّة بن الحسن عجل الله فرجه ودولته مُمهِّد لكمال أَعظم ، وهو : دور سيِّد الشهداء عليه السلام ودولته ، ودور سيِّد الشهداء ودولته مُمَهِّد لكمال أَعظم ، وهو : دور أَمير المؤمنين عليهما السلام ودولته ، ثُمَّ إنَّ أَمير المؤمنين عليه السلام لا تستأهل البشريَّة برجعةٍ وكرَّةٍ ، بل برجعات وكرَّات ، وهو أَكثر إمام على الإطلاق يعود إلى النشأة الأَرضيَّة في عَالَم الرَّجعة (آخرة الدُّنيا) ويقيم فيها دولاً عديدة عليه السلام ؛ غايتها تطويع البشريَّة وتأهيلها وتربيتها مرَّات وكرَّات ؛ كيما تستأهل أَعظم دولة ـ بالقياس إلى بقيَّة دول الأَئمَّة الإثني عشر عليهم السلام في عَالَم الرجعة ـ يقيمها أَمير المؤمنين عليه السلام ، وهي آخر دولة له (صلوات اللّـه عليه) ، المُمتدّ عمرها (٤٤ أَلف سنة) ، قبل دولة سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله

ـ الجنَّة والنَّار الأَبديَّتان ـ وغيرها.

وتشمل أَيضاً جميع أَحوالها وشؤونها.

ومفروضة على جميع مخلوقات هذه العوالم ، فلا تشمل الإِنس والجن فحسب ، بل والملائكة وبقيَّة المخلوقات من بداية الخلقة إِلى ما لا نهاية ، فأَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) هم الَّذين يُؤمُّون ويقودون كُلَّ المخلوقات اللامتناهية ، وفي جملة العوالم ؛ في سلسلة عوالم قوس النزول ،

← الأَعظم على الإِطلاق. **بعد الإِلتفات** : أَنَّ الثابت في الدراسات البشريَّة المختلفة ـ الغربيَّة والشَّرقيّة والأَديانيَّة ـ : أَنَّ عمر البشريَّة من بداية نزول النَّبيّ آدم عليه السلام إلى عصرنا هذا لم يمضِ عليها أَكثر من عشرة آلاف سنة.

ثُمَّ إِنَّه تظهر في عَالَم الرجعة مقامات عظيمة لأَمير المؤمنين وبقيَّة أَهل البيت عليهم السلام ، نعم في عَالَم القيامة تظهر مقامات أَعظم لسيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله ، وهذا يعني : أَنَّ كمالات ومقامات أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه) مُمَهِّدَة لظهور كمالات ومقامات سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله.

٢ـ إِنَّ فاطمة الزهراء (صلوات اللّـه عليها) يجب أَنْ تبقىٰ تحت هيمنة سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله ، لا تحت هيمنة أَحدٍ من بقيَّة أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) كأَمير المؤمنين عليه السلام ؛ لأَنَّها كفؤ له فكيف تكون تحت هيمنته ، ومن ثَمَّ لهول عظمتها وخطرها ضجَّت المدينة المنوَّرة يوم استشهادها ؛ كيوم استشهاد سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله ؛ لأَنَّ هذا النور النَّبويّ العظيم خفت في الكون في ذلك اليوم من ظاهر عَالَم النشأة الأَرضيَّة. وهذا ما يشير إِليه بيان أَمير المؤمنين عليه السلام بقوله : «**فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إِلى بثِّه سبيلاً**» ؛ فإِنَّه برهانٌ وحيانيٌّ دالٌّ على أَنَّه لم يكن هناك كهف للزهراء عليها السلام غير أَبيها (صلوات اللّـه عليهما وعلى آلهما). وهذه ليس قضيَّة عاطفة ، وإِنَّما بيان لمقام إِلٰهيّ.

وسلسلة عوالم قوس الصعود[١].

ولك أَنْ تَقول : إِنَّ الملائكة بعدما كانوا على طبقات من حيث العصمة؛ احتاجوا إِلى سيِّد وناظم أَرفع درجة ، وأَعلىٰ مقاماً ، وأَعظم شأناً يُدير وينظِّم شؤون وأَحوال وما يحصل من إِصطكاك واختلاف بين تلك الطبقات ، المُشار إِليها في بيانات الوحي ، منها :

بيان قوله عزَّ مَنْ قائل : ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾[٢].

بل الثابت في البحوث العلميَّة : أَنَّ كُلَّ كثرةٍ في مُطلق الحقائق والعلوم ـ وإِنْ كانت من عَالَمَ النُّور ـ تحتاج إِلى وحدة وناظم. ومن ثَمَّ ورد في بيانات الوحي المستفيضة ، بل المتواترة : أَنَّ الإِمام من أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) بعدما كان هو خليفة اللّـه الأَعظم جعلته يد الساحة الإِلٰهيَّة : ناظماً لجملة المخلوقات وعوالمها وأَحوالها وشؤونها ، وميزاناً لها ، وحاكماً عليها وإِلَّا لدبَّ الإِختلاف والفساد في نظام عَالَمَ الخلقة والوجود.

هذه هي حقيقة الإِمامة الإِلٰهيَّة الكبرىٰ الَّتي تمتَّع بها أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) فقط من بين جملة المخلوقات. ومن دون معرفة

---

(١) **ينبغي الإِلتفات** : أَنَّه ورد في بيان الزيارة الجامعة لأَئمَّة المؤمنين عليهم السلام : أَنَّ سبب رقي أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) فوق جملة المخلوقات ، منهم : بقيَّة المخلوقات المكرَّمة ، وفوق كُلّ مُقرَّبٍ ومصطفي : أَنَّ اللّـه عزَّوجلَّ روّض قلوبهم بدرجة عظيمة من الخوف والرجاء لا توجد في قلب مخلوقٍ قَطُّ.

(٢) صَ : ٦٩.

المخلوق لهذه الحقيقة لم يعرف إمامتهم صلوات اللّـه عليهم.

وبالجملة : دور إمامة أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) من بداية الخلقة والوجود إلى ما لا نهاية ؛ لأَنَّها هي الَّتي توصل المخلوق إلى الغاية والكمال المُطلق ، وهو لا متناهي ، فيكون دورها لا متناهٍ أَيضاً.

ويدلُّ عليه :

أَوَّلاً : بيانات الوحي الدَّالَّة على أَنَّ الإمامة الإلٰهيَّة من الدِّين ، بل من أَعمدته وأُسسه وأَركانه ، وحيث إنَّ الدِّين شامل لطُرِّ العوالم والمخلوقات ولكافَّة أَحوالها وشؤونها ـ كما صرَّحت بذلك أَيضاً جملة من بيانات الوحي الوافرة الباهرة ـ فتكون الإمامة الإلٰهيَّة شاملة أَيضاً لجملة العوالم والمخلوقات ، ولكافَّة أَحوالها وشؤونها.

ثانياً : الأَدلَّة الوحيانيَّة الخاصَّة ، منها :

١ـ بيان أَمير المؤمنين عليه السلام : «... **فبنا احتجَّ على خلقه ، فما زلنا في ظلَّةٍ خضراء حيث لا شمس ولا قمر ولا ليل ولا نهار ، ولا عين تطرف ، نعبده ونُقدِّسه ونُسَبِّحه ، وذلك قبل أَنْ يخلق الخلق ، وأَخذ ميثاق الأَنبياء بالإيمان والنصرة لنا... وسوف ينصرونني ، ويكون لي ما بين مشرقها إلى مغربها ، وليبعثنَّ اللّـه أَحياء من آدم إلى محمَّد صلى الله عليه وآله كلَّ نبيٍّ مرسلٍ ، يضربون بين يديَّ بالسيف هام الأَموات والأَحياء والثقلين جميعاً... وإنَّ لي الكرَّة بعد الكرَّة ، والرَّجعة بعد الرَّجعة ، وأنا صاحب الرجعات والكرَّات ، وصاحب الصولات والنقمات ، والدولات العجيبات ... وأَنا صاحب الجنَّة والنَّار ، أسكن أهل الجنَّة الجنَّة ، وأسكن أَهل النَّار النَّار ، وإليَّ تزويج أَهل الجنَّة ،**

وإِليَّ عذاب أَهل النَّار ، وإِليَّ إِياب الخلق جميعاً ، وأَنا الإِياب الَّذي يؤوب إِليه كلّ شيءٍ بعد القضاء ، وإِليَّ حساب الخلق جميعاً ، وأَنا صاحب الهبات ، وأنا المؤذن على الأعراف ... وأنا أمير المؤمنين ، ويعسوب المتقين ، وآية السَّابقين ، ولسان النَّاطقين ... وخليفة ربّ العالمين ، وصراط ربِّي المستقيم ، وفسطاطه، والحُجَّة على أَهل السَّماوات والأَرضين ، وما فيهما وما بينهما ، وأَنا الَّذي احتج اللّـه به عليكم في ابتداء خلقكم ، وأَنا الشَّاهد يوم الدِّين ... وأنا الذي أحصيتُ كُلَّ شيءٍ عدداً بعلم اللّـه الَّذي أودعنيه...»[1].

٢ـ بيانه عليه السلام أَيضاً : «... ويطيعنا كلّ شيءٍ حتَّىٰ السَّماوات والأَرض ، والشَّمس والقمر والنجوم ، والجبال والشجر والدواب والبحار ، والجنَّة والنَّار ... ومع هذا كلّه نأكُل ونشرب ونمشي في الأَسواق ...»[2].

٣ـ بيانه عليه السلام أَيضاً : «... الإِمام ... يختاره اللّـه ويجعل فيه ما يشاء ، ويوجب له بذلك الطَّاعة والولاية على جميع خلقه ، فهو وليه في سماواته وأَرضه ، أَخذ له بذلك العهد على جميع عباده ، فمن تقدَّم عليه كفر باللّـه من فوق عرشه ، فهو يفعل ما يشاء ، وإِذا شاء اللّـه شاء ... فلا يخفىٰ عليه شيء من عَالَم المُلك والملكوت ... الإِمام ... قطب الوجود ، وسماء الجود ، وشرف الموجود ... مهيمن اللّـه على الخلائق ، وأَمينه على الحقائق ... مفترض الطاعة إِلى يوم السَّاعة ... هذا كلّه لآل مُحَمَّد لا يُشاركهم فيه مشارِك ... خلقهم اللّـه من نور عظمته ، وولَّاهم أَمر مملكته ، فهم سرّ اللّـه المخزون

---

(١) بحار الأَنوار ، ٥٣ : ٤٦ ـ ٤٩/ ح٢٠.

(٢) المصدر نفسه ، ٢٦ : ١ ـ ٧/ ح١.

وأَوليآؤه المُقرَّبون ... والسَّماوات والأَرض عند الإمام كيده من راحته يعرف ظاهرها من باطنها ، ويعلم برّها وفاجرها ، ورطبها ويابسها ... فهم ... مبدء الوجود وغايته ، وقدرة الرَّب ومشيَّته ... وحجج اللّـه على الأَوَّلين والآخرين ... وأَنَّ اللّـه لم يخلق أَحداً إِلَّا وأَخذ عليه الإِقرار بالوحدانيَّة ، والولاية للذرِّيَّة الزَّكيَّة ، والبراءة من أَعدائهم...»[1].

٤ـ بيانه عليه السلام أَيضاً ، عن سلمان الفارسي ، قال : «كُنتُ أَنا والحسن والحسين عليهم السلام ومُحمَّد بن الحنفيَّة ومُحمَّد بن أبي بكر وعمَّار بن ياسر والمقداد بن الأَسود الكنديّ رضي اللّـه عنهم ، فقال له ابنه الحسن عليهما السلام : يا أمير المؤمنين، إِنَّ سليمان بن داود عليه السلام سأل ربَّه مُلكاً لا ينبغي لأَحدٍ من بعده فأعطاه ذلك ، فهل ملكتَ مِمَّا ملك سليمان بن داود شيئاً ؟ فقال عليه السلام : والَّذي فلق الحبَّة وبرأ النسمة إِنَّ ... أَباك ملك ما لم يملكه بعد جدّكَ رسول اللّـه صلى الله عليه وآله أَحد قبله ولا يملكه أَحد بعده. فقال الحسن : نريد ترينا مِـمَّا فَضَّلَك اللّـه عزَّوجلَّ به من الكرامة ، فقال عليه السلام : أفعل إِنْ شاء اللّـه ، فقام أَمير المؤمنين عليه السلام ... ثُمَّ أومأ بيده إِلى جهة المغرب فما كان بأسرع من أَنْ جاءت سحابة فوقفت على الدار وإِلى جانبها سحابة أُخرىٰ. فقال أَمير المؤمنين عليه السلام : أَيَّتها السحابة اهبطي بإِذن اللّـه عزَّوجلَّ فهبطت و هي تقول : أَشهد أَنْ لا إِلٰه إِلَّا اللّـه ، وأَنَّ مُحمَّد رسول اللّـه وَأَنَّكَ خليفته[2] ووصيّه ، مَنْ شَكَّ فيك فقد هلكَ ، ومن تمسَّكَ بكَ سلك سبيل النجاة... وأمر الريح فسارت بنا ، وإِذا نحن بملكٍ يده في

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٥ : ١٦٩ ـ ١٧٤/ ح٣٨.

(٢) في المصدر : (وأَنَّك خليفة اللّـه).

المغرب والأُخرىٰ بالمشرق ، فَلَمَّا نظر الملك إِلى أمير المؤمنين عليه السلام قال: أَشهد أَنْ لا إِلٰه إِلَّا اللّٰـه وحده لا شريك له ، وأشهد أَنَّ مُحمّداً عبده ورسوله ... وأشهد أَنَّكَ وصيَّه وخليفته حقّاً وصدقاً ... ثُمَّ إِنَّ أَمير المؤمنين عليه السلام أَمَرَ الريح فسارت بنا إِلى جبل قاف ، فانتهيت[1] إِليه ، وإِذا هو من زمرّدة خضراء وعليها ملك على صورة النسر ، فلمَّا نظر إِلى أَمير المؤمنين عليه السلام قال الملك: السَّلام عليكَ يا وصيّ رسول اللّٰـه وخليفته ، أتأذن لي في الكلام ؟ فَرَدَّ عليه السَّلَام وقال له : إِنْ شئتَ تكلَّم ، وإِنْ شئتَ أخبرتكَ عمَّا تسألني عنه. فقال الملك : بل تقول أَنْتَ يا أمير المؤمنين ، قال : تريد أَنْ آذن لَكَ أَنْ تزور الخضر عليه السلام ، قال : نعم ، فقال عليه السلام: قد أَذِنْتُ لكَ ، فأسرع الملك ... ثُمَّ تمشينا ... فإِذا بالملك قد عاد إِلى مكانه ... فقال سلمان : يا أمير المؤمنين ، رأيتُ الملكَ ما زار الخضر إِلَّا حين أخذ إِذنك. فقال عليه السلام: والَّذي رفع السَّماء بغير عمدٍ ، لو أَنَّ أَحدهم رام أَنْ يزول من مكانه بقدر نفس واحد لَـمَا زال حتَّىٰ آذن له ، وكذلك يصير حال ولدي الحسن وبعده الحسين وتسعة من ولد الحسين ... والَّذي فلق الحبَّة وبرأ النسمة ، إِنِّي لأَملك من ملكوت السَّماوات والأَرض ما لو علمتم ببعضه لَـمَا احتمله جنانكم ... إِنِّي لأَعرفُ بطرق السَّماوات من طرق الأَرض ... لو أَنَّني أَردتُ أَنْ أَجوب الدُّنيا بأسرها والسَّماوات السبع وأرجع في أَقلَّ من الطرف لفعلتُ بما عندي من اسم اللّٰـه الأَعظم ...»[2].

---

(١) في المصدر : (فانتهينا).

(٢) بحار الأَنوار ، ٢٧ : ٣٣ ـ ٤٠/ ح٥.

٥ـ إطلاق بيان خطبة فاطمة الزهراء عليها السلام : «... **وطاعتنا : نظاماً للملَّة، وإمامتنا : أَماناً للفرقة ...**»(١).

٦ـ بيان الإمام الصَّادق عليه السلام : «**مَا مِنْ شيء ولا من آدمي ولا إنسي ولا جنِّي ولا ملك في السماوات إلَّا و نحن الحجج عليهم ، وما خلق اللّـه خلقاً إلَّا وقد عرض ولايتنا عليه ، واحتجَّ بنا عليه ؛ فمؤمن بنا وكافر وجاحد، حتَّىٰ السَّماوات والأَرض والجبال ، الآية**»(٢).

٧ـ بيانه عليه السلام أَيضاً : «**إنَّ للّـه عزَّوجلَّ اثنىٰ عشر أَلف عَالَم ، كُلُّ عَالَم منهم أكبر من سبع سماوات وسبع أَرضين ، ما يرى عَالَم منهم أَنَّ للّـه عَزَّوجلَّ عالَماً غيرهم ، وإنِّي الحُجَّة عليهم**»(٣).

ودلالته ـ كدلالة سوابقه ـ واضحة.

والظَّاهر : أَنَّ ما أَخذ فيه الإمام عليه السلام من عدد ليس من باب الحصر والتحديد ، وإنَّما للدلالة على كثرة العوالم كحال بيان قوله تقدَّس ذكره : ﴿**اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾(٤). فإنَّ المقصود : إنَّ اللّـه (عزَّوجلَّ) لن يغفر لهم مهما استغفر لهم رسول اللّـه صلى الله عليه وآله ، وأَنَّ طبيعة المغفرة لا تنالهم البتَّة ، سواء استغفر صلى الله عليه وآله لهم قليلاً أَو كثيراً ، فَذِكْر (السبعين) جيء به

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٩ : ٢٢٣/ ح٨. الإحتجاج ، ١ : ١٣٤.
(٢) بحار الأَنوار ، ٢٧ : ٤٦/ ح٧. السرائر : ٤٧٣.
(٣) بحار الأَنوار : ٤١/ ح١. الخصال ، ٢ : ١٧١ ـ ١٧٢.
(٤) التوبة : ٨٠.

كناية عن الكثرة ؛ من غير أَن تكون هناك خصوصيَّة للعدد ، فكذا المقام.

والوجه :

إِنَّ ذات الباري سبحانه وتعالىٰ بعدما كانت لا متناهية فكذا أَفعاله ؛ وإِلَّا ـ أَي : لو كانت أَفعاله عزَّوجلَّ محدودة ومتناهية ـ لزم (والعياذ باللّـه تعالىٰ) محدوديَّة ذاته وتناهيه ، وهو كما ترىٰ.

وإِلى هذا أَشارت بيانات الوحي ، منها :

أَوَّلاً : بيان قوله تقدَّست أسماؤه : ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾[1].

ثانياً : بيان قوله تقدَّس ذكره : ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾[2].

ثالثاً : بيان قوله جلَّ قدسه : ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾[3].

ودلالة الجميع واضحة على أَنَّ خلقة اللّـه ومخلوقاته لا متناهية.

وأَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) بعدما كانوا رأس هرم المخلوقات اللَّامتناهية أُوكلت إِليهم جملة أُمورها وشؤونها في طرِّ العوالم اللَّامتناهية أَيضاً.

٨ـ بيانه عليه السلام أَيضاً : «**الحُجَّة قبل الخلق ، ومع الخلق وبعده**»[4].

٩ـ بيان أَبي الحسن عليه السلام ، عن سماعة ، قال : «**قال لي أبو الحَسَن** عليه السلام : **إِذا**

---

(١) النحل : ٩٦.

(٢) لقمان : ٢٧.

(٣) إبراهيم : ٣٤.

(٤) بحار الأَنوار ، ٢٣ : ٣٨/ ح٦٦. إِكمال الدين : ١٢٨ و١٣٥. بصائر الدرجات : ١٤٣.

كان لكَ يا سماعة عند اللّـه حاجة فقل : «اللَّهُمَّ إِنِّي أسألك بحقِّ مُحمَّدٍ وعَلِيٍّ ...» فإنَّه إذا كان يوم القيامة لم يبق ملك مقرَّب ولا نبيٌّ مرسل ولا مؤمن امتحن اللّـه قلبه للإيمان إلَّا وهو محتاج إليهما في ذلك اليوم»[1].

ودلالة الجميع واضحة على أَنَّ إمامة أَهل البيت الأَطهار عليهم السلام مُمتدَّة لغير عَالَم الدُّنيا الأُولىٰ ولغير الثقلين ـ الجنّ والإنس ـ وبضمّ دلالة بعضها للآخر يثبت أَنَّها شاملة لكافَّة العوالم والمخلوقات ، وعامَّة لجميع أَحوالها وشؤونها[2].

وهذا ما عنته بيانات الوحي الأُخرىٰ ، منها :

الأَوَّل : بيان قوله عزَّ من قائل : ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾[3].

الثَّاني : بيان سيِّد الأَنبياء مخاطباً أَمير المؤمنين صلوات اللّـه عليهما وعلى آلهما : «**يا عَلِيّ ، ما بعث اللّـه نبيّاً إلَّا وقد دعاه إلى ولايتكَ طائعاً أَو كارهاً**»[4].

الثَّالث : بيان أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه) : «**إِنَّ اللّـه عرض**

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٧ : ٣١٧/ ح١٥. المحتضر : ١٥٦ ـ ١٥٧.
(٢) مرجع الضمير في : (أَحوالها وشؤونها) : كافَّة العوالم والمخلوقات.
(٣) البقرة : ٣٠.
(٤) بحار الأَنوار ، ٢٦ : ٢٨٠/ ح٢٥. بصائر الدرجات : ٢١.

ولايتي على أَهل السَّماوات وعلى أَهل الأَرض أَقَرَّ بها من أَقَرَّ ، وأَنكرها مَنْ أَنكر ، أَنكرها يونس فحبسه اللّـه في بطن الحوت حتَّىٰ أَقَرَّ بها»[١].

الرَّابع : بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام : «**لا يصلح النَّاس إِلَّا بإِمامٍ ، ولا تصلح الأَرض إِلَّا بذلك**»[٢].

الخامس : بيان إِمضاؤه عليه السلام ، عن وهب بن منبّه ، قال: «**إِنَّ موسىٰ بن عمران** عليه السلام **نظر ليلة الخطاب إِلى كُلِّ شجرٍ في الطور ، وكُلِّ حجرٍ ونباتٍ ينطق بذكر مُحمَّد واثنىٰ عشر وصيّاً له من بعده ، فقال موسى : إِلٰهي ، لا أَرىٰ شيئاً خلقته إِلَّا وهو ناطق بذكر مُحمَّد وأَوصيائه الإِثنىٰ عشر ، فَما منزلة هؤلاء عندكَ؟ قال : يابن عمران ، إِنِّي خلقتهم قبل أَنْ أخلق الأَنوار ، خلقتهم في خزانة قدسي ، ترتع في رياض مشيّتي ، وتتنسَّم من روح جبروتي ، وتشاهد أقطار ملكوتي ، حتَّىٰ إِذا شئتُ مشيّتي أَنفذتُ قضائي وقدري. يابن عمران ، إِنِّي سبّقت بهم السَّبَّاق حتَّىٰ أُزخرف بهم جناني ، يابن عمران ، تمسَّك بذكرهم ؛ فإِنَّهم خزنة علمي ، وعيبة حكمتي ، ومعدن نوري.**

قال حسين بن علوان: فذكرتُ ذلك لجعفر بن محمَّد عليه السلام، فقال: **حَقٌّ ذلك ...**»[٣].

السَّادس : بيان الإِمام الرضا عليه السلام : «**نحن حجج اللّـه في أرضه،**

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٦ : ٢٨٢ / ح٣٤. بصائر الدرجات : ٢٢.
(٢) بحار الأَنوار ، ٢٣ : ٢٢ / ح٢٣. علل الشرائع : ٧٦.
(٣) بحار الأَنوار ، ٢٦ : ٣٠٨/ ح٧٣. مختصر البصائر : ١٥١.

وخلفاؤه في عباده ، وأُمناؤه على سرِّه ، ونحن كلمة التقوىٰ ، والعروة الوثقىٰ، ونحن شهداء اللّـه وأَعلامه في بريَّته ، بنا يمسك اللّـه السَّماوات والأَرض أَنْ تزولا ، وبنا يُنزِّل الغيث ، وينشر الرَّحمة ، لا تخلو الأَرض من قائم منَّا ظاهر أو خاف ، ولو خلت يوماً بغير حُجَّة لماجت بأَهلها كما يموج البحر بأَهله»[1].

ودلالة الجميع واضحة.

ومن ثَمَّ ورد في بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله : «**نحن ولد عبد المطَّلب سادة أَهل الجنَّة : أَنَا ، وحمزة ، وعَلِيّ ، وجعفر ، والحسن ، والحسين ، والمهدي**»[2]. فإِنَّ للجنَّة ناظوم كبقيَّة عوالم الخلقة. وهذا أَمر من بدائع معارف عَالَم الأَصفياء.

إِمامة أَهل البيت عليهم السلام مهيمنة على المخلوقات هيمنة اللَّطيف على الأَغلظ

الطائفة الثانية عشر : ما دلَّ على أَنَّ حقائق أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) وإِمامتهم : (داخلة في جملة العوالم وكافَّة المخلوقات اللامتناهية دخول اللَّطيف في الأَغلظ ؛ لا بالممازجة والمزاولة ، وخارجة منها خروج اللَّطيف عن الأَغلظ ؛ لا بالمباينة والمزايلة).

ويُمثِّلها :

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٣ : ٣٥ / ح٥٩. كمال الدين : ١٧٧.

(٢) بحار الأَنوار ، ٢٢ : ١٤٩. المناقب لابن المغازلي : ٩. سنن ابن ماجة ، ٢ : ١٣٦٨ / ح٤٠٨٧.

دليلٌ عقليٌّ مُركَّب من مُقدّمتين [١]:

الأُولىٰ : أَنَّه ورد في بيانات الوحي المستفيضة ، بل المتواترة قاعدة معرفيَّة وعقليَّة خطيرة ، وهي : (أَنَّ فعل اللّٰـه الأَلطف داخل في الأَشياء والمخلوقات لكن لا بالممازجة والمزاولة ، وخارج عنها لكن لا بالمفارقة والمزايلة).

فانظر : بيانات الوحي ، منها :

بيان أَمير المؤمنين (صلوات اللّٰـه عليه) : «... **هو في الأَشياء على غير ممازجة ، خارج منها على غير مباينة ... داخل في الأَشياء لا كشيءٍ في شيءٍ داخل ، وخارج منها لا كشيءٍ من شيءٍ خارج ...**»[٢].

وهذه القاعدة وإِن أَصَرَّ أَهل المعرفة على حصر جريانها في الأَفعال الإِلٰهيَّة ، لكنَّها تجري أَيضاً في جملة الأَسماء والصِّفات الإِلٰهيَّة ؛ فعليَّة كانت أَم ذاتيَّة.

---

(١) **لا بأس بالإلتفات** إِلى أَنَّ أَحكام العقل على نمطين :
أَحدهما : أَحكام عقليَّة مُستقِلَّة ، ويُعبَّر عنها بـ : (**المُستقِلَّات العقليَّة**).
الأُخرىٰ : أَحكام عقليَّة غير مُستقِلَّة ، ويُعبَّر عنها بـ : (غير المُستقِلَّات العقليَّة).
والفارق بينها : أَنَّه في النَّمط الأَوَّل ـ أَي : المُستقِلَّات العقليَّة ـ العقل يحكم من دون أَنْ يأخذ مُقدّمة من الشرع ويعتمد عليها ، بل كافَّة المُقدّمات الّتي أُخذت في الدَّليل عقليَّة. وهذا بخلافه في النمط الثَّاني ـ أَي : غير المُستقِلَّات العقليَّة ـ فإِنَّ بعضها غير عقليّة. كما هو الحال في المقام ؛ فإِنَّ هاتين المُقدّمتين أعتمد بعضها على بيانات الوحي المعرفيَّة.

(٢) بحار الأَنوار ، ٣ : ٢٧١. توحيد الصدوق : ٢٩٩/ ح١.

المُقَدِّمة الثَّانية : أَنَّ طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة وتتبعها طبقاتها المتوسطة والنَّازلة هي رأس هرم فعل اللّـه الأَقدس والمُقدَّس والأَلطف.

والنتيجة : أَنَّ طبقات حقائق أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) الصَّاعدة وتتبعها طبقاتها المتوسطة والنَّازلة داخلة بالأَوْلىٰ ونافذة في طُرِّ الأَشياء وجملة المخلوقات وعوالمها وشؤونها دخول ونفاذ اللطيف في الأَغلظ ، ومسيطرة ومهيمنة عليها سيطرة وهيمنة اللَّطيف على الأَغلظ ، وداخلة في جميع شراشر المخلوقات وجزئيَّاتها وذرَّاتها وكافَّة عوالمها ومحيطة بها وبدقائق أَحوالها وأُمورها وشؤونها.

بل قُرِّرَ في اكتشافات العلوم الحديثة : (أَنَّ الجسم الأَلطف ينفذ ويسيطر ويتصرِّف في الجسم الأَغلظ). وهذا على خلاف ما يتوهَّمه عامَّة البشر ؛ فيظنُّون العكس.

بل قُرِّرَ في البحوث المعرفيَّة والعقليَّة : (أَنَّ نِسْبَة الأَجسام المتباعدة بالإِضافة إِلى الجسم الأَلطف منها : نِسْبَة واحدة ، كنقطة واحدة ، فضلاً عن نسبتها إِلى الجوهر المُجرَّد ؛ لأَنَّ نسبتها إِليه نِسْبَة تقوُّم).

وهذه معادلة فوق العلوم الرِّياضيَّة ؛ الباحثة عن نِسْبَة الأَجسام ذات الوجود في رتبةِ عرضٍ واحدٍ.

إِذّنْ : جملة العوالم وكافَّة المخلوقات بالنِّسبة إِلى طبقات حقائق أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) سواء وكنقطةٍ واحِدةٍ.

نظيره : نقاط محيط الدائرة ؛ فإِنَّها إِذا قيست إِلى مركزها كانت جميع

هذه النقاط كنقطةٍ واحدةٍ في القرب والبُعد ، وعلى حدٍّ سوآء إِلى مركز الدائرة.

هكذا حال طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة وتتبعها طبقاتها المتوسطة والنازلة ، فإِنَّ جملة المخلوقات وكافَّة العوالم ـ من الذَّرَّة إِلى ما فوق العرش ـ إِذا قيست إِلى هذه الطبقات كانت كشيءٍ واحدٍ ، ومهيمنة على العرش وما فوقه ، وداخلة فيه وفي جميع شراشره وجزئيَّاته ودقائقه وتفاصيله؛ كهيمنتها على الذَّرَّة وإِحاطتها بها وبجملة شراشرها وجزئيَّاتها ودقائقها من دون أَي تفاوت واختلاف وعلى حدٍّ سوآء. بعد الإِلتفات إِلى قاعدة عقليَّة ومعرفيَّة شريفة تذكر في أَبواب المعارف ، وهي : أَنَّه (كُلَّما ازدادت اللَّطافة انعدمت النِّسْب والحجب والفواصل والأَبعاد ؛ مكانيَّة كانت أَم زمانيَّة أَم جرميَّة ، واشتدَّت القدرة والعلم والوجود والحضور).

وهذه قاعدة من خفايا المباحث العقليَّة والمعرفيَّة.

والنتيجة : أَنَّ طبقات حقائق أَهل البيت (صلوات اللّٰه عليهم) وإِمامتهم ـ بعدما كانت أَلطف مخلوقات الباري (تقدَّس ذكره) على الإِطلاق كانت ـ داخلة في ظواهر وبواطن وأَسرار وشراشر جميع الأَشياء ، وسائر المخلوقات ، وكافَّة عوالمها وشؤونها وأَحوالها وجزئيَّاتها وذرَّاتها دخول اللطيف في الأَغلظ ؛ من دون مزاولة ومماز جة ، ومحيطة بها ومهيمنة عليها إِحاطة وهيمنة اللطيف على الأَغلظ ، وخارجة منها خروج اللطيف من الأَغلظ من دون مزايلة ومباينة.

ومنه يتَّضح : الجمّ الغفير من بيانات الوحي المعرفيَّة الباهرة ، منها :

١ـ بيان أَمير المؤمنين عليه السلام ، الوارد في حقِّ أَهل البيت عليهم السلام: «**... الإِمام ... يرىٰ ما بين المشرق والمغرب ، فلا يخفىٰ عليه شيء من عَالَم الملك والملكوت ... والسَّماوات والأَرض عند الإِمام كيده من راحته ، يعرف ظاهرها من باطنها ، ويعلم بِرّها من فاجرها ، ورطبها ويابسها ... ومن أَنكر ذلك فهو شقيٌّ ملعون يلعنه اللّـه ويلعنه اللاعنون...**»[1].

٢ـ بيانه عليه السلام أَيضاً : «**... ومِنَّا الرقيب على خلق اللّـه ... وحُجَّته بين العباد ، إِذ يقول اللّـه : ﴿اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[2] ...**»[3].

٣ـ بيانه عليه السلام أَيضاً : «**أَنا أُورِثُ من النَّبيِّين إِلى الوصيّين ، ومن الوصيّين إِلى النَّبيّين ، وما بعث اللّـه نبيّاً إِلَّا وأَنا أَقضي دينه وانجز عداته ...**»[4].

٤ـ بيانه عليه السلام أَيضاً ، عن الإِمام الصَّادق عليه السلام : «**أَنَّ جويرية بن عمر العبدي خاصمه رَجُلٌ في فرس أُنثىٰ فادَّعيا جميعاً الفرس ، فقال أَمير المؤمنين عليه السلام: لواحد منكما البيِّنة ؟ فقالا : لا. فقال لجويرية : أعطه الفرس. فقال له : يا أمير المؤمنين ، بلا بيِّنَة ؟ فقال له : واللّـه لأَنا أَعلم بِكَ منكَ**

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٥ : ١٦٩ ـ ١٧٤/ ح٣٨.
(٢) النساء : ١.
(٣) بحار الأَنوار ، ٣٩ : ٣٥٠ ـ ٣٥١/ ح٢٤. تفسير فرات : ٦١ ـ ٦٢.
(٤) المصدر نفسه / ح٢٣. تفسير فرات : ١٣.

بنفسكَ ، أتنسىٰ صنيعك بالجاهليَّة الجهلاء ؟ فأخبره بذلك»[١].

٥ـ بيان الإمام الرضا عليه السلام : «... **ونحن شهداء اللّـه وأَعلامه في بريَّته ، بنا يمسك اللّـه السَّماوات والأَرض أَنْ تزولا ...لا تخلو الأَرض من قائم مِنّا ظاهر أَو خاف ، ولو خلت يوماً بغير حُجَّة لماجت بأَهلها كما يموج البحر بأهله**»[٢].

٦ـ بيان زيارتهم (صلوات اللّـه عليهم) : «... **بأبي أَنتم وأُمّي ونفسي وأَهلي ومالي ذكركم في الذاكرين ، وأَسماؤكم في الأَسماء ، وأَجسادكم في الأَجساد ، وأَرواحكم في الأَرواح ، وأَنفسكم في النفوس ، فما أَحلىٰ أَسماءكم، وأَكرم نفوسكم ، وأَعظم شأنكم ، وأَجلَّ خطركم ، وأَعلىٰ أَقداركم ...**»[٣].

٧ـ ما ورد عن صفوان بن يحيىٰ ، عن جعفر بن مُحَمَّد بن الأَشعث ، قال : «**أَتدري ما كان سبب دخولنا في هذا الأَمر ومعرفتنا به ، وما كان عندنا فيه ذكر ولا معرفة بشيءٍ مِمَّا عند النَّاس ؟ قال : قلتُ له : ما ذاك ؟ قال : إِنَّ أَبا جعفر – يعني : أبا الدوانيق – قال لأَبي مُحَمَّد بن الأَشعث : يا مُحَمَّد ، ابغ لي رجلاً له عقل يُؤدِّي عنِّي. فقال له : إِنِّي قد أَصبته لكَ ، هذا فلان ابن مهاجر خالي. قال : فائتني به. قال : فأتاه بخاله. فقال له أبو جعفر : يابن مهاجر ، خُذ هذا المال – فأعطاه أُلوف دنانير أَو ما شاء اللّـه من ذلك – وائتِ المدينة والقِ عبداللّـه بن الحسن وعدَّة من أَهل بيته فيهم جعفر بن مُحَمَّد ، فقل لهم:**

---

(١) بحار الأَنوار ، ٤١ : ٢٨٨/ ح١١. بصائر الدرجات ، ١ : ٤٨٣/ ح٨٩٥ـ ١١.
(٢) بحار الأَنوار ، ٢٣ : ٣٥ / ح٥٩. كمال الدين : ١٧٧.
(٣) بحار الأَنوار ، ٩٩ : ١٥٤. كتاب من لا يحضره الفقيه ، ٢ : ٣٧٤.

إِنِّي رجل غريب من أَهل خراسان ، وبها شيعة من شيعتكم ؛ وجَّهوا إِليكم بهذا المال ، فادفع إِلى كلِّ واحدٍ منهم على هذا الشرط كذا وكذا ، فإذا قبضوا المال فقل : إِنِّي رسول وأُحبّ أَنْ يكون معي خطوطكم بقبضكم ما قبضتم مِنِّي. قال : فأخذ المال وأتىٰ المدينة ثُمَّ رجع إِلى أَبي جعفر ـ وكان مُحَمَّد بن الأَشعث عنده ـ فقال أَبو جعفر : ما وراكَ ؟ قال : أَتيتُ القوم وفعلتُ ما أَمرتني به ، وهذه خطوطهم بقبضهم المال ، خلا جعفر بن محمَّد ... فأَخبرني بجميع ما جرىٰ بيني وبينكَ حتَّىٰ كأَنَّه كان ثالثنا...»[1].

الإِمامة الإِلهيَّة : تجلِّيات للذات الإِلهيَّة المُقدَّسة

الطائفة الثالثة عشر : ما دلَّ على أَنَّ المعرفة الأَتمَّ بأَهل البيت عليهم السلام : معرفتهم بالأَسمآء الإِلٰهيَّة وبأَعالي النوريَّة. وعبَّر الفلاسفة عن هذه المرتبة بـ : (الإِنيَّات المحضة) ؛ لإِنمحاء الجنبة المخلوقيَّة في حقائقهم عليهم السلام المُقدَّسة في هذه المرتبة ، فلا يُلحظ فيها : مُحَمَّد ، وعَلِيّ ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين ، وإِنَّما حميد ، والأَعلىٰ ، وفاطر ، ومحسن ، وقديم الإِحسان ، فتضمحلُ فيها[2] الماهيَّات ؛ لشدَّة تأَجُّج نور الوجود فيها ، فأَصبحت حقائقهم عليهم السلام تجلِّيات

---

(١) بحار الأَنوار ، ٤٧ : ٧٥ ـ ٧٦/ح٣٩. بصائر الدرجات ، ١ : ٤٧٩ ـ ٤٨١/ح٨٩١ ـ ٧. الكافي، ١: ٤٧٥/ح٦. دلائل الإِمامة للطبري : ٢٦٦ ـ ٢٦٧/ح١٩٦.

(٢) مرجع الضمير في كلمة : (فيها) : (في هذه المرتبة من ذوات أَهل البيت عليهم السلام المقدَّسة).

وعلى هذا قس مرجعه في كلمة : (فيها) التالية.

للذات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة ، وأَسماء وصفات إِلٰهيَّة.

ويُمثِّل هذه الطائفة :

أَوَّلاً : بيان أَمير المؤمنين عليه السلام : «**... نحن الاسم المكنون ، نحن الأَسماء الحسنىٰ الَّتي إِذا سُئِلَ اللّٰـه عزَّوجلَّ بها أَجاب ، نحن الأَسماء المكتوبة على العرش ، ولأَجلنا خلق اللّٰـه عزَّوجلَّ السَّماء والأَرض والعرش والكرسي والجنَّة والنَّار ...**»[1].

ثانياً : بيانه عليه السلام أَيضاً : «**إِنَّ اللّٰـه تبارك وتعالىٰ أَحد واحد ، تفرَّد في وحدانيَّته ، ثُمَّ تكلَّم بكلمة فصارت نوراً ، ثُمَّ خلق من ذلك النور محمَّداً صلى الله عليه وآله وخلقني وذريَّتي ، ثُمَّ تكلَّم بكلمة فصارت روحاً ، فأسكنه اللّٰـه في ذلك النُّور ، وأَسكنه في أَبداننا ، فنحن روح اللّٰـه وكلماته ... وأَنا كلمة اللّٰـه الَّتي يجمع بها المفترق ويُفرَّق بها المجتمع ، وأنا أَسماء اللّٰـه الحسنىٰ ، وأَمثاله العليا، وآياته الكبرىٰ ... وأَنا الَّذي أَنحلني ربِّي اسمه وحكمته وعلمه وفهمه ...**»[2].

ثالثاً : بيان الإِمام الباقر عليه السلام : «**إِنَّ اللّٰـه تعالىٰ خلق أَربعة عشر نوراً من نور عظمته قبل خلق آدم بأَربعة عشر أَلف عام فهي أَرواحنا ... عرفنا من عرفنا وجهلنا من جهلنا ، نحن الأَسماء الحسنىٰ الَّتي لا يقبل اللّٰـه من العباد عملاً إِلَّا بمعرفتنا ... وجعلنا عينه على عباده ، ولسانه النَّاطق في خلقه ، ويده المبسوطة عليهم بالرأفة والرَّحمة ، ووجهه الَّذي يؤتىٰ منه ، وبابه الَّذي يدلُّ**

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٧ : ٣٣ـ ٣٨/ ح٥.

(٢) المصدر نفسه ، ٥٣ : ٤٦ ـ ٤٨ / ح٢٠.

عليه ... وبنا أَثمرت الأَشجار ، وأَينعت الثمار ، وجرت الأَنهار ، ونزل الغيث من السَّمآء ، ونبت عشب الأَرض ... وأَيم اللّـه ، لولا وصيَّة سبقت وعهد أُخذ علينا لقلتُ : قولاً يعجب منه أَو يذهل منه الأَولون والآخرون»[1].

رابعاً : بيان النَّاحية المُقدَّسة : «**... ونحن صنائع ربنا ، والخلق بعد صنائعنا ...**»[2].

خامساً : بيان دعاء النَّاحية المقدَّسة الوارد في أَيام شهر رجب : «**... أَسألك بما نطق فيهم من مشيَّتك ، فجعلتهم معادن لكلماتك ، وأَركاناً لتوحيدك ، وآياتك ، ومقاماتك الَّتي لا تعطيل لها في كلِّ مكان ، يعرفكَ بها من عرفكَ ، لا فرق بينكَ وبينها إِلَّا أَنَّهم عبادكَ وخلقكَ ، فتقها ورتقها بيدك، بدؤها منك وعودها إِليكَ ...**»[3].

ودلالة الجميع واضحة.

عصارة ما تقدَّم :

وإِلى كلِّ ما تقدَّم من طوائف وأَركان حقيقة الإِمامة الإِلٰهيَّة لأَهل البيت عليهم السلام ، وحقيقة الإِمام منهم (صلوات اللّـه عليهم) أَشار إِطلاق بيان الإِمام الرِّضا عليه السلام : «**... إِنَّ الإِمامة: أجلُّ قدراً ، وأَعظم شأناً ، وأَعلىٰ مكاناً ،**

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٥ : ٤/ ح٧. المحتضر : ١٢٩.
(٢) بحار الأَنوار ، ٥٣ : ١٧٨ / ح٩. غيبة الشيخ : ١٨٤ ـ ١٨٥. الاحتجاج : ٢٥٣.
(٣) بحار الأَنوار ، ٩٥ : ٣٩٢ ـ ٣٩٣.

وأَمنع جانباً ، وأَبعد غوراً من أَنْ يبلغها النَّاس بعقولهم ، أَو ينالوها بآرائهم ، أَو يقيموا إماماً باختيارهم... إِنَّ الإِمامة : زمام الدِّين ، ونظام المسلمين ، وصلاح الدُّنيا وعزّ المؤمنين ... الإِمام : كالشَّمس الطالعة للعَالَمَ وهي بالأُفق بحيث لا تنالها الأَيدي والأَبصار ، الإِمام : البدر المنير ، والسراج الزاهر ، والنور السَّاطع ، والنجم الهادي في غياهب الدجىٰ ، والبيد القفار ولجج البحار ... الدَّالّ على الهدىٰ ، والمنجي من الردىٰ ... والدليل في المهالك ، مَنْ فارقه فهالك ، الإِمام: السحاب الماطر ، والغيث الهاطل ، والشَّمس المضيئة ، والأَرض البسيطة ، والعين الغزيرة ، والغدير ، والروضة ... ومفزع العباد في الداهية ... أَمين اللّٰـه في أَرضه وحُجَّته على عباده ... الدَّاعي إِلى اللّٰـه ، والذَّاب عن حرم اللّٰـه ... واحد دهره ، لا يدانيه أَحد ، ولا يعادله عَالِم ، ولا يوجد منه بدل ، ولا له مَثْل ولا نظير ، مخصوص بالفضل كلّه من غير طلب منه له ولا اكتساب ... فَمَنْ ذا الَّذي يبلغ معرفة الإِمام ، ويمكنه اختياره؟! هيهات هيهات! ضلَّت العقول ، وتاهت الحلوم ، وحارت الأَلباب، وحسرت العيون ، وتصاغرت العظماء ، وتحيَّرت الحُكماء ، وتقاصرت الحُلماء، وحصرت الخطباء ، وجهلت الأَلباب ، وكلَّت الشعراء ، وعجزت الأُدباء ، وعييت البلغاء عن وصف شأن من شأنه ، أَو فضيلة من فضائله ، فأقرَّت بالعجز والتقصير ، وكيف يُوصف له ، أو يُنعت بكُنْهه ، أَو يُفهم شيء من أَمره ، أَو يوجد من يُقام مقامه ويُغني غناه!! لا كيف وأَنَّىٰ وهو بحيث النجم من أَيدي المتناولين، ووصف الواصفين ، فأَين الاختيار من هذا؟ وأَين العقول عن هذا؟ وأَين يوجد مِثل هذا ؟ أَظنوا أَنْ يوجد ذلك في

غير آل الرسول صلى الله عليه وآله؟! كذبتهم واللّـه أنفسهم ، ومنّتهم الباطل ، فارتقوا مرتقىٰ صعباً دحضاً ، تزلّ عنه إلى الحضيض أَقدامهم ، راموا إقامة الإمام بقول جائر[1] بائرة ناقصة ، وآراء مضلَّة ، فلم يزدادوا منه إلّا بعداً ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[2] ... والإمام : عَالِم لا يجهل ، راع لا ينكل ، معدن القدس والطهارة ، والنسك والزهادة ، والعلم والعبادة ... مضطلع بالإمامة عَالِم بالسياسة ، مفروض الطَّاعة ، قائم بأمر اللّـه عزَّوجلَّ ، ناصح لعباد اللّـه، حافظ لدين اللّـه[3]. إنَّ الأَنبياء والأئمَّة (صلوات اللّـه عليهم): يوفقهم اللّـه ويؤتيهم من مخزون علمه وحكمه ما لا يؤتيه غيرهم ... وإنَّ العبد إذا أَختاره اللّـه عزَّوجلَّ لأُمور عباده شرح اللّـه صدره لذلك وأَودع قلبه ينابيع الحكمة وأَلهمه العلم إلهاماً ، فلم يعي بعده بجواب ، ولا يحيد فيه عن الصواب ، وهو : معصوم مؤيد موفَّق مُسدَّد ، قد أَمن الخطايا والزلل والعثار ، يخصَّه اللّـه بذلك ؛ ليكون حُجَّته على عباده ، وشاهده على خلقه ...»[4].

---

(١) خ . ل : (بعقول حائرة).

(٢) التوبة : ٣٠.

(٣) في كتاب الغيبة : (حافظ لسرِّ اللّـه).

(٤) بحار الأَنوار ، ٢٥ : ١٢٠ ـ ١٢٨/ح٤. إكمال الدين : ٣٨٠ ـ ٣٨٣. معاني الأَخبار : ٣٣ ـ ٣٤. عيون أَخبار الرِّضا عليه السلام ، ١ : ١٦٣ـ ١٦٦/ح١.

التعريف المناسب لحقيقة إمامة أَهل البيت عليهم السلام

ومن كلِّ ما تقدَّم يتَّضح : أَنَّ المناسب لتعريف ماهيَّة وحقيقة إِمامة أَهل البيت عليهم السلام الإِلٰهيَّة أَنْ يُقال : إِنَّها «جعلٌ إِلٰهيٌّ تكوينيٌّ ، وبعثة إِلٰهيَّة ، وشراكة مقامات إِلٰهيَّة تابعة لمقامات سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله ، وهداية إِيصاليَّة توصل مَنْ تمسَّكَ بها من جملة العوالم وكافَّة المخلوقات اللامتناهية إِلى الكمال المُطلق ، وكماله الأَخير ، مفروضة الطَّاعة على جملة العوالم والمخلوقات ، لها أَيادٍ إِلٰهيَّة خطيرة ومهولة ؛ ذو قدرات لا متناهية ، مودعة في الهياكل البشريَّة ، وصاحبة علم لدنِّي وتأويل ، ووحي وحبل غيبيّ إِبداعي تكوينيّ ممدود من أَعماق الغيب إِلى بدن الإِمام عليه السلام من دون واسطة ، وتجلِّيات إِلٰهيَّة كاشفة عن كمال وشؤون السَّاحة الإِلٰهيَّة ؛ وموارد سخطها ورضاها ، ولها سرّ وعلانية ، حاكمة على كافَّة العوالم والمخلوقات ، ومهيمنة عليها هيمنة اللَّطيف على الأَغلظ».

التَّعريف المناسب لماهية وحقيقة الإِمام عليه السلام

ومنه يتَّضح : التعريف المناسب لماهيَّة وحقيقة الإِمام من أَهل البيت عليهم السلام ـ كما صرَّحت به بيانات الوحي أَيضاً ـ وهو أَنْ يُقال : «**الإِمام بشر ملكي ، وجسده سماويٌّ ، وأَمره إِلٰهيّ ، وروح قدسيٌّ ، ومقامٌ عَلِيٌّ ، ونورٌ جليٌّ، وسرٌّ خفيٌّ ، فهو ملك الذات ، إِلٰهيّ الصفات ، ظاهره أَمر لا يُملك ، وباطنه غيب لا يُدرك**».

خاتمة

وفي الختام نذكر قضايا ، بعضها توضيح أَكثر لِـمَا تقدَّم :

القضيَّة الأُوْلى :

أَبدان أهل البيت عليهم السلام أَبدان سماويَّة نوريَّة

طهارة دم أَهل البيت عليهم السلام وكُلّ ما يعرض على أَبدانهم الشريفة

إِنَّه يتَّضح من تعريف ماهيَّة وحقيقة الإِمام من أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) ، المستفاد من بيانات الوحي المُستفيضة ، بل المتواترة بالتواتر العقلي ، منها : ما تقدَّم ، وما سيأتي (إِنْ شاء اللّـه تعالىٰ) : أَنَّ أَبدان أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) أَبدان سماويَّة نوريَّة ، وصفاتها وصفاتهم صفات إِلٰهيَّة ، محكوم على كُلِّ ما يتعلَّق بها بالنُّور والطهارة ، وليست أَبدان أَرضيَّة كبقيَّة البشر ؛ كيما يُحكم على بعض شؤونها كـ : (الدم ، والبول وما شاكلهما) بالنجاسة ، والنهي الوارد عن تناولها ـ مع أَنَّها طاهرةٌ وأَشعَّة نور ـ جريان للسُّنَّة ، وإِنْ شئت قلتَ : حكم تكليفي ، ومن الواضح : أَنَّه لا ملازمة بين الحكم التكليفي والحكم الوضعي ؛ فقد يُحكم بطهارة الشيء ، كالبصاق بعد إِلقائه خارج الفم ، لكن لا يجوز تكليفاً تناوله وبلعه بعد ذلك.

وهذا ما صرَّحت به بيانات الوحي ، منها :

بيان أَمير المؤمنين عليه السلام : «... **والإِمام ... بشر ملكيّ ، وجسد سماويّ، وأَمر إِلٰهيّ ، وروح قدسيّ ، ومقام عَلِيّ ، ونور جليّ ، وسرّ خفيّ ، فهو ملك**

الذات ، إِلٰهي الصفات ... هذا كُلّه لآل مُحمَّد لا يُشاركهم فيه مُشارك... فهم الكواكب العِلْوَيَّة والأَنوار العَلَوَيَّة المُشرقة من شمس العصمة الفاطميَّة ، في سماء العظمة المُحمَّديَّة ، والأَغصان النَّبويَّة النَّابتة في دوحة الأَحمديَّة ، والأَسرار الإِلٰهيَّة المودعة في الهياكل البشريَّة ...»[1].

ودلالته واضحة.

بل وتشير إِليه أَيضاً بيانات الوحي الأُخرىٰ ، منها :

بيان قوله جلَّ شأنه : ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ * وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ﴾[2].

بل لو كانت أَبدان أَهل البيت وأَبدان الأَنبياء عليهم السلام أَرضيَّة كيف تحمَّلت وقويت وأَمكن العروج بها إِلى السَّماوات ؟! بل كيف عُرج ببدن سيِّد الأَنبياء وأَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليهما وعلى آلهما) بدمهما ولحمهما ـ كما هو ظاهر، بل صريح بيانات الوحي ـ فوق السَّماوات السبع؟! إِنَّ هذه الأَبدان الأَرضيَّة الغليظة ليست من سنخ العوالم السَّماويَّة اللَّطيفة الصَّاعدة كيما يمكنها التَّواجد في تلك العوالم ، ومن ثَمَّ لا تكون تلك الأَبدان الَّتي تواجدت في السَّماوات السَّبع ؟! بل وفوقها ليست إِلَّا من سنخ تلك العوالم ، بل ومن عوالم نُوريَّة صاعدة فوق عوالم أَبدان جملة الملائكة وغيرها ؛ بحيث لا يتحمَّلها بدن جبرئيل عليه السلام ، ولو دنا منها أنملة لاحترق ؛ ومن ثَمَّ كيف

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٥ : ١٦٩ ـ ١٧٤/ ح٣٨.

(٢) الأنعام : ٨ ـ ٩.

يُمكن تصوُّر نجاسة بعض شؤونها وأَحوالها ولوازمها!!

فانظر : بيانات حديث المعراج ، منها :

أَوَّلاً : بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله ، عن أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه) ، قال : «... **فلَمَّا انتهيتُ إِلى حُجب النُّور قال لي جبرئيل : تَقَدَّم يا مُحَمَّد، وتخلَّفَ عنِّي ، فقلتُ : يا جبرئيل في مثل هذا الموضع تفارقني!! فقال : يا مُحمَّد ، إِنَّ انتهاء حدِّي الَّذي وضعني اللّـه عزَّوجلَّ فيه إِلى هذا المكان ، فإِنْ تجاوزته احترقت أَجنحتي بتعدِّي حدود ربِّي جلَّ جلاله ، فزُخَّ بي في النُّور زَخَّةً حتَّىٰ انتهيتُ إِلى حيث ما شاء اللّـه من علوِّ ملكه ...**»[1].

ثانياً : عن ابن عبَّاس ، قال : «... **فلَمَّا بلغ سدرة المُنتهىٰ فانتهىٰ إِلى الحُجُب فقال جبرئيل : تقدَّم يا رسول الله ، ليس لي أَنْ أَجوز هذا المكان ، ولو دنوتُ أَنملةً لاحترقتُ**»[2].

ودلالتها واضحة.

ومن كُلِّ هذا تتَّضح : نُكات وفلسفات كثير من بيانات الوحي ، منها:

١ـ بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله ، عن أَبي ظبية (خ .ل: أَبي طيبة) ، قال: «حجمت رسول اللّـه صلى الله عليه وآله وأعطاني ديناراً وشربت دمه ، **فقال رسول**

---

(١) بحار الأَنوار ، ١٨ : ٣٤٥ ـ ٣٤٧/ ح٥٦. علل الشرائع : ١٣ ـ ١٤. عيون أَخبار الرِّضا عليه السلام : ١٤٤ ـ ١٤٦.

(٢) بحار الأَنوار ، ١٨ : ٣٨٢.

اللّـه صلى الله عليه وآله: **أَشَربتَ**[١]؟ قلتُ : نعم، **قال: وما حملك على ذلك؟** قلتُ: أَتبَرَّك به. **قال: أَخذت أَماناً من الأَوجاع والأَسقام ، والفقر والفاقة ، واللّـه ، ما تمسَّكَ النَّار أَبداً»**[٢].

٢ـ بيانه صلى الله عليه وآله ، عن تفسير الإِمام الحسن العسكري عليه السلام ، قال : «**وأَمَّا الدَّم، فإِنَّ رسول اللّـه احتجم مرَّة ؛ فدفع الدم الخارج منه إِلى أَبي سعيد الخدري وقال له : غيِّبه. فذهب فشربه ... فقال رسول اللّـه صلى الله عليه وآله : إِيّاك وأَنْ تعود لمثل هذا ، ثُمَّ اعلم ، إِنَّ اللّـه قد حرم على النَّار لحمك ودمكَ لـمَّا اختلط بدمي ولحمي...**»[٣].

٣ـ تقريره صلى الله عليه وآله لِـمَ كان يفعله الصحابة ، عن ما رآه عروة بن مسعود حين وجَّهته قريش عام القضيَّة إِلى رسول اللّـه صلى الله عليه وآله ، فإِنَّه : «**رأىٰ من تعظيم أَصحابه له ، وإِنَّه لا يتوضَّأ إِلَّا ابتدروا وضوءه ، وكادوا يُقتلون عليه ، ولا يبصق بصاقاً ولا يتنخَّم نخامة إِلَّا تلقَّوها بأَكفِّهم فدلكوا بها وجوههم وأَجسادهم ، ولا تسقط منه شعرة إِلَّا ابتدروها ...**»[٤].

٤ـ عن القاسم الصيقل ، قال : «كتبتُ إِليه: جُعِلْتُ فداك هل اغتسل أمير المؤمنين عليه السلام حين غَسَّلَ رسول اللّـه صلى الله عليه وآله عند موته ؟ فأجابه: **النَّبيّ** صلى الله عليه وآله

---

(١) في المصدر : (أشربته ؟).

(٢) بحار الأَنوار ، ١٧ : ٣٣/ ح١٦. طب الأَئمَّة : ٦٩ ـ ٧٠.

(٣) بحار الأَنوار ، ١٧ : ٢٧٠ / ح٦. التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام : ١٦٥ ـ ١٧٠.

(٤) بحار الأَنوار ، ١٧ : ٣٢/ ح١٤. شرح الشفاء ، ١ : ٦٧ ـ ٧٢.

طاهر مُطَهَّر ، ولكن أَمير المؤمنين عليه السلام فعل، وجرت به السُّنَّة»[١].

٥ـ بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام : «**إِنَّ نطفة الإِمام من الجنَّة ، وإِذا وقع من بطن أُمِّه إِلى الأَرض وقع وهو واضع يده إلى الأَرض ، رافع رأسه إلى السَّمآء ...**»[٢].

٦ـ بيان زيارة أَهل البيت عليهم السلام : «**... بأَنَّ اللّٰـه جلَّ جلاله قد طهَّركم من الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ومن كلِّ ريبة ورجاسة ودناءة ونجاسة ...**»[٣].

ودلالة الجميع واضحة على أَنَّ كُلَّ ما كان محكوماً عليه شرعاً في حقِّ ما يصدر من قضايا وأَحوال وشؤون أَبدان بقيَّة البشر بالخباثة والنَّجاسة محكوماً عليه في حقِّ أَحوال وشؤون ما يصدر من أَبدان أَهل البيت (صلوات اللّٰـه عليهم) بالنُّور والطُّهر والطَّهارة.

والنكتة : ما تقدَّم ؛ فإِنَّ أَبدانهم (صلوات اللّٰـه عليهم) الشَّريفة المُقدَّسة ليست أَرضيَّة ؛ كأَبدان بقيَّة البشر ، بل سماويَّة نوريَّة ، وكُلُّ ما يصدر منها أَشعَّة نور وطهر وطهارة. فالتفت واغتنم تربت يداك.

٧ـ إِطلاق بيان زيارة أَمير المؤمنين عليه السلام : «**... يَا مَنْ حظي بكرامة ربّه فجلَّ عن الصفات ، واشتُقَّ من نوره ...**»[٤].

ودلالته قد اتَّضحت ؛ من أَنَّ صفات أَهل البيت (صلوات اللّٰـه

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٢ : ٥٤٠ ـ ٥٤١ / ح٥٠. تهذيب بيت الأَحكام ، ١ : ٣٠.
(٢) بحار الأَنوار ، ٢٥ : ٣٧ / ح٤. بصائر الدرجات ، ١ : ٤٣٦/ ح٨٢٤ ـ ١٤.
(٣) بحار الأَنوار ، ٩٧ : ٢٠٨.
(٤) المصدر نفسه : ٣٤٧ ـ ٣٥٢. المزار الكبير : ٩٧ ـ ١٠١.

عليهم) لا تُقاس بصفات بقيَّة البشر ، سوآء أَكانت تلك الصِّفات مُتعلِّقة بأَبدانهم وظواهر أَحوالهم وشؤونهم ، أَم كانت مُتعلِّقة ببواطنهم وأَرواحهم وبقيَّة طبقات حقائقهم ؛ فإِنَّ أَبدانهم (صلوات اللّـه عليهم) الشريفة المُقدَّسة بعدما كانت سماويَّة نوريَّة ، وصفاتهم (صلوات اللّـه عليهم) بعدما كانت إِلٰهيَّة ؛ وعكوسات لصفات وشؤون الذات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة ـ كما صرَّحت بذلك بيانات الوحي المتواترة بالتواتر العقلي ، بل الوحياني ، بل اللَّفظي ، منها: ما تقدَّم ـ جلَّت صفاتهم وأَحوالهم وشؤونهم (صلوات اللّـه عليهم) وصفات وأَحوال وشؤون أَبدانهم الشَّريفة المُقدَّسة عن صفات وأَحوال وشؤون بقيَّة المخلوقات، وعن صفات وأَحوال وشؤون أَبدان المخلوقات الأَرضيَّة.

٨ـ بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام : «**ما مِنْ نبيٍّ ولا وصيٍّ يبقىٰ في الأَرض أَكثر من ثلاثة أَيَّام حتَّىٰ يُرفع بروحه وعظمه ولحمه إِلى السَّمآء ، وإِنَّما يُؤتىٰ مواضع آثارهم ، و يبلِّغونهم من بعيد السَّلام ، ويسمعونهم على آثارهم من قريب**»[1].

ودلالته قد اتَّضحت أَيضاً ؛ فإِنَّ أَبدان أَهل البيت والأَنبياء والأَوصياء عليهم السلام ؛ بعدما كان سنخها أَبدان سماويَّة ، وأَشعَّة نور فلا يُناسبها بعد الموت أَو الشهادة إِلَّا أَنْ تُرفع وتوضع في عوالمها وأَماكنها المناسبة من السَّماوات والعوالم الصَّاعدة ، وهي على مراتب وطبقات.

٩ـ بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله ؛ منضمّاً إِليه بيان أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه

(١) بحار الأَنوار ، ٢٢ : ٥٥٠/ ح٣. بصائر الدرجات ، ٢ : ٣٤٩/ ح١٥٨٦ ـ ٨.

عليه) : «...**أَيُّهَا اَلنَّاسُ ، خُذُوهَا عَنْ خَاتَمِ اَلنَّبِيِّينَ صلى الله عليه وآله: «إِنَّهُ يَمُوتُ مَنْ مَاتَ مِنَّا وَلَيْسَ بِمَيِّتٍ ، وَيَبْلَى مَنْ بَلِيَ مِنَّا وَلَيْسَ بِبَالٍ» ، فَلاَ تَقُولُوا بِمَا لاَ تَعْرِفُونَ ؛ فَإِنَّ أَكْثَرَ اَلْحَقِّ فِيمَا تُنْكِرُونَ...**»[1].

١٠ـ بيانه صلى الله عليه وآله في وصيَّته لأَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه) ، عن الإِمام الصادق عليه السلام ، قال : «**لَـمَّا حضر رسول اللّـه صلى الله عليه وآله الممات دخل عليه عَلِـيٌّ عليه السلام ، فأدخل رأسه معه ، ثُمَّ قال : يا عَلِيّ ، إِذا أَنا متُّ فَغَسِّلْنِي وكفِّنِّي ، ثُمَّ أَقعدني وسائلني واكتب**».

وفي تهذيب الأَحكام : «**فَخُذ بمجامع كفني وأَجلسني ، ثُمَّ اسألني عمَّا شئتَ ، فواللّـه لا تسألني عن شيءٍ إِلَّا أَجبتكَ فيه**».

وفي رواية أَبي عوانة بإِسناده : قال عَلِيٌّ : «**ففعلتُ ، فأنبأني بما هو كائن إِلى يوم القيامة**».

وعن جميع بن عمير التميميّ ، عن عائشة في خبر أَنَّها قالت : «**وسَالَت نفس رسول اللّـه صلى الله عليه وآله في كفِّه ثُمَّ ردَّها في فيه**»[2].

١١ـ بيان أَمير المؤمنين عليه السلام : «...**إِنَّ مَيِّتنا لم يمت ، وغائبنا لم يغب ، وإِنَّ قتلانا لن يُقتلوا...**»[3].

١٢ـ ما حصل أَثناء خطبته عليه السلام ، عن ميثم التَّمار ، قال : «... فصاح زيد ابن كثير المرادي ، وقال: يا أَمير المؤمنين ، تقول بالأَمس وأَنتَ تُجهِّز إِلى معاوية وتحرِّضنا على قتاله ... فتقول لنا : ... لو شئتُ أَنْ أَضرب برجلي هذه

---

(١) نهج البلاغة / خ٨٦ : ١٤٣.
(٢) بحار الأَنوار ، ٤٠ : ١٥٢.
(٣) المصدر نفسه ، ٢٦ : ٦/ ح١.

القصيرة صدر معاوية فأَقلبه على أُمِّ رأسه لفعلتُ ، فما بالكَ لا تفعل ؟ ما تُريد إِلَّا أَنْ تضعف نفوسنا فَنَشُكَّ فيكَ فندخل النَّار. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «**لأَفعلنَّ ذلك ، ولاعجلنه على ابن هند. فمدَّ رجله على منبره فخرجت عن أَبواب المسجد ، وردَّها إِلى فخذه ، وقال : معاشر النَّاس ، أَقيموا تاريخ الوقت؛ وأعلموه فقد ضربتُ برجلي هذه السَّاعة صدر معاوية ؛ فقلبته عن سريره على أُمِّ رأسه ، فظنَّ أَنَّه قد أُحيط به ، فصاح يا أَمير المؤمنين ، فأين النظرة ، فرددتُ رجلي عنه**».

وتوقَّع النَّاس ورود الخبر من الشَّام ، وعلموا : أَنَّ أَمير المؤمنين لا يقول إِلَّا حقّاً. فوردت الأَخبار والكُتُب بتاريخ تلك السَّاعة بعينها من ذلك اليوم بعينه : أَنَّ رِجلاً جاءت من ناحية الكوفة ممدودة مُتَّصلة فدخلت من أيوان معاوية والنَّاس ينظرون حتَّىٰ ضربت صدره فقلبته عن سريره على أُمِّ رأسه ، فصاح : يا أمير المؤمنين ، وأَين النظرة ؟ وردت تلك الرِّجل عنه ، وعلم النَّاس ما قال أَمير المؤمنين عليه السلام حقّاً»[1].

١٣ـ بيانه عليه السلام أَيضاً ، عن أَبي جعفر ميثم التمار ، قال : «... **واللّٰه ، لو شئتُ لمددتُ يدي هذه القصيرة في أَرضكم هذه الطويلة ، وضربتُ بها صدر معاوية بالشَّام ، وأَجذب بها من شاربه ـ أَو قال : من لحيته ـ** ، فمدَّ يده وردَّها وفيها شعرات كثيرة، فتعجَّبوا من ذلك. ثُمَّ وصل الخبر بعد مُدَّة : أَنَّ معاوية سقط من سريره في اليوم الَّذي كان عليه السلام مَدَّ يده ، وغشي عليه ، ثُمَّ أَفاق ، وافتقد من شاربه ولحيته شعرات»[2].

---

(١) بحار الأَنوار ، ٣٣ : ٢٨١ ـ ٢٨٢.

(٢) المصدر نفسه ، ٥٤ : ٣٤٦/ ح٣٦.

١٤ـ بيان خطبته عليه السلام ، وما حدث في أَثنائها لأَحد سادات الخوارج :

«... وسكت حينئذٍ ، فقام إِليه سويد بن نوفل ، وهو كالمستهزء ، وكان من سادات الخوارج[1]، وقال : يا أَمير المؤمنين ، أَنتَ الحاضر ما ذكرتَ ، والعَالِم بما أَخبرتَ ، قال فالتفت إِليه الإِمام عليه السلام ورمقه رمقة الغضب ، فصاح سويد بن نوفل صيحة عظيمة من عظم ما نزل به ، فمات من وقته وساعته وتقطَّع إِرَباً إِرَباً [2]، وعجَّل اللّـه بروحه إِلى النَّار ، فقال أَمير المؤمنين عليه السلام : **أبمثلي**

---

(١) يجدر الإِلتفات : أَنَّ الكوفة كانت في زمن أَمير المؤمنين والحسن والحسين (صلوات اللّـه عليهم) ، بل وفي زمن المختار ـ وانتصاره كان أَشبه بالمُعجزة ـ تضمُّ تيَّارات مُختلفة ؛ فلم تكن جميعها شيعيَّة ، وإِنَّما ثلَّة قليلة منها تقرب إِلى الثلث كانت موالية لأَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) ، والأَكثر كانوا مُناوئين لهم (صلوات اللّـه عليهم) ، وكان يسكنها بعض أَهل الشام وبقيَّة فلول من مناطق أُخرىٰ.

(٢) ينبغي الإِلتفات : أَنَّ الشرائط الفسيولوجيَّة والجينيَّة لبدن أَمير المؤمنين عليه السلام أَعظم من الشرائط الفسيولوجيَّة والجينيَّة لبدن الإِمام الحسن والحسين فضلاً عن أَبدان بقيَّة أَئمَّة أَهل البيت عليهم السلام ؛ فإِنَّهم وإِنْ كانوا في الفضائل سوآء ، لكن بدن أَمير المؤمنين عليه السلام بدناً إِصطفائيّاً خاصّاً ، له خصوصيَّاته ومُميزاته الخاصَّة ، ومن ثَمَّ ورد في بيانات الوحي الإِلٰهي : أَنَّه لا تحصل في جيشٍ هو فيه الهزيمة البتَّة ، وما يتوجَّه في جيشٍ إِلَّا وكان نصيبه النصر ، فلذا ورد في بيانات الوحي الأُخرىٰ : أَنَّه الأَكثر رجوعاً في عَالَمِ الرَّجعة ـ عَالَمَ آخرة الدُّنيا ـ .

فلاحظ : بيانات الوحي ، منها :

بيانه (صلوات اللّـه عليه) : «... **وإِنَّ لِيَ الكَرَّةَ بعد الكَرَّةِ ، والرَّجْعَةَ بعد الرَّجْعَةِ ، وأَنَا صَاحِبُ الرَّجَعَاتِ والكَرَّاتِ ، وَصَاحِبُ الصَّولاتِ والنَّقِمَاتِ والدَّولاتِ العَجِيبَات ، وأَنَا قَرْنٌ من حَدِيدٍ** ...». بحار الأَنوار ، ٥٣ : ٤٧/ح٢٠. معاني الأَخبار : ٥٩.

لكن : مع كلّ هذه الخصائص والعظمة يُشفىٰ جسده بريق سيِّد الأَنبياء (صلوات اللّـه عليهما وعلى آلهما) ، بل ويُزقُّ من ذلك الرِّيق : العلم والحلم والفقه والحكمة لصدر ←

يستهزء المستهزءون ... وأيم اللّـه ، لو شئتُ ما تركتُ على ظهرها من كافر باللّـه ، ومن منافق برسوله ، ولا مُكذِّباً بوصيِّه ...»[١].

١٥ـ بيان الإِمام الباقر عليه السلام : «**لا تكلّموا في الإِمام ؛ [فإِنَّ الإِمام] يسمع الكلام وهو جنين في بطن أُمِّه ...**»[٢].

١٦ـ بيان الإِمام أَبي جعفر عليه السلام : «**الإِمام مِنّا ينظر من خلفه كما ينظر من قدَّامه**»[٣].

١٧ـ بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام : «**إِنَّ اللّـه إِذا أَحبَّ أَنْ يخلق الإِمام أَخَذ شربة من تحت العرش فأعطاها ملكاً فسقاها إِيَّاها**[٤]**، فمِنْ ذلك يُخلق الإِمام...**»[٥].

ودلالة الجميع قد اتَّضحت ؛ فإِنَّ أَبدان أَهل البيت عليهم السلام بعدما كانت سماويَّة ؛ كانت أَحوال وشؤون وصفات ما يصدر منها يختلف سنخاً ، ومن دون قياس عن أَحوال وشؤون وصفات ما يصدر عن أَبدان بقيَّة البشر.

ونكتة عدم تفرقة بعض الفقهاء بين أَحوال وشؤون وخواصّ

← أَمير المؤمنين عليه السلام ، كما ورد ذلك في بيان حديث الدار ، الحاوي على معارف عظيمة ؛ فأَيُّ عظمة مهولة لبدن سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله.

(١) إِلزام الناصب في إثبات الحُجَّة الغائب ، ٢ : ١٥٦ ـ ٢١١.

(٢) بصائر الدرجات ، ٢ : ٣٣٦/ ح ١٥٦٠ ـ ٦.

(٣) بحار الأَنوار ، ٢٥ : ١٤٨/ ح٢٠. بصائر الدرجات : ١٢٥.

(٤) في نسخة : (أَباه). وفي المصدر : (إِيَّاه) ، ولعلَّه مصحَّف.

(٥) بحار الأَنوار ، ٢٥ : ٣٧/ ح٣. تفسير القمي : ٢٠٢.

وصفات أَبدان أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) ، وأَحوال وشؤون وخواصّ وصفات أَبدان بقيَّة البشر ـ ومن ثَمَّ حكموا (والعياذ باللّـه تعالىٰ) بالنجاسة على ما يخرج من أَبدانهم (صلوات اللّـه عليهم) الشَّريفة المُقدَّسة ؛ كالدم وما شاكله من الأُمور المحكوم عليها شرعاً بالنجاسة ؛ الخارجة من أَبدان بقيَّة البشر ؛ تمسُّكاً بإِطلاقات الأَدلَّة الشرعيَّة الدالَّة على النجاسة ، ولم يلتفتوا وغفلوا أَو تغافلوا عن الكم الغفير الهائل من بيانات الوحي المعرفيَّة ، منها ما تقدَّم ، البالغة حدّ الضرورة ، الحاكمة والمُصرِّحة بوجود فارق سنخيّ بين أَبدان أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) وأَبدان بقيَّة البشر ـ وذلك تبعاً للمنهج المُتَّبع الَّذي يُفكِّك في مقامِ استنباط الأَحكام الشرعيَّة بين الشريعة والدِّين ؛ فيصبُّون نظرهم في مقام الإِستنباط على الأَدلَّة الشرعيَّة ، ويعرضون عن الأَدلَّة الدينيَّة ـ المعرفيَّة والعقائديَّة ـ الواردة في بيانات الوحي ، وهذه عثرة شنيعة ؛ فإِنَّه كيف يمكن الوصول إِلى النتائج الحقَّة بعد التفكيك بين الأَصل وفرعه. فالفقيه من أَتباع مدرسة أَهل البيت عليهم السلام لا يمكنه الطيران والتحليق في سماء معرفة الأَحكام الشرعيَّة ، والغوص والغور في بحور معاني وحقائق بيانات وأَدلَّة الوحي المتلاطمة في مقام الإِستنباط ، والوصول إِلى النتائج الحقَّة المرضيَّة لدىٰ أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) بجناحٍ فاردٍ ، بل لابُدَّ له من أَنْ يضمَّ إِليه الجناح الآخر ، ليطير ويُحَلِّق ويغور في عوالم علوم الوحي الطمطامة ، وحقائقه المهولة العظيمة اللامتناهية أَبد الآباد ودهر الدهور بجناحين ، أَحدهما ـ وهو الركن الرَّكين والعمود الفقري والأَساسي ـ : ملاحظة البيانات الوحيانيَّة الدينيَّة العقائديَّة والمعرفيَّة ؛ فإِنَّ لها عظيم الانعكاسات والآثار والثمار

والفوائد الواضحة على الشريعة. ثانيهما : ملاحظة البيانات الوحيانيَّة الشرعيَّة.

وهذه العثرة أَوقعت مُتَّبعي هذا الخط والمنهج بعثرات شنيعة ، وأَنكروا بسببه جملة أُمور وقضايا وأَحكام وقواعد ، بعضها نخاعيَّة في الدِّين والشريعة ، منها : ما تقدَّم من القول بنجاسة دم أَهل البيت عليهم السلام وما شاكله. ويضاف إِليه :

أَوَّلاً :

إِنكار الملازمة القائلة : «كُلَّما حكم العقل به حكم الشرع به»

فإِنَّ بعض الفقهاء والأُصوليِّين بسبب إِتِّباعهم لهذا المنهج أَنكروا الملازمة القائلة : «كُلَّما حكم به العقل حكم به الشَّرع» ، وقد تقدَّم التعرُّض إِليها في المسائل والأَبحاث السَّابقة ، وتبيَّن : أَنَّ المفروض أَن يكون ثبوتها من البديهيَّات الواضحة.

ثانياً :

إِنكار الشَّهَادة الثَّالثة فِي تَشَهُّد الصَّلاة

إِنَّ بعض الفقهاء وبسبب إِتِّباعهم لمسلك ومنهج التَّفكيك بين أُصول الدِّين وفروعه في مقام استنباط الأَحْكَام والنتائج الشَّرعيَّة والمعرفيَّة أَنكروا ثبوت الشَّهادة الثَّالثة في تشهُّد الصَّلاة ؛ وقالوا : ببطلان الصَّلاة بذكرها ؛

لكونها كلاماً آدَمِيّاً ، وذِكْرها مخالف لقاعدة التَّوقيفيَّة [١].

وفيه: أَنَّ حال الشَّهادة الثَّالثة كالثَّانية من هذه الجهة ، وحيث دلَّ الدَّليل على جواز ذِكْر الثَّانية في تشهُّد الصَّلاة وما شاكله فكذا الثَّالثة.

ويدلُّ على ذلك أَدلَّة عقليَّة ووحيانيَّة :

أَمَّا الأَدلَّة العقليَّة ، فهي :

الدَّليل والبرهان العقليُّ الأَوَّل :

التَّوحيدُ أَمرٌ مجموعيٌّ

الشَّهادات الثَّلاث أَركان التَّوحيد المأخوذة بشرط المجموع

الشَّهادة الثَّالثة كالأُولَى والثَّانية روح العبادة

إِنَّه من دون الشَّهادة الثَّالثة لا توحيد ولا ماهيَّة ولا حقيقة ولا روح للصَّلاة وما شاكلها من سائر العبادات ؛ لأَنَّ قِوَامَ ماهيَّة الصَّلاة وسائر العبادات ورُكْنها الرَّكِين ـ والَّذي إِنْ وُجِدَ وُجِدَت ، وإِن عُدِمَ اِنْعَدَمَت ـ هو : (التَّوْحِيد) ، وهو أَمرٌ مجموعيٌّ مُركَّبٌ مِنْ أَرْكَانٍ ثلاثةٍ بشرط المجموع ؛ إِذا اِنْخَرَم أَحدها تداعت سائر الأَركان ؛ فلا وجود للباقي ولا تَوْحِيد من

---

(١) هذا المبحث ـ كما سيتَّضح (إِنْ شاء اللّـه تعالىٰ) ـ مصداق واضح على ضرورة ربط الفقيه والباحث ـ في مقام استنباط أَحكام فقه الفروع ومقام استنباط أَحكام المعارف والعقائد الإِلٰهيَّة ـ بين مباحث فقه الفروع ومباحث معارف وعقائد الدِّين؛ وأَنْ يكون مجتهداً فيها.

الأَساس :

أَحدها : التوحيد في مقام الذَّات الْإِلَهِيَّة الْأَزَلِيَّة الْمُقَدَّسَة ، وفي مقام الصِّفات والأَسماء والأَفعال الإِلٰهيَّة.

الآخر : التَّوْحِيدُ في مقام النُّبُوَّة وتشريع الْأَحْكَام الإِلٰهيَّة.

الثَّالث : التَّوْحِيدُ في مقام الولاية والإِمامة والحاكميَّة الإِلٰهيَّة ، وفي مقام تطبيق الْأَحْكَام الإِلٰهيَّة ؛ فيُرَادُ لأَحْكَام الدِّين والشَّريعة مُطَبِّقٌ معصومٌ ، مُخَوَّلٌ من ساحة القدس الإِلٰهيَّة ليس إِلَّا.

فاللّٰـه ـ الْمُسمَّىٰ صاحب الذات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة الْمُقدَّسة ـ (تَقَدَّسَ ذِكْرُهُ): أَحدٌ وواحدٌ ، وصَمَدٌ ، وَلَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ في مقام ذاته ، وفي مقام : صفاته ، وأَسمائه ، وأَفعاله. وأَحدٌ وواحدٌ ، وصَمَدٌ ، وَلَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ في مقام النُّبُوَّة وتشريع الْأَحْكَام الإِلٰهيَّة. وأَحدٌ وواحدٌ ، وصَمَدٌ ، وَلَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ في مقام الولاية والإِمامة والحاكميَّة الإِلٰهيَّة ، وتطبيق الْأَحْكَام الإِلٰهيَّة. وهو لا شريك ولا ضِدَّ ولا نِدَّ له في ذاته ولا في صفاته ولا في أَسمائه ولا في أَفعاله. ولا شريك ولا ضِدَّ ولا نِدَّ له في مقام النُّبُوَّة وتشريع الْأَحْكَام الإِلٰهيَّة. ولا شريك ولا ضِدَّ ولا نِدَّ له في مقام الولاية والإِمامة والحاكميَّة الإِلٰهيَّة ، وفي مقام تطبيق الْأَحْكَام الإِلٰهيَّة.

فهو (جَلَّ قُدْسه) : أَحَدٌ وواحدٌ ، ولا شريك ولا ضِدَّ ولا نِدَّ له في مقام الذَّات ، وفي مقام : الصِّفَات والأَسماء والأَفعال الإِلٰهيَّة. وهذا هو

مضمون الشَّهادة الأُولىٰ.

وهو (جَلَّ وَتَقَدَّسَ) : أَحَدٌ وواحدٌ ، وصَمَدٌ ، وَلَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ ، ولا شريك ولا ضِدَّ ولا نِدَّ له في مقام النُّبُوَّة وتشريع الْأَحْكَام الإِلٰهيَّة. وهذا هو مضمون الشَّهادة الثانية.

وهو (جَلَّ ذِكْرُهُ) : أَحَدٌ وواحدٌ ، وصَمَدٌ ، وَلَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ ، ولا شريك ولا ضِدَّ ولا نِدَّ له في مقام الولاية والْإِمَامَة والحاكميَّة الْإِلٰهِيَّة ، وفي مقام تطبيق الْأَحْكَام الإِلٰهيَّة. وهذا هو مضمون الشَّهادة الثالثة.

وهذه المقامات والشَّهادات الثلاث ليست مأخوذة على نحو الكُلّ ؛ كالكيلو غرام ؛ بحيث إِذا انتفىٰ البعض كالنِّصْفِ كيلو بقي النِّصْف الآخر على حاله ، وإِنَّما مأخوذة على نحو الكُلِّي الطبيعي ؛ كماهيَّة وحقيقة الإِنسان وسائر الطبائع الكُلِّيَّة ، كـ : (حقيقة الماء) ، فإِنَّه إِذا انتفىٰ أَحد أَجزائها لا يبقىٰ حظٌّ من الوجود للجزء الآخر ، وانتفت الماهيَّة والطبيعة والحقيقة من الأَساس والوجود ، وكانت عدماً ، فالماء ـ مثلاً ـ مُرَكَّب من رُكْنَيْنِ : أَحدهما: الهيدروجين ، والآخر : الأُوكسجين ، فإذا اِنْتَفَىٰ أَحدهما ـ كالهيدروجين ـ فلا يبقىٰ للماء حَظٌّ من الوجود ، وَانْتَفَت من الأَساس ماهيَّته وحقيقته ، وصار عدماً ، والباقي هو غاز الأُوكسجين ، وهو مباين تبايناً كليّاً لحقيقة الماء.

هكذا حال الِاعْتِقَاد بالتَّوْحِيد وما شاكله ، كالِاعْتِقَادِ بأَهل البيت الأَربعة عشر (صلوات اللّٰـه عليهم) ، فلو اِعْتَقَدَ المخلوق بثلاثة عشر ، ولم

يعتقد بواحدٍ منهم عليهم السلام لم يكن مُعْتَقِداً واقعاً بالثَّلاثة عشر من الأَساس ، ولم ينفعه ذلك الاِعْتِقَاد مثقال حبَّةٍ من خردلٍ ؛ لأَنَّ الاِعْتِقَاد بهم عليهم السلام أُخذ بشرط المجموع ، هكذا حال الشَّهادات الثلاث ؛ فإِنَّ الاِعْتِقَاد بها بشرط المجموع ، فالتَّوْحِيدُ أَمرٌ كُلِّيٌّ له أَركانٌ ثلاثة ، فإذا انتفىٰ أَحد هذه الأَركان الثلاثة انتفىٰ تبعاً له الرُّكنان الآخران ، وانتفىٰ أَصل التَّوْحِيد من الأَساس ، ولا وجود له الْبَتَّة. وأَينما وجب أَو وجِدَ أَحد هذه الأَركان الثَّلاثة فلابُدَّ من وجوب أو وجود الآخَر بالضرورة العقليَّة ؛ من دون حاجةٍ إِلى دليلٍ خاصٍّ لتسرية ذلك الحكم بالوجوب ، بل يسري بنفسه بعدما جاء على وفق القاعدة.

والنتيجة : أَنَّه حيث وجب في تشهُّد الصَّلاة وما شاكله ذِكْر الشَّهادة الأُولىٰ والثانية وجب أَيضاً وبالضَّرورة الوحيانيَّة والعقليَّة ـ وبمقتضىٰ هذا البرهان العقلي ـ ذِكْر الشَّهادة الثَّالثة في تلك الموارد ، وعلى مقتضىٰ القاعدة الأَوَّليَّة العقليَّة ، ومن دون فرق ، ومن ثَمَّ لا يحتاج ذلك الوجوب إِلى دليلٍ خاصٍّ ، ويكون ذِكْرها في العبادة وغيرها ـ كذِكْر الشَّهادة الأُولىٰ والثانية ـ توحيداً وذِكْراً إِلٰهيّاً ، وتمجيداً للّـه تعالىٰ عظِيماً وخطيراً جِدّاً.

وإِذا وُجِدَ الدَّليل الوحيانيّ الخاص فهو دليلٌ اِرشاديٌّ لحُكْمِ هذه القاعدة الأَوَّليَّة العقليَّة ولحُكْم العقل هذا.

وقد دلَّ على هذا التَّرابط التَّكويني الوثيق والاِقتران الأَكيد الجَمُّ الْغَفِير من طوائف بيانات الوحي الباهرة ، نذكر(إِنْ شَآءَ اللهُ تَعَالَىٰ) بعد هذه

الْبَرَاهِين الْعَقَلِيَّة شطراً منها ، وهي أَدِلَّة وبيانات اِرشاديَّة ـ كما تقدَّمت الإشارة إلى ذلك ـ لِحُكْم القاعدة الأَوَّليَّة العقليَّة ، ولحُكْم العقل ، وليست أَدِلَّة وبيانات تأسيسيَّة لحُكْمٍ جديدٍ ، وبمجموع هذه الأَدِلَّة والبراهين يحصل ـ مِنْ خلال تواترها العقليُّ ، بل والوحيانيُّ ـ ويتولَّد قطعاً ويقيناً عقليّاً ، بل ووحيانيّاً بوجوب ، بل ضرورة وجوب ولزوم الشَّهادة الثَّالثة في تَشَهُّد الصَّلاة وما شاكله من الموارد الَّتي تُذْكَر فيها الشَّهَادة الأُولىٰ بالضرورة العقليَّة والوحيانيَّة.

الدَّليل والبرهان العقليُّ الثَّاني :

الشَّهادة الثَّالثة توحيد وإقرار بفعل اللَّه الأَعظم

دخول الشَّهادة الثَّالثة ـ كالثَّانية ـ في الشَّهادة الأُولى

إنّ حقيقة اِختيار النُّبُوَّة والرِّسَالة الإلٰهيَّة ؛ وتشريع وتبليغ الأَحْكَام الإلٰهيَّة المُتَمثِّلَة في الشَّهادة الثَّانية ، وحقيقة اِختيار الْإِمَامَة والْوَلَايَة والْحَاكِمِيَّة الْإِلٰهِيَّة ؛ ومقام تطبيق الأَحْكَام والمعارف الإلٰهيَّة المُتَمثِّلَة في الشَّهادة الثَّالثة أَفعال إلٰهيَّة ، بل رأس هرمها. وقد أَصحرت بذلك بيانات الوحي ، منها :

بيان قوله (تَقَدَّسَ ذِكْرُهُ) : ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[1].

---

(١) البقرة : ١٢٤.

ودلالته واضحة ؛ فإنَّه دالٌّ على أَنَّ الْإِمَامَة الْإِلَهِيَّة جعلٌ وفعلٌ إِلٰهيّ ؛ فتكون حقيقة وكُنْه الشَّهادة الثَّالثة ـ كالثَّانية ـ داخلة في حقيقة وكُنْه الشَّهادة الأُولىٰ ؛ وفي مقام توحيد الأَفعال الإِلٰهيَّة ، فيكون عطف الشَّهادة الثَّالثة ـ كالثَّانية ـ على الشَّهادة الأُولىٰ من باب عطف الخاصّ على العام ، ومِنْ ثَمَّ إِذا حصل خلل أَو اختلال في معرفة المخلوق أَو في اِعتقاده أَو في إِقراره بالشَّهادة الثَّالثة أَو الثانية فلا بُدَّ من حصول نفس ذلك الخلل والاختلال في معرفته واِعتقاده وإِقراره بالشَّهادة الأُولىٰ ؛ لأَنَّ حقيقة ذلك الخلل أَو الاختلال وواقعه صار في حقيقة وواقع الشَّهادة الأُولىٰ ؛ لأَنَّها مُرَكَّبَة من أَركانٍ ثلاثةٍ ، وهي : (التَّوحيد في مقام الذَّات الْإِلَهِيَّة الْأَزَلِيَّة الْمُقَدَّسَة ، والتَّوحيد في مقام الصِّفَات والأَسمآء الإِلٰهيَّة ، والتَّوحيد في مقام الأَفعال الإِلٰهيَّة).

بل واقع الشَّهادة الأُولىٰ وحقيقتها مُرَكَّبَة من رُكنين ؛ بعدما كان المختار وما قامت عليه البراهين الوحيانيَّة والعقليَّة : أَنَّ الأَسمآء والصِّفَات الإِلٰهيَّة ـ فعليَّة كانت أَم ذاتيَّة ـ أَفعالٌ إِلٰهيَّةٌ [1]، فيكون الرُّكن الثَّاني داخلاً في الرُّكن الثَّالث ، ومِنْ ثَمَّ تكون الشَّهادة الأُولَىٰ مُرَكَّبَة من رُكنين : أَحدهما : التَّوحيد في مقام الذات الإِلٰهيَّة المقدَّسة ، والآخَر : التَّوحيد في مقام الأَفعال الإِلٰهيَّة ، فالتفت. فإِذا حصل خلل أَو اختلال في معرفة المخلوق أَو في اِعتقاده أَو في إِقراره بالشَّهادة الثَّالثة ـ كالثَّانية ـ فلابُدَّ من حصول نفس ذلك الخلل

(١) مَرَّ بيان ذلك ، وبيان أَدِلَّته في مقصد التَّوحيد ، باب (الأَسمآء والصِّفات الإِلٰهيَّة الذَّاتيَّة). فراجع إِنْ شئت الاِطِّلاع.

والإختلال في الرُّكن الثَّاني من رُكني الشَّهادة الأُولىٰ ، فتنتفي حقيقة الشَّهادة الأُولىٰ والتَّوحيد بِكَلا الرُّكنين من الأَساس ، وتصير حقيقة الشَّهادة الأُولىٰ والتَّوحيد من باب السَّالبة بانتفاء موضوعها.

وعلى هذا قس الضِّدّ ؛ فإنَّه مع محافظة المخلوق على عدم إخلاله واختلاله المعرفيّ في الشَّهادة الثَّالثة ، واعتقاده وإقراره بها ، ومع المحافظة على محبَّته وموالاته لأَهْل الْبَيْتِ (صلوات اللّٰـه عليهم) ، ومع عدم إخلاله واختلاله المعرفيّ أَيضاً في الشَّهادة الأُولىٰ والثَّانية ، واعتقاده وإقراره بهما ، ومع المحافظة على محبَّته وموالاته للَّـه تعالىٰ ولسيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله فمصيره يؤول إلى رضا الرَّحْمٰن وكسب الجنان خالداً فيها.

وعليه : تكون حقيقة وواقع الشَّهادة الثَّالثة ـ كالثَّانية ـ في تَشَهُّد الصَّلاة وما شاكله توحيداً وإقراراً بفعل اللَّـه عزَّ وجلَّ وَسُنَّته التَّكوينيَّة ؛ فلذا يكون الإِتْيَان بهما في الصَّلاة وما شاكلها توحيداً وذِكْراً للَّـه تعالىٰ ، ويكون عطفهما على الشَّهادة الأُولىٰ من باب عطف الخاصّ على العام ؛ فيخرجا حقيقة وواقعاً من موضوع الكلام الآدمي المُبطل ذِكْره للصَّلاة ، وَمِنْ ثَمَّ لا يحتاج ذِكْرهما في الصَّلاة وما شاكلها إلى دليلٍ خاصٍّ ، وما سنذكره (إِنْ شَآءَ اللهُ تَعَالَى) من أَدِلَّة وحيانيَّة الدَّالَّة على الوجوب ، بل على الضرورة الوحيانيَّة الحاكمة بضرورة ذِكْرهما في العبادة ـ كالصَّلاة ـ هي أَدِلَّة إرشاديَّة ـ وليست تأسيسيَّة ـ لهذا البرهان والحُكْم العقلي وغيره ، فلذا لا معنىٰ لِادِّعَاء بطلان الصَّلاة بِذِكْرِ الشَّهادة الثَّالثة فيها من دون دليل خاصّ.

إِذَنْ : لا يحتاج ذِكْر الشَّهادة الثَّالثة ـ كالثَّانية ـ في الصَّلاة وما شاكلها إلى دليلٍ خاصٍّ ؛ بعدما كان ذِكْرهما ذِكْراً وتوحيداً للَّـه جَلَّ شأنه في مقام توحيد الأَفعال الإِلٰهيَّة. فالتفت ، وتَأَمَّل جيِّداً.

وهذا ما يُوضِّح : جملة من نِكَات وفلسفات كثير من بيانات الوحي والأَفعال الَّتي يُؤْتَىٰ بها في الصَّلاة وما شاكلها ؛ كتسليم المُصَلِّي على سيِّد الأَنبياء وسائر أَهْل الْبَيْتِ (صلوات اللّٰـه عليهم) في صلاته قبل الفراغ منها ، وَذِكْره (صلَّىٰ اللَّـه عليه وآله) في سجدة السهو، وما شاكل ذلك ؛ فإِنَّها أَذكارٌ إِلٰهيَّة. فالتفت ، وتدبَّر جيِّداً ، واغتنم تَرِبَتْ يداك.

وسيأتي (إِنْ شَآءَ اللَّـهُ تَعَالَىٰ) مزيد بيان عن هذه القضيَّة في الدَّليل العقليّ الرابع .

وهذه القضيَّة ينبغي أَنْ تكون واضحة ، بل بديهيَّة ، وَأَجلَىٰ من الشَّمس الضاحية. بعد الإِلتفات : أَنَّ بداهة البديهي لا يُقوِّضها الإِختلاف أَو الغفلة أَو عدم الإِلتفات لتلك البداهة والضرورة الإِلٰهيَّة والعقليَّة ؛ فإِنَّ هناك جملة قضايا بديهيَّة وضرورية ثابتة بالضرورة الإِلٰهيَّة والعقليَّة ؛ وثبتت بالأَدِلَّة اليقينيَّة البديهيَّة الواضحة ، لكنَّه وقع فيها الإِخْتِلَاف.

مثالها :

الأَوَّل : أَصل وجود الباري تعالىٰ ؛ فقد أَنكره المُلحدون.

الثَّاني: نُبُوَّة سيِّد الأَنبياء صَلَّىٰ اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، بل وثوابت المسلمين ؛ فقد أَنكرها غيرهم.

الثَّالث : خِلْقَة النَّبيّ عيسىٰ عليه السلام كسائر البشر ؛ فقد أَنكرها النصارىٰ.

الرَّابع : نُبُوَّته عليه السلام ؛ فقد أَنكرها اليهود.

الخامس : نُبُوَّة أَنبياء أُوْلي العزم عليهم السلام ؛ فقد أَنكرها المُوَحِّدُون مِنْ غير هذه الديانات.

السَّادس : بديهيَّات العلوم كَعِلْم الطِّبِّ والهندسة ؛ فقد أَنكرها الجُهَّال وَمَنْ لم يتخصَّص بتلك العلوم.

إِذَنْ : صِرْف الإِختلاف أَو الغفلة أَو عدم الإِلتفات لا يجعل الأَدِلَّة المُقامة أَدِلَّة ظَنِّيَّة ، ولا ينفي الضرورة الإِلٰهيَّة والعقليَّة ، ولا ينفي وجود الدَّليل والبرهان اليقيني المُقام على ما اُخْتُلِفَ فيه.

وعليه : تكون الأَدِلَّة والبراهين الوحيانيَّة الآتية الذكر (إِنْ شَآءَ اللهُ تَعَالَىٰ) وغيرها ؛ الدَّالَّة على ضرورة ثبوت الشَّهادة الثَّالثة ـ كالثَّانية ـ في الصَّلاة وغيرها أَدِلَّة إِرشاديَّة لهذا الدَّليل العقليّ التَّكوينيّ ؛ وغيره من الأَدِلَّة العقليَّة التَّكوينيَّة. فالتفت ، وتَدَبَّر جيِّداً ، واغتنم تَرِبَت يداك.

والنتيجة مِنْ كُلِّ هذا : أَنَّه حيث وجب في تَشَهُّد الصَّلاة وما شاكله ذِكْر الشَّهادة الأُولَىٰ والثَّانية وجب أَيضاً وبالضَّرورة الوحيانيَّة والعقليَّة ـ وبمقتضىٰ هذا البرهان العقلي ـ ذِكْر الشَّهادة الثَّالثة في تلك الموارد ، وعلى مقتضىٰ القاعدة ، ومن دون فرق ، ومنْ ثَمَّ لا يحتاج ذلك الوجوب وتلك

الضرورة إلى دليلٍ خاصٍّ ؛ وإِنْ وُجِدَ كان دليلاً إِرشاديّاً لهذا الحُكْم العقليّ ولهذه القاعدة الأَوَّليَّة العقليَّة ، ويكون ذِكْرها في العبادة وغيرها ـ كذِكْر الشَّهادة الأُولىٰ والثَّانية ـ توحيداً وذِكْراً إِلٰهيّاً ، وتمجيداً وتقديساً للَّـه تعالىٰ عظيماً وخطيراً جِدّاً.

الفارق بين البرهان العقليّ الأَوَّل والبرهان الثَّاني

والفارق بين هذا البرهان العقلي وسابقه : أَنَّ البرهان العقليّ المُتقدِّم ناظر إِلى عَالَم الإِثبات ، وأَنَّ لهذه الشَّهادات الثَّلاث ماهيات وحقائق ثلاث أُخِذَت بلحاظ الخارج والفعل والمعرفة والإِعتقاد والإِقرار بشرط المجموع . بخلاف هذا البرهان ؛ فإِنَّه ناظر إِلى عَالَم الثبوت والواقع ؛ وأَنَّ ماهيَّات وحقائق هذه الشَّهادات الثَّلاث تؤول إِلى حقيقة فاردة ، وهي الشَّهادة الأُولىٰ ، والشَّهادة الثَّالثة كالثَّانية داخلان واقعاً في تلك الماهيَّة والحقيقة. فالتفت ، وتأَمَّل جيِّداً.

الدَّليل والبرهان الْعَقْلِيُّ الثَّالث :

لَوْ لَمْ تُشَرَّع الشَّهادة الثَّالثة في تشهُّد الصَّلاة وما شاكله لانْتَفَت غاية الرِّسالة الإِلهيَّة

اِتَّضَح مِـمَّا تقَدَّم : أَنَّ هناك ترابطاً وثيقاً ؛ واقتراناً أَكيداً بين ثبوت الشَّهادة الأُولىٰ والثَّانية في تشهُّد الصَّلاة وما شاكله والشَّهادة الثَّالثة. وَأَحَد

النِّكَات والفلسفات الأُخرىٰ لهذا التَّرابط وضرورة ثُبُوت الشَّهادة الثَّالثة إلى جنب الأُولىٰ والثَّانية دائماً : أَنَّه لو لم يكن المُطَبِّق للأَحكام الشَّرعيَّة معصوماً وصاحب علم لدُنِّيّ وتأويل ، ومختاراً من قبل سَاحَةِ الْقُدْسِ الْإِلٰهِيَّةِ لم يكن مقام التَّوحيد ، ومقام التَّشريع والأَحْكَام والمعارف الإِلٰهيَّة معصوماً ، ومِنْ ثَمَّ تنتفي فائدة وغاية أَصل الرِّسَالة والبَعْثَة النَبويَّة.

وبعبارة أُخرىٰ : أَنَّ دين الإِسلام وَكُلَّ شريعةٍ مِنْ شرائعه لها تأويل في مقام التَّطبيق ، ولا يمكن لمخلوقٍ البَتَّة تطبيقها بحقيقة تَأويلها إِلَّا مَنْ زُوِّدَ بالعِلْمِ اللَّدُنِّيّ.

إِذَنْ : دين الإِسلام وكُلُّ شريعةٍ مِنْ شرائعه لابُدَّ لها من حاكم ومُطبِّقٍ إِلهيٍّ ، مُزَوَّدٌ بالعِلْمِ اللَّدُنِّيِّ وعِلْمِ التأويل ـ المُشار إِليهما في بيانات الوحي ، منها : بيان قوله (عَزَّ قوله) المُقتص لقضيَّة النَّبيّ موسىٰ والخضر عليهما السلام : ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾[1]، وبيان قوله (عَزَّ مِنْ قائل) أَيضاً : ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾[2] ـ ؛[3] ليتمكَّن بأَدوات عِلْم التَّأويل والْعِلْم اللَّدُنِّيّ من

---

(١) الكهف : ٦٥.

(٢) الكهف : ٨٢.

(٣) هذه الشَّارطة عدل للشارطة المُتقدِّمة قبل كلمة : (المُشار إِليها).

تطبيقها تطبيقاً لَدُنِّيّاً إِلٰهيّاً لا يُخطئ الحقائق أَبَداً ، وهذا النحو مِنَ التَّطبيق الهائل والخطير لإِقامة الدِّين والشَّريعة لن تتمكَّن منه علوم البشر ومعارفهم وآليَّاتهم وقدراتهم ؛ لكونه ـ هذا التَّطبيق ـ وعلومه ومعارفه وآليَّاته وقدراته خارجة عن حريم مُكْنَة جملة المخلوقات وحدود علومها ومعارفها وآلياتها وقدراتها ، ومِنْ ثَمَّ اقتضَت الضَّرورة الإِلٰهيَّة إِلى بَعْثَةٍ إِلٰهيَّةٍ أُخرىٰ ـ غير بَعْثَة النُّبُوَّة والرِّسَالة الإِلٰهيَّتين المُتَمَثِّلة في الشَّهادة الثَّانية ـ وهي بَعْثَة الإِمامة والولاية والحاكميَّة الإِلٰهيَّة ، المُتَمَثِّلة في الشَّهادة الثَّالثة.

والنتيجة مِنْ كُلِّ هذا : أَنَّه حيث وجب في تشهُّد الصَّلاة وما شاكله ذِكْر الشَّهادة الأُولىٰ والثَّانية وجب أَيضاً وبالضَّرورة الوحيانيَّة والْعَقَلِيَّة ـ وبمقتضىٰ هذا البرهان العقليْ ـ ذِكْر الشَّهادة الثَّالثة في تلك الموارد ، وَعَلَى مقتضىٰ القاعدة وحُكْم العقل ، ومِنْ دون فرق ، وَمِنْ ثَمَّ لا يحتاج ذلك الوجوب ـ بعدما جاء عَلَى وفق القاعدة وحُكْم العقل ـ إِلى دليلٍ خاصٍّ ؛ وإِنْ وُجِدَ كان دليلاً إِرشاديّاً لهذه القاعدة الأَوَّلِيَّة الْعَقَلِيَّة وحُكْم العقل هذا ، ويكون ذِكْرها في العبادة وغيرها ـ كذِكْرِ الشَّهادة الأُولىٰ والثَّانية ـ توحيداً وذِكْراً إِلٰهيّاً، وتمجيداً للّـه تعالىٰ عظيماً وخطيراً جِدّاً.

وهذا التَّرابط التَّكوينيّ الوثيق والإِقتران الأَكيد بين هذه الأَركان والمقامات الثَّلاثة ينبغي أَنْ يُعَدُّ مِنَ القضايا البديهيَّة الجليَّة الواضحة ، وَمَنْ ينكره أَو يتردَّد أَو يُنَاقش فيه فقد أَنكر أَو تردَّد أَو ناقش أَمراً بديهيّاً وجليّاً وواضحاً.

وهذا الإنكار والتردُّد والمناقشة لا يُقوِّض ضرورة وبداهة وجلاء ووضوح البديهي في نفسه ، وإنَّما يرجع ذلك إلى مرضٍ ـ كالعداء والحسد والجهل ـ وعمىٰ وغشاوة أُصيبت بها عين بصيرة المُنكِر والمُتردِّد والمُناقِش ، كحال إنكار اللَّاديني للضروريَّات وللقضايا البديهيَّة الجليَّة الواضحة الثَّابتة عند أَصحاب الأَديان ، وإنكار سائر أَصحاب الأَديان للضروريَّات والبديهيَّات الثَّابتة عند المسلمين ، وإنكار الفِرَق المخالفة للضروريَّات والبديهيَّات الثَّابتة عند المؤمنين ، وإنكار الجاهل لضروريَّات وبديهيَّات العلوم ، كعِلْمِ : الطب والهندسة ، وهلمَّ جرّاً.

ومعنىٰ ما تقدَّم : أَنَّه أَينما وجب أَحد هذه الأَركان والشَّهادات الثلاث ـ وبمقتضىٰ الإستلزام والتَّرابط التَّكوينيّ الوثيق والإقتران الأَكيد بينها ، وانْدِكاك بعضها بالآخر ـ وجب تبعاً له الآخر ، وأَينما انتفىٰ بعضها انتفىٰ الآخر. وحيث إنَّه يجب على المُكلَّف في تشهُّد الصَّلاة الإتيان بالشَّهادة الأُولىٰ والثانية؛ وجب عليه أَيضاً الإتيان بالشَّهادة الثَّالثة ، من دون حاجةٍ إلى دليلٍ خاصٍّ ، وإلَّا انْتَفَت الشَّهادة الأُولىٰ والثَّانية ، ولا معنىٰ لهما البَتَّة.

الدَّليل والبرهان الْعَقْلِيُّ الرَّابِعُ :

فناء ذات المعصوم عليه السلام في الذَّات المُقدَّسة فناء حكاية ذِكْرُ المعصوم عليه السلام ومخاطبته ذِكْرٌ للَّه تعالى ومخاطبة له عز وجل الشَّهادة الثَّالثة ـ كالأُولى والثَّانية ـ توحيدٌ وذِكْرٌ إلهيٌّ عظيمٌ

إنَّ المُخَاطَبَ في الشَّهادة الثَّالثة ـ كالثَّانية ـ هو اللَّـه (تَقَدَّسَ ذِكْرُهُ) ، وليس المعصوم عليه السلام بما هو هو ، بل هو مرآة وتجلٍّ وَمَظْهَرٌ لفعل اللَّـه الأَعظم ـ المُشار إليه في بيان قوله تعالىٰ : ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[1] ـ ، وَمَظْهَرٌ للتوحيد الأَفعالي في مخلوقاته العظيمة المُكَرَّمة ؛ وحينئذٍ يكون ذِكْر الشَّهادة الثَّالثة ـ كالثَّانية ـ في تشهُّد الصَّلاة وما شاكله توحيداً وذِكْراً للَّـه عظيماً ، وتوجُّهاً أَعظماً للَّـه تعالىٰ. فكيف يكون ذِكْرها في تشهُّد الصَّلاة مُبطلاً لها.

وهذا هو مضمون ما دلَّت عليه كثير من بيانات الوحي ، منها:

١ـ بيان قوله (جَلَّ قوله) : ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ

(١) البقرة : ١٢٤.

﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ * قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ * قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾[1].

٢ـ بيان قوله (عَزَّ قوله) : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾[2].

٣ـ بيان سَيِّد الْأَنْبِيَاء صلى الله عليه وآله : « ... **إِنَّ اللَّـه تبارك وتعالىٰ خلق آدم فَأَودعنا صُلْبه ، وأَمر الملائكة بالسُّجود له تعظيماً لنا وإِكراماً ، وكان سجودهم للَّـه عزوجل عبوديَّة ، ولآدم إِكراماً وطاعةً لكوننا في صُلْبه ، فكيف لا نكون أَفضل من الملائكة وقد سجدوا لآدم كُلَّهم أَجمعون ...** »[3].

ودلالته ـ كدلالة سابقيه ـ قد اِتَّضَحَت.

إِذَنْ : اِضافة الفعل للمعصوم عليه السلام لا يكون إِلَّا بما هو خليفةٌ ووليٌّ للَّـه تعالىٰ ، ومرآةٌ وتجلِّيٌ وظهورٌ له عزوجل ، وآيةٌ إِلٰهيَّة عظمىٰ ، وحينئذٍ يكون في هذه الإِضافة توحيدٌ أَعظمٌ ؛ فكيف يكون ذِكْره عليه السلام في تشهُّد الصَّلاة وما شاكلها مُبطلاً لها.

---

(١) صَ : ٧١ ـ ٧٨.

(٢) الكهف : ٥٠.

(٣) بحار الأَنوار ، ١٨ : ٣٤٥ ـ ٣٤٧/ ح٥٦. علل الشَّرائع: ١٣ ـ ١٤. عيون أَخبار الرِّضا عليه السلام: ١٤٤ ـ ١٤٦.

وهذا ما يُوضِّح نُكْتَةُ وفلسفة ما نطق به الدَّليل الشَّرعي ، وَحَكَمَ به الفقهاء ؛ بِاستحباب الإِتْيَان بأَذْكَارٍ في الصَّلاة ، تُذكر فيها أَفعالٌ ومخلوقات إِلٰهيَّة مُكَرَّمَة ، كـ : «... **أَشهد... أَنَّ الجنَّة حَقّ ، وأَنَّ النَّار حَقّ ... وَأَنَّ السَّاعة آتية لا ريب فيها** ...»[١].

وعليه : يكون بالأَولى الحُكْم بجواز ، بل اِستحباب ذِكْر الشَّهادة الثَّالثة في تشهُّد الصَّلاة ؛ لأَنَّها تحكي عن فعلٍ إِلٰهيٍّ أَعظم وَأَخطر هولاً ، وإِظهارٌ وتجلٍّ أَعظمٌ لتوحيد الذَّات الْإِلٰهِيَّة الْأَزَلِيَّة الْمُقَدَّسَة في مقام التَّوحيد الأَفعالي.

وَلَكَ أَنْ تقول : إِنَّه بعدما كانت طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة وتتبعها طبقاتها المُتوسِّطَة والنَّازلة نظام عَالَم الخِلْقَة والوجود والإِمكان عَلَى الإِطلاق قاطبة ، ووسائط الفيض الإِلٰهيّ الفاردة ، والوسيلة الإِلٰهيَّة التَّكوينيَّة الحصريَّة ، ووجه اللَّـه ، والسَّبيل والسَّبب، والباب والحجاب والرِّبَاط الإِلٰهيّ التَّكوينيّ الحصري والأَدنىٰ بين الخالق ـ المُسمَّىٰ[٢]

---

(١) بحار الأَنوار ، ٨١ : ٢٠٥ ـ ٢١٠. فقه الرِّضا عليه السلام: ٨ ـ ٩.

(٢) **ينبغي الإِلتفات**: أَنَّ اِستعمال الاسم الإِلٰهيّ ، كـ : اسم (اللَّـه) عَلَى نحوين ، فتارة يُطْلَق ويُراد به المُسَمَّىٰ ، وما وراء الاسم الإِلٰهيّ ، أَي: الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزَليَّة المُقَدَّسة، وأُخرىٰ يُطلق ويُراد به نفس الاسم الإِلٰهيّ ، وهو: مخلوقٌ عظيمٌ وخطيرٌ ومهولٌ جِدّاً ، من مخلوقات عَالَم الأَسماء والصِّفَات الإِلٰهيَّة ، يحكي الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزَليَّة المُقدَّسة من وجهٍ ، مُهيمِن عَلَى ما تحته من عوالم ومخلوقات ، ويتصرَّف فيها ←

(جَلَّ وتقدَّس) وجملة العوالم وكافَّة المخلوقات غير المتناهية بقضِّها وقضيضها ـ كما سيأتي (إِنْ شَآءَ اللهُ تَعَالَى) ، بل ومَرَّ تحقيق وبيان ذلك وبيان أَدِلَّته في موارد مُتعدِّدة ـ كانت تلك الطَّبقات خالصة من شائبة الأَنا والمخلوقيَّة ، واِنْمَحَتْ لشِدَّة خلوصها ماهيَّاتها وذواتها المُمكنة ؛ فلم يُرَ فيها ماهيَّة : (مُحَمَّد ، وَعَلِيّ ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين ...) ، بل (حميد ، والأَعلىٰ ، وفاطر ، ومحسن ، وقديم الإِحسان ...) ، فتضمحلُّ فيها الماهيَّات لشِدَّة تأجُّج نور الوجود فيها ، ولفنائها في الذَّات الإِلٰهيَّة المُقدَّسة فَناء حكاية، فأَصبحت حقائقهم (صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ) تجلِّيات للذَّات المُقَدَّسَة ، وآيات إِلٰهيَّة ، والصِّفات والأَسمآء الإِلٰهيَّة الحسنىٰ ، وهذا ما أَصْحَرَت به كالشَّمس الضَّاحية كثير من بيانات الوحي الوافرة الباهرة ، منها :

← تصرُّف اللَّطيف في الأَغلظ ، فهو: «داخل فيها لكن لا بالمزاولة والممازجة ، وخارج عنها لكن لا بالمزايلة والمفارقة».

والإِستعمال الأَوَّل هو الأَكثر اِنسباقاً إِلى الذهن ، وهو اِستعمال آلي وطريقي للوصول إِلى ما وراء حقيقته وواقعيَّته الشَّريفة ، والإِستعمال الثَّاني موضوعي.

ثُمَّ إِنَّه ينبغي الإِلتفات أَيضاً: أَنَّ الآليَّة والموضوعيَّة ليست في لفظ الاسم الإِلٰهيّ وعنوانه المُقدَّس ، ولا في معناه ، بل في ما وراء المعنىٰ من واقعيَّة وحقيقة مُقَدَّسة ؛ فينظر إِلى تلك الواقعيَّة والحقيقة المُقدَّسة تارة بما هو آية وعلامة مُشير وحاكي للذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة ، وأخرىٰ بما هو هو كواقعيَّة وحقيقة ووجود مُقَدَّس، ومخلوق خطير ومهول وعظيم جِدّاً من عَالَمَ الأَسماء والصِّفات الإِلٰهيَّة ؛ عَالَمَ السَّرمد والأَزَل ، والمُعبَّر عنه في بيانات الوحي بـ : عنوان : (عنده).

١ـ أَمِير الْمُؤْمِنِينَ (صلوات اللّٰـه عليه) : « ... **نحن الاسم المخزون المكنون ، نحن الأَسمآء الحسنىٰ الَّتي إِذا سُئِلَ اللّٰـه ﷻ بها أَجاب ...**»[١].

٢ـ بيانه عليه السلام أَيضاً : « ... **وَأَنا أَسمآء اللّٰـه الحسنىٰ ...**»[٢].

٣ـ بيانه عليه السلام أَيضاً : « ... **أَنا الأَسمآء الحسنىٰ الَّتي أَمر أَنْ يُدعىٰ بها**»[٣].

٤ـ بيان الإِمام الباقر عليه السلام : « ... **عَرَفَنا مَنْ عَرَفَنا ، وجهلنا مَنْ جهلنا ، نحن الأَسمآء الحسنىٰ الَّتي لا يقبل اللّٰـه من العباد عملاً إِلَّا بمعرفتنا ...**»[٤].

٥ـ بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام : « **نحن واللّٰـه الأَسمآء الحسنىٰ الَّذي لا يُقبل من أَحَدٍ إِلَّا بمعرفتنا ، قال: ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾**[٥]»[٦].

٦ـ بيان الإِمام الرِّضا عليه السلام : « إِذا نزلت بكم شِدَّة فاستعينوا بنا عَلَى اللّٰـه، وهو قول اللّٰـه : ﴿**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا**﴾[٧]»[٨].

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٧ : ٢٨/ ح٥.

(٢) المصدر نفسه ، ٥٣ : ٤٦ ـ ٤٩/ ح٢٠.

(٣) مشارق أَنوار اليقين: ٢٦٩.

(٤) بحار الأَنوار ، ٢٥ : ٤ ـ ٥/ ح٧. المحتضر: ١٢٩.

(٥) الأَعراف : ١٨٠.

(٦) بحار الأَنوار ، ٩١ : ٦/ ح٧. تفسير العياشي ، ٢: ٤٢.

(٧) الأَعراف : ١٨٠.

(٨) بحار الأَنوار ، ٩١ : ٥ ـ ٦/ ح٧. تفسير العياشي ، ٢: ٤٢.

وَعَلَيه : يكون ذِكْرُ سَيِّد الْأَنْبِيَاء وسائر أَهْل الْبَيْتِ (صلوات اللّـه عليهم) والتَّوجُّه إِليهم ومخاطبتهم والتَّشَفُّع بهم توحيداً وذِكْراً وتوجُّهاً وخطاباً مُوَجَّهاً للّـه ـ المُسَمَّىٰ ـ (عزَّ اسمه) ، وتشفُّعاً به (جَلَّت آلاؤه) ، وَمِنْ ثَمَّ لا يكون كلاماً آدمياً مُبطلاً للصَّلاة وما شاكلها ، ولا يُتوقف فيه في العبادة وقبل الفراغ منها ؛ تَشَبُّثاً بقاعدة التَّوقيفيَّة ؛ بعدما كان مِنَ الأَذكار الإِلٰهيَّة الْبَحْتَة والعظيمة جِدّاً.

وهذا ما تُشير إِليه بيانات الوحي الأُخرىٰ ، منها :

بيان أَمِير المُؤْمِنِينَ (صَلَوَاتُ اللّـهِ عَلَيْهِ) ، فإِنَّه سُئِلَ عن العَالَمَ الْعُلْوي ، فأَجاب : « **صور عارية من المواد ، عالية عن القُوَّة والِاسْتِعْدَاد ، تجلَّىٰ لها فأَشرقت ، وطالعها فتلألأت ، وَأَلقىٰ في هويَّتها مِثْاله فأَظهر عنها أَفعاله** ...»[1].

نظيره :

أَوَّلاً : المرآة شديدة : الصَّقْل ، والصَّفاء ، والفَنَاء ، والحكاية ، والِانعكاس ؛ فإِنَّها بعدما كانت فانية فَنَاء حكاية في محكيِّها ، فلا تُري نفسها ، بل محكيِّها كان التَّوَجُّه إِليها تَوجُّهاً إِلى مَحْكِيِّها (الشَّاخص الخارجي ؛ صاحب الصُّورة المرآتيَّة).

وإِلى هذا يُشِير بيان القاعدة المعرفيَّة : « خَلَقَ اللّـه المرآة وجعل فيها أَسراراً» ، المُستفاد من بيانات الوحي المعرفيَّة ، منها :

---

(١) بحار الأَنوار ، ٤٠ : ١٦٥.

بيان خُطْبَة أَمِير الْمُؤْمِنِينَ (صلوات اللّٰـه عليه) : « **الحمد للّٰـه الَّذي... تتلقَّاه الأَذهان لا بمشاعرة ، وتشهد له المرائي لا بمحاضرة ، لم تحط به الأَوهام ، بل تجلَّىٰ لها بها ، وبها اِمْتَنَعَ منها ، وإِليها حاكمها ...** »[1].

ثانياً : (الصَّرح) الوارد في قضيَّة بلقيس مع النَّبيّ سليمان عليه السلام ، الواردة في بيان قوله جلَّ قوله: ﴿**قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾[2] ؛ فإِنَّـه لشِدَّة : خُلُوْصه ، وصفائـه ، واِنعكاسه ، وتمرُّد وَفَنَاء ذاته في الحكاية ، فلم يُرِ نفسه ، بل محكيَّه ـ اللُّجَّة ؛ أَي : الماء الغزير ـ اِنْعَكَسَت فِيه[3] جميع صفاتها[4] وَأَسمائها وشؤونها ، فحسبته ماءً غزيراً فكشفت عن ساقيها لتتخطَّاه ، ولَـمَّا أُخْبِرَت بالواقع ؛ وأَنَّه: (صرح مُـمَرَّدٌ) ؛ تـمرَّدَت ذاته وفَنِيَت في حكاية ذيه آمنت باللّٰـه تعالىٰ من دون نظر وتدبُّر ومُهْلَة وتردُّد ؛ لِالتقاطها إِشارة معرفيَّة توحيديَّة إِلى معنىٰ تجلِّي وظهور الذَّات الْإِلٰهِيَّة الْأَزَلِيَّة الْمُقَدَّسَة في المخلوقات الْمُكرَّمة.

---

(١) بحار الأَنوار ، ٤ : ٢٦١/ح٩.

(٢) النمل : ٤٤.

(٣) مرجع ضمير: (فيه): (الصرح) ، كمرجع الضمائر الْمُتقدِّمة ؛ الْمُتَّصلة بكلمة : (فإِنَّه) و(صفاته) و(انعكاسه) و(ذاته) و(نفسه) و(محكيِّه).

(٤) مرجع الضمير الْمُتَّصل بكلمة: (صفاتها) و(أَسمائها) و(شؤونها): اللُّجَّة ، أَي: الماء الغزير والوفير.

وهذا ما يُشِير إِليه الجَمُّ الْغَفِيرُ من بيانات الوحي الْأُخْرَى ، منها :

١ـ بيان أَمِير الْمُؤْمِنِينَ (صَلَوَاتُ اللَّـهِ عَلَيْهِ) في خُطْبَةٍ له في جامع البصرة: « **معاشر المؤمنين والمسلمين : إِنَّ اللَّـه عزوجل أَثْنَىٰ عَلَى نفسه فقال : « هو الأَوَّل ... والآخِر ... والظَّاهر ... والباطن ... سلوني قبل أَنْ تفقدوني ؛ فأَنا الأَوَّل ، وأَنا الآخِر** » ، إِلى آخِر كلامه ، فبكىٰ أَهل البصرة كُلّهم ، وصلُّوا عليه»[١].

٢ـ بيانه عليه السلام أَيضاً : « **... وَأَنا ... قلب اللَّـه وبابه الَّذي يُؤْتَىٰ منه ، ادخلوا الباب سُجَّداً أَغْفِر لكم خطاياكم وَأَزيد المحسنين ...**»[٢].

٣ـ بيان دعاء أَيّام شهر رجب ، عن النَّاحية الْمُقدَّسة ، الوارد في حَقِّ طبقات حقائق أَهْل الْبَيْتِ (صلوات اللّـه عليهم) الصَّاعدة : « **اللَّهُمَّ إِنِّي أَسأَلُكَ ... بما نطق فيهم من مشيئتكَ ، فجعلتهم معادنَ لكلماتِكَ ، وَأَركاناً لتوحيدكَ، وآياتكَ ومقاماتكَ الَّتي لا تعطيل لها في كُلِّ مكانٍ ، يَعْرِفُكَ بها مَنْ عَرَفَكَ ، لا فرق بينكَ وبينها إِلَّا أَنَّهم عبادُكَ وَخَلقُكَ ، فتقُها وَرَتقُها بيدكَ ، بدؤها مِنكَ وعودُها إِليكَ ... فيهم ملأَتَ سماءكَ وأَرضكَ حتَّىٰ ظهر: أَنْ لَا إِلٰه إِلَّا أَنْتَ ...**»[٣].

ودلالته ـ كدلالة سابقيه ـ قد اِتَّضَحَت ؛ فإِنَّه بعدما كانت طبقات

---

(١) بحار الأَنوار ، ٣٩ : ٣٤٨/ ح٢٠ مناقب آل أَبي طالب ، ١ : ٥١٢ ـ ٥١٤.

(٢) بحار الأَنوار ، ٣٩ : ٣٤٨/ ح٢٠.

(٣) المصدر نفسه ، ٩٥ : ٣٩٣.

حقائق أَهْل الْبَيْتِ (صلوات اللّـه عليهم) الصَّاعدة وتتبعها طبقاتها المُتوسِّطة والنَّازلة نظام عَالَم الخلقة والوجود والإمكان عَلَى الإطلاق قاطبة ، ووسائط الفيض الإلٰهيّ الفاردة ، والوسيلة الإلٰهيَّة التَّكوينيَّة الحصريَّة ، ووجه اللّـه ، والسَّبيل والسَّبب ، والباب والحِجَاب ، والرِّبَاط الإلٰهيّ التَّكوينيّ الحصري والأَدنىٰ بين الخالق ـ المُسَمَّىٰ ـ (جَلَّ شأنه) وجملة العوالم وكافَّة المخلوقات غير المتناهية كانت تلك الطَّبقات خالصة من شائبة الأَنا والمخلوقيَّة ، وانْمَحَت ـ لِشِدَّة خُلُوصها ـ ماهيَّاتها وذواتها المُمكنة ؛ فلم يُرَ فيها ماهيَّة : (مُحَمَّد ، وَعَلِي، وفاطمة ، والحسن ، والحسين ...) ، وفَنِيَتْ في الذَّات الْإِلٰهِيَّة الْأَزَلِيَّة المُقَدَّسَة فَنَاء حكاية اِنعكست فيها جملة صفات وأَسمآء وشؤون الذَّات الْإِلٰهِيَّة المُقَدَّسَة إِلَّا الأُلوهيَّة ـ لخروجها تخصُّصاً وموضوعاً ـ ، فكما أَنَّ اللّـه ـ المُسَمَّىٰ ـ صاحب الذَّات الْإِلٰهِيَّة الْأَزَلِيَّة المُقَدَّسَة هو: (اللّـه ، رحمٰن ، رحيم ...) وهلمَّ جرّاً من سائر الأَسمآء الإلٰهيَّة الحسنىٰ ، وموصوف بما يلائمها من الصِّفَات والشؤون الإلٰهيَّة المُقدَّسة كذلك طبقات حقائق أَهْل الْبَيْتِ (صلوات اللّـه عليهم) تَتَّصِف بهذه الأَسمآء والصِّفَات والشؤون الْإِلٰهِيَّة المُقَدَّسَة ، وتفعل أَفاعيلها ، لكن لا بالأَصالة ، بل بالتَّبع وبالتَّجَلِّي والظُّهور والإفاضة ؛ كرماً وعطيَّة وجوداً من الذَّات الْإِلٰهِيَّة المُقَدَّسَة ، وتفعل أَفاعيلها بإذن الواحد الأَحد (عَزَّ ذِكْرُهُ) ، ومِنْ ثَمَّ يكون التَّوجُّه لأَهْل الْبَيْتِ (صلوات اللّـه عليهم) ومخاطبتهم ـ سوآء كان في تشهُّد الشَّهادة الثَّانية أَو الثَّالثة أَو في السَّلام عَلَى سَيِّد الْأَنْبِيَاء وسائر أَهْل الْبَيْتِ (صلوات اللّـه عليهم) قبل الفراغ من الصَّلاة ، أَو السَّلام عَلَى سَيِّد الْأَنْبِيَاء ﷺ في ذِكْر

سجود سجدة السَّهو أَو غيرها ـ توجُّه إِلى اللَّـه ـ الْمُسَمَّىٰ ـ عزَّ وجهه ، ومُخَاطَبة له.

٤ـ بيان قولهم عليهم السلام : « **لنا مع اللَّـه حالات : هو هو ، ونحن نحن ، وهو نحن ، ونحن هو**»[1].

ودلالته قد اِتَّضَحَتْ أَيضاً ؛ فإِنَّه لَـمَّا لم يكن هناك فارقٌ بين الذَّات الْإِلٰهِيَّة الْأَزَلِيَّة الْمُقَدَّسَة وطبقات حقائق أَهْل الْبَيْتِ (صلوات اللّٰـه عليهم) الصَّاعدة من جهة الحكاية ـ لا من جهة التَّحَقُّق والواقع ـ كان اللَّـه ـ الْمُسَمَّىٰ ـ (جَلَّ ثناؤه): (هو نحن ، ونحن هو) ، لكنَّه لَـمَّا كان من جهة التَّحَقُّق والحقيقة والواقع ؛ وأَنَّ الحاكي غير المحكي صار: (هو هو ، ونحن نحن) ، فاللَّـه ـ الْمُسَمَّىٰ ـ (جَلَّ اسمُهُ) إِلٰه وخالق ومعبود ، وأَهْل الْبَيْتِ (صلوات اللّٰـه عليهم) بجميع طبقات حقائقهم منها الصَّاعدة مألوهين وعباد مـخلوقين ، وَأَسمائه وصفاته (تعالىٰ ذكره) بالذَّات والأَصالة ، وأَسمآئهم عليهم السلام وصفاتهم بالغير وبالتَّبع ، وحكاية ، ووجود ظلِّي لأَسمآئه وصفاته تعالىٰ ، وهو (جَلَّ ذِكْره) غنيّ بالذَّات ، وهم (صَلَوَاتُ اللَّـهِ عَلَيْهِمْ) ـ وإِنْ كانوا أَغنياء عن سائر المخلوقات لكنَّهم ـ فقراء ومحتاجين إِليه (علا ذِكْره).

وَمِنْ ثَمَّ تكون حقيقة التَّوَجُّه لأَهْل الْبَيْتِ (صلوات اللّٰـه عليهم) ومخاطبتهم ـ سوآء كان في تشهُّد الشَّهادة الثَّانية أَو الثَّالثة ، أَو في السَّلام عَلَى

---

(١) مصباح الهداية: ١١٤.

سَيِّد الْأَنْبِيَاء ﷺ وسائر أَهْل الْبَيْتِ (صلوات اللّـه عليهم) في تسليم الصَّلاة وقبل الفراغ منها ، أَو السَّلام عليه ﷺ في ذِكْر سجود سجدة السَّهو أَو غيرها توحيداً وَتَوَجُّها إِلى اللَّـه ـ الْمُسَمَّىٰ ـ ﷻ ومخاطبةً له من دون أَيّ تَجَوُّزٍ وَتَكَلُّفٍ وإِشكالٍ.

وهذه وغيرها نكتٌ ونُتَفٌ معرفيَّة توحيديَّة لا زالت بِكْراً لم تُفضّ من قَبْل قَطُّ ، خذها واغتنم ، وعض عليها بضرسٍ قاطعٍ تَرِبَت يداك.

خَلْطُ الملائكة بين الذَّات الْمُقَدَّسَة وحقائق أَهْل الْبَيْتِ عليهم السلام الصَّاعدة

ومِنْ كُلّ ما تقدَّم تَتَّضِح : نُكْتَة حصول الخلط والإشتباه لدىٰ جملة الملائكة عليهم السلام ـ منهم : الْمُقَرَّبون ؛ كـ : إِسرافيل وجبرئيل عليهما السلام ، مع أَنَّ الجميع معصومون ـ وعدم تمكُّنهم من التَّمييز بين ذات وصفات وأَسمآء وكمالات وشؤون : (الذَّات الْإِلٰهِيَّة الْأَزَلِيَّة الْمُقَدَّسَة) ، وذوات وصفات وأَسمآء وكمالات وشؤون : (طبقات حقائق سَيِّد الْأَنْبِيَاء وسائر أَهْل الْبَيْتِ صَلَوَاتُ اللَّـهِ عَلَيْهِمْ الصَّاعدة) ؛ والنُّكْتَةُ : ما تقدَّمت الإِشارة إِليه ؛ من أَنَّ جملة صفات وأَسمآء وكمالات وشؤون الذَّات الْإِلٰهِيَّة الْمُقَدَّسَة ـ إِلَّا الأُلوهيَّة ؛ لخروجها موضوعاً وتخصُّصاً ـ قد اِنعكست وتجلَّت وظهرت في تلك الطَّبقات المهولة العظيمة الخطيرة الشَّريفة إِفاضة من الذَّات الْمُقَدَّسَة.

فانظر : بيانات الوهي ، منها :

أَوَّلاً : بيان سَيِّد الْأَنْبِيَاء ﷺ : «... **أَوَّل ما خلق اللَّـه ﷻ : خلق أَرواحنا ... ثُمَّ خَلَقَ الملائكة ، فلَمَّا شاهدوا أَرواحنا نوراً واحداً استعظموا**

أَمرنا فسبَّحنا ؛ لتعلم الملائكة : أَنَّا خَلْقٌ مخلوقون ، وأَنَّه مُنَزِّه عن صفاتنا ، فسبَّحَت الملائكة بتسبيحنا ، ونزَّهته عن صفاتنا ، فلَمَّا شاهدوا عظم شأننا هلَّلنَا ؛ لتعلم الملائكة : (أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّـه) ، وَأَنَّا عبيد ، ولسنا بآلهة يجب أَنْ نُعبد معه ، أَو دونه ، فقالوا : (لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّـه) ، فَلَمَّا شاهدوا كُبْر مَحَلّنا كبَّرنا ؛ لتعلم الملائكة: أَنَّ اللَّـه أَكبر من أَنْ ينال عظم المحل إِلَّا به ، فلَمَّا شاهدوا ما جعله لنا من العزَّة والْقُوَّة قلنا : (لَا حَولَ وَلَا قُوَّة إِلَّا باللَّـه) ؛ لتعلم الملائكة: أَنْ لَا حَولَ لَنَا وَلَا قُوَّة إِلَّا باللَّـه ، فلَمَّا شاهدوا مَا أَنعم اللَّـه به علينا وَأَوجبه لَنَا من فرض الطَّاعة قلنا : (الحمد للَّـه) ؛ لتعلم الملائكة : ما يحقُّ للَّـه تعالىٰ ذِكْر علينا من الحمد عَلَى نعمته ؛ فقالت الملائكة : (الحمد للَّـه) ، فبنا اهتدوا إِلى معرفة توحيد اللَّـه وتسبيحه وتهليله وتحميده وتمجيده ...»[1].

ثانياً : بيان حديث المعراج ، عن الإِمام الصَّادق عليه السلام : «... إِنَّ اللَّـه (العزيز الجبَّار) عرج بِنَبِيِّه إِلى سبعاً ... ثُمَّ عرج به إِلى السَّماء الدُّنيا فنفرت الملائكة إِلى أَطراف السَّمآء ثُمَّ خَرَّت سُجَّداً فقالت : (سبُّوح قدُّوس ، رَبّنا ورَبّ الملائكة والرُّوح) ، ما أَشبه هذا النُّور بنور رَبّنا. فقال جبرئيل عليه السلام : (اللَّـه أَكبر ، اللَّـه أَكبر). فسكتت الملائكة ، وفتحت أَبواب السَّمآء ، واجتمعت الملائكة ثُمَّ جاءت فسلَّمت عَلَى النَّبيِّ صلى الله عليه وآله أَفواجا ... ثُمَّ عرج به إِلى السَّمآء الثانية ، فلَمَّا قرب من باب السَّمآء تنافرت الملائكة إِلى أَطراف

---

(١) بحار الأَنوار ، ١٨ : ٣٤٥ ـ ٣٤٧/ ح٥٦. علل الشَّرائع: ١٣ ـ ١٤. عيون أَخبار الرِّضا عليه السلام: ١٤٤ ـ ١٤٦.

السَّمآء وَخَرَّت سُجَّداً وقالت : (سُبُّوح قُدُّوس رَبّ الملائكة والرُّوح ، ما أَشبه هذا النُّور بنور رَبّنا). فقال جبرئيل عليه السلام : (أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّـه ...) فاجتمعت الملائكة وفتحت أَبواب السَّمآء ، وقالت : يا جبرئيل ، مَنْ هذا معك؟ فقال : هذا مُحَمَّد صلى الله عليه وآله ... قال رسول اللّـه صلى الله عليه وآله ... ثُمَّ عرج بي إِلى السَّمآء الثَّالثة فنفرت الملائكة إِلى أَطراف السَّمآء ، وَخَرَّت سُجَّداً ... ثُمَّ عرج بي إِلى السَّمآء الرَّابعة ...»[1].

ثالثاً : بيان حديث المعراج ، عن الإِمام الصَّادق عليه السلام أَيضاً: «**... إِنَّ رسول اللّـه صلى الله عليه وآله كان نائماً في ظلِّ الكعبة ، فَأَتاه جبرئيل عليه السلام ... فأَيقظه ... ثُمَّ صعد به حتَّىٰ انتهىٰ إِلى أَبواب السَّمآء ، فلَمَّا رأته الملائكة نفرت عن أَبواب السَّمآء وقالت : (إِلٰهين ؛ إِلٰهَ في الأَرض وَإِلٰهَ في السَّمآء) ، فأَمر اللّـه جبرئيل فقال : (اللّـه أَكبر ...) ، فتراجعت الملائكة نحو أَبواب السَّمآء ، وعَلِمَت أَنَّه مخلوق ؛ ففتحت الباب ، فدخل رسول اللّـه صلى الله عليه وآله حتَّىٰ انتهىٰ إِلى السَّمآء الثَّانية ، فنفرت الملائكة عن أَبواب السَّمآء ، فقالت : (إِلٰهين ، إِلٰه في الأَرض وإِلٰه في السَّمآء) ، فقال جبرئيل : (أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّـه ...) ، فتراجعت الملائكة وعلمت أَنَّه مخلوقٌ ثُمَّ فُتح الباب فدخل عليه السلام ...**»[2].

---

(١) بحار الأَنوار ، ٧٩ : ٢٣٧ ـ ٢٤٢/ح١. علل الشَّرائع ، ٢ : ٢ ـ ٦. الكافي ، ٣: ٤٨٢ ـ ٤٨٦.

(٢) تفسير العيَّاشي ، ١ : ١٧٧ ـ ١٧٨/ رقم (٥٣١).

ودلالة الجميع قد اِتَّضَحَت ولا غبار عليها ، فتأَمَّل جيِّداً.

والنتيجة مِنْ كُلِّ هذا : أَنَّه يجوز ـ وَعَلَى وفق القاعدة العقليَّة الأَوَّليَّة وحُكْم العقل والوحي ـ ذِكْر الشَّهادة الثَّالثة ـ كالشَّهادة الأُولىٰ.

والثَّانية ـ في تَشَهُّد الصَّلاة وما شاكله من دون حاجه إلى دليلٍ خاصٍّ ؛ وإِنْ وُجِدَ كان اِرشاديّاً لحُكْم القاعدة والعقل ، ويكون ذِكْرها في العبادة وغيرها ـ كذِكْرِ الشَّهادة الأُولىٰ والثَّانية ـ توحيداً وذِكْراً إِلٰهيّاً ، وتمجيداً وتقديساً للَّـه تعالىٰ عظيماً وخطيراً جِدّاً.

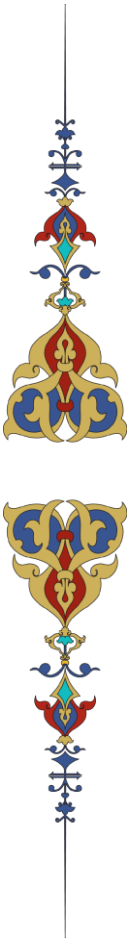

مُؤَيِّدات

بيانات الوحي المُشيرة لِمَا تقدَّم في البراهين الْعَقْلِيَّةِ

اِتِّضاح نِكَات وفلسفات العديد من طوائف وبيانات الوحي

وإِلى كُلِّ ما تقدَّم من البراهين الْعَقْلِيَّةِ ـ الدَّالَّين على ذلك التَّرابط التَّكوينيّ الوثيق والاقتران الأَكيد بين واقع الشَّهادات الثَّلاث ؛ بحيث إِذا ذُكِرَت إِحداها في موردٍ ـ كتشهُّد الصَّلَاة ـ فلابُدَّ مِنْ ذِكْرِ سائرها ، وإِذا اِنتفت إِحداها فلابُدَّ من اِنتفاء باقيها ـ يُشِير الجَمُّ الْغَفِيرُ من طوائف بيانات الوحي ، وتتَّضح نِكَاتها وفلسفاتها ، ومن تلك الطوائف :

لا معنى لتبليغ الشَّهادة الأُولى والثَّانية مع عدم تبليغ الشَّهادة الثَّالثة

نكران الشَّهادة الثَّالثة يستلزم جحود التَّوحيد ونكران الشَّهادة الأُولى والثانية

الطَّائفة الأُولىٰ ، ويُمَثِّلُها :

١ـ بيان قوله (جَلَّ قوله) الوارد في بيان تبليغ ولاية أَمِير الْمُؤْمِنِينَ وسائر

أَهْل الْبَيْتِ (صلوات اللّـه عليهم) في بيعة الغدير[١]: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[٢].

٢ـ بيان سَيِّد الْأَنْبِيَاء صلى الله عليه وآله مخاطباً أَمِير الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام : «... **وما أَكرمني اللّـه بكرامة إِلَّا وَأَكرمكَ بمثلها ... والَّذي بعثني بالحقِّ نبيّاً ما آمن بي من أَنكركَ ، ولا أَقرَّ بي من جحدكَ ، ولا آمن باللّـه من كفر بكَ ، وإِنَّ فضلكَ لمن فضلي ، وإِنَّ فضلي لفضل اللّـه ... واللّـه يا عَلِيّ ، ما خُلقتَ إِلَّا ليُعبد بكَ... ولقد ضلَّ من ضلَّ عنكَ ، ولن يهتدي إِلى اللّـه من لم يهتدِ إِليكَ وإِلى ولايتكَ ... ولقد أَمرني رَبِّي تبارك وتعالىٰ أَنْ أفترض من حقِّكَ ما أفترض من حقِّي ، وإِنَّ حقَّكَ لمفروض على مَنْ آمن بي ... ومَنْ لم يلقه بولايتكَ لم يلقه بشيءٍ ، ولقد أَنزل اللّـه عزَّوجلَّ إِلَيّ : ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ يعني : في ولايتك يا عَلِيّ ، ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ ، ولو لم أُبلِّغ ما أُمرتُ**

---

(١) يجدر الإلتفات : أَنَّ سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله بلَّغ وأَنذر ولاية أَمير المؤمنين وسائر أَهل البيت عليهم السلام بعد ولاية اللّـه وولاية سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله كراراً ومراراً ، منها :

١ـ في غدير خم.

٢ـ في الأَيَّام الأُولىٰ من بعثته صلى الله عليه وآله ، المُقتصّ لخبرها حديث : (يوم الدار) ، والَّتي حصلت بعد نزول بيان قوله تعالىٰ : ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]. الآمر لسيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله بتفعيل ولاية أَمير المؤمنين وسائر أَهل البيت عليهم السلام ، والمُهدِّد لـه صلى الله عليه وآله إِنْ لم يُفعِّلها بنفس التهديد الوارد في بيان تبليغ بيعة الغدير.

(٢) المائدة : ٦٧.

به من ولايتكَ لحبط عملي ، ومَنْ لقي اللّـه عزَّوجلَّ بغير ولايتكَ فقد حبط عمله ، وغداً سحقاً له...» [1].

ودلالتها واضحة على ذلك التَّرابط التَّكوينيُّ الوثيق والإقتران الأَكيد بين أَركان ومقامات التوحيد الثلاثة ـ أَي : الشهادات الثلاث ـ فإِنَّه لو لم يُبلِّغ سَيِّد الْأَنْبِيَاء صلى الله عليه وآله ولاية وإِمامة أَهْل الْبَيْتِ (صلوات اللّـه عليهم) وحاكميَّتهم الإِلٰهيَّة ومقام تطبيق الأَحكام الإِلٰهيَّة المُتمثِّلة في الشَّهادة الثالثة لم يُبلِّغ صلى الله عليه وآله أَصل الرسالة الإِلٰهيَّة ؛ أَي : الشَّهادة الأُولىٰ ولا الثانية ، ولحَبِطَ ـ والعياذ باللّـه تعالىٰ ـ عمله صلى الله عليه وآله ولم ينتفع من جُهد تبليغه مثقال ذرَّة ؛ فلم يُبلِّغ صلى الله عليه وآله التوحيد من الأَساس ، ولم يُبلِّغ صلى الله عليه وآله الأَحكام الإِلٰهيَّة ؛ كـ : وجوب الصَّلاة والصيام والحَجِّ وسائر العبادات وما شاكلها ؛ لأَنَّ روحها وقوامها وروح وقوام رسالة سَيِّد الْأَنْبِيَاء صلى الله عليه وآله الإِلٰهيَّة هو : التَّوحيد، وهو مأخوذ بشرط المجموع بين هذه المقامات والشَّهادات الثلاث المُندك بعضها بالآخر ، فإذا اِنْتَفَىٰ بعضها اِنْتَفَىٰ الباقي ، بل الشَّهادة الثَّالثة ـ كالثَّانية ـ فعلٌ إِلٰهيٌّ ؛ فتكون داخلة في حقيقة الشَّهادة الأُولىٰ وفي مقام توحيد الأَفعال الإِلٰهيَّة ، ومن ثَمَّ إِذا لم يُبلِّغ صلى الله عليه وآله إِمامة وولاية أَهْل الْبَيْتِ (صلوات اللّـه عليهم) وحاكميَّتهم الإِلٰهيَّة ومقام تطبيق الأَحكام الإِلٰهيَّة ؛ أَي : لم يُبلِّغ وجوب ولزوم الشَّهادة الثَّالثة في كلِّ موضعٍ ومقامٍ ذُكرت فيه الشَّهادة الأُولىٰ والثَّانية لم يُبلِّغ صلى الله عليه وآله مِنَ الأَساس الشَّهادة الثانية المُتمثِّلة بتشريع الأَحكام الإِلٰهيَّة ،

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٤ : ٦٤ ـ ٦٥/ ح٤٩.

كماهيَّات وحقائق العبادات ، ولم يُبلِّغ الشَّهادة الأُولىٰ المُتمثِّلة بتوحيد الذات والصفات والأَسماء والأَفعال الإِلٰهيَّة ، وهذا ما يُشِير إِليه إِضافة لِحدَّة لسان هذا البيان الشريف عجز بيان الآية الكريمة : ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ ؛ فإِنَّه وَصَفَ مَنْ لا يقبل بما يُراد تبليغه في بيعة الغدير ـ أَي : تبليغ الولاية والْإِمَامِيَّة الإِلٰهيَّة ؛ وتخصيصها وحصرها بأَهْل الْبَيْتِ (صلوات اللّٰـه عليهم) ، وتبليغ حاكميَّتهم الإِلٰهيَّة ، وتبليغ تخصيص وحصر مقام تطبيق الأَحكام الإِلٰهيَّة بهم (صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ) المُتمثِّلة في الشَّهادة الثَّالثة ـ كافرٌ باللّٰـهِ تعالىٰ.

وبالجملة : حيث إِنَّ بيان الآية الكريمة نفى مع عدم تبليغ ولاية وحاكميَّة أَهْل الْبَيْتِ (صلوات اللّٰـه عليهم) ـ نفى ـ أَصل تبليغ التَّوحيد ، وأَصل تبليغ الرسالة الإِلٰهيَّة ، وأَصل تبليغ الأَحكام والماهيَّات والحقائق الشرعيَّة والدينيَّة ـ كالصَّلاة ـ دلَّ ذلك على ذلك الإِستلزام والتَّرابط التَّكوينيّ الوثيق والإِقْتِرَان الأَكيد بين هذه الأَركان والمقامات والشَّهادات الثلاث ، وإِلَّا ـ أَي : لو لم يكن هذا الإِستلزام والترابط التَّكوينيّ الأَكيد والوثيق موجوداً واقعاً بين هذه المقامات والشَّهادات الثلاث ؛ ولم تُؤخذ بشرط المجموع ، وإِنَّما أُخذت بشرط الإِفراد ، بل لو لم تكن الشَّهادة الثَّالثة ـ كالثَّانية ـ داخلة في حقيقة وماهيَّة الشَّهادة الأُولىٰ ـ لكان بيان الآية الكريمة أَنْ يُعبِّر بدل : ﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ بـ : « فما بلَّغتَ ولاية اللّٰـه وحاكميَّته ومقام تطبيق الأَحكام الإِلٰهيَّة ».

بل كيف لصاحب المرتبة النَّازلة ـ وهو : الشَّهادة الثَّالثة ـ إِسْقَاط

صاحب المرتبة الصَّاعدة ـ وهو : الشَّهادة الأُولىٰ والثانية ـ إِذا لم تكن هذه الشَّهادات الثلاث مأخوذة بشرط المجموع ، أَو لم تكن تؤول إِلى حقيقةٍ واحدةٍ.

وعليه : فإذا وجبت أَو وجدت إِحدىٰ هذه الشَّهادات الثَّلاث في موردٍ فلابُدَّ ـ وبالضرورة الْعَقْلِيَّةِ والوحيانيَّة ؛ وبمقتضىٰ ذلك الإِستلزام ـ من وجوب أَو وجود سائرها ؛ وإِذا انتفت انتفت باقيها ؛ من دون حاجة إِلى دليلٍ خاصٍّ ؛ بعدما جاء هذا الأَمر على وفق القاعدة الأَوَّليَّة الْعَقْلِيَّة وحُكْم العقل هذا . وَمِنْ ثَمَّ إِذا وُجِدَ الدَّليل على وجوب ولزوم الإِتيان بالشَّهادة الثَّالثة في تَشَهُّد الصَّلاة وما شاكله كان إِرشاديّاً لحُكْم القاعدة الأَوَّليَّة الْعَقْلِيَّة وحُكْم العقل هذا ؛ وحيث وجب ولزم بالضرورة العقليَّة والوحيانيَّة ذِكْر كلمة التوحيد ؛ أَي : الشَّهادة الأُولىٰ في تشهُّد الصَّلاة وما شاكله وجب ولزم أَيضاً وبالضرورة العقليَّة والوحيانيَّة ذِكْر الشَّهادة الثَّالثة ـ كالثَّانية ـ في تشهُّد الصَّلاة وما شاكلة ، وإِلَّا ـ أَي : إِذا لم تجب الشَّهادة الثَّالثة في تشهُّد الصَّلاة وما شاكله وبالتَّبع لا تجب واقعاً لا بحسب الظَّاهر الشَّهادة والأولىٰ والثَّانية كما تقدَّم بيان ذلك ـ كانت ماهيَّة وحقيقة الصَّلاة وما شاكلها كالأذان والاقامة فاقدة من الأَساس لروحها وحقيقتها ومُقَوِّمها ، وهو التَّوحيد المُتمثِّل بالشَّهادات الثلاث ، وتكون العبادة خاوية ؛ ومن دون روح وحقيقة ومُقوِّم . فالتفت ، وتدبَّر جيِّداً.

نعم ، في موارد التقيَّة وكحُكْمٍ ثانويٍّ ـ كما هو الحال في زمان سَيِّد الْأَنْبِيَاء صلى الله عليه وآله وزمان سائر أَهْل الْبَيْتِ (صلوات اللّٰـه عليهم) ـ يُكتفىٰ بصورة

الصَّلاة الخاوية والخالية من التوحيد ، ويُحكم بإِجزائها عن الصَّلاة المُتعلِّق بها الحُكْم الأَوَّلي ، كحال سائر موارد التقيَّة وموارد الإِضطرار ، لكن إذا زالت التقيَّة ـ كيومنا هذا ـ وزال الإِضطرار زال معه موضوع الحُكْم الثانوي ، وزال تبعاً له الحُكْم الثانوي القاضي بإِجْزَاء الصَّلاة من دون الشَّهادة الثَّالثة في ظرف التقيَّة ، والحاكم بجواز ، بل وجوب أَكل لحم الميتة إِذا خاف المُكلَّف على نفسه الهلاك جوعاً ، ويكون الحُكْم المُحَكَّم هو الحُكْمُ الأَوَّليُّ القاضي بوجوب ضَمّ الشَّهادة الثَّالثة إِلى الأُولىٰ والثانية في تشهُّد الصَّلاة وما شاكله من العبادات كالأَذان والإِقامة ، ولا إِجْزَاء من دونها ، ولا يُكتفىٰ بصورة الصَّلاة وما شاكلها المُجزية في ظرف التقيَّة ، وهكذا يكون الحُكْم المُحَكَّم في حال اِرتفاع الإِضطرار لأَكل لحم الميتة هو الحُكْمُ الأَوَّليُّ القاضي بحرمة أَكل لحم الميتة. فالتفت ، وتدبَّر جيِّداً.

ثُمَّ إِنَّ بيان الآية الكريمة هذا دالٌّ أَيضاً على وجود ترابط أَكيد في مقام الإِستنباط بين بيانات ونتائج وأَحْكَام الشَّريعة والدِّين ـ أَي : بين فروع الدِّين وأُصوله ـ .

وهذه قضيَّة أُخرىٰ ينبغي أَنْ تكون بديهيَّة وجليَّة وواضحة أَيضاً ؛ ومن ثَمَّ يجب على المُسْتَنْبِط لأَحْكَام الفروع ـ ؛ كيما تكون اِستنباطاته ونتائجه وأَحْكَامه قريبة للواقع ـ أَنْ يكون مجتهداً أَيضاً في أَبواب المعارف والعقائد الإِلٰهيَّة ، وكذا العكس . وإِلَّا كانت اِستنباطاته ونتائجها وأَحْكَامها بعيدة عن الواقع . فتأَمَّل جيِّداً .

تقارن واقعي وتَكْوينِيّ بين حقائق الشَّهادات الثَّلاث

الطائفة الثَّانية ، ويُمَثِّلها :

(١/ ٣) ـ بيان سَيِّد الْأَنْبِيَاء صلى الله عليه وآله المُنضمّ إليه بيان الحديث القدسي : «إنَّ مَنْ لا يؤمن بالقرآن فما آمن بالتوراة ؛ لأَنَّ اللّـه تعالىٰ أَخَذ عليهم الإِيمان بهمـا، لا يقبل الإِيمان بأَحدهما إِلَّا بالإِيمان بالآخر ، فكذلك فرض اللّـه الإِيمان بولاية عَلِيّ بن أبي طالب عليه السلام كما فرض الإِيمان بمُحَمَّد صلى الله عليه وآله ، فَمَنْ قال : آمنت بنبوَّة مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وكفرتُ بولاية عَلِيّ بن أَبي طالب عليه السلام فمَا آمن بنبوَّة مُحَمَّد صلى الله عليه وآله ، إِنَّ اللّـه تعالىٰ إذا بعث الخلائق يوم القيامة نادىٰ منادي ربّنا نداء تعريف الخلائق في إِيمانهم وكفرهم ، فقال : اللّـه أَكبر اللّـه أَكبر ، ومناد آخر يُنادي : معاشر الخلائق ، ساعدوه على هذه المقالة ، فأَمَّا الدهريَّة والمعطِّلَة فيخرسون عن ذلك ولا تنطق أَلسنتهم ، ويقولها سائر النَّاس ، ثُمَّ يقول المنادي : أَشهد أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّـه ، فيقول الخلائق كلّهم ذلك إِلَّا مَنْ كان يشرك باللّـه تعالىٰ من المجوس والنصارىٰ وعبدة الأَوثان ؛ فإِنَّهم يخرسون فيُبيَّنون بذلك من سائر الخلائق ، ثُمَّ يقول المنادي : أَشهدُ أَنَّ مُحَمَّداً رسول اللّـه ، فيقولها المسلمون أَجمعون ، ويخرس عنها اليهود والنصارىٰ وسائر المشركين ، ثُمَّ يُنادي مناد آخر من عرصات القيامة : أَلَا فسوقوهم إلى الجنَّة ؛ لشهادتهم لمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله بالنُّبوَّة ، فإذا النداء من قِبْل اللّـه (عَزَّ وَجَلَّ) : لا ، بل قفوهم ، إِنَّهم مسؤولون ، يقول الملائكة الَّذين قالوا سوقوهم إلى الجنَّة ؛ لشهادتهم لمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله بالنُّبوَّة : لِـمَا يقفون يا ربّنا ؟ فإذا النداء من قِبْل اللّـه :

قفوهم إِنَّهم مسؤولون عن ولاية عَلِيّ بن أبي طالب عليه السلام وآل محمَّد ، يا عبادي وإمائي ، إِنِّي أَمرتهم مع الشَّهادة بمُحَمَّدٍ شهادة أُخرىٰ فإذا جاؤوا بها فعظِّموا ثوابهم ، وأَكرموا مآبهم ، وإِنْ لم يأتوا بها لم تنفعهم الشَّهادة لمُحَمَّدٍ بالنُّبُوَّة ولا لي بالربوبيَّة ، فمَنْ جاء بها فهو من الفائزين ، وَمَنْ لم يأتِ بها فهو من الهالكين، قال : فمنهم من يقول : قد كنت لِعَلِيّ عليه السلام بالولاية شاهداً ولآل مُحمَّد صلى الله عليه وآله مُحبّاً ؛ وهو في ذلك كاذب ، يظنّ كذبه يُنجيه ، فيقال لهم : سوف نستشهد على ذلك عليّاً عليه السلام ، فتشهد أَنتَ يا أَبا الحسن ، فتقول : الجنَّة لأَوليائي شاهدة والنَّار لأَعدائي شاهدة ، فمَنْ كان منهم صادقاً خرجت إِليه رياح الجنَّة ونسيمها فاحتملته فأوردته إِلى أَعلىٰ غرفها ... وَمَنْ كان منهم كاذباً جاءته سموم النَّار وحميمها وظلّها الَّذي هو ثلات شعب ... فحمتله (خ. ل: فترفعه) في الهواء ، وتورده نار جهنَّم ، قال رسول اللّـه صلى الله عليه وآله : فكذلك أَنْتَ قسيم الجنَّة والنَّار ، تقول لها : هذا لي وهذا لَكِ»[1].

(٢/ ٤) ـ بيان أَمِير المُؤْمِنِينَ عليه السلام : «... وَمَنْ لم يَقِرَّ بولايتي لم ينفعه الإِقرار بنبوَّة مُحَمَّد صلى الله عليه وآله ؛ أَلا إِنَّهما مقرونان ... »[2].

(٣/ ٥) ـ بيانه عليه السلام أَيضاً : «وإِنِّي مِنْ أَحمد بمنزلة الضوء من الضوء ...»[3].

---

(١) بحار الأَنوار ، ٧ : ١٨٦ ـ ١٨٧/ ح٤٦.

(٢) المصدر نفسه ، ٢٦ : ١ ـ ٧/ ح١.

(٣) المصدر نفسه ، ٦٤ : ١٠٠/ ح١٦.

(٤/ ٦) ـ بيانه عليه السلام أَيضاً : «**... وأَنا من رسول اللَّـه صلى الله عليه وآله كالصَّنْوِ من الصَّنْوِ ، والذرع من العضد ...**»[١].

(٥/ ٧) ـ بيانه عليه السلام أَيضاً : «**... ولقد أَقَرَّت لي جميع الأَوصياء والأَنبياء بمثل ما أَقَرَّت به لمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله ...**»[٢].

(٦/ ٨) ـ بيانه عليه السلام أَيضاً : «**... ولقد أَقَرَّت لي جميع الملائكة والرُّوح والرُّسُل بمثلِ ما أَقَرُّوا لمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله ، ولقد حملت عَلَى مثل حمولته ، وهي حمولة الرَّبّ تبارك وتعالىٰ ...**»[٣].

(٧/ ٩) ـ بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام: «**ليس موقف أَوقف اللَّـه سبحانه نبيَّه فيه ليشهده ويستشهده إِلَّا ومعه أَخوه وقرينه وابن عمِّه ووصيّه ، ويؤخذ ميثاقهما معاً (صَلَوَاتُ اللهِّ عَلَيْهِما وعَلَى ذريَّتهما الطَّيبين)**»[٤].

(٨/ ١٠) ـ بيانه عليه السلام أَيضاً في دعاء زمن الْغَيْبَة ؛ مُخاطباً زرارة : «**... يا زرارة ، إِنْ أَدْرَكْتَ ذلك الزَّمان فالزم هذا الدُّعاء : اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي نَفْسَكَ ؛ فإِنَّك إِنْ لم تُعَرِّفْنِي نَفْسَكَ لم اعرف نَبيّكَ ، اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي رسولكَ ؛ فإِنَّكَ إِنْ لم**

---

(١) بحار الأَنوار ، ٤٠ : ٣٤٢.

(٢) المصدر نفسه ، ٣٩ : ٣٤٣/ ح١٥. بصائر الدَّرجات : ٥٣ ـ ٥٤.

(٣) المصدر نفسه ، ٣٩ : ٣٤٤/ ح١٦. بصائر الدَّرجات : ٥٤. أُصول الكافي ، ١/ ١٩٧.

(٤) بحار الأَنوار ، ٢٦ : ٢٩٦/ ح٦٠. كنز الفوائد : ٢١٤ ـ ٢١٥.

تُعَرِّفْنِي رَسُولَكَ لم اعرف حُجَّتَكَ ، اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي حُجَّتَكَ ؛ فإِنَّكَ إِنْ لم تُعَرِّفْنِي حُجَّتَكَ ضَلَلْتُ عَنْ ديني ...»[1].

ودلالة الجميع ـ لا سيما بيان قوله تعالىٰ : «**إِنِّي أَمرتهم مع الشَّهادة بِمُحَمَّدٍ شهادة أُخرىٰ ، فإذا جاؤوا بها فعظِّموا ثوابهم ، وأَكرموا مآبهم ، وإِنْ لم يأتوا بها لم تنفعهم الشَّهادة لِمُحَمَّدٍ بالنُّبُوَّة ولا لي بالربوبيَّة**» ، وبيانه (صَلَوَاتُ اللَّـهِ عَلَيْهِ) : «... **وَمَنْ لم يَقِرَّ بولايتي لم ينفعه الإِقرار بنبوَّة مُحَمَّد** ﷺ ؛ **أَلَا إِنَّهما مقرونان**» ـ واضحة عَلَى ذلك الترابط التَّكْوينيّ الوثيق والاقتران الأَكيد بين واقع الشَّهادات الثلاث المُندك بعضها بحقيقة بعضها الآخر ؛ والمأخوذة إِثباتاً بشرط المجموع ؛ لأَنَّ واقع الشَّهادة الثَّالثة ـ كالثَّانية ـ تؤول وداخلة تكويناً في حقيقة الشَّهادة الأُولىٰ وَأَحَد أَركانها الثَّلاثة ، بل أَحَد رُكْنَيها ، ومِنْ ثَمَّ يلزم أَخذها ـ في عَالَمَ الإِثبات ـ بشرط المجموع ؛ لضرورة عدم إِمكان التَّفكيك ـ في عَالَمَ الثبوت ـ بين الشيء وأَركان حقيقته ، فلذا يكون عطف الشَّهادة الثَّالثة ـ كالثَّانية ـ عَلَى الشَّهادة الأُولىٰ من باب عطف الخاصّ عَلَى العام . وَمِنْ ثَمَّ إِذا وُجِدَت رواية تذكر الشَّهادة الأُولىٰ والثَّانية من دون ذِكْر الشَّهادة الثَّالثة فدليل عَلَى صدورها في ظرف التقيّة . فالتفت ، وتأَمَّل جَيِّداً.

وعليه : فإِذا وجبت أَو وُجِدَت إِحدىٰ هذه الشَّهادات الثَّلاث في موردٍ فلابُدَّ وبالضرورة العقليَّة والوحيانيَّة من وجوب أَو وجود سائرها ،

---

(١) بحار الأَنوار ، ٥٢ : ١٤٦ ـ ١٤٧/ ح٤٦. كمال الدين ، ٢: ١٢. الكافي، ١ : ٣٣٧ ـ ٣٤٢. غيبة النعماني: ٨٦ ـ ٨٧. غيبة الشَّيخ: ٢١٧.

وإذا انتفت اِنتفت باقيها ؛ من دون حاجة إلى دليلٍ خاصٍّ ؛ بعدما جاء هذا الأَمر عَلَى وفق القاعدة الأَوَّليَّة العقليَّة ، وحُكْم العقل . وَمِنْ ثَمَّ إذا وُجِدَ دليل حَاكِم بوجوب ولزوم الاِتيان بهذه الشَّهادات الثَّلاث بشرط المجموع في تشهُّد الصَّلاة وما شاكله كان دليلاً اِرشاديّاً لحُكْم القاعدة الأَوَّليَّة العقليَّة ولحُكْم العقل هذا.

وحيث وجب ولزم بالضَّرورة العقليَّة والوحيانيَّة ذِكْر كلمة التَّوحيد ؛ أَي : الشَّهادة الأُولىٰ في تشهُّد الصَّلاة وما شاكله وجب ولزم أَيضاً وبالضَّرورة العقليَّة والوحيانيَّة ذِكْر الشَّهادة الثَّالثة ـ كالثَّانية ـ في تشهُّد الصَّلاة وما شاكله ، وإِلَّا ـ أَي : إِذا لم تجب الشَّهادة الثَّالثة في تشهُّد الصَّلاة وما شاكله وبالتبع لا تجب واقعاً لا بحسب الظَّاهر الشَّهادة الأُولىٰ والثَّانية كما تقدَّم بيان ذلك ـ كانت ماهيَّة وحقيقة الصَّلاة وما شاكلها كالأَذان والاقامة فاقدة من الأَساس لروحها وحقيقتها ومُقوِّمها ؛ وهو التَّوحيد المُتمثِّل بالشَّهادات الثَّلاث ، وتكون العبادة خاوية ومن دون روح وحقيقة ومُقوِّم . فالتفت ، وتدبَّر جيداً.

بل لو لم تكن الشَّهادة الثَّالثة لازمة بالضَّرورة في كُلِّ موردٍ وجبت أَو وُجِدَت فيه الشَّهادة الأُولىٰ والثَّانية لزم من ذلك ـ كما تَقَدَّمَ بيان ذلك في البرهان الْعَقْلِيّ الثَّالث ـ اِنتفاء فائدة وغرض وغاية الشَّهادة الثَّانية وأَصل الرِّسالة الإِلٰهيَّة والبعثة النَّبويَّة ، وانتفاء فائدة وغرض وغاية الشَّهادة الأُولىٰ وأَصل التَّوحيد.

ومعناه : أَنَّه أَينَما وجبت أَو وُجِدَت إِحدىٰ هذه الشَّهادات الثَّلاث في موردٍ فلابُدَّ وبالضَّرورة العقليَّة والوحيانيَّة من وجوب أَو وجود سائرها ، وأَينما اِنتفت إِحداها في موردٍ فلابُدَّ أَيضاً وبالضَّرورة العقليَّة والوحيانيَّة من اِنتفاء باقيها ؛ من دون حاجة إِلى دليلٍ خاصٍّ ، بعدما جاءت هذه القضيَّة عَلَى وفق القاعدة الأَوَّليَّة العقليَّة ، وَعَلَى وفق حُكْم العقل في المقام.

والنتيجة : أَنَّه حيث وجب في تشهُّد الصَّلاة وما شاكله ذِكْر الشَّهادة الأُولىٰ والثانية وجب أَيضاً وبالضَّرورة الوحيانيَّة والعقليَّة ـ وبمقتضىٰ ذلك الاستلزام ، وما تقدَّم من بيانات وبراهين ، بل وما سيأتي (إِنْ شَآءَ اللهُ تَعَالَى) ـ ذِكْر الشَّهادة الثَّالثة في تلك الموارد من دون فرق ، بل لا يحتاج ذلك الوجوب ـ بعدما جاء عَلَى وفق القاعدة الأَوَّليَّة العقليَّة وَعَلَى وفق حُكْم العقل ـ إِلى دليلٍ خاصٍّ ، ويكون ذِكْرها في العبادة وغيرها ـ كَذِكْر الشَّهادة الأُولىٰ والثَّانية ـ توحيداً وذِكْراً إِلٰهيّاً ، وتقديساً وتمجيداً للّـه تعالىٰ عظيماً وخطيراً جِدّاً.

بل حقيقة التَّوجُّه لأَهْل الْبَيْتِ (صلوات اللّٰـه عليهم) ومخاطبتهم والتَّوسُّل والتَّشَفُّع بهم ـ سواء كان في تَشهُّد الصَّلاة وفي الشَّهادة الثَّانية أَو الثَّالثة ، أَو في السَّلام عَلَى سَيِّد الْأَنْبِيَاء وسائر أَهْل الْبَيْتِ (صلوات اللّٰـه عليهم) في تسليم الصَّلاة وقبل الفراغ منها ، أَو في السَّلام عَلَى سَيِّد الْأَنْبِيَاء صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في ذِكْر سجود سجدة السَّهُو أَو غيرها ، كما تَقَدَّمَ بيان ذلك في البرهان الْعَقْلِيّ الرَّابع ـ تَوَجُّه للّـه المُسمَّىٰ جَلَّ جَلَالُهُ ، ومخاطبة له (عَزَّ وجهه) ،

وَتوسُّلٌ وتشفّع به (جَلَّ ذِكْره) مِنْ دون أَي تجوُّز وتكلُّف وتمحُّل ؛ فإِنَّ الخطاب والكلام المُوَجَّه للمعصوم عليه السلام لا يكون مُوَجَّهَاً إِليه بما هو هو ، بل بما هو خليفة وولي للّـه تعالىٰ ، وتجلِّي وظهور له (جَلَّ وتقدَّس) ، ومرآة حاكية وكاشفة ـ من وَجْهٍ ـ عن الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزَليَّة المُقدَّسة ، وعن أَسمآئه وصفاته وكمالاته (جَلَّ قدسه) ، وكاشفة عن شؤون وأَحوال سَاحَة الْقُدْسِ الْإِلٰهِيَّةِ. وقد تقدَّم في أَبحاث سابقة ، بل وسيأتي (إِنْ شَآءَ اللهُ تَعَالَى) في موارد كثيرة تفصيل ذلك وبيان أَدِلَّته .

الشَّهادةُ الثَّالثة شرطٌ مِنْ شُروطِ الشَّهادة الأُولى

الشَّهادة الثَّالثة تستلزم الشَّهادة الأُولى ومن شروطها

الطائفة الثَّالثة، ويُمَثِّلها:

(١/ ١١) ـ بيان الإِمام الرِّضا عليه السلام ، في حديث السلسلة الذهبيَّة ، عن إِسحاق بن راهويه ، قال : «**لَـمَّا وافىٰ أَبو الحسن الرِّضا عليه السلام نيسابور أَراد أَنْ يخرج منها إِلى المأمون اجتمع عليه أَصحاب الحديث فقالوا له : يابن رسول اللّـه ، ترحل عنَّا ولا تُحَدِّثنا بحديثٍ فنستفيده مِنْكَ ـ وكان قد قعد في العماريَّة ـ فأطلع رأسه وقال : سمعتُ أَبي موسىٰ بن جعفر يقول : سمعتُ أَبي جعفر بن مُحَمَّد يقول : سمعتُ أَبي مُحَمَّد بن عَلِيّ يقول : سمعتُ أَبي عَلِيّ ابن الحسين يقول : سمعتُ أَبي الحسين بن عَلِيّ بن أَبي طالب يقول : سمعتُ أَبي أَمِير المُؤْمِنِينَ عَلِيّ بن أَبي طالب ـ عليهم السلام ـ يقول : سمعتُ رسول اللّـه صلى الله عليه وآله**

يقول : سمعتُ جبرئيل يقول : سمعتُ اللّـه ﷻ يقول : لا إِلٰهَ إِلَّا اللّـه حصني فَمَنْ دَخَلَ حصني أَمِنَ عذابي. [قال] : فَلَمَّا مَرَّت الرَّاحلة نادانا : بشروطها ، وأَنا من شروطها» [1].

ودلالته ـ كدلالة سوابقه ـ قد اِتَّضحت أَيضاً ؛ فإِنَّها دالَّة عَلَى ذلك التَّرابط التَّكوينيّ الوثيق والاقتران الأَكيد بين حقائق الشَّهادات الثَّلاث ؛ المُندَك بعضها بالآخر ، والمأخوذة بشرط المجموع ؛ والَّتي تكون العلاقة بين أَطرافها عَلَى نحو الاستلزام ومن جملة أَطرافها ، لَا عَلَى نحو اللِّزوم ومن طرفٍ واحدٍ ، فلذا إِذا حصل لدىٰ المخلوق خلل أَو اختلال معرفي في إِحدىٰ هذه الشَّهادات كالشَّهادة الثَّالثة فلابُدَّ من حصوله في الجميع ؛ لكونها ـ وكما تقدَّم ـ مأخوذة بشرط المجموع ، ومِنْ ثَمَّ لو لم يقرَّ المخلوق بولاية أَهْل الْبَيْتِ (صلوات اللّـه عليهم) وبإِمامتهم وحاكميَّتهم الإِلٰهيَّة ، وبطاعتهم ، وبحصريَّة مقام تطبيق الأَحكام الإِلٰهيَّة بهم (صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ) ؛ فلم يعتقد ولم يقرَّ بالشَّهادة الثَّالثة لَـمَا وَحَّدَ باريه تعالىٰ ، ولَـمَا اعتقد به ﷻ وبسَيِّد الْأَنْبِيَاء ﷺ وبرسالته وإِنْ اعتقد بالشَّهادة الأُولىٰ والثَّانية وأَقَرَّ بهما ، فلا ينتفع المُعتقِد والمُقِرَّ بهما قيد اِنملة ؛ لكونهما يكونا من باب السَّالبة بانتفاء موضوعها، وهو : (مجموع الشَّهادات الثلاث) ، فإِذا حصل المجموع واعتقد

---

(١) بحار الأَنوار ، ٣ : ٧ / ح١٦.

وأَقَرَّ المخلوق بمجموع هذه الشَّهادات الثَّلاث ولم يُفَرِّق بينها ؛ فقد اعتقد وأَقَرّ بالشَّهادة الأُولىٰ ـ كالثَّانية والثَّالثة ـ ، وإذا انتفت إحداها انتفىٰ سائرها. وإلى هذا الاستلزام يُشير بيانه (صَلَوَاتُ اللَّـهِ عَلَيْهِ) : «**وَأَنا مِنْ شروطها**» ، أَي : أَنَّ الشَّهادة الثَّالثة ـ كالثَّانية ـ مِنْ شروط الشَّهادة الأُولىٰ تكويناً.

بل حقيقة الشَّهادة الثَّالثة ـ كالثَّانية ـ فعلٌ إِلٰهيٌّ فتكون داخلة في حقيقة الشَّهادة الأُولىٰ ؛ وفي مقام توحيد الأَفعال الإِلٰهيَّة ، فيكون عطف الشَّهادة الثَّالثة ـ كالثَّانية ـ عَلَى الشَّهادة الأُولىٰ من باب عطف الخاصّ عَلَى العام ، ومِنْ ثَمَّ إِذا حصل خلل أَو اِختلال في معرفة المخلوق واعتقاده أَو في اقراره بالشَّهادة الثَّالثة أَو الثَّانية فلابُدَّ مِنْ حصول نفس ذلك الخلل والاختلال تكويناً في معرفته واعتقاده واقراره بالشَّهادة الأُولىٰ ؛ لأَنَّ حقيقة ذلك الخلل أَو الاِختلال وواقعه صار في حقيقة وواقع الشَّهادة الأُولىٰ ؛ لأَنَّها مُرَكَّبة من أَركانٍ ثلاثةٍ ، وهي : (التَّوحيد في مقام الذَّات الْإِلٰهِيَّة الْأَزَلِيَّة الْمُقَدَّسَة ، والتَّوحيد في مقام الصِّفات والأَسمآء الإِلٰهيَّة ، والتَّوحيد في مقام الأَفعال الإِلٰهيَّة) ، بل واقع الشَّهادة الأُولىٰ وحقيقتها مُرَكَّبة من ركنين ؛ بعدما كان المُختار وما قامت عليه البراهين الوحيانيَّة والعقليَّة : أَنَّ الأَسمآء والصِّفات الإِلٰهيَّة ـ ذاتيَّة كانت أَم فعليَّة ـ أَفعالٌ إِلٰهيَّة ، فيكون الرُّكن الثَّاني داخلاً في الرُّكن الثَّالث ، وَمِنْ ثَمَّ تكون الشَّهادة الأُولىٰ مُرَكَّبة مِنْ رُكنين : أَحدهما : التَّوحيد في مقام الذَّات الإِلٰهيَّة المُقدَّسة ، والآخر : التَّوحيد في مقام الأَفعال

الإِلٰهيَّة ، فالتفت. وحيث إِنَّ الخلل والإِختلال المعرفي الحاصل من المخلوق في الشَّهادة الثَّالثة والنَّافي لها يكون خللاً واختلالاً عظيماً في الرُّكن الثَّاني من ركنيِّ الشَّهادة الأُوْلىٰ فتنتفي حقيقة الشَّهادة الأُولىٰ والتَّوحيد بِكِلَا الرُّكنين مِنَ الأَساس ، وتصير حقيقة الشَّهادة الأُولىٰ والتَّوحيد من باب السَّالبة بانتفاء موضوعها.

ومعناه : أَنَّه أَينما وجبت أَو وُجِدَت إِحدىٰ هذه الشَّهادات الثلاث فلابُدَّ من وجوب أَو وجود سائرها بالضَّرورة العقليَّة والوحيانيَّة ، وأَينما اِنتفت إِحداها فلابُدَّ من اِنتفاء الباقي بالضَّرورة العقليَّة والوحيانيَّة أَيضاً.

بل لو لم تكن الشَّهادة الثَّالثة لازمة بالضَّرورة في كُلِّ موردٍ وجبت أَو وُجِدَت فيه الشَّهادة الأُولىٰ والثَّانية لزم من ذلك ـ كما تَقَدَّمَ بيان ذلك في البرهان الْعَقْلِيّ الثَّالث ـ اِنتفاء فائدة وغرض وغاية الشَّهادة الثَّانية وأَصل الرِّسالة الإِلٰهيَّة والبعثة النَّبويَّة ، وانتفاء فائدة وغرض وغاية الشَّهادة الأُولىٰ وأَصل التَّوحيد.

والنتيجة : أَنَّه حيث وجب في تشهُّد الصَّلاة وما شاكله ذِكْر الشَّهادة الأُولىٰ والثَّانية وجب أَيضاً وبالضَّرورة الوحيانيَّة والعقليَّة ـ وبمقتضىٰ ذلك الاستلزام ، وما تقدَّم من بيانات ـ ذِكْر الشَّهادة الثالثة في تلك الموارد من دون فرق ، بل لا يحتاج ذلك الوجوب ـ بعدما جاء عَلَى وفق القاعدة ـ إِلى دليلٍ خاصٍّ ، ويكون ذِكْرها في العبادة وغيرها ـ كَذِكْرِ الشَّهادة الأُولىٰ والثَّانية ـ

توحيداً وذِكْراً إِلٰهيّاً ، وتمجيداً للّـه تعالىٰ عظيماً وخطيراً جِدّاً.

بل حقيقة التَّوجُّه لأَهْل الْبَيْتِ (صلوات اللّـه عليهم) ومخاطبتهم والتَّوسُّل والتَّشَفُّع بهم ـ سواء كان في تَشهُّد الصَّلاة وفي الشَّهادة الثَّانية أَو الثَّالثة ، أَو في السَّلام عَلَى سَيِّد الْأَنْبِيَاء وسائر أَهْل الْبَيْتِ (صلوات اللّـه عليهم) في تسليم الصَّلاة وقبل الفراغ منها ، أَو في السَّلام عَلَى سَيِّد الْأَنْبِيَاء صلى الله عليه وآله في ذِكْر سجود سجدة السَّهُو أَو غيرها ، كما تَقَدَّمَ بيان ذلك في البرهان الْعَقْلِيّ الرَّابع ـ تَوَجُّه للّـه الْمُسمَّىٰ عز وجل ، ومخاطبة له (عَزَّ وجهه) ، وَتوسُّلٌ وتشفّع به (جَلَّ ذِكْره) مِنْ دون أَي تجوُّز وتكلُّف وتمحُّل ؛ فإِنَّ الخطاب والكلام الْمُوَجَّه للمعصوم عليه السلام لا يكون مُوَجَّهَاً إِليه بما هو هو ، بل بما هو خليفة وولي للّـه تعالىٰ ، وتجلِّي وظهور له (جَلَّ وتقدَّس) ، ومرآة حاكية وكاشفة ـ من وَجْهٍ ـ عن الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزَليَّة الْمُقدَّسة ، وعن أَسمآئه وصفاته وكمالاته (جَلَّ قدسه) ، وكاشفة عن شؤون وأَحوال سَاحَة الْقُدْسِ الْإِلٰهِيَّةِ. وقد تقدَّم في أَبحاث سابقة ، بل وسيأتي (إِنْ شَآءَ اللّـهُ تَعَالَىٰ) في موارد كثيرة تفصيل ذلك وبيان أَدِلَّته .

قَرنُ الشَّهادات الثَّلاث في فِطَرِ المخلوقات

الْفَطرَةُ أَمْرٌ مُركَّبٌ من أَركان التَّوحيد الثَّلاثة وهي الدِّين الخالص

الطائفة الرَّابعة، ويُمَثِّلها:

(١/ ١٢) ـ بيان تفسير الإمام الصَّادق (صَلَوَاتُ اللَّـهِ عَلَيْهِ) لبيان قوله تعالىٰ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[١]، عن هشام بن سالم قال: «قلتُ: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾، قال: التَّوحيد»[٢].

بيان تفسيره عليه السلام أَيضاً، عن زرارة، قال: «في قول اللَّـه عزّ وجلّ: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾، قال: فَطَرَهم عَلَى التَّوحيد»[٣].

جمعاً بينهما وبين بيان تفسير الإمام الباقر عليه السلام: «في بيان قوله: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ قال: هو لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّـه، مُحَمَّد رسول اللَّـه ـ صلى الله عليه وآله ـ، عَلِيٌّ أَمِير الْمُؤْمِنِينَ ـ عليه السلام ـ إِلى هٰهنا التَّوحيد»[٤].

ودلالتها قد اِتَّضَحَت؛ فإِنَّ البيان الأَوَّل والثَّاني يُثبتان: أَنَّ الفطرة

---

(١) الروم: ٣٠.

(٢) بحار الأَنوار، ٣: ٢٧٧/ ح٥.

(٣) المصدر نفسه/ ح٦.

(٤) المصدر نفسه/ ح٣.

المغروزة في ذات المخلوق ـ سواء كانت ذاتيَّة أَم عقليَّة ، وهي دين اللّـه الحنيف ـ هي : (التَّوحيد). والبيان الثَّالث يُفَصِّل ذلك الإِجمال ؛ وأَنَّ الفطرة، وهي التَّوحيد عبارة عن أَركانٍ ثلاثةٍ : الأَوَّل : هو الشَّهادة الأُولىٰ. والثَّاني: هو الشَّهادة الثَّانية. والثَّالث : هو الشَّهادة الثالثة. ومعناه : ما تقدَّمت الإِشارة إِليه في البرهان العقليِّ الْأَوَّل وَالثَّانِي المُتقدِّمين ـ لاسيما البرهان الثَّاني ـ والكاشفين عن ذلك الترابط الوثيق والإِقتران الأَكيد بين هذه الشَّهادات الثَّلاث ، والمُندَك بعضها بالآخَر ، والمأخوذة في عَالَم الإِثبات بشرط المجموع بحيث إِذ ذُكِرَ إِحداها في موردٍ فلابُدَّ مِنْ ذِكْرِ سائرها ، وإِذا اِنتفت إِحداها في موردٍ فلابُدَّ مِنْ انتقاء باقيها.

بل الشَّهادة الثَّالثة ـ كالثَّانية ـ فعلٌ إِلٰهيٌّ ؛ فتكون داخلة في حقيقة الشَّهادة الأُولىٰ ، وفي مقام توحيد الأَفعال الإِلٰهيَّة ؛ فيكون عطف الشَّهادة الثَّالثة ـ كالثَّانية ـ عَلَى الشَّهادة الأُولىٰ من باب عطف الخاصّ عَلَى العام ، ومِنْ ثَمَّ إِذا حصل خلل أَو اِختلال في معرفة المخلوق واعتقاده أَو في اقراره بالشَّهادة الثَّالثة أَو الثَّانية فلابُدَّ من حصول نفس ذلك الخلل والإِختلال في معرفته بالشَّهادة الأُولىٰ وفي اِعتقاده واقراره بها ؛ لأَنَّ حقيقة ذلك الخلل والإِختلال وواقعه صار في حقيقة وواقع الشَّهادة الأُولىٰ ؛ لأَنَّها مُرَكَّبة من أَركانٍ ثلاثةٍ ، وهي : (التَّوحيد في مقام الذَّات الْإِلٰهِيَّة الْأَزَلِيَّة المُقَدَّسَة ، والتَّوحيد في مقام الأَسمآء والصِّفَات الإِلٰهيَّة ، والتَّوحيد في مقام الأَفعال الإِلٰهيَّة) ، بل واقع الشَّهادة الأُولىٰ وحقيقتها مُرَكَّبة من ركنين ؛ بعدما كان

المُختار وما قامت عليه البراهين الوحيانيَّة والعقليَّة : أَنَّ الأَسمآء والصِّفَات الإِلٰهيَّة ـ ذاتيَّة كانت أَم فعليَّة ـ أَفعال الإِلٰهيَّة ، فيكون الرُّكن الثَّاني داخلاً في الرُّكن الثَّالث ، ومِنْ ثَمَّ تكون حقيقة الشَّهادة الأُولىٰ مُرَكَّبة مِنْ رُكنين : أَحدهما : التَّوحيد في مقام الذَّات الْإِلٰهِيَّة المُقَدَّسَة ، والآخَر : التَّوحيد في مقام الأَفعال الإِلٰهيَّة ، فالتفت. وحيث إِنَّ الخلل والإِختلال المعرفيّ الحاصل لدىٰ المخلوق في الشَّهادة الثَّالثة ـ كالثَّانية ـ يكون خللاً واختلالاً عظيماً في الرُّكن الثَّاني من ركنيِّ الشَّهادة الأُولىٰ فتنتفي حقيقة الشَّهادة الأُولىٰ والتَّوحيد بِكِلَا الرُّكنين من الأَساس ، وتكون حقيقة الشَّهادة الأُولىٰ والتَّوحيد مُنتفية مِنْ باب السَّالبة بانتقاء موضوعها.

بل لو لم تكن الشَّهادة الثَّالثة لازمة بالضَّرورة في كُلِّ موردٍ وجبت أَو وُجِدَت فيه الشَّهادة الأُولىٰ والثَّانية لزم من ذلك ـ كما تَقَدَّمَ بيان ذلك في البرهان الْعَقْلِيّ الثَّالث ـ اِنتفاء فائدة وغرض وغاية الشَّهادة الثَّانية وأَصل الرِّسالة الإِلٰهيَّة والبعثة النَّبويَّة ، وانتفاء فائدة وغرض وغاية الشَّهادة الأُولىٰ وأَصل التَّوحيد.

ومعناه : أَنَّه أَينما وجبت أَو وُجِدَت إِحدىٰ هذه الشَّهادات الثَّلاث في موردٍ فلابُدَّ من وجوب أَو وجود سائرها بالضَّرورة العقليَّة والوحيانيَّة ، وأَينما اِنتفت إِحداها في موردٍ ، فلابُدَّ من اِنتفاء باقيها في ذلك المورد بالضَّرورة العقليَّة والوحيانيَّة أَيضاً.

والنتيجة : أَنَّه حيث وجب في تشهُّد الصَّلَاة وما شاكله ذِكْرِ الشَّهادة

الأُولىٰ والثَّانية وجب أَيضاً وبالضَّرورة الوحيانيَّة والعقليَّة ـ وبمقتضىٰ ذلك الاستلزام ، وما تقدَّم من البراهين العقليّة والبيانات الوحيانيَّة ـ ذِكْر الشَّهادة الثَّالثة في تلك الموارد ، من دون فرق ، بل لا يحتاج ذلك إِلى دليلٍ خاصٍّ ، ويكون ذِكْرها في العبادة وغيرها ـ كذِكْر الشَّهادة الأُولىٰ والثَّانية ـ توحيداً وذِكْراً إِلٰهيّاً ، وتمجيداً وتقديساً للّـه تعالىٰ عظيماً وخطيراً جِدّاً.

بل حقيقة التَّوجُّه لأَهْل الْبَيْتِ (صلوات اللّٰـه عليهم) ومخاطبتهم والتَّوسُّل والتَّشَفُّع بهم ـ سواء كان في تَشهُّد الصَّلاة وفي الشَّهادة الثَّانية أَو الثَّالثة ، أَو في السَّلام عَلَى سَيِّد الْأَنْبِيَاء وسائر أَهْل الْبَيْتِ (صلوات اللّٰـه عليهم) في تسليم الصَّلاة وقبل الفراغ منها ، أَو في السَّلام عَلَى سَيِّد الْأَنْبِيَاء صلى الله عليه وآله في ذِكْر سجود سجدة السَّهُو أَو غيرها ، كما تَقَدَّمَ بيان ذلك في البرهان الْعَقْلِيّ الرَّابع ـ تَوَجُّه للّـه المُسمَّىٰ عزّ وجلّ ، ومخاطبة له (عَزَّ وجهه) ، وَتوسُّلٌ وتشفّع به (جَلَّ ذِكْره) مِنْ دون أَي تجوُّز وتكلُّف وتمحُّل ؛ فإِنَّ الخطاب والكلام المُوَجَّه للمعصوم عليه السلام لا يكون مُوَجَّهاً إِليه بما هو هو ، بل بما هو خليفة وولي للّـه تعالىٰ ، وتجلٍّي وظهور له (جَلَّ وتقدَّس) ، ومرآة حاكية وكاشفة ـ من وَجْهٍ ـ عن الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزَليَّة المُقدَّسة ، وعن أَسمآئه وصفاته وكمالاته (جَلَّ قدسه) ، وكاشفة عن شؤون وأَحوال سَاحَة الْقُدْسِ الْإِلٰهِيَّةِ. وقد تقدَّم في أَبحاث سابقة ، بل وسيأتي (إِنْ شَآءَ اللهُ تَعَالَى) في موارد كثيرة تفصيل ذلك وبيان أَدِلَّته .

مَنْ لَمْ يقرَّ بالشَّهادة الثَّالثة فَلَيْسَ مِنَ الإِسلام في شَيءٍ

الطائفة الخامسة ، ويُمَثِّلها :

(١/ ١٣) ـ بيان سيِّد الأَنبياء ﷺ : « **صِنْفَان مِنْ أُمَّتِي لَيْسَ لهم في الإِسلام من نصيب : المرجئة والقدرية**»[١].

جمعاً بينه وبين بيان أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه) : «... **المرجئة والقدريَّة والخوارج وغيرهم النَّاصية يقرُّن لِمُحَمَّدٍ ﷺ ، لَيْسَ بينهم خلاف ، وهم مختلفون في ولايتي ...**»[٢].

ودلالتهما عَلَى ذلك التَّرابط التَّكويني الوثيق والاقتران الأَكيد في عَالَم الثبوت بين حقائق الشَّهادات الثَّلاث قد اِتَّضحت ؛ والمُندَك بعضها بالآخر ، والمأخوذة في عَالَم الاِثبات بشرط المجموع ، والَّتي تكون العلاقة بين أَطرافها عَلَى نحو الاستلزام ؛ ومن كافَّة أَطرافها ـ إِلَّا ما خرج بالتَّخصُّص أَو الدَّليل الخاصّ ـ ، لا عَلَى نحو اللزوم ومن طرفٍ واحدٍ ، فلذا إِذا حصل لدىٰ المخلوق خلل أَو اِختلال معرفي في إِحدىٰ هذه الشَّهادات كالشَّهادة الثَّالثة فلابُدَّ من حصوله في سائرها ؛ لكونها ـ وكما تقدَّم ـ مأخوذة بشرط المجموع، وَمِنْ ثَمَّ نفىٰ البيان الأَوَّل ـ وهو بيان سَيِّد الْأَنْبِيَاء ﷺ ـ صفة الإِسلام عن

---

(١) بحار الأَنوار ، ٥ : ١١٨ / ح٥٢. مختصر البصائر : ٣٥٤/ ح٣٨٨ ـ ١٣. عقاب الأَعمال: ٢٥٢/ ح٣.

(٢) بحار الأَنوار ، ٢٦ : ٣ / ح١.

المرجئة والقدريَّة ، ولازمه : أَنَّه صلى الله عليه وآله حَكَم بعدم اعتقادهم وعدم اقرارهم من الأَساس بالشَّهادات الثَّلاث ـ لا سيما الأُولىٰ والثَّانية ـ ، وأَثبت البيان الثَّاني ـ وهو بيان أَمِير المُؤْمِنِينَ (صلوات اللّـه عليه) ـ : أَنَّ الخلاف بين الفرقة المُحِقَّة وَمَنْ خالفها ، كالمرجئة والقدريَّة ليس في الشَّهادة الأُولىٰ أَو الثَّانية ، وإِنَّما في الشَّهادة الثَّالثة ، ومعناه : ما تقدَّم ؛ وأَنَّ هذه الشَّهادات الثَّلاث مأخوذة ـ في عَالَم الإِثبات ـ بشرط المجموع ؛ بحيث إِذا لم يتحقَّق أَحَدها لم يتحقَّق الباقي وإِنْ اعتقد وأَقَرَّ به المخلوق.

بل الشَّهادة الثَّالثة ـ كالثَّانية ـ فعلٌ إِلٰهيٌّ ، بل رأس هرم الأَفعال الإِلٰهيَّة العظمىٰ بعد نبوَّة سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله ؛ فتكون داخلة في حقيقة الشَّهَادة الأُولىٰ ، وفي مقام توحيد الأَفعال الإِلٰهيَّة ، فلذا يكون عطف الشَّهادة الثَّالثة ـ كالثَّانية ـ عَلَى الشَّهادة الأُولىٰ مِنْ باب عطف الخاصّ عَلَى العام ، وَمِنْ ثَمَّ إِذا حصل خلل أَو اِختلال في معرفة المخلوق أَو في اِعتقاده أَو في إِقراره بالشَّهادة الثَّالثة أَو الثَّانية فلابُدَّ مِنْ حصول نفس ذلك الخلل والإِختلال في معرفته واِعتقاده وإِقراره بالشَّهادة الأُولىٰ ؛ لأَنَّ حقيقة ذلك الخلل والاختلال في عَالَم الثبوت والواقع صار في حقيقة وواقع الشَّهادة الأُولىٰ ؛ لأَنَّها مُرَكَّبة واقعاً مِنْ أَركانٍ ثلاثةٍ ، وهي : (التَّوحيد في مقام الذَّات الْإِلٰهِيَّة الْأَزَلِيَّة الْمُقَدَّسَة ، والتَّوحيد وفي مقام الصِّفَات والأَسمآء الإِلٰهيَّة ، والتَّوحيد في مقام الأَفعال (الإِلٰهيَّة) ، بل واقع الشَّهادة الأُولىٰ وحقيقتها مُرَكَّبة مِنْ رُكنين ؛ بعدما كان المُختار وما

قامت عليه البراهين الوحيانيَّة والعقليَّة : أَنَّ الأَسمآء والصِّفَات الإِلٰهيَّة ـ ذاتيَّة كانت أَم فعليَّة ـ أَفعالٌ إِلٰهيَّةٌ ، فيكون الرُّكن الثَّاني داخلاً في الرُّكن الثَّالث ، وَمِنْ ثَمَّ تكون الشَّهادة الأُولىٰ مُرَكَّبة مِنْ رُكنين: أَحدهما : التَّوحيد في مقام الذَّات الْإِلٰهِيَّة الْمُقَدَّسَة ؛ فاللّـه ـ الْمُسَمَّىٰ ـ ﷻ : أَحَدٌ وواحدٌ ، وصَمَدٌ، ولم يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَد، ولا شريك ولا ضَدّ ولا نِدّ ولا كفؤ له في ذاته الْمُقَدَّسَة. الآخَر : التَّوحيد في مقام الأَفعال الإِلٰهيَّة ؛ فاللّـه ـ الْمُسَمَّىٰ ـ تقدَّس ذِكْره : أَحَدٌ وواحِدٌ ، وَصَمَدٌ ، وَلَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَد ، ولا شريك ولا ضِدَّ ولا نِدّ ولا كفؤ له في أَفعاله الْمُقَدَّسَة. فالتفت. وحيث إِنَّ الخلل والإِختلال المعرفي الحاصل من المخلوق في الشَّهادة الثَّالثة يكون خللاً واختلالاً عظيماً في الرُّكن الثَّاني من رُكني الشَّهادة الأُولىٰ فتنتفي حقيقة الشَّهادة الأُولىٰ والتَّوحيد بِكِلَا الرُّكنين من الأَساس ، وتكون حقيقة الشَّهادة الأُولىٰ والتَّوحيد في حَقِّ المخلوق من باب السَّالبة بانتفاء موضوعها ؛ وإِنْ اعتقد وَأَقَرَّ بهما المخلوق ـ كالمرجئي والقدري ـ فتنتفي تبعاً لهما صفة الإِسلام عن المخلوق.

وَعَلَى هذا قس الضِّدّ ؛ فإِنَّه مع محافظة المخلوق عَلَى عدم اخلاله واختلاله المعرفي في الشَّهادة الثالثة ، واعتقاده واقراره بمجموع أَهْل الْبَيْتِ (صلوات اللّـه عليهم) ، ومحافظته عَلَى محبَّته وموالاته وطاعته لهم (صَلَوَاتُ اللَّـهِ عَلَيْهِمْ) ، ومع عدم اخلاله واختلاله المعرفي أَيضاً في الشَّهادة الأُولىٰ والثَّانية ، واعتقاده واقراره بهما ، ومع محافظته عَلَى محبَّته وموالاته وطاعته للّـه

تعالىٰ ولسيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله فمصيره ومصير أَعماله يتلبَّس بالتَّوحيد ، وينطبق عليه عنوان الإِسلام والإِيمان ويشمله رِضا الرَّحمٰن ، ويُورَث الجنَّة خالداً فيها.

ومعناه : أَنَّه أَينما وجبت أَو وجدت إِحدىٰ هذه الشَّهادات الثَّلاث فلابُدَّ من وجوب أَو وجود سائرها بالضَّرورة العقليَّة والوحيانيَّة ، وَأَينما اِنتفت إِحداها فلابُدَّ من اِنتفاء باقيها بالضَّرورة العقليَّة والوحيانيَّة أَيضاً.

بل لو لم تكن الشَّهادة الثَّالثة لازمة بالضَّرورة في كُلِّ موردٍ وجبت أَو وُجِدَت فيه الشَّهادة الأُولىٰ والثَّانية لزم من ذلك ـ كما تَقَدَّمَ بيان ذلك في البرهان الْعَقْلِيّ الثَّالث ـ اِنتفاء فائدة وغرض وغاية الشَّهادة الثَّانية وأَصل الرِّسالة الإِلٰهيَّة والبعثة النَّبويَّة ، وانتفاء فائدة وغرض وغاية الشَّهادة الأُولىٰ وأَصل التَّوحيد.

والنتيجة : أَنَّه حيث وجب في تشهُّد الصَّلاة وما شاكله ذِكْر الشَّهادة الأُولىٰ والثَّانية وجب أَيضاً وبالضَّرورة الوحيانيَّة والعقليَّة ـ وبمقتضىٰ ما تقدَّم ، بل وما سيأتي (إِنْ شآء اللّـه تعالىٰ) من براهين عقليَّة ووحيانيَّة ـ ذِكْر الشَّهادة الثَّالثة في تلك الموارد من دون فرق ، بل لا يحتاج وجوبها إِلى دليلٍ خاصٍّ بعدما جاءت عَلَى وفق القاعدة ، ويكون ذِكْرها في العبادة وغيرها ـ كذِكْرِ الشَّهاد الأُولىٰ والثَّانية ـ توحيداً وذِكْراً إِلٰهيّاً ، وتمجيداً للّـه تعالىٰ عظيماً وخطيراً جِدّاً.

بل حقيقة التَّوجُّه لأَهْل الْبَيْتِ (صلوات اللّـه عليهم) ومخاطبتهم والتَّوسُّل والتَّشَفُّع بهم ـ سواء كان في تَشهُّد الصَّلاة وفي الشَّهادة الثَّانية أَو الثَّالثة ، أَو في السَّلام عَلَى سَيِّد الْأَنْبِيَاء وسائر أَهْل الْبَيْتِ (صلوات اللّـه عليهم) في تسليم الصَّلاة وقبل الفراغ منها ، أَو في السَّلام عَلَى سَيِّد الْأَنْبِيَاء صلى الله عليه وآله في ذِكْر سجود سجدة السَّهُو أَو غيرها ، كما تَقَدَّمَ بيان ذلك في البرهان الْعَقْلِيّ الرَّابع ـ تَوَجُّه للّـه الْمُسمَّىٰ جل جلاله ، ومخاطبة له (عَزَّ وجهه) ، وَتوسُّلٌ وتشفّع به (جَلَّ ذِكْره) مِنْ دون أَي تجوُّز وتكلُّف وتمحُّل ؛ فإِنَّ الخطاب والكلام الْمُوَجَّه للمعصوم عليه السلام لا يكون مُوَجَّهَاً إِليه بما هو هو ، بل بما هو خليفة وولي للّـه تعالىٰ ، وتجلِّي وظهور له (جَلَّ وتقدَّس) ، ومرآة حاكية وكاشفة ـ من وَجْهٍ ـ عن الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزَليَّة الْمُقدَّسة ، وعن أَسمآئه وصفاته وكمالاته (جَلَّ قدسه) ، وكاشفة عن شؤون وأَحوال سَاحَة الْقُدْسِ الْإِلٰهِيَّةِ. وقد تقدَّم في أَبحاث سابقة ، بل وسيأتي (إِنْ شَآءَ اللهُ تَعَالَى) في موارد كثيرة تفصيل ذلك وبيان أَدِلَّته .

عدم الاِتيان بالشَّهادة الثَّالثة جاهليَّة أُولى

الطائفة السَّادسة ، ويُمَثِّلها :

(١/ ١٤) ـ بيان الإمام الباقر عليه السلام ، عن الفضيل بن يسار ، قال : «**نظر إلى النَّاس يطوفون حول الكعبة فقال: هكذا كانوا يطوفون في الجاهليَّة ، إنَّما أُمروا أَنْ يطوفوا ثُمَّ ينفروا إلينا ، فيعلمونا ولايتهم ، ويعرضون علينا نصرهم، ثُمَّ قرأ هذه الآية : ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾[1] فقال : آل مُحَمَّد آل مُحَمَّد ، ثُمَّ قال : إلينا إلينا**»[2].

(٢/ ١٥) ـ بيانه عليه السلام ، عن الفضيل أَيضاً ، قال : «**دخلتُ مع أَبي جعفر عليه السلام المسجد الحرام وهو مُتكئ عَلَيَّ فنظر إلى النَّاس ونحن عَلَى باب بني شيبة ، فقال : يا فضيل ، هكذا كان يطوفون في الجاهليَّة ، لا يعرفون حقّاً ولا يدينون ديناً ، يا فضيل ، انظر إليهم مُكبِّين عَلَى وجوههم لعنهم اللَّـه مِنْ خلق مسخور بهم ، مُكبِّين عَلَى وجوههم ، ثُمَّ تَلَا هذه الآية : ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[3] ؛ يعني : واللَّـه عَلِيّاً عليه السلام والأَوصياء ... أَمَا واللَّـه يا فضيل ، ما**

---

(١) إبراهيم : ٣٧.

(٢) بحار الأَنوار ، ٦٥ : ٨٧/ ح١٢. العياشي ، ٢ : ٢٣٤.

(٣) الملك : ٢٢.

للّـه (عَزَّ ذِكْره) حاجّ غيركم ، ولا يغفر الذُّنوب إِلَّا لكم ، وَلَا يتقبَّل إِلَّا منكم ...»[١].

(٣/ ١٦) ـ بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام ، عن عبد الرحمٰن بن كثير ، قال : «حججتُ مع أَبي عبد اللّـه عليه السلام فلمَّا صرنا في بعض الطريق صعد على جبل؛ فأشرف فنظر إلى النَّاس فقال : **ما أكثر الضجيج وأَقلّ الحجيج!** فقال له داود الرقي : يابن رسول اللّـه ، هل يستجيب اللّـه دعاء هذا الجمع الَّذي أَرىٰ ؟ **قال : ويحك يا با**[٢] **سليمان ! إِنَّ اللّـه لا يغفر أَنْ يشرك به ، إِنَّ الجاحد لولاية عَلِيّ عليه السلام كعابد وثن...»**[٣].

(٤/ ١٧) ـ بيانه عليه السلام أَيضاً : «**لو أَنَّ عدوَّ عَلِيّ جاء إِلى الفرات وهو يزخُّ زخيخاً قد أَشرف ماؤه عَلَى جنبتيه فتناول منه شربة ، وقال : بسم اللّـه ، وإِذا شربها**[٤] **قال : الحمد للّـه ، ما كان ذلك إِلَّا ميتة أَو دماً مسفوحاً أَو لحم خنزير**»[٥].

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٤ : ٣١٤ ـ ٣١٥/ ح١٩. روضة الكافي : ٢٨٨ ـ ٢٨٩.

(٢) خ . ل : (يا أَبا).

(٣) بصائر الدرجات ، ٢ : ١٩٠ ـ ١٩١/ ح١٢٨٥ ـ ١٥.

(٤) في المصدر : (فإِذا شربها).

(٥) بحار الأَنوار ، ٢٧ : ٢١٦ ـ ٢١٩/ ح٣. أَمالي الصدوق : ٣٩٠.

(٥/ ١٨) ـ بيانه عليه السلام أَيضاً ، عن الحارث بن المغيرة قال : «**قلتُ لأَبي عبدالله عليه السلام: قال رسول اللَّـه صلى الله عليه وآله : مَنْ مات لا يعرف إِمامه مات ميتة جاهليَّة، قال : نعم. قلتُ: جاهليَّة جهلاء أَو جاهليَّة لا يعرف إِمامه ؟ قال : جاهليَّة كفر ونفاق وضلال**»[1].

ودلالتها قد اِتَّضَحَت أَيضاً ؛ فإِنَّها ناظرة إِلى ذلك التَّرابط التَّكويني الوثيق والاقتران الأَكيد بين حقائق الشَّهادات الثَّلاث ؛ المُندَك بعضها بالآخر ، والمأخوذة في عَالَم الإِثبات والدلالة بشرط المجموع ، والَّتي تكون العلاقة بين أَطرافها عَلَى نحو الاستلزام ومن جملة أَطرافها ـ إِلَّا ما خرج بالتخصُّص أَو الدَّليل الخاصّ ـ لا عَلَى نحو اللُّزوم ومن طرفٍ واحدٍ ، فلذا إِذا حصل لدىٰ المخلوق خَلَل أَو اِختلال معرفي في إِحدىٰ هذه الشَّهادات كالشَّهادة الثَّانية أَو الثَّالثة فلابُدَّ من حصوله في الجميع ؛ لكونها ـ وكما تقدَّم ـ مأخوذة بشرط المجموع ، وَمِنْ ثَمَّ لولا اعتقاد واقرار المخلوق بولاية أَهْل الْبَيْتِ (صَلَوَاتُ اللَّـهِ عَلَيْهِمْ) وإِمامتهم وحاكميَّتهم الإِلٰهيَّة ، واعتقاده واقراره بالشَّهادة الثَّالثة ، وطاعته لهم (صَلَوَاتُ اللَّـهِ عَلَيْهِمْ) لكانت عباداته ـ كحَجِّة ـ كعبادات أَصحاب الجاهليَّة الأُولىٰ ، وحاله وحال بدنه مِنْ حيث النَّجاسة والرجاسة كحالهم وحال أَبدانهم من دون فرق ؛ لِانتقاء مُقتضي

---

(١) بحار الأَنوار ، ٨ : ٣٦٢ / ح٣٩. الكافي ، ١ : ٣٧٧.

الطَّهارة وهو التَّوحيد ، بعدما لم يتحقَّق من الأَساس ، وإِنْ اعتقد المخلوق وأَقرَّ بالشَّهادة الأُولىٰ والثَّانية.

بل الشَّهادة الثَّالثة ـ كالثَّانية ـ فعلٌ إِلٰهيٌّ ، بل رأس هرم الأَفعال الإِلٰهيَّة العظمىٰ بعد نبوَّة سَيِّد الْأَنْبِيَاء ﷺ ؛ فتكون داخلة في حقيقة الشَّهادة الأُولىٰ ، وفي مقام توحيد الأَفعال الإِلٰهيَّة ، فلذا يكون عطف الشَّهادة الثَّالثة ـ كالثَّانية ـ عَلَى الشَّهادة الأُولىٰ من باب عطف الخاصّ عَلَى العام ، ومن ثَمَّ إِذا حصل خلل أَو اِختلال في معرفة المخلوق أَو في اِعتقاده أَو في إِقراره بالشَّهادة الثَّالثة أَو الثَّانية فلابُدَّ من حصول نفس ذلك الخلل والاِختلال في معرفته واعتقاده واقراره بالشَّهادة الأُولىٰ ؛ لأَنَّ حقيقة ذلك الخلل والاِختلال وواقعه صار في حقيقة وواقع الشَّهادة الأُولىٰ ؛ لأَنَّها مُرَكَّبة من أَركانٍ ثلاثةٍ ، بل من رُكنين ـ كما هو المختار ـ : أَحدهما : التَّوحيد في مقام الذَّات الْإِلٰهِيَّة الْمُقَدَّسَة ، والآخَر : التَّوحيد في مقام الأَفعال الإِلٰهيَّة ، فالتفت. وحيث إِنَّ الخلل والاختلال المعرفيّ الحاصل من المخلوق في الشَّهادة الثَّالثة ـ كالثَّانية ـ يكون خللاً أَو اختلالاً عظيماً في الرُّكن الثَّاني من ركنيِّ الشَّهادة الأُولىٰ فتنتفي حقيقة الشَّهادة الأُولىٰ والتَّوحيد بِكِلَا الرُّكنين من الأَساس ، وتكون حقيقة الشَّهادة الأُولىٰ والتَّوحيد من باب السَّالبة بانتفاء موضوعها.

وَعَلَى هذا قس الضَّدّ ؛ فإِنَّه مع محافظة المخلوق عَلَى عدم اخلاله واختلاله المعرفي في الشَّهادة الثَّالثة والثَّانية ، واعتقاده واقراره بهما ، ومع

المحافظة عَلَى محبَّته وموالاته لسَيِّد الْأَنْبِيَاء وسائر أَهْل الْبَيْتِ (صلوات اللّـه عليهم) ، ومع عدم اخلاله واختلاله المعرفيّ أَيضاً في الشَّهادة الأُولىٰ ، واعتقاده واقراره بها ، ومع المحافظة عَلَى محبَّته وموالاته للّـه تعالىٰ فمصيره ومصير أَعماله يؤول إِلى رضا الرَّحْمٰن ووراثة الجنان خالداً فيها.

نعم ، لَـمَّا لَمْ يكن بين اتباع المذاهب والفرق الإِسلامية خلاف واختلاف في الشَّهادة الأُولىٰ والثَّانية ، وإِنَّما حصل ذلك في الشَّهادة الثَّالثة صبَّت بيانات الوحي الشَّريف نظرها في المقام عليها.

بل لو لم تكن حقيقة الشَّهادة الثَّالثة ـ كالثَّانية ـ داخلة في حقيقة الشَّهادة الأُولىٰ ومن ذاتيَّاتها وَأَحد ركنيها بحيث إِذا سُلِبَت لزم سلب وانتقاء الشَّهادة الأُولىٰ من الأَساس ، وتكون ـ الشَّهادة الأُولىٰ ـ من باب السَّالبة بانتفاء موضوعها كيف استلزم عدم موالاة أَهْل الْبَيْتِ (صَلَوَاتُ اللّـهِ عَلَيْهِمْ) ، وعدم الإِعتقاد والإِقرار بالشَّهادة الثَّالثة أَنْ لا تُقبل أَعمال العبد ويكون حاله وحال أَعماله كحال وأَعمال أَصحاب الجاهليَّة الأُولىٰ ، وفعل أَحَدهم كعابد وثن ، وحال أَبدانهم من حيث النجاسة والرجاسة ؛ كحال أَبدانهم من دون فرق.

بل لو لم تكن الشَّهادة الثَّالثة لازمة بالضَّرورة في كُلِّ موردٍ وجبت أَو وُجِدَت فيه الشَّهادة الأُولىٰ والثَّانية لزم من ذلك ـ كما تَقَدَّمَ بيان ذلك في البرهان الْعَقْلِيّ الثَّالث ـ اِنتفاء فائدة وغرض وغاية الشَّهادة الثَّانية وأَصل الرِّسالة الإِلٰهيَّة والبعثة النَّبويَّة ، وانتفاء فائدة وغرض وغاية الشَّهادة الأُولىٰ

وأَصل التَّوحيد.

ومعناه : أَنَّه أَينما وجبت أَو وُجِدَت إِحدىٰ هذه الشَّهادات الثَّلاث فلابُدَّ من وجوب أَو وجود سائرها بالضَّرورة العقليَّة والوحيانيَّة ، وأَينما اِنتفت إِحداها فلابُدَّ من اِنتفاء باقيها بالضرورة العقليَّة والوحيانية أَيضاً.

والنتيجة : أَنَّه حيث وجب في تَشَهُّد الصَّلاة وما شاكله ذِكْر الشَّهادة الأُولىٰ والثَّانية وجب أَيضاً وبالضَّرورة الوحيانيَّة والعقليَّة ـ وبمقتضىٰ ما تقدَّم ـ ذِكْر الشَّهادة الثَّالثة في تلك الموارد من دون فرق ، بل لا يحتاج ذلك إِلى دليلٍ خاصٍّ بعدما جاء عَلَى وفق القاعدة الأَوَّليَّة العقليَّة وحُكم العقل ـ وإِذا وُجِدَ الدليل الخاص فهو دليلٌ اِرشاديٌّ لهذه القاعدة ولهذا الحُكْم العقليّ ـ ، ويكون ذِكْرها في العبادة وغيرها ـ كذِكْر الشَّهادة الأُولىٰ والثَّانية ـ توحيداً وَذِكْراً إِلٰهيّاً، وتمجيداً للّـه تعالىٰ عظيماً وخطيراً جِدّاً.

بل حقيقة التَّوجُّه لأَهْل الْبَيْتِ (صلوات اللّـه عليهم) ومخاطبتهم والتَّوسُّل والتَّشَفُّع بهم ـ سواء كان في تَشهُّد الصَّلاة وفي الشَّهادة الثَّانية أَو الثَّالثة ، أَو في السَّلام عَلَى سَيِّد الْأَنْبِيَاء وسائر أَهْل الْبَيْتِ (صلوات اللّـه عليهم) في تسليم الصَّلاة وقبل الفراغ منها ، أَو في السَّلام عَلَى سَيِّد الْأَنْبِيَاء صلى الله عليه وآله في ذِكْر سجود سجدة السَّهُو أَو غيرها ، كما تَقَدَّمَ بيان ذلك في البرهان الْعَقْلِيّ الرَّابع ـ تَوَجُّه للّـه الْمُسمَّىٰ جل جلاله ، ومخاطبة له (عَزَّ وجهه) ، وَتوسُّلٌ وتشفّع به (جَلَّ ذِكْره) مِنْ دون أَي تجوُّز وتكلُّف وتمحُّل ؛ فإِنَّ

الخطاب والكلام المُوَجَّه للمعصوم عليه السلام لا يكون مُوَجَّهَاً إليه بما هو هو ، بل بما هو خليفة وولي للّـه تعالىٰ ، وتجلِّي وظهور له (جَلَّ وتقدَّس) ، ومرآة حاكية وكاشفة ـ من وَجْهٍ ـ عن الذَّات الإلٰهيَّة الأَزَليَّة المُقدَّسة ، وعن أَسمآئه وصفاته وكمالاته (جَلَّ قدسه) ، وكاشفة عن شؤون وأَحوال سَاحَة الْقُدْسِ الْإِلٰهِيَّةِ. وقد تقدَّم في أَبحاث سابقة ، بل وسيأتي (إِنْ شَآءَ اللهُ تَعَالَىٰ) في موارد كثيرة تفصيل ذلك وبيان أَدِلَّته .

الشَّكَ في الشَّهادة الثَّالثة كفرٌ باللَّه تعالى خطيرٌ جِدّاً

التَّقصير في الشَّهادة الثَّالثة شِرْكٌ عظيمٌ

الطائفة السَّابعة ، ويُمَثِّلها :

(١/ ١٩) ـ بيان الحديث القدسي ؛ مُخاطباً (جَلَّ قُدْسه) سَيِّد الْأَنْبِيَاء صلى الله عليه وآله في حادثة المعراج : «... **يا مُحَمَّد ... وعزَّتي وَجَلَالي ، لو لقيني جميع خلقي يَشُكُّونَ فيكَ طرفة عين ، أَو يبغضون صفوتي من ذُرِّيَّتكَ لادخلنَّهُم ناري ولا أُبالي ...**»[١].

(٢/ ٢٠) ـ بيان سَيِّد الْأَنْبِيَاء صلى الله عليه وآله : «**الْمُخَالِف لِعَلِيٍّ ، بعدي كافر ، والشَّاكّ به مُشْرِك مغادر ، والمُحِبّ له مؤمن صادق ، والمبغض له مُنافق ، والمُحارب له مارق ، والرَّادّ عليه زاهق ، والمقتفي لأَثره لاحق**»[٢].

(٣/ ٢١) ـ بيانه صلى الله عليه وآله ، في وصيَّته لابن عبَّاس الواردة في حَقِّ أَمِير الْمُؤْمِنِينَ (صلوات اللّـه عليه) «... **يابن عبَّاس ، إِحذر أَنْ يدخلكَ شَكٌّ فيه ؛ فَإِنَّ الشَّكَّ فِي عَلِيَّ كفرٌ باللّـه تعالىٰ**»[٣].

---

(١) بحار الأَنوار ، ١٨ : ٣٩٥ ـ ٣٩٧ / ح ١٠٠. اليقين في أُمرة أَمير المؤمنين عليه السلام : ٨٩ ـ ٩١.

(٢) بحار الأَنوار ، ٢٧ : ٢٢٦ / ح ٢٢. مشارق الأَنوار : ٨.

(٣) بحار الأَنوار ، ١٦ : ٣٢٠ / ح ٧. مجالس ابن الشَّيخ : ٦٤ ـ ٦٥. فضائل شاذان ابن جبرئيل : ٥ ـ ٧. الروضة : ١٥٦.

(٤/ ٢٢) ـ بيانه صلى الله عليه وآله مُخاطباً أَمِير المُؤْمِنِينَ (صلوات اللّـه عليه) : «**يا عَلِيّ ، أَنْتَ خير البشر ، لَا يَشُكّ فيكَ إِلَّا كافر**»[١].

(٥/ ٢٣) ـ بيانه صلى الله عليه وآله مُخاطباً أَمِير المُؤْمِنِينَ (صلوات اللّـه عليه) أَيضاً : «... **ولقد ضَلَّ مَنْ ضَلَّ عنكَ ، ولن يهتدي إِلى اللّـه مَنْ لم يهتدِ إِليكَ وإِلى ولايتكَ** ...»[٢].

(٦/ ٢٤) ـ بيانه صلى الله عليه وآله أَيضاً : «... **مَنْ آمن بِنَا آمن باللّـه ، وَمَنْ رَدَّ علينا رَدَّ عَلَى اللّـه ، وَمَنْ شَكَّ فينا شَكَّ في اللّـه ، وَمَنْ عَرَفنا عرف اللّـه ، وَمَنْ تولَّىٰ عنَّا تَوَلَّىٰ عن اللّـه ، وَمَنْ أَطَاعَنا أَطَاع اللّـه** ...»[٣].

(٧/ ٢٥) ـ بيانه صلى الله عليه وآله الوارد في حَقِّ أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) أَيضاً : «... **والانكار لفضائلهم هو الكُفر**»[٤].

(٨/ ٢٦) ـ بيانه صلى الله عليه وآله أَيضاً : «... **ونحن الوسيلة إِلى اللّـه ، والوصلة إِلى رضوان اللّـه** ...»[٥].

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٦ : ٣٠٨ / ح٧٢. المحتضر: ١٥١.

(٢) بحار الأَنوار ، ٢٤ : ٦٥ / ح٤٩.

(٣) المصدر نفسه ، ٢٥ : ٢٢ ـ ٢٣/ ح٣٨. رياض الجنان : (مخطوط).

(٤) بحار الأَنوار ، ٢٥ : ٣٦٦ / ح٧. مختصر البصائر: ١٠٦ ـ ١٠٧. الخرائج والجرائح: ٢٤٧.

(٥) بحار الأَنوار ، ٢٥ : ٢٢ ـ ٢٣ / ح٣٨. رياض الجنان: (مخطوط).

(٩/ ٢٧) ـ بيان أَمِير الْمُؤْمِنِينَ (صَلَوَاتُ اللَّـهِ عَلَيْهِ) في وصيَّته لكميل ابن زياد رحمه الله: «... **لا تأخذ إِلَّا عَنَّا تكن مِنَّا ، يا كُمَيل ، ما مِنْ حَرَكةٍ إِلَّا وأَنْتَ محتاج إِلى معرفة ... إِنَّما المؤمن مَنْ قال بقولنا ، فَمَنْ تخلَّفَ عَنَّا قصر عنَّا، وَمَنْ قصر عنَّا لم يلحق بِنا ، وَمَنْ لم يكن معنا ففي الدَّرْكِ الأَسفل مِنَ النَّار...**»[١].

(١٠/ ٢٨) ـ بيان خطبة فاطمة الزهراء عليها السلام في أَحداث السَّقيفة: «... **أَيُّها المسلمون ... وأَشْرَكتُم بعد الإِيمان؟ ...**»[٢].

(١١/ ٢٩) ـ بيان الإِمام زين العابدين عليه السلام: «... **وَمَنْ لم يكن معنا فَلَيْسَ مِنَ الإِسلَام في شيءٍ ...**»[٣].

(١٢/ ٣٠) ـ بيان الإِمام الباقر في حَقِّ أَمِير الْمُؤْمِنِينَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِما : «... **والرَّادَ عليه في صغيرةٍ أَو كبيرةٍ عَلَى حَدِّ الشِّرك باللَّـه ...**»[٤].

(١٣/ ٣١) ـ بيان عليهما السلام عليه السلام أَيضاً: «... **سوآء عَلَى مَنْ خَالَف هذا الأَمر صَلَّىٰ أَو زنا**»[٥].

---

(١) بحار الأَنوار ، ٧٤ : ٢٦٩.

(٢) الاحتجاج ، ١ : ١٣٨ ـ ١٤٠.

(٣) بحار الأَنوار ، ٢٣ : ٣١٣ / ح٢٠. تفسير فرات: ١٠٣ ـ ١٠٤.

(٤) بحار الأَنوار ، ٣٩ : ٣٤٤ / ح١٦.

(٥) المصدر نفسه ، ٢٧ : ٢٣٥/ ح٥٠. ثواب الأَعمال: ٢٠٣.

(١٤/ ٣٢) ـ بيان الإمام الصَّادق عليه السلام: «**إِنَّ النَّاصب لَنَا أَهْل الْبَيْتِ لَا يُبَالِي صام أَم صَلَّىٰ ، زنا أَم سرق ، إِنَّه فِي النار، إِنَّه فِي النَّار**»[١].

(١٥/ ٣٣) ـ بيانه عليه السلام أَيضاً: «**مَنْ دان اللّـه بغير سماعٍ مِنْ عَالِمٍ صَادِقٍ أَلزمه اللّـه التيه إِلى الفناء ، وَمَنْ ادَّعىٰ سماعاً مِنَ غير الباب الَّذي فتحه اللّـه لخلقه فهو مشركٌ ، وذلك الباب هو الأَمين المأمون عَلَى سرِّ اللّـه المكنون**»[٢].

(١٦/ ١٨٣٤) ـ بيان زيارة أَهْل الْبَيْتِ (صلوات اللّـه عليهم) الجامعة: «... **الرَّاغب عنكم مَارِق ، واللَازِم لَكُم لَاحِق ، والمُقَصِّر عَنْكُم زَاهِق ...**»[٣].

ودلالة الجميع قد اِتَّضحت أَيضاً ؛ فإِنَّها دالَّة عَلَى ذلك التَّرابط التَّكْوينِيّ الوثيق والاقتران الأَكيد بين حقائق الشَّهادات الثلاث ؛ المُندَك بعضها بالآخرة ، والمأخوذ في عَالَمِ الإِثبات والدلالة بشرط المجموع ، والَّتي تكون العلاقة بين أَطرافها عَلَى نحو الاستلزام ومن جملة أَطرافها ـ إِلَّا ما خرج موضوعاً وبالتَّخصُّص أَو بالدَّليل الخاصّ ـ لَا عَلَى نحو اللزوم ومِنْ طَرَفٍ واحدٍ ، فلذا إِذا حَصَلَ لدىٰ المخلوق خلل أَو اِختلال معرفي في إِحدىٰ

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٧ : ٢٣٥/ ح٥١. ثواب الأَعمال: ٢٠٣.

(٢) بحار الأَنوار ، ٢ : ١٠٥ / ح٦٨.

(٣) المصدر نفسه ، ١٠٢ : ١٥٠.

هذه الشَّهادات كالشَّهادة الثَّالثة فلابُدَّ مِنْ حصوله في الجميع ؛ لكونها ـ وكما تقدَّم ـ مأخوذة بشرط المجموع ، وَمِنْ ثَمَّ لولا اِعتقاد واِقرار المخلوق بولاية أَهْل الْبَيْتِ (صَلَوَاتُ اللَّـهِ عَلَيْهِمْ) واِعتقاده واقراره بإِمامتهم وحاكميَّتهم الإِلٰهيَّة ومقام تطبيق الأَحكام الإِلٰهيَّة ، واِعتقاده واِقراره بالشَّهادة الثَّالثة ، وطاعته لهم (صَلَوَاتُ اللَّـهِ عَلَيْهِمْ) لكانت عباداته ـ كصلاته وصومه ـ كسرقته وزناه وعبادته للأَوثان ؛ لِانتفاء موضوع العبادة ، وهو التَّوحيد ، والمنتفي بانتفاء أَحَد أَركانه الثَّلاثة ؛ المُتَمَثِّل في الشَّهادة الثَّالثة ، وَمِنْ ثَمَّ تكون العبادة في حقِّه مِنْ باب السَّالبة بانتفاء موضوعها وإِنْ اعتقد وأَقَرَّ بالشَّهادة الأُولىٰ والثَّانية ؛ لكون الثَّلاث أُخِذَت بشرط المجموع. فالتفت.

بل حقيقة الشَّهادة الثَّالثة ـ كالثانية ـ في عَالَم الثبوت والواقع فعلٌ إِلٰهيٌّ ؛ فتكون داخلة في حقيقة الشَّهادة الأُولىٰ ؛ وفي مقام توحيد الأَفعال الإِلٰهيَّة ، فيكون عطف الشَّهادة الثَّالثة ـ كالثّانية ـ عَلَى الشَّهادة الأُولىٰ مِنْ باب عطف الخاصّ عَلَى العام ، ومِنْ ثَمَّ إِذا حَصَلَ خلل أَو اختلال في معرفة المخلوق أَو في اِعتقاده أَو في اِقراره بالشَّهادة الثَّالثة أَو الثَّانية فلابُدَّ مِنْ حصول نفس ذلك الخلل والاختلال في معرفته وفي اِعتقاده وفي اِقراره بالشَّهادة الأُولىٰ ؛ لأَنَّ حقيقة ذلك الخلل والاختلال وواقعه صار في حقيقة وواقع الشَّهادة الأُولىٰ ؛ لأَنَّها مُرَكَّبة مِنْ أَركانٍ ثلاثةٍ ، بل مِنْ رُكنين : أَحدهما : التَّوحيد في مقام الذَّات الْإِلٰهِيَّة الْمُقَدَّسَة ، والآخر : التَّوحيد في مقام الأَفعال الإِلٰهيَّة . فالتفت .

وحيث إنَّ الخلل والاختلال المعرفي الحاصل مِنَ المخلوق في الشَّهادة الثَّالثة ـ كالثَّانية ـ يكون خللاً أَو اِختلالاً عظيماً في الرُّكن الثَّاني مِنْ رُكْنيِّ الشَّهادة الأُوْلىٰ فتنتفي حقيقة الشَّهادة الأُولىٰ والتَّوحيد بِكِلَا الرُّكنين من الأَساس ، وتكون حقيقة الشَّهادة الأُولىٰ والتَّوحيد من باب السَّالبة بانتفاء موضوعها.

بل لو لم يكن ما ذكرناه حَقّاً ـ وأَنَّ الشَّهادات الثَّلاث مأخوذة بشرط المجموع ، بل أَنَّ حقيقة الشَّهادة الثَّالثة ـ كالثَّانية ـ داخلة في حقيقة الشَّهادة الأُولىٰ ومن ذاتيَّاتها وَأَحَد رُكْنَيها بحيث إِذا سُلبت يلزم سلب وانتفاء الشَّهادة الأُولىٰ مِنَ الأَساس ، وتكون الشَّهادة الأُولىٰ مِنْ باب السَّالبة بانتفاء موضوعها ـ كيف استلزم عدم موالاة أَهْل الْبَيْتِ (صَلَوَاتُ اللَّـهِ عَلَيْهِمْ) ، وعدم الاعتقاد وعدم الاقرار بالشَّهادة الثَّالثة كُلّ هذه العناوين والأَوصاف الَّتي أَصحرت بها بيانات الوحي في المقام ، والواردة في حَقِّ المخالفين لهم (صَلَوَاتُ اللَّـهِ عَلَيْهِمْ) والمنكرين للشَّهادة الثَّالثة ، كبيان قوله صلى الله عليه وآله : « **المُخَالِف لِعَلِيٍّ ، بعدي كافر ، والشَّاكّ به مُشْرِك مغادر ...** » ، وبيانه صلى الله عليه وآله أَيضاً: « **الشَّكَّ فِي عَلِيَّ كفرٌ باللَّـه تعالىٰ** » ، وبيانه عليه السلام : « **وَمَنْ رَدَّ علينا رَدَّ عَلَى اللَّـه ، وَمَنْ شَكَّ فينا شَكَّ في اللَّـه ، وَمَنْ عَرَفنا عرف اللَّـه ...** » ، وبيان فاطمة الزهراء عليها السلام الوارد في أَحداث السَّقيفة : « **أَيُّها المسلمون ... وأَشْرَكتُم بعد الإِيمان** » ، وبيانه عليه السلام: « **وَمَنْ لم يكن معنا فَلَيْسَ مِنَ الإِسلَام في شيءٍ** » ، وبيانه عليه السلام : « **والرَّادَ عليه** ـ أَي : علي أَمِير الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام ـ **في صغيرةٍ أَو كبيرةٍ**

عَلَى حَدِّ الشِّرك باللَّـه » ، وبيانه عليه السلام : « **سوآء عَلَى مَنْ خَالَف هذا الأَمر صَلَّىٰ أَو زنا** ».

إِنَّه لا يُناسب هذه التَّعابير وغيرها ـ كبيان الإِمام الصَّادق عليه السلام المُتقدِّم : «... **إِنَّ الجاحد لولاية عَلِيّ** عليه السلام **كعابد وثن**» ـ إِلَّا أَنْ يكون الخلل والإِختلال الحاصل في الشَّهادة الثَّالثة قد حصل في التَّوحيد والشَّهادة الأُولىٰ أَيضاً ، بل كيف تُسقط الشَّهادة الثالثة صاحبة المرتبة الوجوديَّة النَّازلة الشَّهادة الأُولىٰ والثَّانية صاحبتي المرتبتين الوجوديَّتين الصَّاعدتين. ولماذا لم ينفع الإِعتقاد والإِقرار بهما والعمل عَلَى وفقهما ؟ إِنَّ هذه التساؤلات وغيرها لا تنحل إِلَّا إِذا كان الجواب : أَنَّ الشَّكَّ الحاصل في الشَّهادة الثَّالثة أَو الجحود والكفر بها شَكٌّ حقيقة وجُحُودٌ وكُفْرٌ بالشَّهادة الأُولىٰ . وتقريب ذلك ما تقدَّم بيانه ؛ إِمَّا بفكرة : (أَنَّ الشَّهادات الثلاث مأخوذة في عَالَم الإِثبات والدلالة بشرط المجموع ـ كما تَقَدَّمَ بيان ذلك في البرهان الْعَقْلِيّ الْأَوَّل ـ) ، وإِمَّا بفكرة : (أَنَّ هذه الشَّهادات الثَّلاث مُتَّحِدات حقيقة في عَالَم الثبوت والواقع ؛ وأَنَّ الشَّهادة الثَّالثة ـ كالثَّانية ـ من أَركان وحقيقة الشَّهادة الأُولىٰ ـ كما تَقَدَّمَ بيان ذلك في البرهان الْعَقْلِيّ الثَّانِي ـ) ، أو بفكرة : (أَنَّ الشَّهادة الثَّالثة اذا لم تكن لازمة بالضَّرورة في كُلِّ موردٍ وجبت أَو وُجِدَت فيه الشَّهادة الأُولىٰ والثَّانية لزم من ذلك اِنتفاء فائدة وغرض وغاية الشَّهادة الثَّانية وأَصل الرِّسالة الإِلٰهيَّة والبعثة النَّبويَّة ، وانتقاء فائدة وغرض وغاية الشَّهادة الأُولىٰ وأَصل التَّوحيد

ـ كما تَقَدَّمَ بيان ذلك في البرهان الْعَقْلِيّ الثَّالث ـ). فالتفت ، وتَدَبَّر جِيّداً تَرِبَت يداك.

ومعناه : أَنَّه أَينما وجبت أَو وُجِدَت إِحدىٰ هذه الشَّهادات الثَّلاث فلابُدَّ وبالضَّرورة الوحيانيَّة والعقليَّة من وجوب أَو وجود سائرها ، وَأَينما اِنتفت إِحداها فلابُدَّ أَيضاً وبالضَّرورة الوحيانيَّة والعقليَّة من اِنتفاء باقيها.

والنتيجة مِنْ كُلّ هذا : أَنَّه حيث وجب في تشهُّد الصَّلاة وما شاكله ذِكْر الشَّهادة الأُولىٰ والثَّانية وجب أَيضاً وبالضَّرورة الوحيانيَّة والعقليَّة ـ وبمقتضىٰ ما تقدَّم ، بل وما سيأتي (إِنْ شآء الله تعالىٰ) من براهين عقليَّةٍ ووحيانيَّةٍ ـ ذِكْر الشَّهادة الثَّالثة في تلك الموارد من دون فرق ، بل لا يحتاج ـ ذلك الوجوب ـ إِلى دليلٍ خاصٍّ بعدما جاء عَلَى وفق القاعدة الأَوَّليَّة العقليَّة وحُكم العقل ، وإِذا وُجِدَ الدليل الخاص فهو دليلٌ اِرشاديٌّ لحُكْم هذه القاعدة ولهذا الحُكْم الْعَقْلِيّ الْمُبدَّه ، ومن ثَمَّ يكون ذِكْرها في العبادة وغيرها ـ كذِكْر الشَّهادة الأُولىٰ والثَّانية ـ توحيداً ، وذِكْراً إِلهيّاً ، وتمجيداً وتقديساً للّـه تعالىٰ عظيماً وخطيراً جِدّاً.

قرن الشَّهادات الثَّلاث في بدايات الْخِلْقَة والعوالم الصَّاعدة

الطائفة الثَّامنة ، ويُمَثِّلها :

(١/ ١٥) ـ بيان تفسير أَمِير الْمُؤْمِنِين عليه السلام في جوابه عَلَى سؤال ابن الكَوَّاء : « يا أَمِير الْمُؤْمِنِين ، واللَّـه إِنَّ في كتاب اللَّـه عزوجل لآيةٍ قد أَفسدت عَلَيَّ قلبي ؛ وشكَّكتني في ديني ... من قوله الله تعالىٰ: ﴿**وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ**﴾[1]، فقال أَمِير الْمُؤْمِنِين عليه السلام: **يا بن الكَوَّاء ، إِنَّ اللَّـه تبارك وتعالىٰ خَلَقَ الملائكة في صِوَرٍ شتَّىٰ ، إِلَّا أَنَّ للَّـه تبارك وتعالىٰ ملكاً في صورة ديك ، أَبحّ أَشهب ، براثنه في الأَرض السَّابعة السفلىٰ وعُرْفه مَثْنىٰ تحت العرش ، له جناحان ، جناح في المشرق وجناح في المغرب ... فإِذا حضر وقت الصَّلاة قام عَلَى براثنه ، ثُمَّ رفع عنقه من تحت العرش ، ثُمَّ صفق بجناحيه كما تصفّق الديوك في منازلكم ... فينادي : أَشهد أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّـه وحده لا شريك له ، وأَشهد أَنَّ مُحَمَّداً سيِّد النَّبيِّين ، وأَنَّ وصيَّه سيِّد الوصيِّين، وَأَنَّ اللَّـه سبُّوح قدُّوس رَبّ الملائكة والرُّوح ، قال : فتخفُق الديكة بأَجنحتها في منازلكم فتجيبه عن قوله ، وهو قوله تعالىٰ: ﴿وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ من الديكة في الأَرض**»[2].

---

(١) النور : ٤١.

(٢) التوحيد للصدوق: ٢٧٥ ـ ٢٧٦/ ح١٠.

(٢/ ٣٦) ـ بيانه عليه السلام أَيضاً: «... وإِنَّ العرش لم يستقرَّ حتَّىٰ كُتِبَ عليه بالنُّور: لا إِلٰهَ إِلَّا اللَّـه ، مُحَمَّد رسول اللَّـه ، عَلِيّ ولي اللَّـه»[1].

(٣/ ٣٧) ـ بيان الإِمام الباقر عليه السلام : «... كان اللَّـه ولا شيء غيره ولا معلوم ولا مجهول ، فأَوَّل ما ابتدأ من خلق خلقه أَن خلق مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله وخلقنا أَهل البيت معه مِنْ نوره وعظمته ، فأَوقفنا أَظلَّةً خضراء بين يديه حيث لا سمآء وَلَا أَرض ولا مكان ولا ليل ولا نهار ولا شمس ولا قمر ، يفصل نورنا من نور ربّنا كشعاع الشَّمس من الشَّمس ... ثُمَّ بدا اللَّـه تعالىٰ ذكره أَنْ يخلق المكان فخلقه وكَتَبَ عَلَى المكان : (لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّـه ، مُحَمَّد رسول اللَّـه ، عَلِيٌّ أَمِير المُؤْمِنِين ووصيَّه ، به أَيَّدته ونصرته) ، ثُمَّ خلق العرش فَكَتَبَ عَلَى سرادقات العرش مِثْل ذلك ، ثُمَّ خلق اللَّـه السَّماوات فَكَتَبَ عَلَى أَطرافها مِثْل ذلك ، ثُمَّ خلق الجنَّة والنَّار فكَتَبَ عليها مِثْل ذلك ، ثُمَّ خلق الملائكة وأَسكنهم السَّماء ، ثُمَّ تراءىٰ لهم اللَّـه تعالىٰ وَأَخَذ عليهم الميثاق له بالرُّبوبيَّة، ولمُحَمَّد صلى الله عليه وآله بالنُّبُوَّة ، ولِعَلِيٍّ عليه السلام بالولاية ، فاضطربت فرائص الملائكة ، فسخط اللَّـه عَلَى الملائكة ، واحتجب عنهم فلاذوا بالعرش سبع سنين يستجيرون الله من سخطه ، ويقرُّون بما أَخَذ عليهم ، وَيسألونه الرِّضا فرضىٰ عنهم بعدما أَقَرُّوا بذلك ، وَأَسكنهم ذلك الإِقرار السَّمآء ... ثُمَّ إِنَّ اللَّـه جلّ جلاله خَلَقَ الهواء فكَتَبَ عليه : (لَا إِله إِلَّا اللَّـه ، مُحَمَّد رسول اللَّـه ، عَلِيٌّ أَمِير

(١) بحار الأَنوار ، ٢٥ : ١٦٩ ـ ١٧٤/ ح٣٨.

المُؤْمِنِين ووصيِّه ، به أَيَّدته ونصرته) ، ثُمَّ خلق اللَّـه الجنَّ وأَسكنهم الهواء ، وأَخَذ الميثاق منهم بالرُّبوبيَّة ، و لمُحَمَّد صلى الله عليه وآله بالنُّبُوَّة ، ولِعَلِيٍّ عليه السلام بالولاية ، فَأَقَرَّ منهم بذلك من أَقَرَّ ، وجَحَدَ منهم مَنْ جَحَدَ ، فأَوَّل مَنْ جَحَدَ إِبليس (لعنه اللَّـه) ، فختم له بالشقاوة وما صار إِليه ... ثُمَّ خلق اللَّـه الأَرض فَكَتَبَ عَلَى أَطرافها : لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّـه ، مُحَمَّد رسول اللَّـه ، عَلِيّ أَمِير المُؤْمِنِين وصيَّه ، به أَيدته ونصرته) ؛ فبذلك ... قامت السَّمآوات بغير عمدٍ ، وثبتت الأَرض ، ثُمَّ خَلَقَ اللَّـه تعالىٰ آدم عليه السلام ... ثُمَّ أَخرج ذُرِّيَّته مِنْ صلبه فأَخذ عليهم الميثاق: (له بالرُّبوبيَّة ، ولمُحَمَّد صلى الله عليه وآله بالنُّبُوَّة ، ولِعَلِيّ عليه السلام بالولاية) ، فَأَقَرَّ منهم مَنْ أَقَرَّ وجَحَدَ مَنْ جَحَدَ...»[1].

(٤/ ٣٨) ـ بيان الإِمام الرِّضا عليه السلام : «... وإِنَّ آدم لَـمَّا أَكرمه اللَّـه تعالىٰ ذكره بإِسجاد ملائكته له ؛ وبإِدخاله الجنَّة قال في نفسه: هل خَلَقَ اللَّـه بشراً أَفضل مِنِّي ؟ فعلم اللَّـه عزَّ وجلَّ ما وقع في نفسه فناداه : ارفع رأسكَ يا آدم ، فانظر إِلى ساق عرشي ، فرفع آدم رأسه فنظر إِلى ساق العرش فوجد عليه مكتوباً: لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّـه ، مُحَمَّد رسول اللَّـه ، عَلِيّ بن أَبي طالب أَمِير المُؤْمِنِين ، وزوجته فاطمة سيِّدة نساء العالمين ، والحسن والحسين سيِّدا شَبَاب أَهل الـجنَّة...»[2].

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٥ : ١٧ـ٢٠ / ح٣١.

(٢) المصدر نفسه ، ٢٦ : ٢٧٣/ ح١٥. عيون الأَخبار : ١٧٠.

ودلالتها قد اِتَّضَحَت ؛ فإنَّها ظاهرة في ما تقدَّم ، وكاشفة عن نُكْتَةِ قرن الشَّهادات الثلاث ، واندكاك بعضها بالآخَر ؛ وأَنَّ المخلوقات لا سيما في العوالم الصَّاعدة لا تستقرُّ إلَّا بكلمة التَّوحيد ، وهي عبارة عن أَركان ثلاثة مُتَمَثِّلة بالشَّهادات الثَّلاث ، المُندكَ بعضها بالآخَر ، والمأخوذة في عَالَمَ الإثبات والدِّلَالة بشرط المجموع بحيث إذا ذُكِرَت إحداها في موردٍ فلابُدَّ من ذِكْر سائرها ، وإذا انتفت إحداها في موردٍ فلابُدَّ من انتفاء باقيها.

بل الشَّهادة الثَّالثة ـ كالثَّانية ـ فعلٌ إلَهيٌّ فتكون داخلة في عَالَمَ الثبوت والواقع في حقيقة الشَّهادة الأُولىٰ ، وفي مقام توحيد الأَفعال الإلٰهيَّة ، فيكون عطف الشَّهادة الثَّالثة ـ كالثَّانية ـ عَلَى الشَّهادة الأُولىٰ مِنْ باب عطف الخاصّ عَلَى العام.

ومعناه : أَنَّه أَينما وجبت أَو وُجِدَت إحدىٰ هذه الشَّهادات الثَّلاث فلابُدَّ وبالضَّرورة العقليَّة والوحيانيَّة من وجوب أَو وجود سائرها ، وأَينما اِنتفت إحداها فلابُدَّ أَيضاً وبالضَّرورة العقليَّة والوحيانيَّة ـ وبمقتضىٰ ما تقدَّم ، بل وما سيأتي (إِنْ شَآءَ اللهُ تَعَالَى) مِنْ براهين عَقَلِيَّةٍ وَوَحيَانِيَّةٍ ـ من اِنتفاء باقيها في تلك الموارد مِنْ دون فرق.

والنتيجة : أَنَّه حيث وجب في تَشَهُّد الصَّلاة وما شاكله ذِكْر الشَّهادة الأُولىٰ والثانية وجب أَيضاً وبالضَّرورة الوحيانيَّة ذِكْر الشَّهادة الثَّالثة من دون فرق ، ويكون ذِكْرها في العبادة وغيرها ـ كذِكْر الشَّهادة الأُولىٰ والثَّانية ـ توحيداً ، وذِكْراً إلهيّاً ، وتمجيداً وتقديساً للَّـه تعالىٰ عظيماً وخطيراً جِدّاً.

نعم ، في مورد التَّقيَّة وكحُكْمٍ ثانويٍّ ـ كما هو الحال في زمان سيِّد الأَنبياء وسائر أَهْل الْبَيْتِ (صلوات اللّـه عليهم) المُتقدِّم ـ يُكتفىٰ بصورة الصَّلاة الخاوية والخالية من التَّوحيد ، ويُحكم بإِجزائها عن الصَّلاة المُتَعَلِّق بها الحُكْم الأَوَّلي ، كحال سائر موارد التقيَّة وموارد الاضطرار ، لكن إِذا زالت التَّقيَّة ـ كيومنا هذا ـ وزال الاضطرار زال معه موضوع الحُكْم الثانوي ، وزال تبعاً له الحكم الثانوي القاضي بإِجزاء الصَّلاة مِنْ دون الشَّهادة الثَّالثة في ظرف التقيَّة ، والحاكم بجواز ، بل وجوب أَكل لحم الميتة إِذا خاف المُكَلَّف عَلَى نفسه الهلاك جوعاً ، ويكون الحُكْم المُحَكَّم هو الحُكْمُ الأَوَّليُّ القاضي بوجوب ضَمّ الشَّهادة الثَّالثة إِلى الأُولىٰ والثَّانية في تَشَهُّد الصَّلاة وما شاكله من العبادات كالأَذان والإِقامة ، ولا إِجزاء من دونها ، ولا يُكتفىٰ بصورة الصَّلاة وما شاكلها المُجزية في ظرف التقيَّة . وكذا يكون الحُكْم المُحَكَّم في حال اِرتفاع الاِضطرار لأَكل لحم الميتة هو الحُكْمُ الأَوَّليُّ القاضي بحرمة أَكل لحم الميتة. فالتفت، وتَأَمَّل جَيّداً ، واغتنم تَرِبَت يداك .

قرن سائر المخلوقات للشَّهادات الثَّلاث

الطائفة التَّاسعة ، ويُمَثِّلها:

(١/ ٣٩) ـ بيان الإمام الباقر عليه السلام : « **إِنَّ رسول اللَّـه صلى الله عليه وآله لَـمَّا قَدِمَ المدينة وظهرت آثار صِدْقِهِ وآيات حَقّه وبيِّنَات نُبُوَّته كادته اليهود أَشَدّ كيد ... وكان مِمَّن قصده للرَّدِّ عليه وتكذيبه مالك بن الصيف ، وكعب بن الأَشرف ، وحي بن أَخطب ، وجدي بن أَخطب ، وَأَبو ياسر بن أَخطب ، وأَبو لبابة بن عبد المنذر ، وشعبة ، فقال مالك لرسول اللَّـه صلى الله عليه وآله : يا مُحَمَّد ، تزعم أَنَّكَ رسول اللَّـه ... لن نؤمن أَنَّكَ رسول اللَّـه حتَّىٰ يُؤمن لكَ هذا البساط الَّذي تحتنا ، وَلَنْ نشهد أَنَّكَ عن اللَّـه جئتنا حتَّىٰ يشهد لَكَ هذا البساط ، وقال أَبو لبابة بن عبد المنذر : لن نؤمن لَكَ يا مُحَمَّد أَنَّكَ رسوله ، ولا نشهد لَكَ به حتَّىٰ يؤمن ويشهد لَكَ هذا السوط الَّذي في يدي ، وقال كعب بن الأَشرف : لن نؤمن لَكَ أَنَّكَ رسول اللَّـه ، ولن نُصَدِّقُكَ حَتَّىٰ يُؤمن لَكَ هذا الحمار ، وأَشار لحماره ... فقال رسول اللَّـه صلى الله عليه وآله : ... فَلَمَّا فرغ رسول اللَّـه صلى الله عليه وآله من كلامه هذا أَنطق اللَّـه البساط ، فقال : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّـه وَحدَهُ لَا شَريك له ... وَأَشهد أَنَّك يا مُحَمَّد عبده و رسوله ... وأَشهد أَنَّ عَلِيّ بن أَبي طالب بن عبد المطَّلِب بن هاشم بن عبد مناف أَخوكَ ووصيّك وخليفتكَ في أُمَّتكَ ، وخير مَنْ تترك عَلَى الخلائق بعدكَ ، أَنَّ مَنْ والاه فقد والاكَ ، وَمَنْ عاداه فقد عاداكَ ، وَمَنْ أَطاعه فقد أَطاعَكَ ، وَمَنْ عَصَاه فقد**

عصاكَ ، وَأَنَّ مَنْ أَطاعك فقد أَطَاع اللَّـه ... وَأَنَّ مَنْ عَصَاكَ فقد عصىٰ اللَّـه ... أَنا بساط أَنطقني اللَّـه وَأَكرمني بالنطق بتوحيده وتمجيده ، والشَّهادة لمُحَمَّد نبيّه ... وإِمامة أَخيه ووصيّه ووزيره وشقيقه وخليله ... ثُمَّ أَنطق اللَّـه سوط أَبي لبابة بن عبد المنذر ، فقال : أَشهد أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّـه ... وَأَشْهَدُ أَنَّكَ يا مُحَمَّد عبده ورسوله ... وَأَشْهَد أَنَّ عَلِيّ بن أَبي طالب المذكور في الملأ الأَعلىٰ بأَنَّه سيِّد الخلق بعدك ... يا بالبابه ، إِنِّي سوط قد أَنطقني اللَّـه بتوحيده ، وَأَكرمني بتحميده ، وَشَرَّفني بتصديق نُبُوَّة مُحَمَّد سيِّد عبيده ، وجعلني مَمَّن يوالي خير خلق اللَّـه بعده ، وَأَفضل أَولياء اللَّـه من الخلق حاشاه ... وجاء كعب بن الأَشرف ليركب حماره ... فقال : ... أَنا حمار قد أَكرمني اللَّـه بتوحيده ؛ فأَنا أَشْهَد أَنْ لا إِلٰهَ إِلَّا اللَّـه ، وحده لا شريك له ... وَأَشهد أَنَّ مُحَمَّداً عبده ورسوله ... وأَشهد أَنَّ بِعَلِيّ بن أَبي طالب وليَّه ووصي رسوله يسعد من اللَّـه من يسعد... ما ينبغي لكافر أَنْ يركبني ، بل لا يركبني إِلَّا مؤمن باللَّـه ، مُصَدِّقٌ بِمُحَمَّدٍ رسول اللَّـه في أَقواله ، متصوّب له في جميع أَفعاله ، وفي فعل أَشرف الطَّاعات في نصبه أَخاه عَلِيّاً وصيّاً ووليّاً ... فقال رسول اللَّـه ﷺ : يا كعب بن أَشرف ، حمارك أَعقل مِنْكَ ...»[1].

ودلالته قد اتَّضَحَت أَيضاً ؛ فإِنَّها ظاهرة في ذلك التَّرابط التَّكويني

(١) بحار الأَنوار ، ١٧ : ٣٠٢ ـ ٣٠٧ /ح١٤. التفسير المنسوب إِلى الإِمام العسكري عليه السلام: ٣٣ ـ ٣٦.

الوثيق والاقتران الأَكيد بين الشَّهادات الثَّلاث ؛ المُنْدَك بعضها بالآخر ، والمأخوذة بشرط المجموع بحيث إذا ذُكِرَ إِحداها في موردٍ فَلابُدَّ من ذِكْر سائرها ، وإِذا انتفت إِحداها في موردٍ فلابُدَّ من اِنتفاء باقيها.

بل الشَّهادة الثَّالثة ـ كالثَّانية ـ فعلٌ إِلٰهيٌّ ؛ فتكون داخلة في حقيقة الشَّهادة الأُولىٰ ، وفي مقام توحيد الأَفعال الإِلٰهيَّة ، فيكون عطف الشَّهادة الثَّالثة ـ كالثَّانية ـ عَلَى الشَّهادة الأُولىٰ من باب عطف الخاصّ عَلَى العام . وهذا ما يُشِير إِليه بيان تقرير الإِمام الباقر عليه السلام ، ومن قبله إِمضاء سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله لكلام الحمار ؛ والحاكي بيانه عليه السلام لِـمَا صدر من فعل وكلام الحمار المعجز؛ فإِنَّه[1] أَوَّلاً أَجمل التَّوحيد ، ثُمَّ فَصَّلَ بين أَركانه الثلاثة ، المُتَمَثِّلة بالشَّهادات الثَّلاث ، ثُمَّ ذكر: أَنَّ تنصيب ولاية ووصاية أَمير المؤمنين ، وتبعاً له سائر أَهْل الْبَيْتِ (صَلَوَاتُ اللَّـهِ عَلَيْهِمْ) ، والمُتَمَثِّل ـ هذا التنصيب ـ بالشَّهادة الثَّالثة أَشرف الأَفعال الإِلٰهيَّة الصَّادرة عن سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله ، والمُورِث ـ هذا التنصيب ـ والمُعتَقِد به ، والعامل بهذه الشَّهادة الثَّالثة أَشرف الطَّاعات ، ومِنْ ثَمَّ وَجَّه سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله كلامه إِلى كعب بن الأشرف : «**أَنَّ حمارك أَعقلُ مِنكَ**» ، فأَعِد الكَرَّة ولاحظ : قول الحمار : « **أَنا حمار قد أَكرمني اللَّـه بتوحيده ؛ فأَنا أَشْهَد أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّـه وحده لا شريك له ... وَأَشهَدُ أَنَّ**

(١) مرجع الضمير : (الحمار).

مُحَمَّداً عبده ورسوله ... وَأَشهَدُ أَنَّ بِعَلِيِّ بن أَبي طالب وليَّه ووصيّ رسوله يسعد اللَّـه مَنْ يسعد ... ما ينبغي لكافر أَنْ يركبني ، بل لا يركبني إِلَّا مؤمن باللَّـه ، مُصَدِّقٌ بِمُحَمَّدٍ رسول اللَّـه في أَقواله ، مُتَصوّبٌ له في جميع أَفعاله ، وفي فعل أَشرف الطَّاعات في نصبه أَخاه عَلِيّاً وصيّاً ووليّاً ... فقال رسول اللَّـه ﷺ : يا كعب بن أَشرف حمارك أَعقل مِنْكَ ...».

ومعناه : أَنَّه أَينما وجبت أَو وُجِدَت إِحدىٰ هذه الشَّهادات الثَّلاث في موردٍ فلابُدَّ ـ وبالضَّرورة العقليَّة والوحيانيَّة ـ من وجوب أَو وجود سائرها ، وأَينما انتفت إِحداها فلابُدَّ ـ أَيضاً وبالضَّرورة العقليَّة والوحيانيَّة ـ من انتفاء باقيها ، من دون حاجة إِلى دليلٍ خاصٍّ ؛ بعدما جاء هذا الأَمر عَلَى وفق القاعدة الأَوَّلية العقليَّة وحُكْم العقل ، وإِنْ وُجِدَ الدَّليل الخاصّ كان إِرشاديّاً لهذه القاعدة ولحُكْم العقل هذا.

بل لو لم تكن الشَّهادة الثَّالثة لازمة بالضَّرورة في كُلِّ موردٍ وجبت أَو وُجِدَت فيه الشَّهادة الأُولىٰ والثَّانية لزم من ذلك ـ كما تَقَدَّمَ بيان ذلك في البرهان الْعَقْلِيّ الثَّالث ـ اِنتفاء فائدة وغرض وغاية الشَّهادة الثَّانية وأَصل الرِّسالة الإِلٰهيَّة والبعثة النَّبويَّة ، وانتفاء فائدة وغرض وغاية الشَّهادة الأُولىٰ وأَصل التَّوحيد.

والنتيجة : أَنَّه حيث وجب في تشهُّد الصَّلاة وما شاكله ذِكْر الشَّهادة الأُولىٰ والثَّانية وجب أَيضاً ـ وبالضَّرورة العقليَّة والوحيانيَّة ، وبمقتضىٰ ذلك

التَّرابط التَّكويني والقاعدة الأَوَّليَّة وحُكْم العقل ـ ذِكْر الشَّهادة الثَّالثة أَيضاً من دون فرق ، ويكون ذِكْرها في العبادة وغيرها ـ كَذِكْرِ الشَّهادة الأُولىٰ والثَّانية ـ توحيداً وذِكْراً إِلٰهيّاً وتمجيداً وتقديسا للّـه عظيماً وخطيراً جِدّاً.

بل حقيقة التَّوجُّه لأَهْل الْبَيْتِ (صلوات اللّـه عليهم) ومخاطبتهم والتَّوسُّل والتَّشَفُّع بهم ـ سواء كان في تَشهُّد الصَّلاة وفي الشَّهادة الثَّانية أَو الثَّالثة ، أَو في السَّلام عَلَى سَيِّد الْأَنْبِيَاء وسائر أَهْل الْبَيْتِ (صلوات اللّـه عليهم) في تسليم الصَّلاة وقبل الفراغ منها ، أَو في السَّلام عَلَى سَيِّد الْأَنْبِيَاء صلى الله عليه وآله في ذِكْر سجود سجدة السَّهُو أَو غيرها ، كما تَقَدَّمَ بيان ذلك في البرهان الْعَقْلِيّ الرَّابع ـ تَوَجُّه للّـه المُسمَّىٰ عزّ وجلّ ، ومخاطبة له (عَزَّ وجهه) ، وَتوسُّلٌ وتشفّع به (جَلَّ ذِكْره) مِنْ دون أَي تجوُّز وتكلُّف وتمحُّل ؛ فإِنَّ الخطاب والكلام المُوَجَّه للمعصوم عليه السلام لا يكون مُوَجَّهاً إِليه بما هو هو ، بل بما هو خليفة وولي للّـه تعالىٰ ، وتجلِّي وظهور له (جَلَّ وتقدَّس) ، ومرآة حاكية وكاشفة ـ من وَجْهٍ ـ عن الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزَليَّة المُقدَّسة ، وعن أَسمآئه وصفاته وكمالاته (جَلَّ قدسه) ، وكاشفة عن شؤون وأَحوال سَاحَة الْقُدْسِ الْإِلٰهِيَّةِ. وقد تقدَّم في أَبحاث سابقة ، بل وسيأتي (إِنْ شَآءَ اللهُ تَعَالَى) في موارد كثيرة تفصيل ذلك وبيان أَدِلَّته .

قرن مَقَامَات وشؤون أَمِير الْمُؤْمِنِين عليه السلام بِمَقَامَات وشؤون سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله في جُمْلَةِ الْعَوَالم

الطائفة العاشرة ، ويُمَثِّلها :

(١/ ٤٠) ـ بيان سيِّد الأَنبياء الوارد في حَقِّ أَمِير الْمُؤْمِنِين (صَلَوَاتُ اللَّـهِ عَلَيْهِما وعَلَى آلهما) ، عَلَى أَثر حكاية الرَّاعي عمَّا صدر من الذئب ، وتشكيك بعض الصَّحابة والمنافقين : «... **لئن شككتم أَنتم فيه فقد تيقَّنته أَنا وصاحبي الكائن معي في أَشرف المحالّ من عرش الملك الجبَّار ، والمُطوَّف به معي في أَنهار الحيوان من دار القرار ، والَّذي هو تلوي في قيادة الأَخيار ، والمُتردِّد معي في الأَصلاب الزاكيات المُتقلِّب معي في الأَرحام الطَّاهرات ، الرَّاكض معي في مسالك الفضل ، والَّذي كُسِيَ ما كُسِيْتهُ مِنَ الْعِلْمِ والحِلْمِ والعقل ، وشقيقي الَّذي انفصل مِنِّي عند الخروج إِلى صلب عبد اللَّـه وصلب أَبي طالب ، وعديلي في اقتناء المحامد والمناقب عَلِيّ بن أَبي طالب ، آمنت به أَنا والصدِّيق الأَكبر ، وساقي أَوليائي من نهر الكوثر ، آمنت به أَنا والفاروق الأَعظم ... آمنت به أَنا وَمَنْ جعله اللَّـه محنة لأَولاد الغيّ والرُّشْد ... آمنت به أَنا ومَنْ جعله اللَّـه لديني قَوَّاماً ... آمنت به أَنا ومَنْ سبق النَّاس إِلى الإِيمان ... ذَاكَ عَلِيّ بن أَبي طالبا ...**»[1].

---

(١) بحار الأَنوار ، ١٧ : ٣٢٣ ـ ٣٢٤.

(٢/ ٤٠) ـ بيان أَمِير الْمُؤْمِنِين (صلوات اللّـه عليه) : «... **أَنا مُحَمَّد ، ومُحَمَّد أَنا ، وَأَنا مِنْ مُحَمَّد ، ومُحَمَّد مِنِّي ... كُلّنا واحد ، أَوَّلنا مُحَمَّد ، وآخِرُنا مُحَمَّد ، وَأَوسطنا مُحَمَّد ، وكُلّنا مُحَمَّد ، فَلَا تُفَرِّقُوا بينَنا** ...»[1].

ودلالتها قد اِتَّضَحَت أَيضاً ؛ فإِنَّها مُشيران إِلى ذلك التَّرابط التَّكويني الوثيق والاقتران الأَكيد بين أَحوال سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله ومقاماته وكمالاته الإِلٰهيَّة ، وأَحوال أَمِير الْمُؤْمِنِين وسائر أَهْل الْبَيْتِ (صلوات اللّـه عليهم) ومقاماتهم وكمالاتهم الإِلٰهيَّة.

ونُكْتَةُ ذلك التَّرابط التَّكويني الوثيق والاقتران الأَكيد بين حقائق الشَّهادات الثَّلاث ، والمُنْدَك بعضها بالآخر :

أَوَّلاً : ما تقدَّمت الإِشارة إِليه مُكرَّراً ؛ مِنْ أَنَّ الشَّهادات الثَّلاث مأخوذة في عَالَمَ الإِثبات والدِّلالة ـ بشرط المجموع ، والَّتي تكون العلاقة بين أَطرافها عَلَى نحو الاستلزام ؛ وَمِنْ كافَّة الأَطراف والزوايا ـ إِلَّا ما خرج موضوعاً وتخصُّصاً وبالدَّليل الخاصِّ ـ ، لَا عَلَى نحو اللزوم ومن طرفٍ واحدٍ ، وَمِنْ ثَمَّ إِذا حصل لدىٰ المخلوق خلل أَو اِختلال معرفيّ في إِحدىٰ هذه الشَّهادات كالشَّهادة الثَّالثة فلابُدَّ من حصوله في سائرها ، وإِذا وجبت إِحداها في موردٍ فلابُدَّ مِنْ وجوب باقيها.

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٦ : ١ـ ٧ / ح١.

ثانياً : ما تقدَّمت الإِشارة إِليه مُكرَّراً أَيضاً ؛ مِنْ أَنَّ حقيقة الشَّهادة الثَّانية والثَّالثة ـ بحسب عَالَمَ الثبوت والواقع ـ فعلان إِلهيَّان فتكونا داخلتين في حقيقة الشهادة الأُولىٰ ؛ وَأَحد أَركانها الثلاثة ، بل ركنيها ، وَمِنْ ثَمَّ إِذا حصل لدىٰ المخلوق خلل أَو اِختلال معرفي في إِحدىٰ هذه الشَّهادات الثَّلاث كالشَّهادة الثَّالثة فلابُدَّ من حصوله في سائرها ، وإِذا وجبت إِحداها في موردٍ فلابُدَّ من وجوب سائرها ، وإِذا انتفت إِحداها في موردٍ فلابُدَّ من انتفاء باقيها.

ثالثاً : ما تقدَّمت الإِشارة إِليه مُكرَّراً أَيضاً ؛ مِنْ أَنَّه لو لم تكن الشَّهادة الثَّالثة لازمة بالضَّرورة في كُلِّ موردٍ وجبت أَو وُجِدَت فيه الشَّهادة الأُولىٰ والثَّانية لزم من ذلك اِنتفاء فائدة وغرض وغاية الشَّهادة الثَّانية وأَصل الرِّسالة الإِلٰهيَّة والبعثة النَّبويَّة ، وانتفاء فائدة وغرض وغاية الشَّهادة الأُولىٰ وأَصل التَّوحيد.

والنتيجة : أَنَّه حيث وجب في تشهُّد الصَّلاة وما شاكله ذِكْر الشَّهادة الأُولىٰ والثَّانية وجب أَيضاً وبالضَّرورة الوحيانيَّة والعقليَّة ـ وبمقتضىٰ ما تقدَّم من البراهين العقليَّة والوحيانيَّة ، الكاشفة عن ذلك الترابط التَّكوينيّ الوثيق والاقتران الأَكيد بين الشَّهادات الثَّلاث ـ ذِكْر الشَّهادة الثَّالثة في تلك الموارد ومن دون فرق ، ولا يحتاج هذا الوجوب إِلى دليلٍ خاصٍّ ، وما تُذكر من أَدِلَّةٍ وحيانيَّةٍ ظاهرة في ذلك الوجوب فهي أَدِلَّة اِرشاديَّة لتلك الأَحْكَام

والبراهين العقليَّة ، ومِنْ ثَمَّ يكون ذِكْرها ـ الشهاد الثَّالثة ـ في العبادة وغيرها ـ كذِكْرِ الشَّهادة الأُولىٰ والثَّانية ـ توحيداً وذِكْراً إِلٰهيّاً ، وتمجيداً وتقديساً للَّـه تعالىٰ عظيماً وخطيراً جِدّاً.

بل حقيقة التَّوجُّه لأَهْل الْبَيْتِ (صَلَوَاتُ اللَّـهِ عَلَيْهِمْ) ومخاطبتهم والتَّوسُّل والتَّشَفُّع بهم ـ سواء كان في تَشهُّد الصَّلاة وفي الشَّهادة الثَّانية أَو الثَّالثة ، أَو في السَّلام عَلَى سَيِّد الْأَنْبِيَاء وسائر أَهْل الْبَيْتِ (صَلَوَاتُ اللَّـهِ عَلَيْهِمْ) في تسليم الصَّلاة وقبل الفراغ منها ، أَو في السَّلام عَلَى سَيِّد الْأَنْبِيَاء صلى الله عليه وآله في ذِكْر سجود سجدة السَّهُو أَو غيرها ، كما تَقَدَّمَ بيان ذلك في البرهان الْعَقْلِيّ الرَّابع ـ تَوَجُّه للَّـه الْمُسمَّىٰ جل جلاله ، ومخاطبة له (عَزَّ وجهه) ، وَتوسُّلٌ وتشفّع به (جَلَّ ذِكْره) مِنْ دون أَي تجوُّز وتكلُّف وتمحُّل ؛ فإِنَّ الخطاب والكلام الْمُوَجَّه للمعصوم عليه السلام لا يكون مُوَجَّهَاً إِليه بما هو هو ، بل بما هو خليفة وولي للَّـه تعالىٰ ، وتجلِّي وظهور له (جَلَّ وتقدَّس) ، ومرآة حاكية وكاشفة ـ من وَجْهٍ ـ عن الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزَليَّة الْمُقدَّسة ، وعن أَسمآئه وصفاته وكمالاته (جَلَّ قدسه) ، وكاشفة عن شؤون وأَحوال سَاحَة الْقُدْسِ الْإِلٰهِيَّةِ. وقد تقدَّم في أَبحاث سابقة ، بل وسيأتي (إِنْ شَآءَ اللهُ تَعَالَىٰ) في موارد كثيرة تفصيل ذلك وبيان أَدِلَّته .

أَخذ الميثاق بالشَّهادات الثَّلاث في بِدَاية الْخِلْقَة عَلَى جُمْلَة المخلوقات

الطائفة الحادية عشرة ، ويُمَثِّلها :

(١/ ٤٢) ـ بيان حديث المعراج ، مخاطباً (تَقَدَّسَ ذِكْرُهُ) سَيِّد الْأَنْبِيَاء صلى الله عليه وآله : « ... **يا مُحَمَّد ، إِنَّكَ رسولي إِلى جميع خلقي ، وإِنَّ عَلِيّاً وليِّي وَأَمِير الْمُؤْمِنِين ، وَعَلَى ذلك أَخذتُ ميثاق ملائكتي وأَنبيائِي وجميع خَلْقِي وهم أَرواح مِنْ قبل أَنْ أخلق خلقاً في سمائي وأَرضي ...** »[١].

(٢/ ٤٣) ـ بيان الحديث القدسي ، مخاطباً (جَلَّ شَأْنُهُ) أَيضاً سَيِّد الْأَنْبِيَاء صلى الله عليه وآله : « ... **أوصِ يا مُحَمَّد إِلى ابن عمِّكَ عَلِيّ بن أَبي طالب ؛ فإِنِّي قد أَثبتَّه في الكُتُب السَّالفة ، وكتبتُ فيها أَنَّه وصيّكَ ، وَعَلَى ذلك أَخذتُ ميثاق الخلائق ومواثيق أَنبيائي ورسلي ، أَخذتُ مواثيقهم لي بالرُّبوبيَّة ، وَلَكَ يا مُحَمَّد بالنُّبُوَّة ، ولِعَلِيِّ بن أَبي طالب بالولاية ...** »[٢].

(٣/ ٤٤) ـ بيان أَمِير الْمُؤْمِنِين عليه السلام : « ... **هذا كُلّه لآل مُحَمَّد ، لَا يُشاركهم فيه مُشارِك ... اسمهم مكتوب عَلَى الأَحجار وَعَلَى أَوراق الأَشجار ، وَعَلَى أَجنحة الأَطيار ، وَعَلَى أَبواب الجنَّة والنَّار ، وَعَلَى العرش**

---

(١) بحار الأَنوار ، ١٨ : ٣٩٧ ـ ٤٠٠/ ح١٠١. اليقين في أُمرَة أَمير المؤمنين عليه السلام: ١٥٧ ـ ١٦٠. المحتضر: ١٤٣ ـ ١٤٦.

(٢) بحار الأَنوار ، ١٥ : ١٨/ ح٢٧. أَمالي ابن الشَّيخ: ٦٣ ـ ٦٤.

والأَفلاك ، وَعَلَى حُجُب الجلال وسرادقات العزّ والجمال ، وباسمهم تُسَبِّح الأَطيار ، وتستغفر لشيعتهم الحيتان في لجج البحار ، وانَّ اللَّـه لم يخلق أَحَداً إِلَّا وَأَخَذ عليه الإِقرار بالوحدانيَّة والولاية للذرِّيَّة الزَّكيَّة ؛ والبراءة من أَعدائهم ، وإِنَّ العرش لم يستقرَّ حتَّىٰ كُتِبَ عليه بالنُّور : لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّـه ، مُحَمَّد رسول اللَّـه ، عَلِيّ ولي اللَّـه»[1].

(٣/ ٤٥) ـ بيان الإِمام الباقر عليه السلام : « إِنَّ اللَّـه (تَبَارَكَ وَتَعَالَى) حيث خلق الخلق ... قال : أَلَسْتُ بربّكم؟ قالوا : بلىٰ ، شهدنا أَنْ تقولوا يوم القيامة إِنَّا كُنَّا عن هذا غافلين ... ثُمَّ أَخذ الميثاق عَلَى النَّبيِّين ، فقال : أَلَسْتُ بِرَبّكم؟ ثُمَّ قال : وإِنَّ هذا مُحَمَّد رسولي ، وأَنَّ هذا عَلِيّ أَمِير المُؤْمِنِين؟ قالوا : بلىٰ ، فثبتت لهم النُّبُوَّة ، وأَخذ الميثاق عَلَى أُولي العزم : أَنِّي رَبّكم ، ومُحَمَّد رسول اللَّـه ، وَعَلِيٌّ أَمِير المُؤْمِنِين وأَوصياؤه من بعده ولاة أَمري وخزَّان علمي ، وَأَنَّ المهديّ أَنتصر بِهِ لديني ، وَأَظهر به دولتي ، وأَنتقم به من أَعدائي ، وأُعبد بِهِ طوعاً وكرها. قالوا : أَقررنا وشهدنا يا رَبّ ، ولم يجحَد آدم ولم يقرّ فثبتت العزيمة لهؤلاء الخمسة في المهديّ ، ولم يكن لآدم عزم عَلَى الإِقرار به ، وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾[2]، قال : إِنَّما يعني فترك ...»[3].

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٥ : ١٦٩ ـ ١٧٤/ ح٣٨.

(٢) طه : ١١٥.

(٣) بحار الأَنوار ، ٢٦ : ٢٧٩ / ح٢٢. بصائر الدرجات: ٢١.

(٤/ ٤٦) ـ بيانه عليه السلام أَيضاً : « **إِنَّ اللّـه (تَبَارَكَ وَتَعَالَى) أَخَذ الميثاق عَلَى أُولي العزم : أَنِّي رَبّكم ، ومُحَمَّد رسولي ، وَعَلِيٌّ أَمِير الْمُؤْمِنِين وَأَوصياؤه مِنْ بعده ولاة أَمري وخزَّان عِلْمِي ، وأَنَّ المهديّ أَنتصر به لديني** »[١].

(٥/ ٤٧) ـ بيان الإِمام الصَّادق (صلوات اللّـه عليه) ، عن مُحَمَّد بن سليمان الديلميّ ، عن أَبيه ، قال : « سألتُ جعفر بن مُحَمَّد عليهما السلام : لِمَ سُمِّيَت الجمعة جمعة ؟ قال : **لأَنَّ اللّـه تعالىٰ جمع فيها خَلْقَه لولاية مُحَمَّد وَأَهل بيته**»[٢].

(٦/ ٤٨) ـ بيانه عليه السلام أَيضاً : « ... **وما خَلَقَ اللّـه خَلْقاً إِلَّا وقد عرض ولايتنا عليه ، واحتَجَّ بِنَا عَلَيه ، فمؤمن بِنَا وكافرٍ وجاحدٍ ؛ حَتَّىٰ السَّماوات والأَرض والجبال** (الآية)»[٣].

ودلالتها قد اِتَّضحت أَيضاً ؛ فإِنَّها مُشيرةٌ إِلى ذلك التَّرابط التَّكويني الوثيق والاقتران الأَكيد بين الشَّهادات الثَّلاث ؛ والمُنْدَك بعضها بالآخر ، والمأخوذة بشرط المجموع ـ كما تَقَدَّمَ بيان ذلك في البرهان الْعَقْلِيّ الْأَوَّل ـ بحيث إِذا ذُكِرَ إِحداها في موردٍ فلابُدَّ مِنْ ذِكْر سائرها ، وإِذا انتفت إِحداها في موردٍ فلابُدَّ من انتفاء باقيها.

بل الشَّهادة الثَّالثة ـ كالثَّانية ـ فعلٌ إِلٰهيٌّ ـ كما تَقَدَّمَ بيان ذلك في البرهان

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٦ : ١٠٨ / ح١٣. بصائر الدَّرجات: ٣٠.

(٢) بحار الأَنوار ، ٢٦ : ٣٠٩ / ح٧٦. أَمالي ابن الشَّيخ: ٧١.

(٣) بحار الأَنوار ، ٤٧ : ٤٦ / ح٧. السرائر: ٤٧٣.

الْعَقْلِيّ الثَّاني ـ فتكون داخلة في حقيقة الشَّهادة الأُولىٰ ، وفي مقام توحيد الأَفعال الْإِلٰهِيَّة ، بعدما كان اختيار الولاية والْإِمَامَة والحاكميَّة الْإِلٰهِيَّة ، واختيار مقام تطبيق الأَحْكَام الْإِلٰهِيَّة الْمُتمثِّلة بالشَّهادة الثَّالثة ـ كاختيار النُّبوَّة والرسالة الْإِلٰهِيَّة ، وتشريع الأَحكام الْإِلٰهِيَّة الْمُتمثِّلة بالشَّهادة الثَّانية ـ أَفعال إِلٰهيَّة ليس إِلَّا ، بل مِنْ أَعظمها وَأَخطرها هولاً ، وَمِنْ ثَمَّ يكون عطف الشَّهادة الثَّالثة ـ كالثَّانية ـ عَلَى الشَّهادة الأُولىٰ من باب عطف الخاصّ عَلَى العام ، فتكون الشَّهادة الثَّالثة ، كالثَّانية والأُولىٰ توحيداً وذِكراً إِلٰهيّاً ، وتمجيداً للَّـه عظيماً وخطيراً جِدّاً.

بل لو لم تكن الشَّهادة الثَّالثة لازمة بالضَّرورة في كُلِّ موردٍ وجبت أَو وُجِدَت فيه الشَّهادة الأُولىٰ والثَّانية لزم من ذلك ـ كما تَقَدَّمَ بيان ذلك في البرهان الْعَقْلِيّ الثَّالث ـ اِنتفاء فائدة وغرض وغاية الشَّهادة الثَّانية وأَصل الرِّسالة الإِلٰهيَّة والبعثة النَّبويَّة ، وانتفاء فائدة وغرض وغاية الشَّهادة الأُولىٰ وأَصل التَّوحيد.

ومعناه : أَنَّه أَينما وجبت أَو وُجِدَت إِحدىٰ هذه الشَّهادات الثَّلاث في موردٍ فلابُدَّ ـ وبالضَّرورة العقليَّة والوحيانيَّة ـ من وجوب أَو وجود سائرها ، وَأَينما انتفت إِحداها فلابُدَّ ـ أَيضاً وبالضَّرورة العقليَّة والوحيانيَّة ـ من انتفاء باقيها ، من دون حاجة إِلى دليلٍ خاصٍّ ؛ بعدما جاء هذا الأَمر عَلَى وفق القاعدة الأَوَّليَّة العقليَّة وحُكْم العقل ، وإِنْ وُجِدَ الدَّليل الخاص كان إِرشاديّاً لهذه القاعدة ولحُكْم العقل هذا.

والنتيجة : أَنَّه حيث وجب في تشهُّد الصَّلاة وما شاكله ذِكْر الشَّهادة

الأُولىٰ والثَّانية وجب أَيضاً وبالضَّرورة الوحيانيَّة والعقليَّة ـ وبمقتضىٰ ما تقدَّم من البراهين العقليَّة والوحيانيَّة ، الكاشفة عن ذلك التَّرابط التَّكويني الوثيق والاقتران الأَكيد بين الشَّهادات الثَّلاث ـ ذِكْر الشَّهادة الثَّالثة في تلك الموارد و من دون فرق ، ولا يحتاج هذا الوجوب ـ بعدما جاء عَلَى وفق القاعدة ـ إِلى دليلٍ خاصٍّ ، وما يُذكر مِنْ أَدِلَّةٍ وحيانيَّة دالَّة عَلَى ذلك الوجوب فهي أَدِلَّة إِرشاديَّة لحُكْم القاعدة والبراهين العقليَّة ، وَمِنْ ثَمَّ يكون ذِكْرها ـ الشَّهادة الثَّالثة ـ في العبادة وغيرها ـ كذِكْر الشَّهادة الأُولىٰ والثَّانية ـ توحيداً وذِكْراً إِلٰهيّاً ، وتمجيداً للّـه تعالىٰ عظيماً وخطيراً جِدّاً.

بل حقيقة التَّوجُّه لأَهْل الْبَيْتِ (صلوات اللّـه عليهم) ومخاطبتهم والتَّوسُّل والتَّشَفُّع بهم ـ سوآء كان فـي تشهُّد الصَّلاة وبالشَّهادة الثَّانية أَو الثَّالثة ، أَو في السَّلام عَلَى سيِّد الأَنبياء وسائر أَهْل الْبَيْتِ (صَلَوَاتُ اللّـهِ عَلَيْهِمْ) في تسليم الصَّلاة وقبل الفراغ منها ، أَو في السَّلام عَلَى سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله في ذِكْر سجود سجدة السهو أَو غيرها كما تَقَدَّمَ بيان ذلك في البرهان الْعَقْلِيّ الرَّابع ـ توجُّه للّـه المُسمَّىٰ جل جلاله ومخاطبته والتَّوسُّل والتَّشفُّع به (عَزَّ وجهه) من دون أَي تَجَوِّزٍ وَحزازةٍ ؛ فإِنَّ الكلام والخطاب المُوَجَّه للمعصوم عليه السلام لا يكون مُوَجَّهاً إِليه بما هو هو ، بل بما هو خليفةٌ ووليٌّ للّـه تعالىٰ ، وتجلِّي وظهور وآية له (جَلَّ وَتَقَدَّسَ) ، ومرآة حاكية وكاشفة ـ مِنْ وجهٍ ـ عن مُطْلَقِ الحَقِيقَةِ ؛ الذَّات الْإِلٰهِيَّة الْأَزَلِيَّة المُقَدَّسَة ، وعن أَسمآئه وصفاته وكمالاته (جَلَّ قُدْسه) ، وكاشفة عن شؤون سَاحَةِ الْقُدْسِ الْإِلٰهِيَّةِ . وقد تقدَّم وسيأتي (إِنْ شَآءَ اللّـهُ تَعَالَىٰ) في موارد مُتعدِّدة تفصيل ذلك وبيان أَدِلَّته وبراهينه.

أَهْل الْبَيْتِ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ) هم الوحدانيَّة الكُبرى

الشَّهادة الثَّالثة هي الوحدانيَّة الكُبرى في مقام التَّوحيد الأَفعالي

الطَّائفة الثَّانية عشرة ، ويُمَثِّلها:

(١/ ٤٩) ـ بيان أَمِير الْمُؤْمِنِين (صلوات اللّٰـه عليه) الوارد في حَقِّ أَهْل الْبَيْتِ عليهم السلام : « ... **جَلَّ مقام آل مُحَمَّد صلى الله عليه وآله عن وصف الواصفين ، ونعت النَّاعتين ، وَأَنْ يُقاس بهم أَحَد من العالمين ، كيف وهم ... الوحدانيَّة الكُبرىٰ الَّتي أَعرض عنها من أَدْبَر وَتَوَلَّىٰ ...**»[1].

ودلالته قد اِتَّضَحَت ؛ فإِنَّها مُشيرة إِلى ذلك التَّرابط التَّكويني الوثيق والاقتران الأَكيد بين الشَّهادات الثَّلاث ، والمُنْدَك بعضها بالآخر ، والمأخوذة بشرط المجموع ـ كما تَقَدَّمَ بيان ذلك في البرهان الْعَقْلِيّ الْأَوَّلِ ـ والَّتي تكون العلاقة بين أَطرافها عَلَى نحو الاستلزام ؛ ومن جملة الأَطراف والزوايا ـ إِلَّا ما خرج موضوعاً وتخصُّصاً وبالدَّليل الخاصِّ ـ لَا عَلَى نحو اللزوم ومن طرفٍ واحدٍ ، ومِنْ ثَمَّ إِذا حصل لدىٰ المخلوق خلل أَو اختلال معرفيّ في إِحدىٰ هذه الشَّهادات كالشَّهادة الثَّالثة فلابُدَّ من حصوله في سائرها ، وإِذا وجبت أَوُجِدَت إِحداها في موردٍ فلابُدَّ من وجوب أَو وجود باقيها.

بل لو لم تكن الشَّهادات الثَّلاث مأخوذة بشرط المجموع كيف صرَّحَ

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٥ : ١٧١ ـ ١٧٢/ ح٣٨.

أَمِير الْمُؤْمِنِين (صلوات اللّـه عليه) في هذا البيان الشَّريف : أَنَّ أَهْل الْبَيْتِ عليهم السلام « **هم ... الوحدانيَّة الكُبرىٰ الَّتي أَعرض عنها من أَدْبَر وَتَوَلَّىٰ ...** ».

بل الشَّهادة الثَّالثة ـ كالثَّانية ـ فعلٌ إِلٰهيٌّ ـ كما تَقَدَّمَ بيان ذلك في البرهان الْعَقْلِيّ الثَّاني ـ فتكون داخلة في حقيقة الشَّهادة الأُولىٰ ؛ وأَحَد أَركانها الثَّلاثة ، بل ركنيها .

بل لو لم تكن الشَّهادة الثَّالثة لازمة بالضَّرورة في كُلِّ موردٍ وجبت أَو وُجِدَت فيه الشَّهادة الأُولىٰ والثَّانية لزم من ذلك ـ كما تَقَدَّمَ بيان ذلك في البرهان الْعَقْلِيّ الثَّالث ـ اِنتفاء فائدة وغرض وغاية الشَّهادة الثَّانية وأَصل الرِّسالة الإِلٰهيَّة والبعثة النَّبويَّة ، وانتفاء فائدة وغرض وغاية الشَّهادة الأُولىٰ وأَصل التَّوحيد.

ومن ثَمَّ إِذا حصل لدىٰ المخلوق خلل أَو اِختلال معرفي في إِحدىٰ هذه الشَّهادات الثَّلاث كالشَّهادة الثَّالثة فلابُدَّ من حصوله في سائرها ، وإِذا وجبت أَو وجدت إِحداها في موردٍ فلابُدَّ من وجوب أَو وجود سائرها ، وإِذا انتفت إِحداها في موردٍ فلابُدَّ من انتفاء باقيها.

والنتيجة : أَنَّه حيث وجب في تشهُّد الصَّلاة وما شاكله ذِكْر الشَّهادة الأُولىٰ والثَّانية وجب أَيضاً وبالضَّرورة الوحيانيَّة والعقليَّة ـ وبمقتضىٰ ما تقدَّم من البراهين العقليَّة والوحيانيَّة ، الكاشفة عن ذلك التَّرابط التَّكويني

الوثيق والاقتران الأَكيد بين الشَّهادات الثَّلاث ـ ذِكْر الشَّهادة الثَّالثة في تلك الموارد ومن دون فرق ، وَلَا يحتاج هذا الوجوب ـ بعدما جاء عَلَى وفق القاعدة ـ إِلى دليلٍ خاصٍّ ، وما يُذكر مِنْ أَدِلَّة وحيانيَّةٍ دالَّة عَلَى ذلك الوجوب فهي أَدِلَّة إِرشاديَّة لحُكْم القاعدة والبراهين العقليَّة ، وَمِنْ ثَمَّ يكون ذِكْرها ـ الشَّهادة الثَّالثة ـ في العبادة وغيرها ـ كذِكْر الشَّهادة الأُولىٰ والثَّانية ـ توحيداً وذِكْراً إِلٰهيّاً ، وتمجيداً وتقديساً للَّـه تعالىٰ عظيماً وخطيراً جِدّاً.

بل حقيقة التَّوجُّه لأَهْل الْبَيْتِ (صَلَوَاتُ اللَّـهِ عَلَيْهِمْ) ومخاطبتهم والتَّوسُّل والتَّشَفُّع بهم ـ سواء كان في تَشهُّد الصَّلاة وفي الشَّهادة الثَّانية أَو الثَّالثة ، أَو في السَّلام عَلَى سَيِّد الْأَنْبِيَاء وسائر أَهْل الْبَيْتِ (صَلَوَاتُ اللَّـهِ عَلَيْهِمْ) في تسليم الصَّلاة وقبل الفراغ منها ، أَو في السَّلام عَلَى سَيِّد الْأَنْبِيَاء صلى الله عليه وآله في ذِكْر سجود سجدة السَّهُو أَو غيرها ، كما تَقَدَّمَ بيان ذلك في البرهان الْعَقْلِيّ الرَّابع ـ تَوَجُّه للَّـه الْمُسمَّىٰ جل جلاله ، ومخاطبة له (عَزَّ وجهه) ، وَتوسُّلٌ وتشفّع به (جَلَّ ذِكْره) مِنْ دون أَي تجوُّز وتكلُّف وتمحُّل ؛ فإِنَّ الخطاب والكلام الْمُوَجَّه للمعصوم عليه السلام لا يكون مُوَجَّهاً إِليه بما هو هو ، بل بما هو خليفة وولي للَّـه تعالىٰ ، وتجلِّي وظهور له (جَلَّ وتقدَّس) ، ومرآة حاكية وكاشفة ـ من وَجْهٍ ـ عن الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزَليَّة الْمُقدَّسة ، وعن أَسمآئه وصفاته وكمالاته (جَلَّ قدسه) ، وكاشفة عن شؤون وأَحوال سَاحَة الْقُدْسِ الْإِلٰهِيَّةِ. وقد تقدَّم في أَبحاث سابقة ، بل وسيأتي (إِنْ شَآءَ اللهُ تَعَالَى) في موارد كثيرة تفصيل ذلك وبيان أَدِلَّته .

بالشَّهادة الثَّالثة تَتَحقَّق الصِّلَة بين الخَالِق والمَخْلُوق

بالشَّهادة الثَّالثة يتحقَّق التَّوحيد وسائر الخير وتتحقَّق حقائق العباداتِ

الطائفة الثَّالثة عشر ، ويُمَثِّلها :

(١/ ٥٠) ـ بيان سَيِّد الْأَنْبِيَاء صلى الله عليه وآله مُخاطباً أَمِير الْمُؤْمِنِين (صلوات اللّـه عليه) : « ...**يَا عَلِيّ ... مَنْ جَحَدَ وَلايتكَ جَحَدَ اللّـه ربوبيَّته ... يا عَلِيّ ... وَأَنْتَ السَّبب فيما بين اللّـه وبين خلقه بَعْدِي ، فَمَنْ جَحَدَ وَلَايتكَ قطع السَّبب الَّذي فيما بينه وبين اللّـه ...**»[١].

(٢/ ٥١) ـ بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام : « **نحن أَصل كُلّ خيرٍ ، ومن فروعنا كُلّ برٍّ ، ومن البرِّ: التَّوحيد ، والصَّلاة ، والصيام ، وكظم الغيظ ، والعفو عن المسيء ، ورحمة الفقير ، وتعاهد الجار ، والإِقرار بالفضل لأَهله ، وعدوّنا أَصل كُلّ شَرٍّ ، ومن فروعهم كُلّ قبيح وفاحشة ، فمنهم : الكذب ، والنَّميمة ، والبخل ، والقطيعة ، وأَكل الرِّبا ، وَأَكل مال اليتيم بغير حقِّه ، وتعدِّي الحدود الَّتي أَمر اللّـه عزوجل ، وركوب الفواحش ما ظهر منها وما بطن من الزنا والسَّرقة وكُلّ ما وافق ذلك من القبيح ، وكذب مَنْ قال : إِنَّه معنا وهو مُتَعَلِّق بفروع غيرنا**»[٢].

(٣/ ٢) ـ بيانه عليه السلام أَيضاً : « ... **نحن الصَّلاة في كتاب اللّـه عزوجل ،**

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٢ : ١٤٨/ ح١٤١.

(٢) المصدر نفسه ، ٢٤ : ٣٠٣ـ ٣٠٤/ ح١٥. كنز الفوائد: ٢ ـ ٣.

ونحن الزَّكاة ، ونحن الصِّيام ، ونحن الحَجُّ ...»[1].

ودلالته ـ كدلالة سابقيه ـ قد اِتَّضحت أَيضاً ؛ فإِنَّها ظاهرة في ذلك التَّرابط التَّكوينيّ الوثيق والاقتران الأَكيد بين حقائق الشَّهادات الثَّلاث ؛ المُنْدَك بعضها بالآخر ، والمأخوذة بشرط المجموع ؛ والَّتي تكون العلاقة بين أَطرافها عَلَى نحو الاستلزام ومن جميع الأَطراف ـ إِلَّا ما خرج تخصُّصاً وموضوعاً أَو بالدَّليل الخاصِّ ـ لَا عَلَى نحو اللزوم ومن طرفٍ واحدٍ ، فلذا إِذا حصل لدىٰ المخلوق خلل أَو اختلال معرفي في إِحدىٰ هذه الشَّهادات ؛ كالشَّهادة الثَّالثة فلابُدَّ من حصوله في سائرها ، لكونها ـ وكما تقدَّم ـ مأخوذة بشرط المجموع ، وَمِنْ ثَمَّ لولا موالاة أَمِير المُؤْمِنِين وسائر أَهْل الْبَيْتِ (صلوات اللّـه عليهم) وطاعتهم ، والاعتقاد والاقرار بالشَّهادة الثَّالثة لَـمَا أَمكن لمخلوقٍ ولا لأَعماله البَتَّة من العروج إِلى سَاحَةِ الْقُدْسِ الْإِلَهِيَّةِ ، وَلَا أَمكنه حيازة كمال ولا مقام إِلٰهيّ ، ولا فضيلة إِلٰهيَّة قَطُّ.

وبهذه الموالاة والطَّاعة ؛ وبهذا الِاعتقاد والإِقرار بالشَّهادة الثَّالثة تتحقَّق الماهيَّات والحقائق والوجودات العباديَّة ـ كالصَّلاة والزَّكاة والصيام والحَجِّ ؛ لأَنَّه بهذه الموالاة والطَّاعة ، وبهذا الِاعتقاد والإِقرار بالشَّهادة الثَّالثة مع ضَمّ الموالاة والطَّاعة للّـه تعالىٰ ولسَيِّد الْأَنْبِيَاء صلى الله عليه وآله ؛ والِاعتقاد والإِقرار

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٤ : ٣٠٣/ ح١٤. كنز الفوائد: ٢ ـ ٣.

بالشَّهادتين يتمُّ التَّوحيد بعدما تحقّق موضوعه ومقتضاه ، وهو : مجموع الشَّهادات الثَّلاث.

نعم ، لَـمَّا لم يكن بين جملة الفرق الإِسلاميَّة خلاف واختلاف في الشَّهادة الأُولىٰ والثَّانية ، وإِنَّما وقع ذلك في الشَّهادة الثَّالثة صبَّت بيانات الوحي الواردة في المقام نظرها عَلَى ولاية أَمِير الْمُؤْمِنِين وسائر أَهْل الْبَيْتِ (صلوات اللّٰـه عليهم) .

بل لو لم تكن حقائق هذه الشَّهادات الثَّلاث مأخوذة بشرط المجموع كيف استلزم جحود ولاية أَمِير الْمُؤْمِنِين وسائر أَهْل الْبَيْتِ (صلوات اللّٰـه عليهم) وإِنكارها جحود وإِنكار ربوبيَّة الباري ﷻ ، بل وقَطعَ السَّبب بين المخلوق وباريه (تَقَدَّسَ ذِكْرُهُ).

بل الشَّهادة الثَّالثة ـ كالثَّانية ـ فعلٌ إِلٰهيٌّ ، بل رأس هرم الأَفعال الإِلٰهيَّة العظيمة والـمهولة جِدّاً ؛ فتكون داخلة تكويناً في ذات وحقيقة الشَّهادة الأُولىٰ ، وفي مقام توحيد الأَفعال الإِلٰهيَّة ، فيكون عطف الشَّهادة الثَّالثة ـ كالثَّانية ـ عَلَى الشَّهادة الأُولىٰ من باب عطف الخاصّ عَلَى العام ، وَمِنْ ثَمَّ إِذا حصل خلل أَو اِختلال في معرفة المخلوق واعتقاده أَو في اِقراره بالشَّهادة الثَّالثة أَو الثَّانية فلابُدَّ من حصول نفس ذلك الخلل والاختلال في اِعتقاده واقراره بالشَّهادة الأُولَىٰ ؛ لأَنَّ حقيقة ذلك الخلل والاختلال وواقعه صار في حقيقة وواقع الشَّهادة الأُولىٰ ؛ لأَنَّها مُرَكَّبة من أَركانٍ ثلاثةٍ ، وهي : (التَّوحيد

في مقام الذَّات الْإِلٰهِيَّة الْأَزَلِيَّة الْمُقَدَّسَة ، والتَّوحيد في مقام الصِّفَات والأَسمآء الإِلٰهيَّة ، والتَّوحيد في مقام الأَفعال الإِلٰهيَّة) ، بل واقع الشَّهادة الأُولىٰ وحقيقتها مُرَكَّبة مِنْ رُكنين ؛ بعدما كان المُختار وما أَصحرت به البراهين الوحيانيَّة والعقليَّة : أَنَّ الأَسمآء والصِّفَات الإِلٰهيَّة ـ ذاتيَّة كانت أَم فعليَّة ـ أَفعالٌ إِلٰهيَّة ، فيكون الرُّكن الثَّاني داخلاً في الرُّكن الثَّالث ، وَمِنْ ثَمَّ تكون الشَّهادة الأُولىٰ مُرَكَّبَة من رُكنين : أَحدهما : التوحيد في مقام الذَّات الْإِلٰهِيَّة الْمُقَدَّسَة ، والآخر: التَّوحيد في مقام الأَفعال الإِلٰهيَّة ، فالتفت. وحيث إِنَّ الخلل والاختلال المعرفي الحاصل من المخلوق في الشَّهادة الثَّالثة ـ كالثَّانية ـ يكون خللاً أَو اختلالاً عظيماً في الرُّكن الثَّاني من رُكني الشَّهادة الأُولىٰ فتنتفي حقيقة الشَّهادة الأُولىٰ وينتفي التَّوحيد بِكِلَا الرُّكنين من الأَساس ، وتكون حقيقة الشَّهادة الأُولىٰ والتَّوحيد من باب السَّالبة بانتفاء موضوعها.

وَعَلَى هذا قس الضِّدّ ؛ فإِنَّه مع محافظة المخلوق عَلَى عدم اِخلاله واختلاله المعرفي في الشَّهادة الثَّالثة ، ومحافظته عَلَى اعتقاده واقراره بها ، ومع المحافظة عَلَى محبَّته وموالاته وطاعته لأَهْل الْبَيْتِ (صلوات اللّـه عليهم) ، ومع عدم اِخلاله واختلاله المعرفيّ أَيضاً في الشَّهادة الأُولىٰ والثَّانية ؛ واعتقاده واِقراره بهما ، ومع المحافظة عَلَى محبَّته وموالاته وطاعته للّـه تعالىٰ ولسيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله فمصيره يؤول إِلى صِلَة السَّبب بينه وبين باريه عزّ وجلّ ، ويكسب رضاه وَكُلّ خيرٍ ، وَتُقْبَل منه الأَعمال ، ويُورَث الجنان خالداً فيها.

نعم ، لَـمَّا لَم يكن بين كافَّة الفرق الإِسلاميَّة خلاف واختلاف في الشَّهادتين ، وإِنَّما حصل ذلك في الشَّهادة الثَّالثة صبَّت بيانات الوحي الشَّريف نظرها في المقام عليها ، وقالت : « ... **يا عَلِيّ ... مَنْ جَحَدَ ولايتكَ جَحَدَ للَّـه ربوبيته ... يا عَلِيّ ... وَأَنْتَ السَّبب فيما بين اللَّـه وبين خلقه ... فَمَن جَحَدَ ولايتكَ قطع السَّبب الَّذي فيما بينه وبين اللَّـه...**» ، و « **نحن أَصل كُلّ خيرٍ ، ومن فروعنا كُلّ برٍّ ، ومن البرِّ : التَّوحيد ، والصَّلاة والصِّيام ...**» ، و« **نحن الصَّلاة في كتاب اللَّـه ﷻ ، ونحن الزَّكاة ، ونحن الصِّيام ، ونحن الحَجُّ ...**».

بل لو لم تكن حقيقة الشَّهادة الثَّالثة ـ كالثَّانية ـ داخلة في ركنيَّة الشَّهادة الأُولىٰ ومن ذاتياتها ـ بحيث إِذا سُلبت يلزم سلب الشَّهادة الأُولىٰ ، وتكون الشَّهادة الأُولىٰ من باب السَّالبة بانتفاء موضوعها ـ كيف استلزم : (جَحَدَ ولاية أَهْل الْبَيْتِ (صلوات اللّٰـه عليهم) جَحَدَ بوبيَّة الباري تعالىٰ ، وقطع السَّبب بينه وبين خالقه ﷻ).

بل لو لم تكن الشَّهادة الثَّالثة لازمة بالضَّرورة في كُلِّ موردٍ وجبت أَو وُجِدَت فيه الشَّهادة الأُولىٰ والثَّانية لزم من ذلك ـ كما تَقَدَّمَ بيان ذلك في البرهان الْعَقْلِيّ الثَّالث ـ اِنتفاء فائدة وغرض وغاية الشَّهادة الثَّانية وأَصل الرِّسالة الإِلٰهيَّة والبعثة النَّبويَّة ، وانتفاء فائدة وغرض وغاية الشَّهادة الأُولىٰ وأَصل التَّوحيد.

ومعناه : أَنَّه أَينما وجبت أَو وُجِدَت إِحدىٰ هذه الشَّهادات الثَّلاث في موردٍ فلابُدَّ وبالضَّرورة العقليَّة والوحيانيَّة من وجوب أَو وجود سائرها ، وأَينما اِنتفت إِحداها في موردٍ فلابُدَّ أَيضاً وبالضَّرورة العقليَّة والوحيانيَّة من اِنتفاء باقيها ؛ من دون حاجة إِلى دليلٍ خاصٍّ ؛ بعدما جاء هذا الأَمر عَلَى وفق القاعدة الأَوَّليَّة العقليَّة وَعَلَى وفق حُكْم العقل وإِنْ وُجِدَ الدَّليل الخاصّ كان اِرشاديّاً لهذه القاعدة ولحُكْم العقل هذا.

والنتيجة : أَنَّه حيث وجب في تشهُّد الصَّلاة وما شاكله ذِكْر الشَّهادة الأُولى والثَّانية وجب أَيضاً وبالضرورة الوحيانيَّة والعقليَّة ـ وبمقتضىٰ ما تقدَّم من البراهين العقليَّة والوحيانيَّة ، الكاشفة عن ذلك التَّرابط التَّكويني الوثيق والاقتران الأَكيد بين الشَّهادات الثَّلاث ـ ذِكْر الشَّهادة الثَّالثة في تلك الموارد ومن دون فرق ، ولا يحتاج هذا الوجوب إِلى دليلٍ خاصٍّ ؛ بعدما جاء عَلَى وفق القاعدة الأَوَّليَّة العقليَّة وَعَلَى وفق حُكْم العقل ، وما تُذكر من أَدِلَّةٍ وحيانيَّةٍ ظاهرةٍ في ذلك الوجوب فهي أَدِلَّة ارشاديَّة لتلك الأَحكام والبراهين العقليَّة ، ومِنْ ثَمَّ يكون ذِكرها في العبادة وغيرها ـ كذِكْر الشَّهادة الأولىٰ والثَّانية ـ توحيداً وذِكْراً إِلٰهيّاً ، وتمجيداً للّـه تعالىٰ عظيماً وخطيراً جِدّاً.

بل حقيقة التَّوجُّه لأَهْل الْبَيْتِ (صلوات اللّٰـه عليهم) ومخاطبتهم والتَّوسُّل والتَّشَفُّع بهم ـ سواء كان في تَشهُّد الصَّلاة وفي الشَّهادة الثَّانية أَو الثَّالثة ، أَو في السَّلام عَلَى سَيِّد الْأَنْبِيَاء وسائر أَهْل الْبَيْتِ (صلوات اللّٰـه

عليهم) في تسليم الصَّلاة وقبل الفراغ منها ، أَو في السَّلام عَلَى سَيِّد الْأَنْبِيَاء ﷺ في ذِكْر سجود سجدة السَّهُو أَو غيرها ، كما تَقَدَّمَ بيان ذلك في البرهان الْعَقْلِيّ الرَّابع ـ تَوَجُّه للَّـه الْمُسمَّىٰ ﷻ ، ومخاطبة له (عَزَّ وجهه) ، وَتوسُّلٌ وتشفّع به (جَلَّ ذِكْره) مِنْ دون أَي تجوُّز وتكلُّف وتمحُّل ؛ فإِنَّ الخطاب والكلام الْمُوَجَّه للمعصوم عليه السلام لا يكون مُوَجَّهَاً إِليه بما هو هو ، بل بما هو خليفة وولي للَّـه تعالىٰ ، وتجلِّي وظهور له (جَلَّ وتقدَّس) ، ومرآة حاكية وكاشفة ـ من وَجْهٍ ـ عن الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزَليَّة الْمُقدَّسة ، وعن أَسمآئه وصفاته وكمالاته (جَلَّ قدسه) ، وكاشفة عن شؤون وأَحوال سَاحَة الْقُدْسِ الْإِلٰهِيَّةِ. وقد تقدَّم في أَبحاث سابقة ، بل وسيأتي (إِنْ شَآءَ اللهُ تَعَالَىٰ) في موارد كثيرة تفصيل ذلك وبيان أَدِلَّته .

ترابطٌ تكوينيٌّ وثيق بين الاعتقاد والاقرار بالشَّهادة الثَّالثة ومعرفة الذَّات الْمُقَدَّسَة

إقامة الشَّهادة الثَّالثة إقامة للدِّين وحقائق العبادات

الطائفة الرَّابعة عشرة ، ويُمَثِّلها :

(١/ ٥٣) ـ بيان سَيِّد الْأَنْبِيَاء صلى الله عليه وآله : « ... **مَنْ عَرَفَنَا فقد عَرَفَ اللَّـه ، وَمَنْ أَنكرنا فقد أَنكر اللَّـه عز وجل ...** »[١].

(٢/ ٥٤) ـ بيان أَمِير الْمُؤْمِنِين (صلوات اللّٰـه عليه) : « ... مَنْ عَرَفَني وَعَرَفَ حَقِّي فقد عَرَفَ رَبَّه ... »[٢].

(٣/ ٥٥) ـ بيانه عليه السلام أَيضاً : « ... **معرفتي بالنَّورانيَّة معرفة اللَّـه ، ومعرفة اللَّـه عز وجل معرفتي بالنَّورانيَّة ، وهو الدِّين الخالص الَّذي قال اللَّـه تعالىٰ : ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾**[٣]... **وقوله : «يقيمون الصَّلاة» فَمَن أَقَام ولَايتي فقد أَقام الصَّلاة ...** »[٤].

---

(١) بحار الأَنوار ، ١٦ : ٣٦٤/ ح٦٦.

(٢) المصدر نفسه ، ٢٤ : ١٩٨ـ ١٩٩/ ح٢٧. معاني الأَخبار: ١٠. توحيد الصدوق: ١٥٥ ـ ١٥٦.

(٣) البينة: ٥.

(٤) بحار الأَنوار ، ٢٦ : ١ ـ ٧/ ح١.

(٤/ ٥٦) ـ بيان الإمام الصَّادق عليه السلام أَيضاً : « **وَمَنْ زعم أَنَّه يُحلِّل الحَلَال ويُحرِّم الحَرَام بغير معرفة النَّبيّ لم يحلِّل للَّـه حَلَالاً ولم يُحرِّم له حراماً ، وإِنَّه مَنْ صَلَّىٰ وزَكَّىٰ وَحَجَّ واعتمر وفعل ذلك كُلّه بغير معرفة من افترض اللَّـه عليه طاعته لم يقبل منه شيئاً من ذلك ، ولم يُصَلِّ ، ولم يصم ، ولم يزكِّ ، ولم يحجّ ، ولم يعتمر ، ولم يغتسل من الجنابة ، ولم يتطهَّر، ولم يُحرِّم للَّـه حراماً ولم يُحلِّل للَّـه حَلَالاً ، وليس له صلاة وإِنْ ركع وَسَجَد ، ولا له زكاة وإِنْ أَخرج لكل أَربعين درهماً درهماً ، وَمَنْ عرفه وأَخذ عنه أَطاع اللَّـه ...** »[1].

ودلالتها قد اِتَّضَحَت أَيضاً ؛ فإِنَّها مُشِيرةٌ إِلى ذلك التَّرابط التَّكوينيّ الوثيق والاقتران الأَكيد بين الشَّهادات الثَّلاث ؛ المُنْدَك بعضها بالآخر ، والمأخوذة بشرط المجموع ؛ والَّتي تكون العلاقة بين أَطرافها عَلَى نحو الاستلزام ومن جميع الأَطراف ، لَا عَلَى نحو اللُّزُوم ومِنْ طَرَفٍ واحدٍ ، ومِنْ ثَمَّ إِذا حصل تقصير في إِحدىٰ هذه الشَّهادات الثَّلاث فلابُدَّ مِنْ حصوله في الأُخرىٰ ؛ فلذا مَنْ عرف أَهْل الْبَيْتِ (صلوات اللّـه عليهم) وعرف حقيقة الشَّهَادة الثَّانية والثَّالثة فقد عرف اللَّـه ؛ وعرف حقيقة الشَّهادة الأُولىٰ ، وَمَنْ أَنكرهم (صَلَوَاتُ اللَّـهِ عَلَيْهِمْ) وَأَنكر الشَّهادة الثَّانية أَو الثَّالثة فقد أَنكر اللَّـه عزّ وجلّ ، وَأَنكر حقيقة الشَّهادة الأُوْلىٰ ؛ وحينئذٍ لا تنفع مُعْتَقِدها والمُقرّ بها

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٤ : ٢٩٣/ ح١. بصائر الدرجات: ١٥٤ ـ ١٥٧.

قيد اِنملة ؛ لكونها تكون من باب السَّالبة بانتفاء موضوعها ، وهو : (مجموع الشَّهادات الثَّلاث) ، فإذا حصل المجموع واعتقد وأَقَرَّ المخلوق بهذه الشَّهادات الثَّلاث ولم يُفَرِّق بينها ، فقد اعتقد وأَقرَّ بالشَّهادة الأُولىٰ ـ كالثَّانية والثَّالثة ـ ، وإذا انتفت إحداها اِنتفت سائرها.

وإلى هذا الاِستلزام يُشير بيان سَيِّد الْأَنْبِيَاء صلى الله عليه وآله : « ... **مَنْ عَرَفَنا فقد عَرَفَ اللّـه ، وَمَنْ أَنكرنا فَقَد أَنكر اللّـه عزوجل**» ، وبيان أَمِير الْمُؤْمِنِين (صلوات اللّـه عليه) : « ... **مَنْ عَرَفَني وعَرَف حقّي فقد عَرَفَ ربّه** ...» ، وبيانه عليه السلام أَيضاً: « ... **معرفتي بالنَّورانيَّة معرفة اللّـه ، ومعرفة اللّـه عزوجل معرفتي بالنَّورانيَّة ؛ وهو الدِّين الخالص** ...» ، وبيان الإِمام الصَّادق صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ، فراجع.

بل لو لم تكن حقائق هذه الشَّهادات الثَّلاث مأخوذة بشرط المجموع كيف استلزمت معرفة أَهْل الْبَيْتِ (صلوات اللّـه عليهم) معرفة اللّـه عزوجل ، وعدم معرفتهم عليهم السلام عدم معرفته (تَقَدَّسَ ذِكْرُهُ). وكيف استلزمت بتحقُّقها تحقُّق حقائق العبادات والحلال والحرام والطَّهارات.

بل الشَّهادة الثَّالثة ـ كالثَّانية ـ فعلٌ إِلٰهيٌّ ، بل رأس هرم الأَفعال الإِلٰهيَّة العظيمة والمهولة والخطيرة جِدّاً ؛ فتكون داخلة تكويناً في حقيقة الشَّهادة الأُولىٰ ، وفي مقام توحيد الأَفعال الإِلٰهيَّة ، فلذا يكون عطف الشَّهادة الثَّالثة ـ كالثَّانية ـ عَلَى الشَّهادة الأُولىٰ من باب عطف الخاصّ عَلَى العام ، وَمِنْ ثَمَّ إِذا

حصل خلل أَو اختلال في اِعتقاد المخلوق أَو في اِقراره بالشَّهادة الثَّالثة أَو الثَّانية فلابُدَّ من حصول نفس ذلك الخلل أَو الاختلال في اعتقاده واقراره بالشَّهادة الأُولىٰ ؛ لأَنَّ حقيقة الخلل أَو الاختلال وواقعه صار في حقيقة وواقع الشَّهادة الأُولىٰ ؛ لأَنَّها مُرَكَّبَة مِنْ أَركانٍ ثلاثةٍ ، وهي: (التَّوحيد في مقام الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزَليَّة المُقدَّسة ، والتَّوحيد في مقام الصِّفَات والأَسمآء الإِلٰهيَّة ، والتَّوحيد في مقام الأَفعال الإِلٰهيَّة) ، بل الشَّهادة الأُولىٰ مُرَكَّبة من رُكنين ؛ بعدما كان المختار وما أَصحر به البرهان الوحيانيّ والعقليّ : أَنَّ الأَسمآء والصِّفَات الإِلٰهيَّة ـ فعليَّة كانت أَم ذاتيَّة ـ أَفعالٌ إِلٰهيَّة ، فيكون الرُّكن الثَّاني داخلاً في الرُّكن الثَّالث ، ومن ثَمَّ تكون الشَّهادة الأُولىٰ مُرَكَّبة من رُكنين : أَحدهما : التَّوحيد في مقام الذَّات الإِلٰهيَّة المُقدَّسة ، والآخر: التَّوحيد في مقام الأَفعال الإِلٰهيَّة ، فالتفت. وحيث إِنَّ الخلل أَو الإِختلال في الشَّهادة الثَّالثة ـ كالثَّانية ـ يكون خللاً أَو اختلالاً عظيماً في الرُّكن الثَّاني مِنْ رُكنَي الشَّهادة الأُولىٰ فتنتفي حقيقة الشَّهادة الأُولىٰ من الأَساس ، وتكون من باب السَّالبة بانتقاء موضوعها . وهذا ما تُشير إِليه نفس هذه البيانات الوحيانيَّة الشَّريفة . فأَعد الكرَّ لمراجعتها ، والتفت وتدبَّر جيِّداً ، تَرِبَت يداك.

بل لو لم تكن حقيقة الشَّهادة الثَّالثة ـ كالثَّانية ـ داخلة في حقيقة الشَّهادة الأُولىٰ ـ بهذا التَّقريب ، كالتَّقريب الأَوَّل ـ كيف استلزمت معرفة أَهْل الْبَيْتِ (صلوات اللّٰـه عليهم) معرفة الله ـ المُسَمَّىٰ ـ (تَعَالَى ذِكْرُهُ) ، وعدم معرفتهم عليهم السلام عدم معرفته (جَلَّ ذِكْرُهُ)؟! وكيف استلزمت بتحقّقها تحقُّق

حقائق العبادات والحلال والحرام والطَّهارات.

بل لو لم تكن الشَّهادة الثَّالثة لازمة بالضَّرورة في كُلِّ موردٍ وجبت أَو وُجِدَت فيه الشَّهادة الأُولىٰ والثَّانية لزم من ذلك ـ كما تَقَدَّمَ بيان ذلك في البرهان الْعَقْلِيّ الثَّالث ـ اِنتفاء فائدة وغرض وغاية الشَّهادة الثَّانية وأَصل الرِّسالة الإِلٰهيَّة والبعثة النَّبويَّة ، وانتفاء فائدة وغرض وغاية الشَّهادة الأُولىٰ وأَصل التَّوحيد.

ومعناه : أَنَّه أَينما وجبت أَو وُجِدَت إِحدىٰ هذه الشَّهادات الثَّلاث في موردٍ فلابُدَّ وبالضَّرورة العقليَّة والوحيانيَّة من وجوب أَو وجود سائرها ، وأَينما انتفت إِحداها في موردٍ فلابُدَّ أَيضاً وبالضَّرورة العقليَّة والوحيانيَّة من اِنتفاء باقيها ؛ مِنْ دون حاجة إِلى دليلٍ خاصٍّ ، بعدما جاء هذا الأَمر عَلَى وفق القاعدة الأَوَّليَّة العقليَّة وَعَلَى وفق حُكْم العقل ؛ وإِنْ وُجِدَ الدَّليل الخاصّ كان اِرشاديّاً لـحُكْم هذه القاعدة ولـحُكْم العقل هذا.

والنتيجة : أَنَّه حيث وجب في تشهُّد الصَّلاة وما شاكله ذِكْر الشَّهادة الأُولىٰ والثَّانية وجب أَيضاً وبالضَّرورة الوحيانيَّة والعقليَّة وبمقتضىٰ ما تقدَّم من بيانات ذِكْر الشَّهادة الثَّالثة من دون فرق ، ويكون ذِكْرها في العبادة وغيرها ـ كذِكْرِ الشَّهادة الأُولىٰ والثَّانية ـ توحيداً وذِكْراً إِلٰهيّاً ، وتمجيداً للَّـه عظيماً وخطيراً جِدّاً.

الشَّهادة الثَّالثة هي الفاصل بين الجنَّة والنَّار

الطَّائفة الخامسة عشرة ، ويُمَثِّلها :

(١/ ٥٧) ـ بيان الحديث القدسي الوارد في حديث المعراج : « ... **وإِنِّي جعلتكم محنة لخلقي أَمتحن بكم جميع عبادي وخلقي في سمائي وأَرضي وما فيهن ... ولولا عَلِيّ ما خلقتُ الجنَّة ...**»[١].

(٢/ ٥٨) ـ بيان سَيِّد الْأَنْبِيَاء صلى الله عليه وآله في حديث المعراج ، منضمّاً إِليه بيان جبرئيل عليه السلام : « **يَا عَلِيّ ، إِنَّهُ لَـمَّا أُسْرِيَ بي إِلى السمآء... لقيني جبرئيل في محفل من الملائكة ، فقال : لو اجتمعت أُمَّتُكَ عَلَى حُبّ عَلِيٍّ ما خلق اللّـه عزّ وجلّ النَّار**»[٢].

ودلالته ـ كدلالة سابقه ـ قد اِتَّضَحَت أَيضاً ؛ فإِنَّهما ظاهران في ذلك التَّرابط التَّكوينيّ الوثيق والاقتران الأَكيد بين حقائق الشَّهادات الثَّلاث ؛ المُندَك بعضها بالآخر ، والمأخوذة بشرط المجموع ـ كما تَقَدَّمَ بيان ذلك في البرهان الْعَقْلِيّ الْأَوَّل ـ والَّتي تكون العلاقة بين أَطرافها عَلَى نحو الاستلزام ومن كافَّة الأَطراف ، لا عَلَى نحو اللُّزوم ومن طرفٍ واحدٍ ، فلذا إِذا حصل لدىٰ المخلوق خلل أَو اِختلال معرفي في إِحدىٰ هذه الشَّهادات كالشَّهادة

---

(١) بحار الأَنوار ، ١٨ : ٣٩٧ ـ ٤٠٠/ ح١٠١.

(٢) المصدر نفسه : ٣٨٨/ ح٩٧. مجالس الشَّيخ: ٥٠ ـ ٥١.

الثَّالثة فلابُدَّ من حصوله في الأُخرِيين ؛ لكونها ـ وكما تقدَّم ـ مأخوذة بشرط المجموع ، ومن ثَمَّ لولا موالاة أَمِير المُؤْمِنِين وسائر أَهْل الْبَيْتِ (صلوات اللّٰـه عليهم) والاعتقاد والإِقرار بالشَّهادة الثَّالثة لَـمَا خُلِقَتْ الجنَّة ؛ لأَنَّه بهذه الموالاة وبهذا الاعتقاد والإِقرار مع الموالاة للّٰـه عزوجل ولسَيِّد الْأَنْبِيَاء صلى الله عليه وآله والاعتقاد والإِقرار بالشَّهادتين يتمُّ التَّوحيد ويستحقّ مُعْتَقِده الجنَّة . وأَيضاً لو اجتمعت كلمة المخلوقات عَلَى حُبِّ أَمِير المُؤْمِنِين وسائر أَهْل الْبَيْتِ (صلوات اللّٰـه عليهم) وموالاتهم والاعتقاد بالشَّهادة الثَّالثة والإِقرار بها مع حُبّ اللّٰـه تعالىٰ وحُبّ سَيِّد الْأَنْبِيَاء صلى الله عليه وآله والاعتقاد والإِقرار بالشَّهادتين ما خلق اللّٰـه عزوجل النَّار.

نعم ، لَـمَّا لم يكن بين كافَّة الفرق الإِسلامية خلاف واختلاف في الشَّهادتين ، وإِنَّما حصل ذلك في الشَّهادة الثَّالثة صبَّت بيانات الوحي الواردة في المقام نظرها عليها.

بل لو لم تكن حقائق هذه الشَّهادات الثَّلاث مأخوذة بشرط المجموع كيف استلزم دوران امتحان المخلوقات ونجاتها عَلَى اعتقادها بأَمِير المُؤْمِنِين وسائر أَهْل الْبَيْتِ (صلوات اللّٰـه عليهم) وحُبّها لهم حَسْبُ.

بل الشَّهادة الثَّالثة ـ كالثَّانية ـ فعلٌ إِلٰهيٌّ ـ كما تَقَدَّمَ بيان ذلك في البرهان الْعَقْلِيّ الثَّانِي ـ بل رأس هرم الأَفعال الإِلٰهيَّة ؛ فتكون داخلة في حقيقة الشَّهادة الأُولىٰ ، وفي مقام توحيد الأَفعال الإِلٰهيَّة ، فيكون عطف الشَّهادة الثَّالثة ـ

كالثَّانية ـ عَلَى الشَّهادة الأُولىٰ من باب عطف الخاصّ عَلَى العام ، ومِنْ ثَمَّ إذا حصل خلل أَو اختلال في معرفة المخلوق وفي اعتقاده أَو في اِقراره بالشَّهادة الثَّالثة أَو الثَّانية فلابُدَّ من حصول نفس ذلك الخلل والاختلال في اعتقاده وإِقراره بالشَّهادة الأُولىٰ ؛ لأَنَّ حقيقة ذلك الخلل والاختلال وواقعه صار في حقيقة وواقع الشَّهادة الأُولىٰ ؛ لأَنَّها مُرَكَّبة من أَركانٍ ثلاثةٍ ، وهي : (التَّوحيد في مقام الذَّات الْإِلٰهِيَّة الْأَزَلِيَّة الْمُقَدَّسَة ، والتَّوحيد في مقام الصِّفَات والأَسماء الإِلٰهيَّة ، والتَّوحيد في مقام الأَفعال الإِلٰهيَّة) ، بل واقع الشَّهادة الأُولىٰ وحقيقتها مُركَّبة من ركنين ؛ بعدما كان المُختار وما أَصحرت به البراهين الوحيانيَّة والعقليَّة : أَنَّ الأَسمآء والصِّفَات الإِلٰهيَّة ـ فعليَّة كانت أَم ذاتيَّة ـ أَفعالٌ إِلٰهيَّةٌ ، فيكون الرُّكن الثَّاني داخلاً في الرُّكن الثَّالث ، وَمِنْ ثَمَّ تكون الشَّهادة الأُولىٰ مُرَكَّبة من رُكنين : أَحدهما : التَّوحيد في مقام الذَّات الْإِلٰهِيَّة المُقَدَّسَة ، والآخَر: التَّوحيد في مقام الأَفعال الإِلٰهيَّة ، فالتفت. وحيث إِنَّ الخلل والاِختلال المعرفي الحاصل من المخلوق في الشَّهادة الثَّالثة ـ كالثَّانية ـ يكون خللاً أَو اختلالاً عظيماً في الرُّكن الثَّاني من ركنيِّ الشَّهادة الأُولىٰ فتنتفي حقيقة الشَّهادة الأُولىٰ والتَّوحيد بِكِلَا الرُّكنين من الأَساس ، وتكون حقيقة الشَّهَادة الأُولىٰ والتَّوحيد مِنْ باب السَّالبة بانتفاء موضوعها .

وعَلَى هذا قس الضِّدّ ؛ فإِنَّه مع محافظة المخلوق عَلَى عدم اخلاله واختلاله المعرفي في الشَّهادة الثَّالثة ، واعتقاده واقراره بها ، ومع المحافظة عَلَى

محبَّته وموالاته وطاعته لأَهْل الْبَيْتِ (صلوات اللّـه عليهم) ، ومع عدم اخلاله واختلاله المعرفيّ أَيضاً في الشَّهادة الأُولىٰ والثَّانية ؛ واعتقاده واقراره بهما ، ومع المحافظة عَلَى محبَّته وموالاته وطاعته للّـه تعالىٰ ولسيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله فمصيره يؤول إِلى رضا الرَّحمٰن وكسب الجنان خالداً فيها.

نعم ، لَـمَّا لم يكن بين كافَّة الفرق الإِسلاميَّة خلاف واختلاف في الشَّهادتين ، وإِنَّما حصل ذلك في الشَّهادة الثَّالثة صَبَّت بيانات الوحي الشَّريف نظرها في المقام عليها ، وقالت: «لَولَا عَلِيّ ما خُلِقَت الجنَّة» ، و«لو اجتمعت أُمَّتك يا رسول اللّـه عَلَى حُبِّ عَلِيّ ما خلق اللّـه عزوجل النَّار».

بل لو لم تكن حقيقة الشَّهادة الثَّالثة ـ كالثَّانية ـ داخلة في ركنيَّة الشَّهادة الأُولىٰ ومن ذاتيَّاتها ؛ بحيث إِذا سُلِبَت يلزم سلب الشَّهادة الأُولىٰ ، وتكون الشَّهادة الأُولىٰ من باب السَّالبة بانتفاء موضوعها ؛ كيف استلزمت محبَّة أَمِير المُؤْمِنِين وسائر أَهْل الْبَيْتِ (صلوات اللّـه عليهم) والاعتقاد والاقرار بهم وموالاتهم فقط الجنَّة وعدم خِلْقَة النَّار.

بل لو لم تكن الشَّهادة الثَّالثة لازمة بالضَّرورة في كُلِّ موردٍ وجبت أَو وُجِدَت فيه الشَّهادة الأُولىٰ والثَّانية لزم من ذلك ـ كما تَقَدَّمَ بيان ذلك في البرهان الْعَقْلِيّ الثَّالث ـ اِنتفاء فائدة وغرض وغاية الشَّهادة الثَّانية وأَصل الرِّسالة الإِلٰهيَّة والبعثة النَّبويَّة ، وانتفاء فائدة وغرض وغاية الشَّهادة الأُولىٰ وأَصل التَّوحيد.

ومعناه : أَنَّه أَينما وجبت أَو وُجِدَت إِحدىٰ هذه الشَّهادات الثَّلاث في موردٍ فلابُدَّ وبالضَّرورة العقليَّة والوحيانيَّة من وجوب أَو وجود سائرها ، وأَينما انتفت إِحداها في موردٍ فلابُدَّ أَيضاً وبالضَّرورة العقليَّة والوحيانيَّة من اِنتفاء باقيها ؛ من دون حاجة إِلى دليلٍ خاصٍّ ، بعدما جاءت هذه القضيَّة عَلَى وفق القاعدة الأَوَّلية العقليَّة وعَلَى وفق حُكْم العقل هذا.

والنتيجة : أَنَّه حيث وجب في تشهُّد الصَّلاة وما شاكله ذِكْر الشَّهادة الأُولىٰ والثَّانية وجب أَيضاً وبالضَّرورة الوحيانيَّة والعقليَّة ـ وبمقتضىٰ ما تقدَّم من البراهين العقليَّة والوحيانيَّة الكاشفة عن ذلك التَّرابط التَّكوينيّ الوثيق والاقتران الأَكيد بين الشَّهادات الثَّلاث ـ ذِكْر الشَّهادة الثَّالثة في تلك الموارد ومن دون فرق ، ولا يحتاج هذا الوجوب ـ أَي : وجوب الشَّهادة الثَّالثة إِلى دليلٍ خاصٍّ ، وما تُذكر من أَدِلَّة وحيانيَّة ظاهرة في ذلك الوجوب فهي أَدِلَّة إِرشاديَّة لتلك الأَحكام والبراهين العقليَّة ، وَمِنْ ثَمَّ يكون ذِكْرها ـ الشَّهادة الثَّالثة ـ في العبادة وغيرها ـ كذِكْر الشَّهادة الأُولىٰ والثَّانية ـ توحيداً وَذِكْراً إِلٰهيّاً ، وتمجيداً للّـه تعالىٰ عظيماً وخطيراً جِدّاً.

بل حقيقة التَّوجُّه لأَهْل الْبَيْتِ (صلوات اللّٰـه عليهم) ومخاطبتهم والتَّوسُّل والتَّشَفُّع بهم ـ سواء كان في تَشهُّد الصَّلاة وفي الشَّهادة الثَّانية أَو الثَّالثة ، أَو في السَّلام عَلَى سَيِّد الْأَنْبِيَاء وسائر أَهْل الْبَيْتِ (صلوات اللّٰـه عليهم) في تسليم الصَّلاة وقبل الفراغ منها ، أَو في السَّلام عَلَى سَيِّد

الْأَنْبِيَاء صلى الله عليه وآله في ذِكْر سجود سجدة السَّهُو أَو غيرها ، كما تَقَدَّمَ بيان ذلك في البرهان الْعَقْلِيّ الرَّابع ـ تَوَجُّه للَّـه المُسمَّىٰ عزوجل ، ومخاطبة له (عَزَّ وجهه) ، وَتوسُّلٌ وتشفّع به (جَلَّ ذِكْره) مِنْ دون أَي تجوُّز وتكلُّف وتمحُّل ؛ فإِنَّ الخطاب والكلام المُوَجَّه للمعصوم عليه السلام لا يكون مُوَجَّهَاً إِليه بما هو هو ، بل بما هو خليفة وولي للَّـه تعالىٰ ، وتجلِّي وظهور له (جَلَّ وتقدَّس) ، ومرآة حاكية وكاشفة ـ من وَجْهٍ ـ عن الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزَليَّة المُقدَّسة ، وعن أَسمآئه وصفاته وكمالاته (جَلَّ قدسه) ، وكاشفة عن شؤون وأَحوال سَاحَة الْقُدْسِ الْإِلٰهِيَّةِ. وقد تقدَّم في أَبحاث سابقة ، بل وسيأتي (إِنْ شَآءَ اللهُ تَعَالَىٰ) في موارد كثيرة تفصيل ذلك وبيان أَدِلَّته .

مَا حَوته الأَنبياء من كمالات لم يكن إلاَّ بالاِعتقاد والإِقرار بالشَّهادة الثَّالثة

الطائفة السَّادسة عشرة ، ويُمَثِّلها :

(١/ ٥٩) ـ بيان سَيِّد الْأَنْبِيَاء ﷺ : « ... والَّذي نفسي بيده ، ما استوجب آدم أَنْ يخلقه اللَّـه وينفخ فيه من روحه ، وَأَنْ يتوب عليه ؛ ويردَّه إِلى جنَّته إِلَّا بنبوَّتي والولاية لِعَلِيٍّ بعدي ، والَّذي نفسي بيده ، مَا أَرَىٰ إِبراهيم ملكوت السَّماوات والأَرض ؛ وَلَا اتَّخذه خليلاً إِلَّا بنبوَّتي والإِقرار لِعَلِيٍّ بعدي، والَّذي نفسي بيده ، ما كلَّمَ اللَّـه موسىٰ تكليماً ، ولا أَقام عيسىٰ آية للعالمين إِلَّا بنبوَّتي ومعرفة عَلِيّ بعدي ، والَّذي نفسي بيده ، ما تَنَبَّأَ نَبيّ إِلَّا بمعرفتي والإِقرار لنا بالولاية ، ولا استأهل خلق من اللَّـه النَّظَر إِليه إِلَّا بالعبوديَّة له ، والإِقرار لِعَلِيٍّ بعدي ...»[1].

(٢/ ٦٠) ـ بيانه ﷺ في حديث المعراج : « لَـمَّا عُرج بي إِلى السَّمآء انتهىٰ بي المسير مع جبرئيل إِلى السَّمآء الرَّابعة ... وجمع الله إِلَيَّ النبيِّين ، فصفَّهم جبرئيل عليه السلام ورائي صفّاً فصلَّيت بهم فلَمَّا سلَّمت أَتاني آتٍ مِنْ عند ربِّي فقال لي : يا مُحَمَّد ، ربّكَ يقرئك السَّلام ويقول لَكَ : سل الرُّسل عَلَى ماذا أَرسلتهم من قبلكَ ؟ فقلتُ : معاشر الرُّسل عَلَى ماذا بعثكم رَبِّي قبلي ؟ فقالت الرُّسل : عَلَى ولايتك . وولاية عَلِيّ بن أَبي طالب ، وهو قوله تعالىٰ :

---

(١) بحار الأَنوار ، ٤٠ : ٩٦ـ٩٧/ ح١١٦ . كتاب سُليم بن قيس : ١٦٨ ـ ١٧٠ .

﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾[١][٢].

(٣/ ٦١) ـ بيان صلى الله عليه وآله أَيضاً : « **ما تكاملت النُّبُوَّة لنبيٍّ في الأَظلَّة حتَّىٰ عُرِضَتْ عَلَيه وَلَايتي ووَلَاية أَهل بيتي ، ومثّلوا له فأقرُّوا بطاعتهم وولايتهم**»[٣].

ودلالتها قد اِتَّضحت أَيضاً ؛ فإِنَّها مُشيرة إِلى ذلك التَّرابط التَّكوينيّ الوثيق والاقتران الأَكيد بين حقائق الشَّهادات الثَّلاث ؛ المُنْدَك بعضها بالآخر ، والمأخوذة بشرط المجموع ـ كما تَقَدَّمَ بيان ذلك في البرهان الْعَقْلِيّ الْأَوَّل ـ والَّتي تكون العلاقة بين أَطرافها عَلَى نحو الاستلزام ومن جملة أَطرافها ـ إِلَّا ما خرج بالتَّخصُّص أَو الدَّليل الخاصّ ـ ، لَا عَلَى نحو اللُّزوم ومن طرفٍ واحدٍ ، فلذا إِذا حصل لدىٰ المخلوق خلل أَو اِختلال معرفيّ في إِحدىٰ هذه الشَّهادات كالشَّهادة الثَّانية أَو الثَّالثة فلابُدَّ من حصوله في الـجميع ؛ لكونها ـ وكما تقدَّم ـ مأخوذة بشرط المجموع ، وَمِنْ ثَمَّ لولا إِقرار الأَنبياء وكُمَّل المخلوقات عليهم السلام بنبوَّة سَيِّد الْأَنْبِيَاء صلى الله عليه وآله وإِمامة أَمِير الْمُؤْمِنِين وسائر أَهْل الْبَيْتِ (صَلَوَاتُ اللَّـهِ عَلَيْهِمْ) ، والإِقرار بولايتهم ؛ والإِعتقاد والإِقرار بالشَّهادة الثَّانية والثَّالثة ، ولولا طاعتهم عليهم السلام لهم (صَلَوَاتُ اللَّـهِ عَلَيْهِمْ) لَـمَا استوجبوا عليهم السلام كمالاً ومقاماً إِلٰهيّاً ، وهبة إِلٰهيَّة البَتَّة ، بل لَـمَا

---

(١) الزخرف : ٤٥.

(٢) بحار الأَنوار ، ٢٦ : ٣٠٧/ ح٦٩. إيضاح دفائن النَّواصب: ٤٩.

(٣) بحار الأَنوار ، ٢٦ : ٢٨١/ ح٢٧. بصائر الدرجات: ٥١.

استأهل مخلوق قَطُّ نظر الباري ﷻ إليه ؛ لأَنَّه مع هذا الِاعتقاد والإِقرار بالشَّهادة الثَّانية والثَّالثة مع الِاعتقاد والإِقرار بالشَّهادة الأُولىٰ يتمّ التَّوحيد ، وإِلَّا ـ أَي : لو حصل الخلل أَو الِاختلال في الشَّهادة الثَّانية أَو الثَّالثة أَو كليهما ـ لحصل ذلك الخلل والِاختلال في الشَّهادة الأُولىٰ أَيضاً ؛ لكونها ـ وكما تقدَّم ـ مأخوذة بشرط المجموع.

بل واقع الشَّهادة الثَّالثة ـ كالثَّانية ـ فعلٌ إِلٰهيٌّ ـ كما تَقَدَّمَ بيان ذلك في البرهان الْعَقْلِيّ الثَّانِي ـ ، بل رأس هرم الأَفعال الإِلٰهيَّة الأَعظم والأَخطر ؛ فتكون داخلة في حقيقة الشَّهادة الأُولى ، وفي مقام توحيد الأَفعال الإِلٰهيَّة ، فيكون عطف الشَّهادة الثَّالثة ـ كالثَّانية ـ عَلَى الشَّهادة الأُولىٰ من باب عطف الخاصّ عَلَى العام ، وَمِنْ ثَمَّ إِذا حصل خلل أَو اِختلال في معرفة المخلوق وفي اِعتقاده أَو في إِقراره بالشَّهادة الثَّالثة أَو الثَّانية فلابُدَّ من حصول نفس ذلك الخلل والِاختلال في معرفته واِعتقاده وإِقراره بالشَّهادة الأُولىٰ ؛ لأَنَّ حقيقة ذلك الخلل والِاختلال وواقعه صار في حقيقة وواقع الشَّهادة الأُولىٰ ؛ لأَنَّها مُرَكَّبَة من أَركانٍ ثلاثةٍ ، وهي: (التَّوحيد في مقام الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزَليَّة المُقدَّسة ، والتَّوحيد في مقام الصِّفَات والأَسمآء الإِلٰهيَّة ، والتَّوحيد في مقام الأَفعال الإِلٰهيَّة) ، بل واقع الشَّهادة الأُولىٰ وحقيقتها مُرَكَّبة مِنْ رُكنين ؛ بعدما كان المُختار وما قامت عليه البراهين الوحيانيَّة والعقليَّة : أَنَّ الأَسمآء والصِّفَات الإِلٰهيَّة ـ فعليَّة كانت أَم ذاتيَّة ـ أَفعالٌ إِلٰهيَّةٌ ، فيكون الرُّكن الثَّاني

داخلاً في الرُّكن الثَّالث ، ومِنْ ثَمَّ تكون الشَّهادة الأُولىٰ مُرَكَّبة من رُكنين : أَحدهما : التَّوحيد في مقام الذَّات الإِلٰهيَّة المُقدَّسة ، والآخَر: التَّوحيد في مقام الأَفعال الإِلٰهيَّة ، فالتفت. وحيث إِنَّ الخلل والإِختلال المعرفيّ الحاصل من المخلوق في الشَّهادة الثَّالثة ـ كالثَّانية ـ يكون خللاً وإِختلالاً عظيماً في الرُّكن الثاني من ركنيِّ الشَّهادة الأُولىٰ فتنتفي حقيقة الشَّهادة الأُولىٰ والتَّوحيد بِكِلَا الرُّكنين من الأَساس ، وتكون حقيقة الشَّهادة الأُولىٰ والتَّوحيد من باب السَّالبة بانتفاء موضوعها.

وَعَلَى هذا قس الضِّدّ ؛ فإِنَّه مع مُحافظة المخلوق عَلَى عدم إِخلاله وإِختلاله المعرفي في الشَّهادة الثَّالثة والثَّانية ، وإِعتقاده وإِقراره بهما ، ومع محافظته عَلَى محبَّته وموالاته لسَيِّد الْأَنْبِيَاء وسائر أَهْل الْبَيْتِ (صلوات اللّـه عليهم) ، ومع عدم إِخلاله وإِختلاله المعرفيّ أَيضاً في الشَّهادة الأُولىٰ ، وإِعتقاده وإِقراره بها ، ومع محافظته عَلَى محبَّته وموالاته للّـه تعالىٰ فمصيره يؤول إِلى رضا الرَّحْمٰن وكسب الجنان خالداً فيها.

نعم ، لَـمَّا لم يكن بين أَتباع الدِّيانات السَّماويَّة السَّابقة ـ كاليهودية ـ وما جاء به سَيِّد الْأَنْبِيَاء صلى الله عليه وآله خلاف وإِختلاف في الشَّهادة الأُولىٰ وإِنَّما حصل ذلك في الشَّهادة الثَّانية والثَّالثة صبَّت بيانات الوحي الشَّريف نظرها في المقام عليهما.

بل لو لم تكن حقيقة الشَّهادة الثَّانية والثَّالثة داخلة في ركنيَّة الشَّهادة

الأُولىٰ ومن ذاتيَّاتها ؛ بحيث إِذا سُلبتا أُو سُلِبَت إِحداهما يلزم سلب وانتفاء الشَّهادة الأُولىٰ من الأَساس ، وتكون الشَّهادة الأُولىٰ من باب السَّالبة بانتفاء موضوعها ؛ كيف استلزم الإِقرار بولاية سَيِّد الْأَنْبِيَاء وبولاية سائر أَهْل الْبَيْتِ (صلوات اللّـه عليهم) وطاعتهم من دون ولاية اللّـه ﷻ وطاعته كسب المخلوق للمقامات والكمالات والهبات الإِلٰهيَّة.

بل لو لم تكن الشَّهادة الثَّالثة لازمة بالضَّرورة في كُلِّ موردٍ وجبت أَو وُجِدَت فيه الشَّهادة الأُولىٰ والثَّانية لزم من ذلك ـ كما تَقَدَّمَ بيان ذلك في البرهان الْعَقْلِيّ الثَّالث ـ اِنتفاء فائدة وغرض وغاية الشَّهادة الثَّانية وأَصل الرِّسالة الإِلٰهيَّة والبعثة النَّبويَّة ، وانتفاء فائدة وغرض وغاية الشَّهادة الأُولىٰ وأَصل التَّوحيد.

ومعناه : أَنَّه أَينما وجبت أَو وُجِدَت إِحدى هذه الشَّهادات الثَّلاث في موردٍ فلابُدَّ وبالضَّرورة العقليَّة والوحيانيَّة من وجوب أَو وجود سائرها ، وأَينما انتفت إِحداها في موردٍ فلابُدَّ أَيضاً وبالضَّرورة العقليَّة والوحيانيَّة من اِنتفاء باقيها ؛ من دون حاجة إِلى دليل خاصٍّ ، بعدما جاءت هذه القضيَّة عَلَى وفق القاعدة الأَوَّليَّة العقليَّة ؛ وَعَلَى وفق حُكْم العقل في المقام.

والنتيجة : أَنَّه حيث وجب في تشهُّد الصَّلاة وما شاكله ذِكْر الشَّهادة الأُولىٰ والثَّانية وجب أَيضا وبالضَّرورة الوحيانيَّة والعقليَّة ـ وبمقتضىٰ القاعدة وما تقدَّم من بيانات عقليَّة ووحانيَّة ـ ذِكْر الشَّهادة الثَّالثة في تلك

الموارد ، من دون فرق ، بل لا يحتاج ذلك إلى دليلٍ خاصٍّ بعدما جاء عَلَى وفق القاعدة ، ويكون ذِكْرها في العبادة وغيرها ـ كذِكْر الشَّهادة الأُولىٰ والثَّانية ـ توحيداً وذِكْراً إلٰهيّاً ، وتمجيداً للّـه تعالىٰ عظيماً وخطيراً جِدّاً.

بل حقيقة التَّوجُّه لأَهْل الْبَيْتِ (صلوات اللّـه عليهم) ومخاطبتهم والتَّوسُّل والتَّشَفُّع بهم ـ سواء كان في تَشهُّد الصَّلاة وفي الشَّهادة الثَّانية أَو الثَّالثة ، أَو في السَّلام عَلَى سَيِّد الْأَنْبِيَاء وسائر أَهْل الْبَيْتِ (صلوات اللّـه عليهم) في تسليم الصَّلاة وقبل الفراغ منها ، أَو في السَّلام عَلَى سَيِّد الْأَنْبِيَاء صلى الله عليه وآله في ذِكْر سجود سجدة السَّهُو أَو غيرها ، كما تَقَدَّمَ بيان ذلك في البرهان الْعَقْلِيّ الرَّابع ـ تَوَجُّه للّـه المُسمَّىٰ عزّ وجلّ ، ومخاطبة له (عَزَّ وجهه) ، وَتوسُّلٌ وتشفّع به (جَلَّ ذِكْره) مِنْ دون أَي تجوُّز وتكلُّف وتمحُّل ؛ فإِنَّ الخطاب والكلام المُوَجَّه للمعصوم عليه السلام لا يكون مُوَجَّهَاً إليه بما هو هو ، بل بما هو خليفة وولي للّـه تعالىٰ ، وتجلِّي وظهور له (جَلَّ وتقدَّس) ، ومرآة حاكية وكاشفة ـ من وَجْهٍ ـ عن الذَّات الإلٰهيَّة الأَزَليَّة المُقدَّسة ، وعن أَسمآئه وصفاته وكمالاته (جَلَّ قدسه) ، وكاشفة عن شؤون وأَحوال سَاحَة الْقُدْسِ الْإِلٰهِيَّةِ. وقد تقدَّم في أَبحاث سابقة ، بل وسيأتي (إِنْ شَآءَ اللهُ تَعَالَى) في موارد كثيرة تفصيل ذلك وبيان أَدِلَّته.

طهارة المخلوق وقبول أَعماله لا تكون إِلاَّ بقرن الشَّهادات الثَّلاث

رفع الأَعمال لا يكون إِلاَّ بمجموع الشَّهادات الثَّلاث

الطائفة السَّابعة عشرة ، ويُمَثِّلها :

(١/ ٦٢) ـ بيان سَيِّد الْأَنْبِيَاء ﷺ : « ... **أَوَ لَا أُنَبِّئكم بأَسوأ حالاً من** هذا؟ قالوا: بلىٰ يا رسول اللَّـه. قال: **رَجُل حضر الجهاد في سبيل اللَّـه ، فقُتِلَ مُقبلاً غير مدبر ، والحور العين يطلَّعن إِليه ، وخزَّان الجنان يتطلَّعون ورود روحه عليهم ، وَأَملاك الأَرض يتطلَّعون نزول حور العين إِليه ، والملائكة وخزَّان الجنان فلا يأتونه ، فتقول ملائكة الأَرض حوالي ذلك المقتول: ما بال الحور العين لا ينزلن إِليه؟ وما بال خزَّان الجنان لا يردون عليه؟ فَيُنادون من فوق السَّمآء السَّابعة: يَا أَيَّتُها الملائكة ، انظروا إِلى آفاق السَّمآء ودوينها ، فينظرون فإِذا توحيد هذا العبد وإِيمانه برسول اللَّـه ﷺ ؛ وصلاته وزكاته وصدقته وأَعمال بِرّه كُلّها محبوسات دوين السَّمآء ، قد طبَّقت آفاق السَّمآء كلِّها كالقافلة العظيمة ، قد ملأت ما بين أَقصىٰ المشارق والمغارب ، ومهابّ الشَّمال والجنوب ، تُنادي أَملاك تلك الأَثقال الحاملون لها، الواردون بها: ما بالنا لا تفتح لنا أَبواب السَّمآء لندخل إِليها بأعمال هذا الشَّهيد ، فيأمر اللَّـه بفتح أَبواب السَّمآء فتفتح ، ثُمَّ ينادي: يا هؤلاء الملائكة ، أدخلوها إِنْ قدرتم، فلا تقلُّهُم أَجنحتهم ولا يقدرون عَلَى الإِرتفاع بتلك الأَعمـال ،**

فيقولون: يا ربّنا ، لا نقدر عَلَى الإرتفاع بهذه الأَعمـال ، فيناديهم منادي ربّنا عزّ وجلّ: يا أَيُّها الملائكة ، لستم حُمَّال هذه الأَثقال الصَّاعدين بها ، إِنَّ حملتها الصَّاعدين بها مطاياها الَّتي ترفعها إِلى دوين العرش ، ثُمَّ تقرُّها في درجات الجنان. فيقول الملائكة : يا ربّنا ، ما مطاياها؟ فيقول اللَّـه تعالىٰ: وما الَّذي حملتم من عنده ؟ فيقولون: توحيده لَكَ ، وإِيمانه بنبيِّكَ. فيقول اللَّـه تعالىٰ: فمطاياها: موالاة عَلِيّ أَخي نبيِّي، وموالاة الأَئِمَّة الطَّاهرين ، فإِنْ أَتَت فهي الحاملة الرَّافعة ، الواضعة لها في الجنان ، فينظرون فإذا الرَّجُل مع ماله من هذه الأَشياء ليس له موالاة عَلِيّ والطَّيِّبين من آله ؛ ومعاداة أَعدائهم ، فيقول اللَّـه (تبارك وتعالىٰ) للأَملاك الَّذين كانوا حامليها: اعتزلوها والحقوا بمراكزكم من ملكوتي ؛ ليأتيها مَنْ هو أَحَقّ بحملها ووضعها في موضع إِستحقاقها ، فتلحق تلك الأَملاك بمراكزها المجعولة لها ، ثُمَّ يُنادي مُنادي رَبّنا عزّ وجلّ: يا أَيَّتها الزبانية ، تناوليها وحطِّيها إِلى سواء الجحيم ؛ لأَنَّ صاحبها لم يجعل لها مطايا من موالاة عَلِيّ عليه السلام والطَّيِّبين من آله ، قال: فتُنادي[1] تلك الأَملاك ، ويقلب اللَّـه تلك الأَثقال أَوزاراً وبلايا على باعثها[2] ؛ لِـمَا فارقها عن مطاياها من موالاة أَمير المؤمنين عليه السلام ، ونادت تلك الملائكة إِلى مخالفتهِ لِعَلِيٍّ عليه السلام ، وموالاته لأَعدائه ، فُيُسلِّطها اللَّـه عزّ وجلّ وهي في صورة الأُسود عَلَى

(١) في نسخة: (فتأتي).

(٢) في نسخة من المصدر: (على فاعلها).

تلك الأَعمال وهي كالغربان والقرقس[١] ، فيخرج من أَفواه تلك الأُسود نيران تحرقها ، وَلَا يبقىٰ له عمل إِلَّا أُحبط ، ويبقىٰ عليه موالاته لأعداء عَلِيّ عليه السلام ، وجحده ولايته فيقرّ ذلك في سوآء الجحيم...»[٢].

(٢/ ٦٣) ـ بيانه صلى الله عليه وآله أَيضاً : « ما بال أَقوام إِذا ذكروا آل إِبراهيم وآل عمران استبشروا ؛ وإِذا ذكروا آل مُحَمَّد اشمأَزَّت قلوبهم ؟ والَّذي نفس مُحَمَّد بيده ، لو أَنَّ أَحَدهم وافىٰ بعمل سبعين نبيّاً يوم القيامة ما قَبِلَ اللّـه منه حتَّىٰ يوافي بولايتي وولاية عَلِيّ بن أَبي طالب»[٣].

(٣/ ٦٤) ـ بيان أَمير المؤمنين عليه السلام : « ... فواللّـه ، لرَجُلٍ على يقين من ولايتنا أَهْل الْبَيْتِ خير مِمَّن له عبادة أَلف سَنة ، ولو أَنَّ عَبداً عَبَدَ اللّـه أَلف سَنَة لا يقبل اللّـه منه حتَّىٰ يعرف ولايتنا أَهْل الْبَيْتِ ، ولو أَنَّ عبداً عَبَدَ اللّـه أَلف سنَة ؛ وجاء بعمل اثنين وسبعين نبيّاً ما يقبل اللّـه منه حتَّىٰ يعرف ولايتنا أَهْل الْبَيْتِ ، وإِلَّا أَكبَّه اللّـه على منخريه في نار جهنَّم»[٤].

---

(١) في نسخة: (القرقش).

(٢) بحار الأَنوار، ٢٧: ١٨٧ـ١٩٠/ ح٤٦. التفسير المنسوب إِلى الإِمام العسكري عليه السلام: ٢٧ ـ ٢٩.

(٣) بحار الأَنوار ، ٢٣ : ٢٢١/ ح٢٣. كنز جامع الفوائد: ٤٩.

(٤) بحار الأَنوار ، ٢٧ : ١٩٦/ ح٥٧. جامع الأَخبار : ٢٠٧.

(٤/ ٦٥) ـ بيان الإمام الصَّادق عليه السلام ، عن المفضَّل ، قال : « ... **أُخبركَ أَنَّ من عرف أَطاع ... وَمَنْ زَعَمَ أَنَّه يحلِّل الحلال ويحرِّم الحرام بغير معرفة النَّبيّ لم يُحَلِّل للّـه حلالاً ، ولم يُحَرِّم له حراماً ، وإِنَّه مَنْ صَلَّىٰ وَزَكَّىٰ وحجَّ واعتمر وفعل ذلك كلّه بغير معرفةٍ من افترض اللّـه عليه طاعته لم يقبل منه شيئاً من ذلك ، ولم يصلِّ ولم يصم ولم يزكِّ ولم يحجّ ولم يعتمر ، ولم يغتسل من الجنابة ولم يتطَهَّر ، ولم يُحَرِّم للّـه حراماً ، ولم يحلِّل للّـه حلالاً ، وليس له صلاة وإِنْ ركع وسَجَد ، ولا له زكاة وإِنْ أَخرج لكلِّ أَربعين درهماً درهماً ، وَمَنْ عرفه وأَخذ عنه أَطَاعَ اللّـه ...**»[1].

(٥/ ٦٦) ـ بيانه عليه السلام أَيضاً : « **إِنَّ اللّـه تبارك وتعالىٰ توحَّد بملكه فعرَّف عباده نفسه ؛ ثُمَّ فوَّض إِليهم أَمره وأَباح لهم جنَّته ، فَمَنْ أَراد اللّـه أَنْ يُطهِّر قلبه من الجنِّ والإِنس عرَّفه ولايتنا ، ومَنْ أَراد أَنْ يطمس عَلَى قلبه أَمسك عنه معرفتنا ...**»[2].

ودلالتها قد اِتَّضَحَت أَيضاً ، فإِنَّها ظاهرة في ذلك التَّرابط التَّكوينيّ الوثيق والاقتران الأَكيد بين حقائق الشَّهادات الثلاث ؛ المُنْدَك بعضها بالآخر ، والمأخوذة بشرط المجموع ؛ والَّتي تكون العلاقة بين أَطرافها عَلَى نحو الاستلزام ومن جملة أَطرافها ، لا عَلَى نحو اللُّزُوم ومن طرفٍ واحدٍ ،

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٤ : ٢٩٣/ ح١. بصائر الدرجات : ١٥٤ ـ ١٥٧.

(٢) بحار الأَنوار ، ٢٦ : ٢٩٤/ ح٥٦. الاختصاص: ٢٥٠.

فلذا إِذا حصل لدىٰ المخلوق خلل أَو اِختلال معرفيّ في إِحدىٰ هذه الشَّهادات كالشَّهادة الثَّالثة فلابُدَّ من حصوله في الجميع ؛ لكونها ـ وكما تَقَدَّمَ بيان ذلك في البرهان الْعَقْلِيّ الْأَوَّل ـ مأخوذة بشرط المجموع ، ومِنْ ثَمَّ لو لم يقرَّ المخلوق بولاية أَهْل الْبَيْتِ (صلوات اللّـه عليهم) وبإِمامتهم وحاكميتهم الإِلٰهيَّة وبطاعتهم ، فلم يعتقد ولم يقرَّ بالشَّهادة الثَّالثة لَـمَا وحَّدَ باريه تعالىٰ ، ولَـمَا اِعتقد به ﷻ وبسَيِّد الْأَنْبِيَاء ﷺ وبرسالته ـ وإِن اِعتقد بالشَّهادة الأُولىٰ والثَّانية وَأَقرَّ بهما ، بل وعَبَدَ اللّـه أَلف سنة ، وجاء بعمل اثنين وسبعين نبيّاً ـ ولم يكن مصيره إِلَّا غضب العزيز الجبَّار وأُكِبَّ عَلَى منخريه في نار جهنَّم خالداً فيها وبئس المصير.

بل الشَّهادة الثَّالثة ـ كالثَّانية ـ فعلٌ إِلٰهيٌّ ـ كما تَقَدَّمَ بيان ذلك في البرهان الْعَقْلِيّ الثَّاني ـ فتكون داخلة في حقيقة الشَّهادة الأُولىٰ ، وفي مقام توحيد الأَفعال الإِلٰهيَّة ، فيكون عطف الشَّهادة الثَّالثة ـ كالثَّانية ـ عَلَى الشَّهادة الأُولىٰ من باب عطف الخاصّ عَلَى العام ، ومِنْ ثَمَّ إِذا حصل خلل أَو اِختلال في معرفة المخلوق أَو في اِعتقاده أَو في إِقراره بالشَّهادة الثَّالثة أَو الثَّانية فلابُدَّ مِنْ حصول نفس ذلك الخلل والإِختلال في معرفته أَو في اِعتقاده وإِقراره بالشَّهادة الأُولىٰ ؛ لأَنَّ حقيقة ذلك الخلل أَو الإِختلال وواقعه صار في حقيقة وواقع الشَّهادة الأُولىٰ ؛ لأَنَّها مُركَّبة من أَركان ثلاثةٍ ، بل من رُكنين : أَحدهما : التَّوحيد في مقام الذَّات الإِلٰهيَّة المُقدَّسة ، والآخَر: التَّوحيد في مقام الأَفعال

الإلٰهيَّة ، فالتفت. وحيث إنَّ الخلل والإختلال المعرفي الحاصل من المخلوق في الشَّهادة الثَّالثة والنَّافي لها يكون خللاً واِختلالاً عظيماً في الرُّكن الثَّاني من ركنيِّ الشَّهادة الأُولىٰ فتنتفي حقيقة الشَّهادة الأُولىٰ والتَّوحيد بِكِلَا الرُّكنين من الأَساس ، وتصير حقيقة الشَّهادة الأُولىٰ والتَّوحيد مِنْ باب السَّالبة بانتفاء موضوعها.

بل لو لم تكن حقيقة الشَّهادة الثَّالثة ـ كالثَّانية ـ داخلة في ركنيَّة الشَّهادة الأُولىٰ وَمِنْ ذاتيَّاتها ؛ بحيث إذا سُلِبَت ـ الشَّهادة الثَّالثة أَو الثَّانية ـ يلزم سلب وانتفاء التَّوحيد والشَّهادة الأُولىٰ من الأَساس ، وصار مُعتقِدها والمُقرَّ بها كافراً باللَّـه (العزيز الجبَّار) ، وتكون ـ الشَّهادة الأوُلىٰ في حقِّه ـ من باب السَّالبة بانتفاء موضوعها كيف استلزم عدم إِقرار المخلوق بالشَّهادة الثَّالثة استحقاقه غضب العزيز الجبَّار وَكُبَّ عَلَى منخريه في نار جهنَّم خالداً فيها وبئس المصير وإِنْ أَتَىٰ بالشَّهادة الأُولىٰ والثَّانية ، وَعَبَدَ اللَّـه أَلف سنة ، وجاء بعمل اثنين وسبعين نبيّاً ، إِنَّ ذلك دليل عَلَى ذلك التَّرابط التَّكويني الوثيق والاقتران الأَكيد بين حقائق الشَّهادات الثَّلاث .

بل لو لم تكن الشَّهادة الثَّالثة لازمة بالضَّرورة في كُلِّ موردٍ وجبت أَو وُجِدَت فيه الشَّهادة الأُولىٰ والثَّانية لزم من ذلك ـ كما تَقَدَّمَ بيان ذلك في البرهان الْعَقْلِيّ الثَّالث ـ اِنتفاء فائدة وغرض وغاية الشَّهادة الثَّانية وأَصل الرِّسالة الإِلٰهيَّة والبعثة النَّبويَّة ، وانتفاء فائدة وغرض وغاية الشَّهادة الأُولىٰ

وأَصل التَّوحيد.

ومعناه : أَنَّه أَينما وجبت أَو وُجِدَت إِحدىٰ هذه الشَّهادات الثَّلاث في مورد فلابُدَّ وبالضَّرورة العقليَّة والوحيانيَّة من وجوب أَو وجود سائرها ، وأَينما اِنتفت إِحداها في موردٍ فلابُدَّ أَيضاً وبالضَّرورة العقليَّة والوحيانيَّة من اِنتفاء باقيها ؛ من دون حاجة إِلى دليلٍ خاصٍّ ، بعدما جاءت هذه القضيَّة عَلَى وفق القاعدة الأَوَّليَّة العقليَّة ؛ وَعَلَى وفق حُكْم العقل في المقام.

والنتيجة : أَنَّه حيث وجب في تَشَهُّد الصَّلاة وما شاكله ذِكْر الشَّهادة الأُولىٰ والثَّانية وجب أَيضاً وبالضَّرورة الوحيانيَّة والعقليَّة ـ وبمقتضىٰ ما تقدَّم من بيانات ـ ذِكْر الشَّهادة الثَّالثة في تلك الموارد من دون فرق ، بل لا يحتاج ذلك الوجوب إِلى دليلٍ خاصٍّ بعدما جاء على وفق القاعدة ، ويكون ذِكْرها في العبادة وغيرها ـ كذِكْر الشَّهادة الأُولىٰ والثَّانية ـ توحِيداً وذِكْراً إِلٰهيّاً ، وتمجيداً للّٰه تعالىٰ عظيماً وخطيراً جِدّاً.

استمرار الهبة الإلهيَّة لا يكون إلاَّ بالاعتقاد والاقرار بالشَّهادة الثَّالثة

الطَّائفة الثَّامنة عشرة ، ويُمثِّلها :

(١/ ٦٧) ـ بيان سَيِّد الْأَنْبِيَاء صلى الله عليه وآله مخاطباً يهوديّاً : « **... يا يهودي ، إِنَّ موسىٰ لو أَدركني ثُمَّ لم يُؤمن بي وبنبوَّتي ما نفعه إِيمانه شيئاً ، ولا نفعته النُّبُوَّة ، يايهودي ، ومن ذرِّيَّتي المهدي إِذا خرج نزل عيسىٰ بن مريم لنصرته ، وقدَّمه وصلَّىٰ خلفه**»[1] .

(٢/ ٦٨) ـ بيانه صلى الله عليه وآله أَيضاً : « **... فلو كان موسىٰ عليه السلام بين أَظهركم لما حلَّ له إِلَّا أَنْ يتَّبعني**»[2] .

(٣/ ٦٩) ـ بيان الإِمام الرِّضا عليه السلام : « **... أَنا ... كافر بنبوَّة كُلّ عيسىٰ لم يقرَّ بنبوَّة مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وبكتابه ، ولم يُبشِّر به أُمَّته ...**»[3] .

(٤/ ٧٠) ـ بيان إِمضاء الإِمام الصَّادق عليه السلام ، عن وهب بن منبّه ، قال: « **إِنَّ موسىٰ عليه السلام نظر ليلة الخطاب إلى كلِّ شجرةٍ في الطُّور ، وكلّ حجرٍ ونباتٍ ينطق بذكر مُحَمَّد واثني عشر وصيّاً له من بعده ، فقال موسىٰ : إِلٰهي ، لا أَرىٰ شيئاً خلقته إِلَّا وهو ناطق بذكر مُحَمَّد وأوصيائه الاثني عشر ، فما**

---

(١) بحار الأَنوار ، ١٦ : ٣٦٦/ ح٧٢. جامع الأَخبار : ٨ ـ ٩. الأَمالي : ١٣١ ـ ١٣٢ .

(٢) بحار الأَنوار ، ٢٦ :٣١٥ ـ ٣١٦/ ح٧٨. تفضيل الأَئمَّة (مخطوط).

(٣) عيون أَخبار الرِّضا عليه السلام ، ١ : ١٢٣/ ح١.

منزلة هؤلاء عندك ؟ قال : يابن عمران ، إِنِّي خلقتهم قبل أَنْ أخلق الأَنوار ، خلقتهم في خزانة قدسي ، ترتع في رياض مشيّتي ، وتتنسَّم من روح جبروتي ، وتشاهد أَقطار ملكوتي حتَّىٰ إِذا شئتُ بمشيَّتي أَنفذتُ قضائي وقدري ، يابن عمران ، إِنِّي سبَّقت بهم السِّباق حتَّىٰ أُزحزح بهم جناني ، يابن عمران ، تمسَّك بذكرهم ؛ فإِنَّهم خزنة علمي ، وعيبة حكمتي ، ومعدن نوري.

قال حسين بن علوان : فذكرتُ ذلك لجعفر بن محمَّد عليه السلام فقال : حَقٌّ ذلك ، هم إِثنا عشر من آل مُحَمَّد ...»[1].

ودلالته قد اِتَّضَحَت أَيضاً ؛ فإِنَّه مُشير إِلى ذلك التَّرابط التَّكوينيّ الوثيق والاقتران الأَكيد بين الشَّهادات الثَّلاث ؛ المُنْدَك بعضها بالآخَر ، والمأخوذة بشرط المجموع بحيث إِذا ذُكِرَت إِحداها في موردٍ فلابُدَّ من ذِكْر سائرها ، وإِذا انتفت إِحداها في موردٍ فلابُدَّ من انتفاء باقيها.

بل الشَّهادة الثَّالثة ـ كالثَّانية ـ فعلٌ إِلٰهيٌّ ؛ فتكون داخلة في حقيقة الشَّهادة الأُولىٰ ، وفي مقام توحيد الأَفعال الإِلٰهيَّة . وَمِنْ ثَمَّ لا يتحقَّق استمرار الفيض الإِلٰهيّ ؛ والمقامات والكمالات والعطايا والكرامات الإِلٰهيَّة لمخلوقٍ الْبَتَّة ـ لاسيما إِذا كان من كُمَّلها ـ إِلَّا بالاعتقاد بالتَّوحيد والإِقرار به مِنْ خلال الشَّهادة الأُولىٰ ، وحيث إِنَّ الشَّهادة الثَّانية والثَّالثة مُنْدَكَّة بالأُولىٰ اندكاك الذاتيَّات في الذَّات ـ كما تقدَّم تقريب ذلك كراراً ـ فلابُدَّ من اِعتقاده

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٦ : ٣٠٨ ـ ٣٠٩/ ح٧٣. المحتضر : ١٥١.

أَيضاً بالشَّهادة الثَّانية والثَّالثة والإِقرار بهما ، وإِلَّا فلا مقام ولا كمال ولا عطيَّة ولا كرامة إِلٰهيَّة.

وحيث كان الطرف المُوجَّه إِليه الخطاب الوحيانيّ في هذه البيانات الوحيانيَّة الثَّلاثة الأُوَل يهوديّاً أَو نصرانيّاً صبَّت المعصوم (صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ) نظره عَلَى مورد الخلاف ، وهو: الشَّهادة الثَّانية والثَّالثة لاسيما الثَّانية.

ومعناه : أَنَّه أَينما وجبت أَو وُجِدَت إِحدىٰ هذه الشَّهادات الثَّلاث في موردٍ فلابُدَّ وبالضَّرورة العقليَّة والوحيانيَّة من وجوب أَو وجود سائرها ، وأَينما اِنتفت إِحداها في موردٍ فلابُدَّ أَيضاً وبالضَّرورة العقليَّة والوحيانيَّة من اِنتفاء باقيها ؛ من دون حاجة إِلى دليلٍ خاصٍّ ، بعدما جاءت هذه القضيَّة عَلَى وفق القاعدة الأَوليَّة العقليَّة ؛ وَعَلَى وفق حُكْم العقل في المقام.

والنتيجة : أَنَّه حيث وجب في تشهُّد الصَّلاة وما شاكله ذِكْر الشَّهادة الأُولىٰ والثَّانية وجب أَيضاً وبالضَّرورة الوحيانيَّة والعقليَّة ـ وبمقتضىٰ ما تقدَّم من بيانات عقليَّة ووحيانيَّة ـ ذِكْر الشَّهادة الثَّالثة في تلك الموارد ، من دون فرق ، بل لا يحتاج وجوبها إِلى دليلٍ خاصٍّ بعدما جاء على وفق القاعدة، ويكون ذِكرها في العبادة وغيرها ـ كذِكْر الشَّهادة الأُولىٰ والثَّانية ـ توحيداً وذِكْراً إِلٰهيّاً ، وتمجيداً للّـه تعالىٰ عظيماً وخطيراً جِدّاً.

وأَمَّا الأَدِلَّة والبيانات الوحيانيَّة ، فهي :

البيان الأَوَّل : بيان قوله (عَزَّ مِنْ قَائِل) : ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[1].

فإِنَّه دالٌّ من خلال بيان قوله تعالىٰ : ﴿**وَأَنْفُسَنَا**﴾ ـ المُنزَّل لنفس وذات وحقيقة أَمِير المُؤْمِنِين عليه السلام وكُلّ ما يتعلَّق بها كنفس وذات وحقيقة سَيِّد الْأَنْبِيَاء صلى الله عليه وآله وكُلّ ما يتعلَّق بها ـ على وجود إِستلزام واندكاك وثيق وترابط أَكيد [2] بين مقامات وفضائل وكمالات سَيِّد الْأَنْبِيَاء صلى الله عليه وآله ؛ ومقامات وفضائل وكمالات أَمِير المُؤْمِنِين عليه السلام لا يمكن الفصل والتَّفكيك بينها إِلَّا ما خرج بالدَّليل ؛ النُّبوَّة والأَزواج.

وهذا ما تُشِير إِليه بيانات الوحي ، منها :

أَوَّلاً : بيان سَيِّد الْأَنْبِيَاء صلى الله عليه وآله : « ... **فجعلتُ كلّ ما أَعطانيه ربِّي لأَخي عَلِيّ والأَئمَّة منهم** ...»[3].

---

(١) آل عمران : ٦١.

(٢) كما يدلُّ على هذه الاستلزام والاندكاك الوثيق والترابط الأَكيد ويُؤيدهما الكمّ الهائل من بيانات الوحي الأُخرىٰ ـ تَقَدَّم شطرٌ منها ـ فاطرقها تجد صدق ما نقول واضحاً.

(٣) الهداية الكبرىٰ : ٢٨١.

ثانياً : بيان الإمام الصَّادق عليه السلام : « **كلُّ ما كان لمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله فلنا مِثْله إلَّا النُّبوَّة والأَزواج**»[١].

ثالثاً : بيانه عليه السلام أَيضاً : « **علمنا واحد ، وفضلنا واحد ، ونحن شيءٌ واحدٌ**»[٢].

إِذَنْ : بيان الآية الكريمة لم يعتبر ، بل نزَّل مقامات وفضائل وكمالات أَمِير المُؤْمِنِين عليه السلام منزلة مقامات وفضائل وكمالات سَيِّد الْأَنْبِيَاء صلى الله عليه وآله ، وأَحد مقاماته وفضائله وكمالاته صلى الله عليه وآله : أَنَّ اسمه الشَّريف من خلال الشَّهادة الثانية في تشهُّد الصَّلاة قُرن باسم الباري (تَعَالَى ذِكْرُهُ) الوارد في الشَّهادة الأُولىٰ في تشهُّد الصَّلاة ، وهما لازمان وواجبان في تشهُّد الصَّلاة أَيضاً ، فيكون حال أَمِير المُؤْمِنِين عليه السلام كذلك ، ومعناه لزوم ووجوب الشَّهادة الثَّالثة في تشهُّد الصَّلاة ، كحالها في الأَذان والإِقامة وغيرهما ، لنفس النُّكْتَة المُتقدِّمة.

الفارق بين مُصطلح : (الإِعتبار) و (التنزيل)

هناك فارقان بين مُصطلح : (الإِعتبار) ومُصطلح : (التنزيل) ، أَحدهما نظريّ ، والآخر عمليّ ، حاصلهما :

أَمَّا النَّظري : فإِنَّه في باب الإِعتبار يكون نظر المُعْتَبِر غير مُتوجِّهٍ إِبتداءً

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٦ : ٣١٧/ ح٨٣. تفضيل الأَئمَّة : (مخطوط).

(٢) المصدر نفسه / ح٨٢.

إِلى الآثار ، بل لا يلحظها ؛ فلو إِعتبر ـ مثلاً ـ الأَمارة فرداً من أَفراد العِلْم ومصداقاً له ؛ فيوسِّع من عقد وضع العِلْم ويجعل له مصداقاً إِضافيّاً ، وهذا ما يُصطلح عليه بـ : (الحقيقة السَّكاكيَّة).

إِذَنْ : نظر المُعْتَبِر لم يتمركز ويتوجَّه إِلى الآثار ، وإِنَّما توجَّه إِلى إِعتبار هذا فردٌ من أَفراد ذاك.

وهذا بخلافه في باب التنزيل ، فإِنَّ مصبَّ نظر المُنزِّل إِبتداءً مُتوَجِّهاً إِلى الآثار ، فحينما يقول ـ مثلاً ـ : نزَّلتُ الأَمارة منزلة العِلْم ؛ يعني : بلحاظ آثارها.

فأركان التنزيل ثلاثة ، ففي المثال :

١ـ المُنزَّل ، وهو : (الأَمارة).

٢ـ المُنزَّل عليه ، وهو : (العِلْم).

٣ـ الآثار. وهذا هو الركن الأَساسي في عمليَّة التنزيل.

وأَمَّا الفارق العملي : فإِنَّه في الإِعتبار لا يُمكن التَّمسُّك بإِطلاقات الأَدلَّة لشمولها للآثار.

نعم ، من باب صيانة كلام الحكيم عن اللَّغْوِيَّة لابُدَّ من ملاحظة بعض الآثار ، ويُقتصر فيها على القدرة المُتيقَّن.

وهذا بخلاف التنزيل ؛ فإِنَّ الآثار ما دامت ملحوظة للمُنزِّل فيُتمسَّك بإِطلاقات الأَدلَّة ـ أَي : إِطلاق التنزيل ـ لشمول جميع الآثار ، حيث يُقال :

لَـمَّا لم يُقيَّد التنزيل بأثرٍ لزم أَنْ يكون ـ التنزيل ـ بلحاظ جميع الآثار.

وبالجملة : بيان الآية الكريمة لَـمَّا نزَّل نفس وذات وحقيقة أَمِير الْمُؤْمِنِين عليه السلام منزلة نفس وذات وحقيقة سَيِّد الْأَنْبِيَاء صلى الله عليه وآله نزَّلها بلحاظ جميع الآثار والمقامات والفضائل والكمالات ؛ فكُلّ ما مُتِّع به سَيِّد الْأَنْبِيَاء صلى الله عليه وآله مُتِّع به أَمِير الْمُؤْمِنِين وتبعاً له سائر أَهْل الْبَيْتِ (صلوات اللّـه عليهم) إِلَّا ما خرج بالدَّليل ، وهو : النُّبوَّة والأَزواج ـ كما تقدَّم ـ ، ومن ثَمَّ يكون ثبوت الشّهادة الثَّالثة في تشهُّد الصَّلاة وما شاكله ـ كالأَذان والإِقامة ـ كثبوت الشَّهادة الثَّانية فيها ، والنُّكْتَة ما تقدَّمت الإِشارة إِليه ، فتأمَّل جيِّداً.

وإِلى كُلّ هذا يُشير بيان الإِمام الرِّضا (صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ) في جوابه عَلَى سؤال المأمون : « ... أَخبرني بأَكبر فضيلة لأَمِير الْمُؤْمِنِين عليه السلام يدلّ عَلَيها القرآن ... فقال الرِّضا عليه السلام : **فضيلة[1] في المباهلة ... فدعا رسول اللّـه صلى الله عليه وآله ... أَمِير الْمُؤْمِنِين عليه السلام فكان نفسه بحكم اللّـه عز وجل ، وقد ثبت أَنَّه ليس أَحَد مِنْ خلق اللّـه تعالىٰ أَجلَّ من رسول اللّـه صلى الله عليه وآله وَأَفضل ، فواجب (فوجب خ.ل) أَنْ لا يكون أَفضل مِنْ نفس رسول اللّـه بحكم اللّـه (جَلَّ وَعَزَّ) ...**»[2].

ودلالته واضحة.

البيان الثَّاني : بيان سَيِّد الْأَنْبِيَاء مُخاطباً أَمِير الْمُؤْمِنِين (صَلَوَاتُ اللهِ

---

(١) في المصدر : (فضيلته). وفي نسخة أُخرىٰ: (فضيلة في القرآن في المباهلة).

(٢) بحار الأَنوار ، ٣٥ : ٢٥٧ ـ ٢٥٨. الفصول المختارة ، ١ : ١٦ ـ ١٧.

عَلَيْهِمْا وَعَلَى آلهما) : « ... **وَمَا أَكرمني اللَّـه بكرامةٍ إِلَّا وأَكرمك بمثلها ، ... والَّذي بعثني بالحقِّ نبيّاً ما آمن بي مَنْ أَنكرك ، وَلَا أَقَرَّ بي مَنْ جَحَدَك ، ولا آمن باللَّـهِ مَنْ كفر بِكَ ، وإِنَّ فضلكَ لمن فضلي ، وإِنَّ فضلي لفضل اللَّـه ... واللَّـه يا عَلِيّ ... ولقد ضَلَّ مَنْ ضَلَّ عنكَ ، ولن يهتدي إِلى اللَّـه مَنْ لم يهتدِ إِليكَ وإِلى ولايتكَ ... ولقد أَمَرَني ربِّي تبارك وتعالىٰ أَنْ أفترض من حقّكَ ما افترض مِنْ حَقّيِّ ، وإِنَّ حَقَّكَ لمفروض عَلَى مَنْ آمن بي ، ولولاك لم يُعرف عدوّ اللَّـه** [(١)]**، وَمَنْ لم يلقه بولايتك لم يلقه بشيءٍ ...**»[(٢)].

ودلالته واضحة ؛ فإِنَّ تقريب الدِّلالة مُرَكَّبٌ من مُقَدَّمتين :

الأُولَىٰ : أَنَّ قَرْنَ اسم سَيِّد الْأَنْبِيَاء ﷺ عَلَى نحو اللُّزُوم من خلال الشَّهادة الثَّانية في تشهُّد الصَّلاة وما شاكله باسم الباري (تقدَّسَ ذِكْره) مِنْ خلال الشَّهادة الأُولىٰ مقام إِلٰهيّ رفيع ، وكرامة وفضيلة وهِبَة إِلٰهيَّة عظيمة جِدّاً ، حبته ومتَّعته بها يد السَاحَةِ الْإِلٰهِيَّةِ.

وهذه مُقدِّمة بديَّهية وواضحة.

المُقدِّمة الثَّانية : أَنَّ هذا البيان الوحيانيّ الشَّريف قاضٍ بأَنَّ : كُلَّ ما متَّعتَ به يدُ سَاحَةِ الْقُدْسِ الْإِلٰهِيَّةِ سَيِّد الْأَنْبِيَاء ﷺ وما فرضتْ له من مقاماتٍ وكَرَامَاتٍ وفضائلَ وهباتٍ وحبواتٍ إلٰهيّةٍ مَتَّعتْ به أَيضاً يدُ سَاحَةِ

---

(١) في المصدر: (لم يُعرف حزب اللَّـه ، وبكَ يُعرف عدوّ اللَّـه).

(٢) بحار الأَنوار ، : ٦٤ـ ٦٥/ ح٤٩.

الْقُدْسِ الْإِلٰهِيَّةِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِين وفرضته له وتبعاً له سائر أَهْل الْبَيْتِ (صلوات اللّـه عليهم) .

والنتيجة : إِنَّه حيث دلَّ الدَّليل عَلَى وجوب ولزوم قرن الشَّهادة الثَّانية في تشهُّد الصَّلاة وما شاكله بالشَّهادة الأُولىٰ وجب ولزم أَيضاً قرن الشَّهادة الثَّالثة بالأُولىٰ في تلك الموارد.

ومعناه : وجوب ولزوم ، بل ضرورة ثبوت الشَّهادة الثَّالثة بالضَّرورة الإِلٰهيَّة والعقليَّة في تَشهُّد الصَّلاة وما شاكله ؛ لضرورة ثبوت الشَّهادة الأُولىٰ بالضَّرورة الإِلٰهيَّة والعقليَّة في تلك الموارد ؛ لتقوُّم ماهيات وحقائق العبادات في هذه الموارد بالتَّوحيد ، ومع عدمه تكون ماهيَّات وحقائق هذه العبادات من باب السَّالبة بانتفاء موضوعها. فالتفت ، وتدبَّر جَيِّداً تَرِبَت يداك.

البيان الثَّالث : إِطلاق بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام : « **إِذا قال أَحدكم : (لا إِلٰهَ إِلَّا اللّـه مُحَمَّد رسول اللّـه) فليقل : (عَلِيّ أَمِير المُؤْمِنِين وليّ اللّـه)** »[1] .

ودلالته واضحة ـ ببركة لام الأَمر الداخلة على الفعل المضارع (فليقل) ، الدالَّة ـ على وجوب قرن الشَّهادة الثَّالثة بالشَّهادة الأُولىٰ والثَّانية في مُطلق الموارد ، فتكون دالَّة على ما تقدَّم من الإِقتران الأَكيد والترابط الوثيق بين أَركان وقوائم التَّوحيد الثلاثة ـ والَّتي إِذا انتفىٰ أَحدها أَنتفىٰ التَّوحيد من أَساسه ـ المُتمثِّلة بالشَّهادات الثلاث في تشهُّد الصَّلاة وما شاكله ، كالأَذان والإِقامة ؛ لأَنَّها ـ كما تقدَّم ـ مأخوذة بشرط المجموع وعلى نحو الكُلِّي

(١) بحار الأَنوار ، ٣٨ : ٣١٨.

الطبيعي ، بل حقيقة الشَّهادة الثَّالثة ـ كالثَّانية ـ داخلة في حقيقة الشَّهادة الأُولىٰ ؛ لأَنَّهما ـ كما تقدَّم ـ أَفعالٌ إِلٰهيَّةٌ ، فتكونا داخلتين في الشَّهادة الأُولىٰ ، أَي : في التَّوحيد الأَفعالي ، ومن ثَمَّ يكون عطف الشَّهادة الثَّالثة ـ كالثَّانية ـ عَلَى الشَّهادة الأُولىٰ من باب عطف الخاصِّ عَلَى العام ، وبعدما كانت الشَّهادة الأُولىٰ والثانية واجبة ، بل ضرورة إِلٰهيَّة في تشهُّد الصَّلاة ومن مقوِّماته ومقوِّمات الصَّلاة والأَذان والإقامة وما شاكلها ـ لأَنَّ قِوَام ماهيَّة العبادة بالتَّوحيد ـ وجبت من دون ريب ولا إِشكال ، بل ثبتت بالضَّرورة الإِلٰهيَّة والعقليَّة أَيضاً الشَّهادة الثَّالثة في هذه الموارد وكانت من مقوِّماتها.

البيان الرَّابع : بيان الإِمام الباقر عليه السلام ، عن بكر بن حبيب ، قال : « سألت أبا جعفر عليه السلام عن التَّشَهُّد فقال : **لو كان كما يقولون واجباً على النَّاس هلكُوا ، إِنَّمَا كان القوم يقولون أَيْسَرَ ما يعلمون ، إِذا حمدت اللّٰـه أَجزأ عنكَ**»[1].

وبيانه عليه السلام ، عن بكر بن حبيب أَيضاً ، قال : « قلتُ لأَبي جعفر عليه السلام : أَيَّ شيءٍ أَقولُ في التَّشَهُّد والقُنُوتِ ؟ قال : **قُلْ : يا حسن (بأَحْسَنِ خ.ل) ما عَلِمْتَ ، فإِنَّه لو كان مُوَقَّتاً لَهَلَكَ النَّاسُ** »[2].

ودلالتهما على وجوب الشَّهادة الثَّالثة في تشهُّد الصَّلاة قد اِتَّضَحَتْ ؛ فَإِنَّ الشيء الَّذي يلزم من تحديده هلاك النَّاس في ظرف التقيَّة إِذا وجب ذكره

---

(١) وسائل الشيعة ، ٤: ٩٩٣ـ٩٩٤/ب : ٥/ح٣. الكافي ، ٣ : ٤٦٨/ح١. التَّهذيب، ٢ : ١٠١/ح٣٧٨. الاستبصار ، ١ : ٣٤٢/ح١٢٨٨.

(٢) وسائل الشيعة ، ٤ : ٩٩٣/ ب : ٥/ح١. الكافي ، ٣: ٤٦٨/ح٢.

في تشهُّد الصَّلاة لا يخلو حاله بقياس (السَّبْر والتَّقسيم) من أَحد أُمور أَربعة لا خامس لها : إِمَّا الشَّهادة الأُولىٰ ، أَو الثَّانية ، أَو الثَّالثة ، أَو الصَّلاة على النَّبيِّ وآله ، والشَّهادة الأُولىٰ والثَّانية والصَّلاة على النَّبيِّ وآله كانت في زمن التقيَّة تُذْكَر ولا حزازة فيها بين فِرَق المسلمين بعدما كان الطرف الآخر يذكرها أَيضاً في صلاته ، فانحصر الأَمر في الشَّهادة الثالثة ؛ فهي الواجب الَّذي يُوجِب في ظرف ذلك الزمان على من يذكره في تشهُّد صلاته الهلاك.

إِذَنْ : الشَّهادةُ الثَّالثةُ واجبةٌ تعييناً على المُكلَّف في تشهُّد الصَّلاة . لكن : في ظرف التقيَّة لَـمَّا كان يلزم من وجوبها هلاك النَّاس لزم سقوط ذلك الْوُجُوب ؛ حفاظاً على الأَنفس ، والحُكْم بدلاً عنه بالوجوب التَّخييري ؛ حفاظاً على مورد وموضع التَّشَهُّد ، وهذا حُكْمٌ ثانويٌّ واردٌ في مورد الإِضطرار ، كسائر أَحكامه ؛ كجواز ، بل وجوب أَكل لحم الميتة إِذا خاف المُكلَّف على نفسه الهلاك جوعاً ، لكن إِذا زالت التقيَّة وزال معها الإِضطرار ـ وهو موضوع الحكم الثانوي الحاكم بالتخيير في تشهُّد الصَّلاة ؛ والحاكم بجواز أَو وجوب أَكل لحم الميتة في حال خاف المُكلَّف على نفسه الهلاك جوعاً ـ زال وارتفع تبعاً له الحكم الثانوي القاضي بالتخيير في كلمات تشهُّد الصَّلاة ، والحاكم بجواز أَو وجوب أَكل لحم الميتة ، وعادَ الْحُكْمُ الأَوَّليُّ إِلى حالتهِ الطبيعيَّةِ ، وهي : وجوب الإِتيان بالشَّهادات الثلاث في تشهُّد الصَّلاة، وحرمة أَكل لحم الميتة.

وعليه : تكون الشَّهادة الثَّالثة ـ كالشَّهادة الأُولىٰ والثَّانية ـ واجبة ، بل

ضرورة إِلٰهيَّة وعقليَّة[1] في زماننا هذا في تشهُّد الصَّلاة وما شاكله كالأَذان والإِقامة.

ولأَجل ذلك التَّرابط الوثيق والاقتران الأَكيد بين أَركان التَّوحيد ومقاماته الثَّلاثة ، ولأَجل ما تقدَّم من إِنخرام وانعدام التَّوحيد ـ والَّذي هو روح الصَّلاة ، بل مُطلق العبادات وجوهرها ومُقوِّمها ـ بانخرام وانعدام أَحد أَركانه الثَّلاثة المُتمثِّلة في الشَّهادات الثلاث ـ ؛ لكونها أُخذت بشرط المجموع ومن باب الكُلِّي الطبيعي ، بل أَنَّ حقيقة الشَّهادة الثَّالثة كالثَّانية داخلة في حقيقة الشَّهادة الأُولىٰ ؛ لأَنَّهما أَفعال إِلٰهيَّة ، فتكونا داخلتين في حقيقة الشَّهادة الأُولىٰ ، أَي : في التَّوحيد الأَفعالي ، ومن ثَمَّ يكون عطف الشَّهادة الثَّالثة كالثَّانية عَلَى الشَّهادة الأُولىٰ من باب عطف الخاصّ عَلَى العام ـ لم يعتنِ عليه السلام بالشَّهادتين في ظرف التقيَّة ، ولم يحكم بوجوبهما أَو وجوب إِحداهما ، وحفاظاً على موضع وموقعيَّة التشهُّد في الصَّلاة اِكْتَفَى (صَلَوَاتُ اللهَّ عَلَيْهِ) في تشهُّد الصَّلاة (ذكر أَحسن ما علمه المُكلَّف وأَيسر ما يعلمه) ؛ كالإِتيان بكلمة : (الحمد لِلّٰـه) ، وإِلَّا ـ أَي : لو كانت شرائط وواجبات التَّشَهُّد وأَركانه الثَّلاثة مأخوذة بنحو الإِفراد ـ لكان أَنْ يقول الإِمام (صَلَوَاتُ اللهَّ عَلَيْهِ) بوجوب وعدم سقوط الشَّهادة الأُولىٰ والثَّانية ؛ فإِنَّ سقوط أَحَد الشرائط والواجبات المُستقلِّة الضمنيَّة لسبب ما ـ كالتقيَّة ـ لا يستلزم سقوط سائر الشرائط والواجبات.

---

(١) تقدَّم بيان وتقريب هذه الضَّرورة ؛ فراجع إِنْ شئت.

وما يأتي به المُكلَّف في تشهُّد الصَّلاة في ظرف التقيَّة وإنْ كان مُجزٍ في ظرفه ، لكنَّ صلاته الَّتي يأتي بها صورة صلاة خالية من محتواها وروحها وجوهرها ، وهو : (التَّوحيد) المُتَمَثِّل بالشَّهادات الثَّلاث ـ كما تقدَّم ـ . فالتفت ، واغتنم تَرِبَتْ يداك.

طوائف بيانات الوحي الواردة في تشهُّد الصَّلاة

ومنه تتَّضح : مجموع طوائف بيانات الوحي الواردة في باب تشهُّد الصَّلاة ؛ فإنَّها على طوائف أَربع :

أَحدها : مُصرِّحة بالتخيير.

ويُمثِّلها :

ما تقدَّم في هذا البيان الوحيانيّ للإمام الباقر صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ.

الأُخرىٰ : ظاهرة في وجوب الشَّهادة الأُولىٰ حَسْبُ.

ويُمثِّلها :

بيان الإمام الباقر عليه السلام ، عن زرارة ، قال : « قلتُ لأَبي جعفر عليه السلام : ما يجزي من القول في التَّشَهُّد في الرَّكعتين الأَوَّلين ؟ قال : **أَنْ تقول : أَشهد أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰـه وحده لا شريكَ له** . قلتُ : فمَا يجزي من تَشهُّد الركعتين الأخيرتين ؟ فقال : ...»[1].

---

(١) وسائل الشيعة ، ٤ /ب٤ : باب وجوب الشَّهادتين في التشهُّد : ٩٩١ ـ ٩٩٢/ح١.

الثالثة : ظاهرة في وجوب الشَّهادتين فقط.

ويُمثِّلها :

١ـ بيان الإِمام أَبي جعفر عليه السلام ، عن سورة بن كليب ، قال : « سألتُ أَبا جعفر عليه السلام عن أَدنىٰ ما يجزي من التشهُّد ، قال : **الشَّهادتان**»[١].

٢ـ بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام ، عن مُحمَّد بن مسلم ، قال : « قلت لأَبي عبد اللّـه عليه السلام : التَّشَهُّد في الصَّلاة ؟ قال : **مرّتين** ، قال : قلت : وكيف مرّتين؟ قال : **إذا استويت جالساً فقل : أَشهد أَنْ لا إِلٰه إِلَّا اللّـه ، وحده لا شريك له ، وَأَشهد أَنَّ محمّداً عبده ورسوله ثُمّ تنصرف...**»[٢].

الرَّابعة : ظاهرة في وجوب الشَّهادتين مع الصَّلاة على مُحَمَّد وآل مُحَمَّد.

ويُمثِّلها :

بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام : « **التشهُّد في الركعتين الأُوَّلتين : الحمد لِلّـه ، أَشهدُ أَنْ لا إِلٰه إِلَّا اللّـه وحده لا شريك له ، وأَشهدُ أَنَّ مُحَمَّداً أَعبده ورسوله، اللَّهُمَّ صَلِّ على مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد** ...»[٣].

ودلالة الجميع واضحة.

---

(١) وسائل الشيعة ، ٤: ٩٩٣/ ح٦.

(٢) المصدر نفسه : ٩٩٢/ ح٤.

(٣) المصدر نفسه ، ٤ / ب٣ : كيفيَّة التشهُّد وجملة من أَحكامه : ٩٨٩/ ح١.

الجمع بين هذه الطوائف بعد تعارضها

إنَّه بعد التَّعارض[1] بين هذه الطوائف الأَربع ـ والَّتي كُلَّ واحدةٍ منها

---

(١) قبل الدخول في صميم حلّ التعارض بين هذه الطوائف الأَربع لا بأس بالإلتفات إلى الأُمور الثلاثة التَّالية :

الأَوَّل : أَنَّ الجمع بين بيانات الوحي المعرفيَّة في أَبواب المعارف أَصعب وأَعظم من الجمع بين بياناته الشَّرعيَّة في أَبواب فقه الفروع.

الثَّاني : أَنَّ هناك نُكْتَة لطيفة ؛ ومنهاج نظام وارد في أَبواب المعارف الإلٰهيَّة ؛ وفي بيانات الوحي المعرفيَّة ذكرها الحكيم الشيعي المُلَّا صدرا تأتي في حلِّ ورفع الإصطكاك والتنافي والتَّعارض بين بيانات الوحي ينبغي الإلتفات إليها ، حاصلها: أَنَّ هناك بيانات وحيانيَّة وغيرها حقّ وصحيحة في نفسها ، وهناك بيانات وحيانيَّة وغيرها أُخرىٰ أَحقّ وأَصحّ ، ثُمَّ إنَّ الأَحقَّ والأَصحَّ على مراتب ودرجات ، وبذلك يندفع ما ظاهره الإصطكاك والتضارب والتنافي بين كثير من بيانات الوحي وغيرها.

الثَّالث : أَنَّه إذا أَمكن الجمع العقلي في أَبواب المعارف بين بيانات الوحي الَّتي ظاهرها التنافي فلا تصل النوبة إلى القول بتدافعها وتناقضها.

والمراد من الجمع العقلي بين الدلالات : توليف وتنسيق عقلي بين المضامين.

وبالجملة : هناك فرق بين جمع الدلالات في علوم الحقائق ـ كـ : (عِلْم الكلام) و(علوم المعارف) و(عِلْم المعقول) ـ والجمع بينها في العلوم القانونيَّة الإعتباريَّة ـ كـ : (عِلْم فقه الفروع) ـ .

لكنَّنا في مقام حلِّ التعارض في هذا المورد جرينا عَلَى وفق الجمع وحلّ التعارض في عِلْم فقه الفروع. فالتفت . وإلَّا فلا يوجد تنافي بين دلالات هذه الطوائف ؛ فإنَّ مضامينها متناسقة عقلاً مع الطائفة الأُولىٰ بحسب ما قدَّمناه من بيان.

تُثبت مضمونها من خلال منطوقها ، وتنفي من خلال مفهومها مضمون ما عداها من سائر الطوائف الأَربع ؛ فإطلاق منطوق الطَّائفة الأُولىٰ يقول : إِنَّ المُكلَّف مُخيَّرٌ في مصاديق التَّشَهُّد الواجب في ظرف التقيَّة ؛ سوآء كان بذكر الشَّهادة الأُولىٰ فقط ، أَو بضمّ الثَّانية إِليها ، أَو بضمّ الصَّلاة على النَّبيّ وآله (صَلَوَاتُ اللَّـهِ عَلَيْهِم) إِليهما ، أَو بكفاية قول المُصَلِّي : (الحمد لِلّٰـه) ، وتكون هذه المصاديق من الواجب التخييري مسقطة للوجوب ومبرأة للذمَّة في ظرف التقيَّة.

وتنفي هذه الطَّائفة من خلال مفهومها منطوق بقيَّة الطوائف الأَربع القاضية بوجوب مؤدَّاها تعييناً ؛ فلا تجب الشَّهادة الأُولىٰ بخصوصها ، الثَّابت وجوبها التعييني بظاهر منطوق الطَّائفة الثَّانية ، ولا الشَّهادتين بخصوصيَّتهما الثَّابت وجوبها التعييني بظاهر منطوق الطَّائفة الثَّالثة ، ولا بضمِّ الصَّلاة على النَّبيّ وآله صلَّىٰ اللّٰـه عليهم إِليهما بخصوصيَّتها الثابت وجوبها التعييني بظاهر منطوق الطَّائفة الرَّابعة ـ يُمكن [1] الجمع بينها من خلال الوجوه والمعالجات الطوليَّة الثَّلاث التَّالية الَّتي تصبّ جميعها لصالح الطَّائفة الأُولىٰ الحاكمة بالوجوب التَّخييري في ظرف التقيَّة.

---

(١) هذه العبارة وما بعدها تعود إِلى صدر المطلب ، أَي : قبل الشارطة الأُولىٰ ، فتكون العبارة كالتالي : (إِنَّه بعد التعارض بين هذه الطوائف الأَربع يمكن الجمع بينها...).

الوجه الأَوَّل :

تقدُّم قطعي الصدور على ظنيِّ الصدور

إِنَّه من يُلاحظ الطائفة الأُولىٰ والمعضودة بما ذكرناه من البيانات الوحيانيَّة والعقليَّة المُتقدِّمة في هذه المسألة وفي المسائل والمباحث المُتقدِّمة والتَّالية ، المُترادفة معها بالترادف العقلي المُورِث للقطع واليقين العقلي فسيجد أَنَّها مُورِثة للقطع واليقين العقلي ، بل والوحياني بحُجِّيَّة مضمونها وصدورها عن معدن الوحي والطهارة ، فتكون مُتقدِّمة على بقيَّة الطَّوائف الأَربع من جهة الصدور ؛ لأَنَّها[1] على أَفضل التقادير هي صحيحة السند ، وصحَّة السند لا تُورِث إِلَّا الظن المُعتبر بصدورها عن معدن الوحي والطَّهارة ، وهو في حالة المعارضة لا يُقاوم القطع واليقين ، فتكون الطَّائفة الأُولىٰ مُتقدِّمةً من جهة الصدور على بقيَّة الطوائف الأَربع ومسقطةً لحُجيَّة واعتبار صدورها.

والنتيجة : أَنَّ فقرات تشهُّد الصَّلاة وإِنْ كانت واجبةً عَلَى المُكلَّف تعييناً ، لكنَّها في ظرف التقيَّة واجبةٌ عليه بالوجوب التَّخييري ، وهذا نفس مضمون الطَّائفة الأُولىٰ المقطوع صدورها بالقطع واليقين العقلي ، ومن ثَمَّ تسقط بقيَّة الطَّوائف الأَربع المعارضة لها عن الإِعتبار والحُجِّيَّة من جهة صدورها ، فتبقىٰ الطَّائفة الأُولىٰ بلا معارض ، وتكون هي المُحَكَّمَة.

---

(١) مرجع الضمير : (بقيَّة الطوائف الأَربع).

الوجه الثَّاني:

تقدُّم الصريح أَو الأَظهر على الظاهر

ولو غضضنا النظر عمَّا تقدَّم وافترضنا أَنَّ الطَّائفة الأُولىٰ كبقيَّة الطوائف الأَربع ظنيَّة الصدور أَيضاً بالظَّنِّ المُعتبر فنقول في المقام: حيث إِنَّ الطائفة الأُولىٰ صريحة في الوجوب التخييري، بخلاف بقيَّة الطوائف الأَربع ـ؛ فإِنَّ كُلَّ واحدةٍ منها ظاهرة في وجوب موردها، ولقانون: «كُلَّما اجتمع صريح وظاهر أُوِّل الظَّاهر لصالح الصريح»؛ لأَنَّ النصَّ والصريح يصلح للقرينيَّة على التصرُّف في الظاهر ـ حُملت وأُوِّلَت بقيَّة الطَّوائف الأَربع لصالح الطائفة الأُولىٰ، وحُكِم ـ بقرينة الطائفة الأُولىٰ ـ: باستحباب مواردها الثلاثة؛ كأَحد مصاديق الحُكْم بالوجوب التخييري في ظرف التَّقيَّة.

وبالجملة: إِذا كان أَحد الدليلين المتعارضين نصّاً أَو أَظهر، بخلاف الآخر، قُدِّم عُرْفاً عَلَى الآخر.

مثال ذلك: لو كان أَحدهما يقول: (لا بأس بترك صلاة الجمعة في زمن الغيبة)، والآخر يقول: (صلِّ في زمن الغيبة صلاة الجمعة)، قدَّم العُرف الأَوَّل؛ لأَنَّه صريح في جواز الترك، وأُوِّل الثاني لصالح الأَوَّل، وحُمل ـ الثاني؛ بقرينة الأَوَّل ـ عَلَى الأَستحباب بعد ظهوره في الوجوب.

بعد الإلتفات : أَنَّه يكفي في الجمع بالتخيير إحتمال ثبوت الأَدلَّة المتعارضة بالتعارض المستقر معاً.

والوجه : أَنَّ الإنسان العرفي ـ كحال الإمام عليه السلام في هذه الأَدلَّة الثَّلاثة ـ قد يتسامح ويذكر أَحد فردي أَو أَفراد الواجب التخييري ويسكت عن الفرد الآخر أَو الأَفراد الأُخرىٰ ، كما في كفَّارة الإفطار في نهار شهر رمضان على المُحلَّل ، فإنَّه يمكن للمجيب ذكر الإطعام من بين خصال الكفَّارة ويسكت عن البدل . إنَّ مِثْل هكذا جواب يكون سائغاً ومقبولاً عرفاً.

لكن : مِثْل هذا الجواب لا يكون مقبولاً عرفاً لو كان وجوبها تعيينيّاً ، كما في كفَّارة الإفطار على المُحرَّم ؛ فإنَّه لو كانت هي الجمع بين الخصال الثلاث فلا يجوز عرفاً الإقتصار على ذكر بعضها.

وبالجملة : يُبنىٰ على التخيير فيما إذا اتَّحد الموضوع واختلف الحُكْم ، وتُرفع اليد عن التعيين بلا حاجة إلى الجزم من الخارج بعدم احتمال ثبوتهما معاً.

وهذه النتيجة تصبُّ في صالح الطائفة الأُولىٰ ؛ كما هو واضح.

الوجه الثّالث :

تقدُّم المخالف لأَخبار وآراء العامَّة

ولو غضضنا النظر مرَّة أُخرىٰ عمَّا تقدَّم فيمكن معالجة هذا التعارض المستقرّ بمعالجةٍ طوليَّةٍ أُخرىٰ ؛ تصبُّ في صالح الطائفة الأُولىٰ أَيضاً ؛ القائلة

بـ : (التخيير في كلمات تشهُّد الصَّلاة في ظرف التقيَّة ، وكحُكم ثانوي) ؛ وذلك أَنْ يُقال : إِنَّه بعد إِستحكام التَّعارض بين هذه الطوائف الأَربع يُذهب إِلى باب المُرجِّحات ، وهي تحكم في المقام بسقوط الطوائف الثَّلاث عن الحُجِّيَّة والإِعتبار ، الظاهرة في الوجوب التعييني ؛ لموافقتها لأَخبار وآراء العامَّة في زمان أَئمَّة أَهْل الْبَيْتِ (صلوات اللّٰـه عليهم) ؛ لأَنَّ الرشد في خلافهم ، ومن ثَمَّ تبقىٰ الطائفة الأُولىٰ ـ الحاكمة بالتخيير في كلمات تشهُّد الصَّلاة في ظرف التقيَّة ؛ وكفاية الإِتيان بأَحسن أَو بأَيسر ما يعلمه المُكلَّف ، ككلمة : (الحمدُ لِلَّـه) ؛ حفاظاً على موضع ومورد التشهُّد في الصَّلاة [1] ـ هي المُحَكَّمَة من دون مُعَارِض.

هذه جملة من بيانات الوحي الغفيرة الدَّالَّة عَلَى وجوب ولزوم الاتيان بالشَّهادة الثَّالثة في تشهُّد الصَّلاة وما شاكله كالأَذان والإِقامة ، وقد مرَّ ، بل وسيأتي (إِنْ شَآءَ اللَّـهُ تَعَالَىٰ) في المسائل والأَبحاث السابقة واللَّاحِقة شطراً من سائر أَدلَّتها.

وهذه الأَبحاث وما ذكرناه من وجوه غير مُنَقَّحة في البحوث الفقهيَّة.

وبعد تنقيح هذه المسألة بهذا الشكل والبيان يصير جواز ، بل وجوب ، بل ضرورة ذِكْر الشَّهادة الثَّالثة في تشهُّد الصَّلاة وما شاكله أَمراً واضحاً

---

(١) هذه الشارطة عِدْل للشارطة المُتقدِّمة قبل سطرين ؛ أَي : قبل كلمة : (الحاكمة بالتخيير) ؛ فتكون العبارة هكذا : (ومن ثَمَّ تبقىٰ الطائفة الأُولىٰ هي المُحَكَّمَة من دون مُعَارِض).

وجليّاً كالشَّمس الضَّاحية.

ثُمَّ إِنَّ مَنْ يُناقش في هذه القضيَّة البديهيَّة الجليَّة الواضحة يكون مُصاباً بالداء العضال الَّذي أُصيبت به العامَّة العمياء ، فإِنَّ ديدنهم جرىٰ على مناقشة وإِسقاط حُجِّيَّة الأُمور البديهيَّة الواضحة ، كحُجِّيَّة بيعة الغدير ، وحُجِّيَّة مضمونها فيحتالون لإِسقاط حُجِّيَّتها القطعيَّة : إِمَّا مِنْ جهة السند ، أَو من جهة الدلالة بعد لَيّ أَعناق بيانات الوحي الصريحة الواضحة إِلى ما تهواه أَنفسهم الأَمَّارة بالسوء ، ولم يجعلوا بين أَعينهم أَنَّهم سيقفون أَمام الحقيقة : ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾[1] ، فلنكن أَحراراً وعُبَّاد الحقيقة ، فإِنَّنا أَبناء الدَّليل أَينما مال نميل[2]. والإِنسان

---

(١) الحج : ٢.

(٢) يجدر في المقام الإِلتفات إِلى القضيَّة التَّالية :

تَعَصِّي البعض عن قبول ما ورد في حقِّ أَهْل الْبَيْتِ عليهم السلام

إِنَّ البعض مِـمَّن يدَّعي ويزعم انتسابه إِلى مَدْرَسَة أَهْل الْبَيْتِ (صلوات اللّـه عليهم) لا يقبل ببيانات الوحي الواردة في حقِّهم ، ويرفض طُرق العامَّة فضلاً عن طُرق الخاصَّة ، وكأَنَّه يقطع نفسه عن تراث السُّنَّة الشَّريفة.

وقد حكمت كلمة المسلمين بالإِجماع على مَنْ يقطع نفسه عن هذا التراث العظيم والخطير بـ : الخروج عن مِلَّة المسلمين ؛ فإِنَّ أَقلّ وأَدنىٰ مراتب الإِسلام ؛ ولا يصير الشخص من عبدة الشَّيطان قبوله بالروايات المتواترة بين الفريقين.

←

→ والإنسان وإنْ كان حرّاً في ذلك، لكن : عليه أَنْ يعلن عن نفسه ، ويكون صريحاً مع الآخرين ، ولا يخدعهم ، ولا يُشبِّه ولا يُزيِّف عليهم : أَنَّه من المُتشبِّثين ببيانات الثقلين ، والصدق هو الأَهم ، والخداع معيب ودجل ومكر وخديعة.

وإلى أَصحاب هذا الخطّ يُشِير بيانات الوحي ، منها :

بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله: «... **أَيُّها النَّاس ، مالكم إذا ذُكر إبراهيم وآل إبراهيم أَشرقت وجوهكم ، وإذا ذكر مُحمَّد وآل مُحمَّد قست قلوبكم وعبست وجوهكم؟! والَّذي نفسي بيده لو عمل أَحدكم عمل سبعين نبيّاً لم يدخل الجنَّة حتَّىٰ يحبّ هذا أَخي عليّاً وولده ، ثُمَّ قال** عليه السلام : **إنَّ للّـه حقّاً لا يعلمه إلَّا أَنا وَعَلِيّ ، وإنَّ لي حقّاً لا يعلمه إلَّا اللّـه وعَلِيّ ، وله حقّ لا يعلمه إلَّا اللّـه وأَنا**». [بحار الأَنوار ، ٢٧: ١٩٦/ح٥٦. الروضة: ١٤٧].

ودلالته واضحة ؛ فإنَّ أَصحاب هذا الخطّ والمنهج والمسلك ومن جرىٰ على شاكلتهم يُحاولون بكُلِّ ما أُوتوا من صنعةٍ ـ بدعوىٰ التَّحقيق ـ بهدم كُلّ ما ورد من شؤونٍ وأَحوالٍ ومقاماتٍ وفضائلٍ وكمالاتٍ في حقِّ أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) تحت ذريعة: الغُلُوّ ؛ وما شاكله من ادِّعاء: ضعف السند أَو الدلالة أَو عدم المقبوليَّة؛ وإنْ كان ذلك ثابتاً بعشرات، بل بمئآت الطُّرق والبيانات العقليَّة والوحيانيَّة والسِّيَر والنقول التأريخيَّة وما شاكلها، وكانت دلالاتها صريحة وواضحة كالشَّمس الضاحية ولا غبار عليها، وفي مقابل ذلك لا يتورَّعون ولا تجد هذه الحساسيَّة موجودة عندهم في حقِّ سائر المخلوقات، فيتشَبَّثون من دون أَيّ تقوىٰ بكُلِّ شاردةٍ وواردةٍ، كتشبُّث الغريق بالطحلب؛ لإثبات مقامات وكرامات وفضائل وكمالات لسائر المخلوقات، ولا يعتنون بسندها ولا بدلالتها، فَمَا عَدَا مِمَّا بَدَا.

وقد ورد في بيانات الوحي ، منها : ←

حرّ في عقيدته ، لكنَّه مسؤول عنها. وهذه من القضايا الواضحة ، لكن أُتي بها للتَّذكير.

منهج التَّفكيك في مقام الاستنباط بين فروع الدِّين وأُصوله يُعمي الحقيقة

ونُكْتَة عدم اِلتفات البعض من الفقهاء إِلى ما ذكرناه من وجوب ، بل ضرورة ثبوت الشَّهادة الثَّالثة في تشهُّد الصَّلاة وما شاكله من سائر العبادات الواجبة فيها الشَّهادتين ، ومن ثَمَّ حكموا ببطلان الصَّلاة بِذِكْرِ الشَّهادة الثَّالثة في تشهدها ؛ تمسُّكاً بعدم الدَّليل ، وقاعدة التَّوقيفيَّة في العبادة ، وغفلوا أَو تغافلوا عن بيانات الوحي المعرفيَّة والبراهين العقليَّة ، والبالغة حدّ الضَّرورة ، والحاكمة والمقتضيَّة بوجوب الإِلتصاق الأَكيد بين هذه الشَّهادات الثَّلاث ؛ وذلك تبعاً للمنهج المُتَّبع الَّذي يُفكِّك في مقام استنباط الأَحكام الشَّرعيَّة بين الشَّريعة والدِّين ؛ فيصبُّون نظرهم في مقام الإِستنباط على الأَدلَّة الشَّرعيَّة ؛ ويعرضون عن الأَدلَّة المعرفيَّة الواردة في بيانات الوحي ، وهذه عثرة شنيعة ؛ فإِنَّه كيف يُمكن الوصول إِلى النتائج الحقَّة بعد التَّفكيك بين الفرع وأَصله، فالفقيه من أَتباع مدرسة أَهْل الْبَيْتِ عليهم السلام لا يمكنه الطيران والتَّحليق في سمآء

← بيان الإِمام الباقر عليه السلام : أَنَّ : «**مَنْ لم يعرف سوء ما أُتي إِلينا من ظلمنا وذهاب حقَّنا، وما ركبنا** (خ. ل: وما نكبنا) **به فهو شريك من أَتىٰ إِلينا فيما ولينا به**». [بحار الأَنوار ، ٢٧: ٥٥/ ح١١. ثواب الأَعمال: ٢٠٠].

ودلالته واضحة.

معرفة الأَحكام الشِّرعيَّة ، والغوص والغور في بحور معاني وحقائق بيانات وأَدلَّة الوحي الطمطامة المتلاطمة في مقام الإِستنباط ، والوصول إِلى النتائج الحقَّة المرضيَّة لدىٰ أَهْل الْبَيْتِ (صلوات اللّـه عليهم) بجناح فاردٍ ؛ بل لابُدَّ له من أَنْ يَضُمَّ إِليه الجناح الآخر ؛ ليطير ويُحَلِّق ويغور ـ في عوالم علوم ومعاني وحقائق الوحي الطمطامة المهولة العظيمة غير المتناهية أَبد الآباد ودهر الدُّهور ـ بجناحين : أَحدهما ـ وهو الرُّكن الرَّكين والعمود الفقري والأَساسي ـ : ملاحظة البيانات الوحيانيَّة المعرفيَّة ؛ فإِنَّ لها عظيم الإِنعكاسات والآثار والثمار والفوائد الواضحة على الشَّريعة . ثانيها : ملاحظة البيانات الوحيانيَّة الشَّرعيَّة .

وهذه العثرة أَوقعت مُتَّبعي هذا الخطّ والمنهج بعثرات كثيرة ، وأَنكروا بسببه جملة أُمور وقضايا وأَحْكَام وقواعد ، بعضها نُخاعيَّة في الدِّين والشَّريعة ، منها : ما تقدَّم من القول ببطلان الصَّلاة بِذِكْرِ الشَّهادة الثَّالثة في تشهُّدها ، والقول بنجاسة دم أَهْل الْبَيْتِ عليهم السلام وما شاكله ، وإِنكار الملازمة القائلة : «كُلَّمَا حكم العقل به حكم الشَّرع به» ؛ فإِنَّ بعض الفقهاء والأُصوليِّين وبسبب إِتِّباعهم لهذا المنهج أَنكر هذه الملازمة العقليَّة ، وقد تقدَّم التَّعَرُّض إِليها في المسائل والأَبحاث السَّابقة ، وتبيَّن : أَنَّ المفروض أَنْ يكون ثبوتها من البديهيَّات الواضحة.

القضيَّة الثانية :

فائدة وثمرة التَّعَرُّف على ماهيَّة الإمامة الإلهيَّة والإمام

رُبَما يتساءل المُثقَّفون ومَنْ يستأنس باللغة الأَكاديميَّة : عن النفع والفائدة والثمرة من وراء التعريفات والتصوّرات الماورائيَّة لمعرفة الدِّين والعقائد والمعارف الإلٰهيَّة ، لاسيما معرفة ماهيَّة وحقيقة الإمامة الإلٰهيَّة ، وماهيَّات وحقائق أَهل البيت (صلوات اللّٰـه عليهم) ، ولماذا هذا التحليق والعروج والتَّطلُّع ؟ وأَيّ إتِّصال وارتباط بين معرفة هذه الحقائق والماهيات وبين حياتنا ، بل وحياة البشريَّة المعاصرة والمستقبليَّة ؟

والجواب : أَنَّ حقيقة هذه التساؤلات ناشئة من حصر حياة البشر بهذه النشأة والكوكب الأَرضي ، والحال : أَنَّ الإنسان مرَّ وسيمرّ في قوس النزول والصعود بِعِدَّة عوالم ، وهي أَخطر وأَعظم هولاً من هذا العَالَم وهذه النشأَة الأَرضيَّة ، كـ : عَالَم : (البرزخ الصَّاعد) ، و(الرجعة ـ آخرة الدُّنيا ـ) ، و(القيامة) ، و(الآخرة الأَبدية) ، وعوالم ما بعدها. والعقائد والمعارف الإلٰهيَّة الحقَّة ؛ ومعرفة ماهيّاتها وحقائقها عبارة عن خارطة طريق لمستقبل المخلوقات عبر هذه العوالم.

بعد الإلتفات : أَنَّ كلمة البشر قائمة على عدم فناء الرُّوح.

وعليه : فإذا كان الإنسان عاقلاً ومؤمناً ، وكيِّساً وذكيّاً وحكيماً فعليه فهم خارطة مُستقبله عبر العوالم التَّالية ، وإلَّا كان حاله كحال الطفل ، بل

البهيمة.

وهذا ما تشير إِليه بيانات الوحي ، منها :

١ـ بيان الإِمام الصَّادق (صلوات اللّـه عليه) : «**النَّاس إثنان : عَالِمٌ ومُتعلِّم ، وسائر النَّاس همج ، والهمج في النَّار**»[١].

والهمج ـ بالتحريك ـ جمع : همجة ، وهي : ذباب صغير كالبعوض يسقط على وجوه الغنم والحمير وأَعينها. كذا ذكره الجوهري[٢].

٢ـ بيان أَبي جعفر (صلوات اللّـه عليه) : «... **ففضل إِيمان المؤمن بحمله: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ﴾[٣] وبتفسيرها على مَنْ ليس مِثْله في الإِيمان بها كفضل الإِنسان على البهائم ...**»[٤].

ودلالتها واضحة.

(١) بحار الأَنوار ، ١ : ١٨٧/ح٣.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) القدر : ١.
(٤) بحار الأَنوار ، ٢٥ : ٧٤/ح٦٣. كنز الفوائد : ٣٩٥ـ٣٩٨.

القضيَّة الثَّالثة :

وجوب أَخذ الطبقات الثلاث في الحدِّ التَّام لماهيَّة الإمام عليه السلام

مَنْ يُريد تعريف ماهيَّة الإمام عليه السلام وبيان حقيقته فعليه أَنْ يأخذ في حدِّه ما أَخذته بيانات الوحي الإلٰهيّ من تلك الطبقات الثلاث ـ أَي : الطبقات الصَّاعدة والمتوسطة والنَّازلة ـ من حقائق أَهل البيت عليهم السلام ، لا سيما الطبقة الصَّاعدة ؛ فإِنَّها الكمال الأَعظم ؛ والعِلَّة الغائيَّة من خلقه ذواتهم وحقائقهم عليهم السلام المقدَّسة الشريفة المتوسطة والنَّازلة ، ومن ثَمَّ أَقَرَّ أَصحاب العلوم العقليَّة ـ كـ : المناطقة والفلاسفة ـ : أَنَّ غاية الشيء أَعظم وأَكمل تعريفاً له من تعريفه بجنسه وفصله.

ومعناه : أَنَّ كُنْه الشيء وكمال حقيقته يتمثَّل في : (عِلَّته الغائيَّة).

إِذَنْ : معرفة الشيء بـ : (عِلَّته الغائيَّة) أَعظم وضوحاً وأَخطر بياناً ومعرفة وغوراً من معرفته بأَجزائه الدَّاخليَّة.

ومنه يتَّضح : المراد من قولهم : «إِنَّ حقيقة الشيء بفصله الأَخير» أَي : بغايته وكماله الأَخير.

طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام علل غائيَّة

وللتوضيح أَكثر نقول : إِنَّ هناك قاعدة تُذْكَر في المباحث المعرفيَّة ، وهي: «**إِنَّ الموجود والمخلوق السَّافل لا يُخلق لأَجل الموجود والمخلوق السَّافل ، بل لأَجل الموجود والمخلوق العالي**».

وعليه : تكون جملة العوالم الإِلٰهيَّة اللامتناهيَّة ، وكافَّة المخلوقات الإِلٰهيَّة

اللامتناهية مخلوقة لأَجل طبقات حقائق أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) الصَّاعدة.

وهذا ما تُشير إِليه بيانات الوحي ، منها :

١ـ بيان حديث الكساء : «... **وعِزَّتي وجلالي ... إِنِّي ما خَلَقتُ سمآءً مبنيَّة ولا أَرضاً مدحِيَّةً ، ولَا قَمَراً مُنيراً ، ولَا شمساً مُضيئةً ، ولا فَلَكاً يَدُور ، ولا بحراً يَجري ، ولا فُلْكاً تَسرِي إِلَّا لأَجْلِكُمْ ...** ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1] ...»[2].

٢ـ بيان الحديث القدسي مُنضمّاً إِليه بيان سيِّد الأَنبياء ﷺ : «... **وأَنَّ أَبي آدم لَـمَّا رأَىٰ اسمي واسم عَلِيّ وابنتي فاطمة والحسن والحسين وأَسمآء أَولادهم مكتوبة على ساق العرش بالنُّور قال : إِلٰهي وسيِّدي ، هل خلقتَ خلقاً هو أَكرم عليكَ مِنِّي ؟ فقال : يا آدم ، لولا هذه الأَسمآء لَـمَا خلقتُ سمآءً مبنيَّة ، ولا أَرضاً مدحيَّة ، ولاملكاً مُقَرَّباً ، ولا نبيّاً مرسلاً ، ولا خلقتك يا آدم ، فلَمَّا عصىٰ آدم ربَّه وسأله بحقِّنا أَنْ يتقبَّل توبته ، ويغفر خطيئته فأجابه ، وكُنَّا الكلمات تلقَّاها آدم من ربِّه (عزَّوجلَّ) ، فتاب عليه، وغفر له ... فحمد آدم ربَّه (عزَّوجلَّ) وافتخر على الملائكة بنا...**»[3].

٣ـ بيان أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه) : «... **وإِنَّ جميع الرسل**

---

(١) الأَحزاب : ٣٣.

(٢) عوالم العلوم ، ١١/ قسم : ٢ : ٩٣٣.

(٣) بحار الأَنوار ، ٣٥ : ٢٣/ح١٥ . الروضة البهية : ١٧ ـ ١٨. روضة الواعظين : ٧٢ ـ ٧٤.

والملائكة والأَرواح خلقوا لخلقنا ...»[١].

٤ـ بيان الإمام زين العابدين عليه السلام : «...إِنَّ لَنَا عند اللَّـه منزلة ومكاناً رفيعاً ، ولولا نحن لم يخلق اللَّـه أَرضاً ولا سمآءً ، ولا جنَّةً ولا ناراً ، ولا شمساً ولا قمراً ، ولا بَرّاً ولا بحراً ، ولا سهلاً ولا جبلاً ، ولا رطباً ولا يابساً ولا حلواً ولا مرّاً ، ولا ماءً ، ولا نباتاً ولا شجراً ، اخترعنا اللَّـه من نور ذاته، لا يُقاس بنا بشر...»[٢].

٥ـ بيان الإمام الصَّادق عليه السلام : «... لَـمَّا رأَوا أَسماءنا مكتوبة على سرادق العرش ... قال اللَّـه : ... لولا هؤلاء ... ما خلقتُ سمآءً مبنيَّة ، ولا أَرضاً مدحيَّة ، ولا مَلَكاً مُقرَّب ، ولا نبيّاً مرسل ، ولا خلقتكَ يا آدم ...»[٣].

٦ـ بيان الإمام الرضا (صلوات اللّـه عليه) : «... وإِنَّ آدم لَـمَّا أَكرمه اللَّـه (تعالىٰ ذكره) بإسجاد ملائكته له ، وبإِدخاله الجنَّة قال في نفسه : هل خلق اللَّـه بشراً أَفضل مِنِّي ؟ فعلم اللَّـه (عزَّوجلَّ) ما وقع في نفسه فناداه : ارفع رأسكَ يا آدم ، فانظر إِلى ساق عرشي ، فرفع آدم رأسه فنظر إلى ساق العرش، فوجد عليه مكتوباً : لَا إِلٰه إِلَّا اللَّـه ، مُـحمَّد رسول اللَّـه ، عَلِيّ بن أبي طالب أَمير المؤمنين ، وزوجته فاطمة سيِّدة نساء العالمين ، والحسن والحسين سيِّدا شباب أَهل الجنَّة. فقال آدم عليه السلام : يا ربّ ، مَنْ هؤلاء ؟ فقال (عزَّوجلَّ) : من ذرِّيَّتكَ ، وهم خير منكَ ، ومن جميع خلقي ، ولولا هُم ما

---

(١) بحار الأَنوار ، ٣٩ : ٣٥٠/ ح٢٤. تفسير فرات : ٦١ ـ ٦٢.
(٢) بحار الأَنوار ، ٢٦ : ٨ ـ ١٧/ ح٢.
(٣) الهداية الكبرىٰ : ٤٣٢.

خلقتك ، ولا خلقتُ الجنَّة والنَّار ، ولا السَّمآء والأَرض ، فإِيَّاكَ أَنْ تنظر إِليهم بعين الحسد؛ فأخرجكَ عن جواري...»[1].

ودلالة الجميع واضحة.

وهذا أَحد معاني خلوص وإِخلاص السافل للعالي ؛ لأَنَّ كمال السَّافل يكمن في توجُّهه إِلى العالي ، لا في تمحوره حول ذاته.

ومنه تتَّضح : كثير من بيانات الوحي الأُخرىٰ ، منها :

بيـان الـحديث القدسـي مـخاطباً (تقدَّس ذكره) سيِّد الأَنبياء ﷺ : «**يا أَحمد ، لولاك لَـمَا خلقتُ الأَفلاك ، ولولا عَلِيّ لَـمَا خلقتُكَ ، ولولا فاطمة لَـمَا خلقتكما**»[2].

فإِنَّه دالٌّ على أَنَّ جملة الأَفلاك لم تُخلق لولا حقيقة سيِّد الأَنبياء ﷺ ؛ فإِنَّها علَّة غائيَّة لها. وكذا طبقات حقيقته ﷺ النَّازلة ؛ فإِنَّها لم تُخلق لولا طبقات حقيقة أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه) الصَّاعدة ؛ فإِنَّ طبقات حقيقته عليه السلام الصَّاعدة علَّة غائية لطبقات حقيقة سيِّد الأَنبياء ﷺ النازلة. وعلى هذا قس طبقات حقيقتيهما (صلوات اللَّـه عليهما وعلى آلهما) النازلة ؛ فإِنَّها لم تُـخلق لولا طبقات حقيقة فاطمة الزهراء (صلوات اللَّـه عليها) الصَّاعدة ؛ فإِنَّها علَّة غائيَّة لطبقات حقيقتيهما (صلوات اللَّـه عليهما وعلى آلهما) النازلة.

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٦ : ٢٧٣/ ح١٥. عيون الأَخبار : ١٧٠.

(٢) عوالم العلوم ، ١١ : ٤٣. ملتقىٰ البحرين: ١٤. مستدرك سفينة البحار، ٣: ٣٣٤.

القضيَّة الرَّابعة :

توظيف الأَضداد أَحد صفات أَهل البيت عليهم السلام الإلهيَّة

هناك فوارق جمَّة بين حقيقة وشؤون الإمام من أَهل البيت عليهم السلام ، وبين حقيقة وشؤون بقيَّة المخلوقات ، منها :

أَنَّ طبقات حقيقة الإمام من أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة وتتبعها طبقاتها المتوسطة والنَّازلة بعدما كانت هي الواسطة بين الخالق ـ المُسَمَّىٰ ـ (جلَّ جلاله) وبين جملة المخلوقات انعكست فيها جميع أَسماء وصفات وشؤون الذات الإلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة إِلَّا الأُلوهيَّة ؛ لخروجها تخصُّصاً وموضوعاً ، ومن تلك الأَسماء والصفات والشؤون المنعكسة : (صفة توظيف الأَضداد)، فالإمام عليه السلام كالباري ـ المُسَمَّىٰ ـ (عزَّ ذكره) يوظِّف الإضداد ، ويوفِّق ويلائم بينها ، ويجعل كلّاً في محلِّه ، فيوظِّف ويُوفِّق ويلائم مثلاً بين : (الغصب والرويَّة) ، وبين : (الإِقدام والإِحجام) ، وبين : (الشَّجاعة والرحمة والرأفة) وهلمَّ جرَّ.

فلاحظ:

١ـ ما ذكره الشريف الرضي في حقِّ أَمير المؤمنين (صلوات اللّٰه عليه): «مَنْ سمع كلامه لا يشكُّ أَنَّه كلام مَنْ قبع في كِسر بيت ، أَو انقطع في سفح جبل ، لا يسمع إِلَّا حسّه ، ولا يرىٰ إِلَّا نفسه ، ولا يكاد يوقن بأَنَّه كلام مَنْ ينغمس في الحرب ؛ مصلتاً سيفه فيقطُّ الرقاب ، ويجدل الأَبطال ، ويعود به ينطف دماً ويقطر مهجاً ، وهو مع ذلك زاهد الزهَّاد ، وبدل الأَبدال ، وهذه من فضائله العجيبة ، وخصائصه الَّتي جمع بها بين الأَضداد»[1].

---

(١) بحار الأَنوار ، ٤٠ : ١٦٥.

٢ـ ما ذكره ابن أبي الحديد في الشرح في حقِّ أَمير المؤمنين عليه السلام أَيضاً : «كان أَمير المؤمنين عليه السلام ذا أَخلاق متضادَّة ، فمنها : أَنَّ الغالب على أَهل الإِقدام والمغامرة والجرأة أَنْ يكونوا ذوي قلوب قاسية وفتك وتنمُّر وجبريَّة، والغالب على أهل الزهد ورفض الدُّنيا ، وهجران ملاذّها والإِشتغال بمواعظ النَّاس وتخويفهم المعاد وتذكيرهم الموت أَنْ يكونوا ذوي رقَّة ولين وضعف قلب وخور طبع ، وهاتان حالتان متضادَّتان ، وقد اجتمعتا له عليه السلام. ومنها : أَنَّ الغالب على ذوي الشَّجاعة وإراقة الدماء أَنْ يكونوا ذوي أَخلاق سبعيَّة ، وطباع حوشيَّة ، وغرائز وحشيَّة ، وكذلك الغالب على أَهل الزهادة وأَرباب الوعظ والتذكير ورفض الدنيا أَنْ يكونوا ذوي انقباض في الأَخلاق، وعبوس في الوجوه ، ونفار من النَّاس واستيحاش ، وأَمير المؤمنين عليه السلام كان أَشجع النَّاس وأَعظمهم إراقة للدم ، وأَزهد النَّاس وأَبعدهم عن ملاذ الدُّنيا ، وأكثرهم وعظاً وتذكيراً بأَيَّام اللّـه ومثلاته ، وأَشدَّهم اجتهاداً في العبادة وآداباً لنفسه في المعاملة ، وكان مع ذلك أَلطف العَالَم أَخلاقاً ، وأسفرهم وجهاً ، وأَكثرهم بشراً ، وأَوفاهم هشاشة وبشاشة، وأَبعدهم عن انقباض موحش ، أَو خلق نافر ، أَو تجهَّم مباعد ، أَو غلظة وفظاظة ينفر معهما نفس ، أَو يتكدَّر معهما قلب حتَّىٰ عيّب بالدُّعابة ، ولَـمَّا لم يجدوا فيه مغمزاً ولا مطعناً تعلَّقوا بها واعتمدوا في التنفير عنه عليها «وتلك شكاة ظاهر عنكَ عارها» وهذا من عجائبه وغرائبه اللطيفة»[1].

وهذا بخلاف بقيَّة المخلوقات فليست لها المكنة من ذلك.

---

(١) بحار الأَنوار ، ٤٠ : ٨٩. شرح نهج البلاغة لابن أَبي الحديد ، ١ : ٢٤ ـ ٢٥.

القضيَّة الخامسة :

استحالة الإحاطة بالجهة المخلوقيَّة في حقائق أَهل البيت عليهم السلام

إِنَّ من علامات الإِيمان : إِعتقاد المخلوق ـ مهما بلغ نبوغه وارتقت مراتبه المعرفيَّة والعلميَّة وتعالت فضائله وكمالاته ـ بـ : عدم إِمكان إِحاطته بسرِّ خلقة ومخلوقيَّة المعصوم عليه السلام ، بل ولا بلوغها ، وإِلَّا أَرتطم بالتقصير في حقِّ المعصوم عليه ، وبالغلوِّ في حقِّ نفسه.

وهذا ما تشير إِليه بيانات الوحي الوافرة الباهرة ، منها :

١ـ بيان أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه) المُتقدِّم : «... **لا تجعلونا أرباباً وقولوا في فضلنا ما شئتم ؛ فإِنَّكم لا تبلغون كُنْه ما فينا ولا نهايته ... لا تُسَمُّونا أَرباباً وقولوا في فضلنا ما شئتم ؛ فإِنَّكم لن تبلغوا من فضلنا كُنْه ما جعله اللّـه لنا ، ولا معشار العشر** ...».

فإِنَّه برهان وحيانيٌّ دالٌّ على أَنَّ أَهل البيت عليهم السلام وإِنْ كانوا مخلوقين ، لكنَّ جهة المخلوقيَّة فيهم لا يُحاط بها ؛ لأَنَّها فعل اللّـه (جلَّ قدسه) ، وقدرته وآيته ، وتجلِّيه وظهوره في مخلوقاته المكرَّمة ؛ طبقات حقائق أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) ، وفعل اللّـه (تقدَّس ذكره) ـ كذاته وصفاته وأَسمائه ـ كما قُرِّر في محلِّه لا يُحاط به.

ويُضاف إِليه : أَنَّ نفس الإِنسان بعدما لم يمكنه الإِحاطة بذاته ، ولا يفهم سرّ حقيقته وبواطن باطنه فكيف يفهم ويبلغ ويحيط ببواطن حقائق أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) !!

٢ـ بيان القاعدة المعرفيَّة الواردة في بيانات أَهل البيت عليهم السلام : (من

وصف شيئاً بكُنْهه كان أَعظم من الموصوف).

وهي تنحلُّ إِلى قاعدتين :

الأُولىٰ : (مَن وصف شيئاً بالكُنْه فقد أَحاط به).

الثَّانية : (مَنْ أَحاط بشيءٍ كان أَعظم منه).

ودلالة الجميع واضحة[1].

٣ـ ما قرَّره أَصحاب المعقول ؛ من إِستحالة إِحاطة المعلول بعلَّته وإِنْ كانت واسطة فيضٍ إِلٰهيّ ، وطبقات حقائق أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) الصَّاعدة وتتبعها طبقاتها المتوسطة والنازلة وسائط الفيض الإِلٰهي ، وعلل الوجود الغائيَّة والفاعليَّة لمُطلق العوالم وجملة المخلوقات ـ كما تقدَّم ـ فكيف يُحاط بحقائقهم (صلوات اللّـه عليهم)!!.

ومن كلِّ هذا يتَّضح : أَنَّ من يدَّعي إِحاطته بكُنْه الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة ، أَو بكُنه التَّوحيد والأَسماء والصفات والأَفعال الإِلٰهيَّة ، أَو بكُنْه النُّبوَّة والنَّبيّ ، أَو بكُنْه الإِمامة الإِلٰهيَّة والإِمام فقد شطَّ وشطح وارتطم كما يرتطم الحمار بالطين بـ : الكُفر والشرك ، والغلو والتقصير ، والتشبيه والتعطيل الجليّ والخفي.

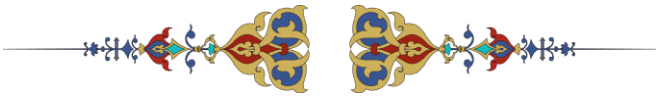

(١) بحث هذه القاعدة ودليلها مرَّ في مباحث التَّوحيد ، فَمَنْ أَراد الاستزادة والتفصيل فليراجع إِنْ شاء.

القضيَّة السَّادسة :

إنبثاق شؤون المخلوق من السَّاحة الإلهيَّة

إِنَّه يتَّضح مِـمَّا تقدَّم : ما هو ثابت منطقيّاً وعقليّاً ، بل ومن ثوابت وقوانين وقواعد علوم المعارف : (أَنَّ كُلَّ شؤون المخلوق منبثقة من الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المقدَّسة) ؛ فإِنَّه بعدما مرَّ في الأَبحاث المُتقدِّمة ، بل وما سيأتي (إِنْ شاء اللّٰـه تعالىٰ) من أَنَّ طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة هي : (نظام عَالَم الخلقة والوجود والإِمكان ، ووسائط الفيض الإِلٰهيّ الحصريَّة ، والوسيلة والعلل الغائيَّة والفاعليَّة الإِلٰهيَّة الفاردة ، ووجه اللّٰـه ، والسبيل والسبب والباب والحجاب والرباط الإِلٰهي الحصري والأَدنىٰ) بين الخالق ـ المُسَمَّىٰ ـ (جلَّت آلاؤه) ، وبين طُرّ العوالم وجملة المخلوقات تنعكس فيها كافَّة الأَسمآء والصِّفات والشؤون الإِلٰهيَّة إِلَّا الأُلوهيَّة ؛ لخروجها تخصُّصاً وموضوعاً ، وتتصرَّف[1] بالمخلوقات وعوالمها وشؤونها ، وبكُلِّ ما يرد إِليها ويصدر منها ، ولا يعزب عنها مثقال ذرَّة في السَّماوات والأَرضين من شؤون جميع المخلوقات وأَفعالها ، ولا أَصغر من ذلك ولا أَكبر ، كُلّ ذلك بإِذن اللّٰـه ـ المُسَمَّىٰ ـ (تبارك اسمه) ، وبقوَّته ومَنِّه وعطائه ، وكُلُّ ما يصدر من تلك الطبقات ـ طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة ـ هو : (إِنعكاس ،

---

(١) هذا عطف على كلمة (تنعكس) ، فتكون العبارة هكذا : (بعدما مرَّ ... أَنَّ طبقات حقائق أَهل ... هي ... علل إِلٰهيَّة ... تتصرَّف بالمخلوقات ...).

وحكاية ، وظهور ، وتجلِّي) لأَسماء وصفات وشؤون الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة ، كانت[1] جملة شؤون المخلوقات منبثقة عن الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة.

(١) هذه الجملة تعود لصدر المبحث ، أَي : جواب (الفاء) الداخلة على (إِنَّه) ، فتكون العبارة هكذا: (فإِنَّه بعدما مرَّ ... كانت جملة شؤون ...).

القضيَّة السَّابعة :

قصور مدارس البشر المعرفيَّة

ما ذكرته مدارس البشر المعرفيَّة لا يُمثِّل جملة المعارف

هناك أَمر مهمٌّ جِدّاً في منهج العقائد ، وقضيَّة مُهمَّة جِدّاً لابُدَّ من الإِلتفات إِليها ، ووعايتها بكُلِّ يقظة ، وإِلَّا فَستُطْمَس معالم مُبدَّهة في الدِّين ، وتندرس عن الثقافة الدِّينيَّة في وعي المؤمنين والمسلمين ، ونكون نحن المُقصِّرين والمسؤولين عنها يوم القيامة : أَمام اللّـه عزَّوجلَّ وأَمام سيِّد الأَنبياء وبقيَّة أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) ، حاصلها : أَنَّ ما ذُكر وكُتِبَ وقُرِّر وأُلِّف ، وما جُعِلَ منظومة مفهرسة من عقائد ومعارف في كُتُب علم الكلام لدىٰ كُلّ مدرسةٍ وطائفةٍ ومذهبٍ لا يُمثِّل جملة المنظومة العقائديَّة والمعرفيَّة الَّتي تعتنقها وتعتقد بها تلك المدرسة والطائفة والمذهب.

وللتوضيح خذ الأَمثلة التَّالية :

الأَوَّل : (إِمامة سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله) ؛ فإِنَّه مَنْ يُراجع كُتُب علم الكلام لدىٰ الفريقين فسيجد أَنَّها لم تذكرها بشكل وقولبة صريحة ، ولم تُركِّز عليها ، نعم ذكرتها ضمناً ، لكنَّه بحث آخر. مع أَنَّ بحثها كأَحد مقاماته صلى الله عليه وآله أَمرٌ مُهمٌّ جِدّاً ؛ فإِنَّ نظرة الوحي لسيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله ليست كنظرة العلمانيَّة الغربيَّة والنصرانيَّة المُحرَّفة من أَنَّه داعي تنظيري ، أَو داعي رسولي للقضايا الرُّوحيَّة بين الفرد والملكوت فحسب ، وليست له صلة بالمجتمع ، لكن من يُراجع كُتُب مُحدِّثي ومُفسِّري الفريقين فسيجد أَنَّ إِمامته صلى الله عليه وآله أَمر تسالمت عليه

الكلمة ، وهي أَرفع مقاماً ، وأَعلىٰ شأناً ، وأَبلغ خطراً من مقام وشأن وخطر النُّبوَّة والرسالة الإِلٰهيَّتين.

وعليه : فإِمامة أَهل البيت عليهم السلام الإِلٰهيَّة لا تبتدأ بأَمير المؤمنين وبعد استشهاد سيِّد الأَنبياء صلوات اللّٰـه عليهما وعلى آلهما ، وإِنَّما تبدأ من سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله حال حياته في هذه النشأة الأَرضيَّة ، بل قبلها.

ومنه يتَّضح : أَنَّ سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله وإِنْ كان خاتِم النُّبوَّة ، لكنَّه ليس بخاتِم الإِمامة الإِلٰهيَّة.

المثال الثَّاني : (حُجِّيَّة فاطمة الزهراء صلوات اللّٰـه عليها) ؛ فإِنَّه مَنْ يُراجِع كُتُب علماء كلام الإِماميَّة ـ كـ : كتاب : الباب الحادي عشر ، والتجريد ، وشرحه ، وعقائد الإِماميَّة للشَّيخ المظفر ـ فسيجد أَنَّ هذا الموقع والمقام الإِلٰهيّ للسيِّدة الزهراء صلوات اللّٰـه عليها لم يُسطر ويُبحث بعنوانٍ أَو فصلٍ أَو بابٍ مُستقلٍ ، ولم يراعِ أَصحاب تلك الكُتُب قولبة منظومة بيانات الوحي الإِلٰهي ، نعم ، ذكروها ضمناً ، لكنَّه بحث آخر.

وهذه مؤاخذة أَديانيَّة حضاريَّة خطيرة ؛ تُسجَّل على مُتكلِّمي الإِماميَّة.

المثال الثَّالث : (الرَّجعة) ؛ فمع أَنَّها من ضروريَّات مدرسة الإِماميَّة، ومتواترة في بيانات أَهل البيت (صلوات اللّٰـه عليهم) ، بل ضرورة روائيَّة، لكن : مَنْ يُراجع كثير من كُتُب عقائد الإِماميَّة لم يجد لها عين ولا أَثر.

المثال الرَّابع : مقام وموقع : (الـمُحدَّث) و(المُلهَم) ؛ فإِنَّ مَنْ يُراجع كُتُب علم كلام مذاهب المخالفين فسيجد أَنَّها لم تتعرَّض لهما ، لكن : مَنْ

يُراجع كُتُب حديثهم وكُتُب مُحدِّثيهم وشُرَّاح : البخاري ومسلم وبقيَّة صحاحهم فسيجد أَنَّهم يعتقدون ويؤمنون بهما ، وأَنَّهما من مقامات الشَّريعة ، بل من الأُمور المُبدَّهة عندهم. وهذا مؤشِّر على أَنَّ ما كُتِبَ ورقِّم في كُتُب كلام المخالفين لا يُمثِّل جملة منظومة عقائدهم ؛ الثابتة في أَحاديثهم وتفاسيرهم. فالتفت.

ومن كلِّ هذا يتَّضح : أَنَّ الباحث إِذا بنىٰ خريطة بحوثه المعرفيَّة والعقائديَّة على ما رقَّمه المُتكلِّمون فسيرتطم لا محالة بمآزق معرفيَّة وعقائديَّة كثيرة جِدّاً ؛ لأَنَّ الخريطة والفهرسة المعرفيَّة والعقائديَّة الَّتي رسمها جملة من علماء كلام الإِماميَّة ؛ وساروا عليها نشئت نتيجة إِنشغالهم بالجدل والحوار الكلامي مع المذاهب الإِسلاميَّة ، فألجأتهم هذه الحواريَّات الَّتي لا انقطاع لها إِلى نوع تبويب ؛ ورسم خارطة للمعارف والعقائد الإِلٰهيَّة ؛ يفهمها ويلتفت إِليها الطرف الآخر. **ومعناه** : أَنَّهم اضطروا إِلى تنزيل الخطاب الكلامي والخطاب العقائدي إِلى مستوىٰ معارف وعقائد الطرف ، مع أَنَّه ليس لديه من الإِسلام إِلَّا استقبال الكعبة قَطُّ.

وهذا ما صرَّحت به بيانات الوحي ، منها :

بيان الإِمام الصَّادق (صلوات اللّٰـه عليه) : «... **لا واللّٰـه ، ما هم على شيءٍ مِـمَّا جاء به رسول اللّٰـه صلى الله عليه وآله إِلَّا استقبال الكعبة فقط**»[1].

---

(١) بحار الأَنوار ، ٦٥ : ٩١/ح٢٦. المحاسن : ١٥٦.

وعليه : فكيف يمكن رسم خارطة وثقافة للمعارف والعقائد الحقَّة المُصْحَرَة في بيانات الوحي الإِلٰهي على وفق هذه الوضعيَّة التجاذبيَّة الكلاميَّة؛ وإِلَّا فستحصل لا محالة لأَصحاب هذه الخرائط والثقافات مشاكل وأَزمات معرفيَّة وعقائديَّة لا حصر ولا منتهىٰ لها. بل سبَّبت وتُسبِّب هذه المنهجيَّة وهذه الثقافات طامَّات معرفيَّة وعقائديَّة أَشدُّ خطراً وضرراً وفتكاً بأَهل البيت (صلوات اللّٰـه عليهم) من خطر وضرر وفتك يزيد بن معاوية وجيشه (عليهم لعائن اللّٰـه) وما فعله بسيِّد الشهداء (صلوات اللّٰـه عليه) وبأَهل بيته وصحبه ؛ لأَنَّ تلك قتلت الأَبدان ، وحرمت أَصحابها الحياة الدُّنيويَّة الزائلة، بخلاف هذه ؛ فإِنَّها تقتل : أَرواح أَهل البيت (صلوات اللّٰـه عليهم) ؛ وعلومهم وعقائدهم ومعارفهم ، وتحرم أَتباعهم ، بل جملة البشريَّة ، بل طُرّ المخلوقات الحياة الأُخرويَّة الأَبديَّة ، ومن ثَمَّ لا قياس بين الخطرين والضَّررين والفتكين. وكانت هذه القضيَّة هي السبب في إِعراض أَو غفلة مُتكلِّمي الإِماميَّة ، وأَصحاب العقائد والمعارف عن كثير من أَبواب وأَبحاث العقائد والمعارف الثابتة في بيانات الوحي الوافرة الباهرة.

وعلى هذا قس : علم الفلسفة ؛ فإِنَّ تبويبه وفهرسته ورسم خارطته جرت على وفق نتاج بشري ، بل اعترف أَصحابها[1] بذلك ؛ فقالوا : إِنَّ الفلسفة تعني : معرفة حقائق الأَشياء بقدر الطَّاقة البشريَّة.

وبين المعرفة على قدر الطاقة البشريَّة ؛ والَّتي مهما علت لابُدَّ أَنْ تكون

---

(١) مرجع الضمير : (الفلسفة).

محدودة ومتناهية ، وبين المعرفة على وفق طاقة الوحي اللامتناهية واللامحدودة فارق من دون قياس ؛ فإنَّ الثابت في محلِّه أَنَّه لا توجد نسبة رياضيَّة بين المحدود واللامحدودة ، فإنَّه مهما علت ووضعت للمحدود من قيمٍ وأَرقامٍ إذا قيس للَّامحدود لابُدَّ أَنْ تكون قيمة المحدود صفراً على جهة الشمال ؛ وإلَّا ـ أَي : إذا جُعِلَ للمحدود قيمة وإنْ كانت ضئيلة جدّاً كالواحد مقابل الترليون ـ لانقلبت ماهيَّة اللامتناهي واللامحدود وصارت متناهية ومحدودة ، وبطلان إنقلاب الماهيَّة ، بل واستحالتها من الواضحات ، بل خلف الفرض أَيضاً.

ومِنْ ثَمَّ التبويبات الجارية في علم الفلسفة ـ سوآء أَكانت فلسفة : مشآء أَو إشراق أَو حكمة متعالية أَو فلسفات غربيَّة حديثة أَو فلسفات أَلسنيَّة أَو فلسفات الهرمونطيقيا (الهرمونتيكيا) التعددية أَو فلسفات الكلام الجديد ـ وحبس المباحث المعرفيَّة والعقائديَّة ؛ وحشر مواد الوحي في هذه التبويبات البشرية كارثة علميَّة. وليس في هذا التعبير رجزٌ حماسيٌّ ، بل بكُلِّ هدوء وبكُلِّ قناعة أَنَّه : كارثة علميَّة ومعرفيَّة وعقائديَّة.

وهذه القضيَّة لابُدَّ من التَّنبُّه إليها دائماً ؛ فإنَّ أَصل الفهرسة في علم : (الفقه) و(الأُصول) و(الكلام) و(الفلسفة) و(التفسير) و(العرفان) وغيرها، بل وفي أَيِّ أَيدلوجيَّة حديثة أَو قديمة نتاج بشريّ محدود ، وتبويباتها لا تشمل عَالَمَ الحقيقة اللامتناهية ، ولا تتَّسع لِـمَا هو موجود في تراث الوحي أَبداً ، بل قوالب وبنود أَبواب معارف وعقائد النتاج البشري في علم :

(الكلام) و(الفلسفة) و(العرفان) و(التفسير) تختلف عن قوالب وبنود بيانات الوحي ، ومن ثَمَّ يُحاول الكثير من الباحثين في المعارف والعقائد لَيِّ أَعناق العبائر والقوالب الوحيانيَّة ذات السعة والقوَّة والمتانة والرَّصانة اللَّامتناهيَّة ؛ ليستبدلها أَو يحشرها في قوالب النتاج البشري ؛ الهزيلة والهشَّة والضَّيِّقة.

وبالجملة : أَنَّ الأُطر والقوالب الَّتي ينبغي أَنْ يُسبح بها في عَالَم المعاني اللامتناهية ، واستكشاف الحقائق العيانيَّة اللامحدودة : أُطر وقوالب وحيانيَّة، وهي تختلف عن أُطر البشر ؛ فإِنَّ قوالب المعاني الوحيانيَّة أُطر تكوينيَّة لا متناهية ، تُباين قدرة أُطر وقوالب المعاني البشريَّة وسعتها ودقَّتها ، فإِنَّها إِعتباريَّة متناهية. وهذه قضيَّة بالغة الأَهميَّة والثمرة والخطورة. فالتفت تربت يداك.

وإِلى هذا تشير بيانات الوحي ، منها :

١ـ بيان قوله جلَّ وتقدَّس : ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾[1] .

٢ـ بيان قوله تقدَّس ذكره : ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾[2].

ودلالتهما واضحة.

---

(١) لقمان : ٢٧.

(٢) النحل : ٩٦.

والإِضطرار يجرُّنا للتوسُّع في هذه القضيَّة ؛ لنبيِّن كيفيَّة بُعد الثقافة الإِسلاميَّة المُنتشرة بين المؤمنين فضلاً عن المسلمين عن حقيقة معارف وعقائد وثقافة الوحي الأَصيلة والوسيعة والشفَّافة. بل أَحياناً يكون النتاج المعرفي والعقائدي البشري حجاباً ومانعاً عن الوصول إِلى سعة الحقيقة. نعم الشبهات والإِثارات على النتاج البشري تُنبِّه الإِنسان إلى أَنَّ النتاج الوحياني شيء آخر غير النتاج البشري.

ومن كُلِّ هذا يتَّضح : أَنَّ الإِعتماد على تعاريف النُّبوَّة والإِمامة الإِلٰهيَّة المسطورة في كُتُب المُتكلِّمين أَو الفلاسفة أَو العرفاء وغيرهم من أَصحاب كُتُب معارف وعقائد المدارس البشريَّة ؛ والتعامل معها على أَنَّها الحقّ ونهج الصدق طامَّة كُبرىٰ ، وخَضَد لشْوكَة الإِسلام والمسلمين.

وعليه : يجب تصحيح كثير من التعاريف المُعتَمَدة في كُتُب معارف البشر ، وربطها ببيانات الوحي المعرفيَّة.

القضيَّة الثَّامنة :

كميَّة تراث الوحي الواصلة إلينا نَزْرٌ يسير

هناك مادَّة ومعلومة رجاليَّة ، ومادَّة ومعلومة درائيَّة ضروريّة ونفيسة جِدّاً ؛ يلزم أَنْ تعيش في الذهن ، يُستفاد منها في مباحث رجاليَّة وحديثيَّة ودرائيَّة كثيرة جِدّاً ، ينبغي صرف النظر إليها ، وعدم الغفلة أَو التَّغافل عنها ، حاصلها : أَنَّ مصادر تراث حديث مدرسة أَهل البيت (صلوات اللّٰه عليهم) الواصلة إلينا في العصر الرَّاهن لا تُمثِّل كم التراث الحديثي الواصل في القرن الرابع[١]، بل ولا القرن الخامس[٢]، أَو السَّادس[٣] أَو السَّابع[٤] أَو الثَّامن[٥] أَو التَّاسع[٦] أَو العاشر[٧] أَو الحادي عشر[٨]؛ فإِنَّ كميَّته الواصلة في هذه القرون أَوسع وأَكثر مِمَّا وصل إلينا في هذه العصر ، بل كلَّما تقدَّمت القرون ـ والعياذ باللّٰه تعالىٰ ـ تآكل تُراث الحديث.

---

(١) القرن الرَّابع الهجري قرن : ابن قولويه الابن أُستاذ الشَّيخ المفيد ، وقرن الشَّيخ الصدوق والمفيد.

(٢) القرن الخامس قرن : السيِّد المرتضىٰ ، والشَّيخ الطوسي.

(٣) القرن السَّادس قرن : ابن إِدريس الحلِّي ، وقطب الدِّين الراوندي ، والمشهدي ـ صاحب كتاب: (مزار المشهدي).

(٤) القرن السَّابع قرن : المحقِّق الحلِّي ، وابن طاووس.

(٥) القرن الثَّامن قرن : العلَّامة الحلِّي.

(٦) القرن التَّاسع قرن : فخر المحقِّقين ابن العلَّامة الحلِّي ، والشهيد الأَوَّل.

(٧) القرن العاشر قرن : الشَّهيد الثاني ، ووالد الشَّيخ البهائي.

(٨) القرن الحادي عشر قرن : المجلسيين ، والحرّ العاملي ، والسيِّد هاشم البحراني ، والفيض الكاشاني.

والإلتفات إلى هذه الظاهرة ينفع في أُمورٍ كثيرةٍ.

وللتوضيح : لاحظ الأَمثلة التالية[١]:

الأَوَّل : كُتُب المقاتل ؛ فإِنَّ من يستقصي مِئات المصادر الرجاليَّة والحديثيَّة القديمة كـ : كتاب : (رجال الكشي) و(رجال النجاشي) و(فهرست الشَّيخ الطوسي) و(فهرست منتخب الدِّين ؛ لابن بابويه) فسيجد أَنَّ الفارق بين ما وصل إِلينا من مَقاتل وما وصل إِليهم شاسع جِدّاً.

الثَّاني : كُتُب المزار ؛ فإِنَّ مَنْ يتتبَّع عنوان : (المزار) المسطور في كُتُب الرِّجَال والحديث وغيرها فسيجد أَنَّ الفارق بين ما وصل إِلينا من تصانيف وكُتُب المزار ، وما وصل إِلى المُتقدِّمين شاسع جِدّاً.

وعلى هذا قس : كُتُب : (الأَدعية) و(التَّفسير) و(الحديث) وغيرها من كُتُب التراث الدِّيني.

وعليه : كيف يحقُّ لمُحقِّقٍ أَو باحثٍ أَو ناقدٍ بناء استظهاراته وتساؤولاته وإِشكالاته على عدم معروفيَّة كتاب مُعيَّنٍ وصل إِلينا في العصر الراهن من كُتُب المَقاتل أَو كُتُب الزيارات أَو كُتُب الأَدعية ، وعدم معروفيَّة دعاء مُعيَّن وصل إِلينا ، أَو عدم معروفيَّة زيارة مُعيَّنة إِعتماداً على ما وصل إِلينا من مصادر كُتُب الأَدعية والمزارات.

(١) هذه الأَمثلة مُهمَّة جِدّاً.

القضيَّة التَّاسعة :

أَدوار أَهل البيت عليهم السلام الخفيَّة

هناك أُمور وتدابير وأَنشطة قام بها أَهل البيت عليهم السلام ، وأَدوار مُهمَّة وحسَّاسة وخطيرة قدَّرت يد السَّماء غمرها وإِخفاءها في حياتهم عليهم السلام ؛ وذلك لأَسباب ، منها :

أَنَّ طبيعة الدَّور تقتضي الخفاء ، وإِلَّا خار واخترم وانْدَرَسَ الهدف وأَصبح بواراً ؛ لشدَّة المواجهة ، ولسعات الأَقلام المأجورة ، وخذفات الأَلسن ؛ ومن ثَمَّ كان سنخها مغفولاً عنه ، وفي طيِّ النِّسيان.

وعليه : فإِذا رام الباحث الإِطِّلاع على شخصيَّة ودور وحقيقة ومنهاج وسيرة وهدي أَهل البيت عليهم السلام كحُجَّة شرعيَّة ودينيَّة ومعرفيَّة تامَّة الشرائط ؛ كيما تُؤم وتُتَّبع وتُقتدىٰ ، ويُتعرَّف على صورةٍ متوازنةٍ ومُتكاملةٍ عن منهاجهم فلا يتحقَّق ذلك من خلال دورهم عليهم السلام المُعلن فحسب ، بل لابُدَّ من التَّحدُّر والتَّرسُّل ؛ والإِنهماك في مزيد تتبُّع ؛ لتُلمس رؤوس الخيوط والقصَّصات ؛ للملمة أَدوارهم ، وقراءة ملفَّاتها الخفيَّة ؛ كيما تتَّضح الصُّورة الكاملة والمتوازنة لمنهاجهم عليهم السلام الحقيقيَّة الكاملة ، وإِلَّا فخرط القتاد ، وغبن وظلامة لهم عليهم السلام ، وبتر عن الواقع والحقيقة ، وانعكاس على منهج ومسيرة الأَجيال اللَّاحقة.

وهذه قضيَّة علميَّة ومعرفيَّة واعتقاديَّة ودينيَّة خطيرة جِدّاً قبل أَن

تكون تأريخيَّة ، ولها تداعيات كثيرة على المنهاج العلمي ، والعقائدي ، والمعرفي ، والفقهي ، والسياسي ، والأَخلاقي ، والإِجتماعي ، وهلمَّ جرّاً.

وللتَّوضيح : خُذ المثالين التَّاليين :

الأَوَّل : دور أَمير المؤمنين عليه السلام في الفتوحات الإِسلاميَّة من جانبها المُشرق[1][2]، فإِنَّه بعدما أُنيط برمَّته به عليه السلام مارسه بصورةٍ خفيَّةٍ ، وعلى اثرها وعوامل أُخرىٰ أُخفي ـ دوره عليه السلام ـ في كُتُب التأريخ ، نعم يوجد كقصَّصات وشواهد متناثرة ومبعثرة في كُتُب الفريقين.

إِذَنْ : أَصل الفتوحات وتدبيراتها ونجاحاتها في عصر خلفاء السقيفة الثلاثة كانت بيده (صلوات اللّـه عليه) وإِدارته المباركة ؛ بعدما لم تكن لديهم أَيُّ أَهليَّة لإِدارة مجموعة صغيرة وحضيرة من البشر فضلاً عن إِدارة : دولة ، وعسكر ، وأَمن إِجتماعي ، واقتصادي ، وهلمَّ جرّاً.

بل كانت صفتهم المُميَّزة : الهزيمة ، وعدم الثبات في المواقف ، ولم يُنقل عنهم إِلَّا الجعجعة ، من دون طحن ولا طعن ولا ضرب ولا طعان قَطُّ ، والشجاعة والثبات في المواقف من أَساسيَّات وصفات الركن في القائد والأَمير ، وعلى طرف النقيض من ذلك ثبات ومواقف أَمير المؤمنين وبقيَّة

---

(١) **ينبغي الإِلتفات** : أَنَّ الجوانب المُشرقة في الفتوحات تعود إِلى سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله وبقيَّة أَهل البيت الأَطهار عليهم السلام.

(٢) هناك جوانب سُود ومظلمة وملفَّات مخزية حصلت بشكل مُمنهج في الفتوحات ، وكنظام بديل عن الإِسلام كانت تُقَام فيها الليالي الحمراء ، فصارت سُبَّة وسبباً لتشويه تلك الفتوحات ، بل الإِسلام ، لكنَّه أَمر آخر.

أَهل البيت الأَطهار عليهم السلام ، فأَين الذهب من الرَّغام ، وأَين العذْبُ من الأُجاج!! وذاك التأريخ فاطرقه تسمع الجواب والعجب العجاب ، بل هلمَّ معي لنكشف نقاب البعض ، فلاحظ :

١ـ بيان أَمير المؤمنين عليه السلام ، عن عامر بن وائلة ، قال : «سمعتُ عليّاً عليه السلام يقول يوم الشورىٰ : **نشدتكم باللّـه هل فيكم أَحد قال له رسول اللّـه صلى الله عليه وآله حين رجع عمر يجبِّن أَصحابه و يجبِّنُونه قد رَدَّ راية رسول اللّـه صلى الله عليه وآله منهزماً ، فقال رسول اللّـه صلى الله عليه وآله : لأُعطين الراية غداً رَجُلاً ليس بفرَّار ، يحبّه اللّـه ورسوله ، ويحبُّ اللّـه ورسوله ، لا يرجع حتَّىٰ يفتح اللّـه عليه...**»[1].

٢ـ ما ورد في الإِرشاد : «ثُمَّ تلت الحديبيَّة خيبر ، وكان الفتح فيها لأَمير المؤمنين عليه السلام بلا ارتياب ، وظهر من فضله في هذه الغزاة ما أَجمع على نقله الرُّواة ، وتفرَّد فيها من المناقب ما لم يشركه فيها أَحَد من النَّاس، فروىٰ ... قالوا: لـمَّا دنا رسول اللّـه صلى الله عليه وآله من خيبر قال للنَّاس: «**قفوا**» ... فدعا رسول اللّـه صلى الله عليه وآله أبا بكر فقال له: «**خذ الراية**» فأخذها في جمع من المهاجرين ، فاجتهد فلم يغن شيئاً ، فعاد يؤنِّب القوم الَّذين اتَّبعوه ويؤنِّبونه ، فلمَّا كان من الغد تعرَّض لها عمر فسار بها غير بعيد ، ثُمَّ رجع يجبِّن أَصحابه ويجبِّنونه ، فقال النَّبيّ صلى الله عليه وآله : «**ليست هذه الراية لِـمَنْ حملها ، جيؤني بعليِّ بن أَبي طالب ... يأخذها بحقها ليس بفرار**» ...»[2].

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢١ : ٢٠/ح١٥.

(٢) المصدر نفسه : ١٤ ـ ١٥/ح١١.

٣ـ ما ورد عن الواقدي : «... فأخذ أَبو بكر راية المهاجرين فقاتل بها ثُمَّ رجع منهزماً ، ثُمَّ أَخذها عمر من الغد فرجع منهزماً يجبِّن النَّاس ويجبِّنُونه حتَّىٰ ساء رسول اللّـه صلى الله عليه وآله ذلك ، فقال : «**لأُعطينَّ الراية غداً رَجُلاً كرّاراً غير فرَّاراً**» ...»[1].

٤ـ قول أَبي بكر لعمر في حقِّ أَمير المؤمنين عليه السلام : «أَنسيتَ له يوم أُحد؟ وقد فررنا بأَجمعنا ، وصعدنا الجبل ...»[2].

٥ـ قول عمر ، عن أَبي واثلة (وائل خ. ل) شقيق بن سلمة ، قال : «كنت أُماشي عمر بن الخطَّاب إِذْ سمعتُ منه همهمة ، فقلت له : مه يا عمر ، فقال : ويحكَ أَمَا ترىٰ الهزبر القثم ابن القثم ، والضَّارب بالبهم ، الشَّديد على مَنْ طغا وبغا بالسيفين والرَّاية ، فالتفتُ فإذا هو عليُّ بن أَبي طالب ، فقلتُ له: يا عمر ، هو عليُّ بن أبي طالب ، فقال : أُدن مِنِّي أُحدِّثكَ عن شجاعته وبطالته : بايعنا النَّبيّ صلى الله عليه وآله يوم أُحد على أَنْ لا نفرَّ ، ومَنْ فرَّ مِنَّا فهو ضالٌّ ، ومَنْ قُتِلَ مِنّا فهو شهيد ، والنَّبيّ صلى الله عليه وآله زعيمه ، إِذ حمل علينا مائة صنديد تحت كلّ صنديدٍ مائة رَجُل أَو يزيدون ، فأزعجونا عن طاحونتنا ، فرأيتُ عليّاً كالليث يتَّقي الذر (الدرق خ. ل) ، إِذ قد حمل كفّاً من حصىٰ فرمىٰ به في وجوهنا ، ثُمَّ قال : «**شاهت الوجوه ، وقُطَّت وبُطَّت ولُطَّت ، إِلى أَين تفرُّون؟ إِلى النَّار؟**» فلم نرجع ، ثُمَّ كرَّ علينا الثانية وبيده صفيحة يقطر منها الموت ، فقال: «**بايعتم ثُمَّ نكثتم ، فواللّـه لأَنتم أَولىٰ بالقتل ممَّنْ أَقتل**»،

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢١ : ٢١/ ح١٧.

(٢) الاحتجاج ، ١ : ١٣٠.

فنظرتُ إلى عينيه كأنَّهما سليطان يتوقَّدان ناراً ، أَو كالقدحين المملوّين دماً ، فما ظننتُ إلَّا ويأتي علينا كلّنا ، فبادرت أَنا إليه من بين أَصحابي فقلتُ : يا أَبا الحسن اللّـه اللّـه ، فإنَّ العرب تفرُّ وتكرُّ ، وإنَّ الكرَّة تنفي الفرَّة ، فكأَنَّه استحيىٰ ، فولَّىٰ بوجهه عنِّي ، فما زلت أَسكن روعة فؤادي ، فواللّـه ما خرج ذلك الرُّعب من قلبي حتَّىٰ السَّاعة. ولم يبق مع رسول اللّـه إلَّا أَبو دُجانة سماك بن خرشة وأمير المؤمنين عليه السلام ، وكلَّما حملت طائفة على رسول اللّـه صلى الله عليه وآله استقبلهم أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه) فيدفعهم عن رسول اللّـه ، ويقتلهم حتَّىٰ انقطع سيفه ، وبقيت مع رسول اللّـه صلى الله عليه وآله نسيبة بنت كعب المازنيَّة ، وكانت تخرج مع رسول اللّـه صلى الله عليه وآله في غزواته تداوي الجرحىٰ ... فقال رسول اللّـه صلى الله عليه وآله : «**لمقام نسيبة أفضل من مقام فلان وفلان وفلان**» ...»[1].

٦ـ ما رواه زيد بن وهب : «قلتُ لابن مسعود : انهزم النَّاس عن رسول اللّـه صلى الله عليه وآله حتَّىٰ لم يبقَ معه إلَّا عَلِيّ بن أَبي طالب وأَبو دجانة وسهل بن حنيف ، فقال : انهزم النَّاس إلَّا عَلِيّ بن أَبي طالب وحده ... وأين كان أَبو بكر وعمر ؟ قال : كانا ممَّن تنحّىٰ ، قلتُ : وأَين كان عثمان ؟ قال : جاء بعد ثالثة من الوقعة ، فقال له رسول اللّـه صلى الله عليه وآله: **لقد ذهبت فيها عريضة** ؟ ... قلتُ له: إنَّ ثبوت عليّ عليه السلام في ذلك المقام لعجب ، فقال : إن تعجَّبت من ذلك فقد تعجَّبت منه الملائكة ...».

وفي حديث عمران بن حصين ، قال : «... فرفع رسول اللّـه صلى الله عليه وآله

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٠ : ٥٢ ـ ٥٤.

رأسه إليه ، فقال له : **ما بالكَ لم تفرَّ مع النَّاس ؟ فقال : يا رسول اللّـه ، أأرجع كافراً بعد إسلامي...**»[١].

٧ـ عن ابن أَبي الحديد : «روىٰ كثير من أَصحاب الحديث : أَنَّ عثمان جاء بعد ثالثة إلى رسول اللّـه صلى الله عليه وآله ، فسأله : إلى أَين انتهيت ؟ فقال : إلى الأَعوص فقال : لقد ذهبت فيها عريضة»[٢].

٨ـ بيان الإمام الباقر عليه السلام الوارد في أَحداث معركة حنين ، قال : «... فلمَّا صلَّىٰ رسول اللّـه صلى الله عليه وآله الغداة انحدر في وادي حنين وهو واد له انحدار بعيد ، وكانت بنو سليم على مُقدّمته فخرج عليهم كتائب هوازن من كلِّ ناحية ، فانهزمت بنو سليم ، وانهزم من وراءهم ، ولم يبق أَحَد إلَّا انهزم ، وبقي أَمير المؤمنين عليه السلام يُقاتلهم في نفر قليل ، ومرَّ المنهزمون برسول اللّـه صلى الله عليه وآله لا يلوون على شيءٍ ... فأقبل رسول اللّـه صلى الله عليه وآله ينادي: «**يا معشر الأَنصار أين؟ إليَّ ، أَنا رسول اللّـه**» فلم يلو أَحد عليه ، وكانت نسيبة بنت كعب المازنيَّة تحثو في وجوه المنهزمين التراب ، وتقول : أين تفرُّون ؟ عن اللّـه وعن رسوله؟ ومرَّ بها عمر فقالت له : ويلك ، ما هذا الَّذي صنعت ؟ فقال لها : هذا أمر اللّـه ...»[٣].

٩ـ ما ذكره ابن أَعثم الكوفي في كتاب الفتوح في فتح نهاوند وحروبها ، واجتماع الأَعاجم بها لاستئصال المسلمين ومحو بلادهم ، وما أَصاب عمر بن

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٠ : ٨٤ ـ ٨٥.
(٢) المصدر نفسه : ١٣٩. شرح نهج البلاغة لابن أَبي الحديد ، ٣ : ٣٨٨.
(٣) بحار الأَنوار ، ٢١ : ١٤٩ ـ ١٥٠.

الخطَّاب من رعدةٍ ونفضةٍ سمع المسلمون على إِثرها أَطيط أضراسه رعباً وجبناً وهولاً وفزعاً حينما أُخبر بعدَّة وعدد الأَعاجم واستحضاراتهم وما ينونه من خطر بالمسلمين وبلادهم ، وما طرحه أَعلام ورؤوس الصحابة من معالجات ضحلة وهابطة ، وما طرحه أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه) من خارطة معالجات ولَّدت نصر المسلمين بعد استنجاد عمر بن الخطَّاب به (صلوات اللّـه عليه) ، قال ابن أَعثم : «وتحرَّكت الأعاجم بأرض نهاوند ، واجتمعوا بها ، وكتب بعضهم إِلى بعضٍ : أَنْ يكون اجتماعهم بها ، قال: فاجتمع أَهل الري وسمنان والدامغان وما والاها بنهاوند في عشرين أَلفا ، وأَهل ساوه وهمذان في عشرة آلاف ، وأهل نهاوند خاصَّة في عشرة آلاف ، وأهل قم وقاشان في عشرين أَلفا ، وأَهل أصفهان في عشرين أَلفاً ، وأَهل فارس وكرمان في أَربعين ألفاً ... فأقبل إِليهم أَهل أذربيجان في ثلاثين أَلفاً ، فذلك خمسون أَلفاً ومائة أَلف ، ما بين فارس وراجل من المرازبة والأَساورة والأَبطال المعدودين ، المذكورين في كُلِّ بلد من أَرض الفرس ، ثُمَّ إِنَّهم جمعوا نيفاً وسبعين فيلاً يريدون التهويل على خيول المسلمين ، ثُمَّ أَقبل بعضهم على بعض فقالوا: ... قد اجتمعتم من كُلِّ بلدٍ ، وليس فيكم إِلَّا رماة الحدق وأَحلاس السيوف والدرق ، فتعالوا بنا حتَّىٰ ننفي مَنْ بقربنا من جيوش العرب ، ثُمَّ إِنَّا نسير إِليهم في ديارهم فنستأصلهم عن جديد الأَرض ... فتعاقدوا على أَمرهم وتعاهدوا وعزموا على جهاد المسلمين ، وبلغ ذلك أَهل الكوفة ، فاجتمعوا إِلى أَميرهم عمَّار بن ياسر ... فقالوا: الرأَي في ذلك أَنْ نكتب إلى أَمير المؤمنين ونعلمه بذلك ... قال عمَّار : أفعل ذلك إِنْ شآء اللّـه

تعالى ... كتاب عمار بن ياسر إلى عمر بن الخطَّاب ... أَمَّا بعد ... أَنَّ أَهل الري وسمنان وساوه وهمذان ونهاوند وأصفهان وقم وقاشان وراوند واسفندهان وفارس وكرمان وضواحي أَذربيجان قد اجتمعوا بأرض نهاوند في خمسين ومائة أَلف من فارسٍ وراجلٍ من الكفَّار ، وقد كانوا أَمروا عليهم أَربعة من ملوك الأعاجم ، منهم : ذو الحاجب خرزاد بن هرمز وسنفاد بن حشروا ... وأَنَّهم قد تعاهدوا وتعاقدوا وتحالفوا وتكاتبوا وتواصوا وتواثقوا على أَنَّهم يخرجوننا مِنْ أَرضنا ويأتونكم من بعدنا ، وهم جمع عتيد ، وبأس شديد ، ودواب فره ، وسلاح شاك ... فإِنِّي أخبرك يا أَمير المؤمنين أَنَّهم قد قتلوا كُلَّ مَنْ كان مِنَّا في مدنهم ، وقد تقاربوا مِمَّا كُنَّا فتحناه من أَرضهم ، وقد عزموا أَنْ يقصدوا المدائن ويصيروا منها إلى الكوفة ، وقد واللّـه هالنا ذلك ، وما أَتانا من أَمرهم وخبرهم ، وكتبتُ هذا الكتاب إِلى أَمير المؤمنين ليكون هو الَّذي يرشدنا وعلى الأُمور يدلّنا ...قال: فلَمَّا ورد الكتاب على عمر بن الخطَّاب ... وقرأه ، وفهم ما فيه وقعت عليه الرعدة والنفضة حتَّىٰ سمع المسلمون أَطيط أَضراسه ، ثُمَّ قام عن موضعه حتَّىٰ دخل المسجد ، وجعل ينادي : أَين المهاجرون والأَنصار؟ أَلَا! فاجتمعوا رحمكم اللّـه وأعينوني ... فأَقبل إِليه النَّاس من كُلِّ جانب ... فقال : إِنَّ الفرس ... ليست لهم همَّة إِلَّا المدائن والكوفة ... وهذا يوم له ما بعده من الأَيَّام ، فاللّـه اللّـه يا معشر المسلمين! أَشيروا عَلَيَّ رحمكم اللّـه ... وكان أَوَّل من وثب على عمر بن الخطَّاب وتكلَّم طلحة بن عبيد اللّـه ، فقال : ... ثُمَّ وثب الزبير بن العوام ، فقال : ... فقال عمر : أريد غير هذين الرأيين ، قال : فوثب عبد الرحمٰن بن

عوف الزهري ، فقال : ... فاعمل برأيك ... وسر إلى أَعداء اللّـه بنفسكَ ونحن معكَ ... فقال عمر : أُريد غير هذا الرأي ، فتكلَّم عثمان بن عفان ... فقال : ... وأنا أُشير عليكَ أَنْ تسير أَنتَ بنفسكَ إلى هؤلاء الفجَّار بجميع من معك من المهاجرين والأَنصار ... ولكنِّي أَرىٰ أَنْ تكتب إلى أَهل الشَّام فيقبلوا عليكَ من شامهم ، وإلى أَهل اليمن فيقبلوا إليك من يمنهم ، ثُمَّ تسير بأهل الحرمين مكَّة والمدينة إلى أَهل المصرين البصرة والكوفة ، فتكون في جمع كثير وجيش كبير ، فتلقىٰ عدوِّكَ بالحد والحديد ، والخيل والجنود. فقال عمر: هذا أَيضاً رأي ليس يأخذ بالقلب ، أريد غير هذا الرأي ، قال : فسكت النَّاس ، والتفت عمر ... إلى عَلِيّ رضي اللّـه عنه فقال : يا أبا الحسن! لِمَ لا تُشير بشيءٍ كما أشار غيرك؟ قال: فقال عَلِيّ : ... فقد رأَيتُ قوماً أَشاروا عليك بمشورةٍ بعد مشورة فلم تقبل ذلك منهم ، ولم يأخذ بقلبكَ شيء مِمَّا أَشاروا به عليك ؛ لأَنَّ كُلَّ مشير إِنَّما يشير بما يدركه عقله ، وأُعلمكَ ... إِنْ كتبتَ إلى الشام أَنْ يقبلوا إليكَ من شامهم لم تأمن من أَنْ يأتي هرقل في جميع النصرانيَّة فيغير على بلادهم ويهدم مساجدهم ويقتل رجالهم ويأخذ أَموالهم ويسبي نساءهم وذُرِّيَّتهم ، وإِنْ كتبتَ إلى أَهل اليمن أَنْ يقبلوا من يمنهم أغارت الحبشة أَيضا على ديارهم ونسائهم ... وإِنْ سرتَ بنفسكَ مع أَهل مكَّة والمدينة إلى أَهل البصرة والكوفة ثُمَّ قصدتَ بهم قصد عدوّكَ انتقضت عليك الأَرض من أَقطارها وأَطرافها ، حتَّىٰ إِنَّكَ تريد بأن يكون مَنْ خلَّفته وراءك أَهمُّ إِليكَ مِمَّا تريد أَنْ تقصده ، ولا يكون للمسلمين كانفة تكنفهم، ولا كهف يلجؤون إليه ، وليس بعدك مرجع ولا موئل إذ كُنتَ أَنتَ الغاية

والمفزع والملجأ ، فأقم بالمدينة ولا تبرحها ؛ فإنَّه أَهيب لكَ في عدوِّكَ وأَرعب لقلوبهم ؛ فإنَّكَ متىٰ غزوت الأعاجم بنفسكَ يقول بعضهم لبعض : إِنَّ ملك العرب قد غزانا بنفسه ؛ لقلَّة أَتباعه وأَنصاره ، فيكون ذلك أَشدُّ لكلبهم عليكَ وعلى المسلمين ، فأقم بمكانكَ الَّذي أَنتَ فيه ، وابعث من يكفيك هذا الامر ... فقال عمر ... : يا أَبا الحسن ، فما الحيلة في ذلك وقد اجتمعت الأَعاجم عن بكرة أَبيها بنهاوند في خمسين ومائة ألف يريدون استئصال المسلمين؟ ... فقال له عَلِيٌّ بن أبي طالب عليه السلام : الحيلة أَنْ تبعث إِليهم رجلاً مُجرَّباً قد عرفته بالبأس والشدَّة ، فإِنَّكَ أَبصر بجندكَ وأعرف برجالكَ ... فقال له عمر : نِعْمَ ما قلت يا أبا الحسن! ولكنِّي أَحببتُ أَنْ يكون أَهل البصرة والكوفة هم الَّذين يتولون حرب هؤلاء الأَعاجم ... فقال له عَلِيّ رضي اللّـه عنه : إِنْ أَحببتَ ذلك فاكتُب إِلى أَهل البصرة أَنْ يفترقوا على ثلاث فرق : فرقة تقيم في ديارهم فيكونوا حرساً لهم يدفعون عن حريمهم ، والفرقة الثانية يقيمون في المساجد يعمّرونها بالأَذان والصَّلاة؛ لكيلا يُعَطَّل الصَّلاة ويأخذون الجزية من أَهل العهد ، لكيلا ينتفضوا عليك، والفرقة الثالثة يسيروا إِلى إِخوانهم من أَهل الكوفة ، ويصنع أَهل الكوفة أَيضاً كصنع أَهل البصرة ، ثُمَّ يجتمعون ويسيرون إِلى عدوَّهم ؛ فإِنَّ اللّـه عزَّ وجلَّ ناصرهم عليهم ومظفرهم بهم ، فثق باللّـه ، ولا تيأس من روح اللّـه ؛ إِنَّه لا ييأس من روح اللّـه إِلَّا القوم الكافرون. قال : فلَمَّا سمع عمر مقالة عَلِيٌّ كرم اللّـه وجهه ومشورته أقبل على النَّاس ، وقال : ويحكم! عجزتم كُلَّكُم عن آخركم أَنْ تقولوا كما قال أبو الحسن ... ثُمَّ أقبل عليه عمر ... فقال : يا أبا

الحسن! فأشر عَلَيَّ الآن برجل ترتضيه ويرتضيه المسلمون أَجعله أَميراً وأستكفيه من هؤلاء الفرس ، فقال عَلِيّ رضي اللّـه عنه: قد أصبته ، قال عمر: وَمَنْ هو؟ قال : النعمان بن مقرن المزني ، فقال عمر وجميع المسلمين : أصبت يا أبا الحسن! وما لها من سواه...»[1].

وهذا[2] بحث متداخل الأَضلاع والزوايا كتداخل أَسنان دوارة الرحىٰ ، ونكتة عذراء ما فُضَّت قَطُّ ، مرَّت عليها الدُّهور والأَزمان وعلماء الإِماميَّة (أَعزَّهم اللّـه) حاموا حومها ؛ ولم يطوفوا طورها بنبرة شفة ، فلم تفرز ملفَّاته المُتشابكة ؛ لكنَّه لو فكَّكه الناقد البصير بمراجعة التأريخ ، والاستعانة بملحمة التَّحليل ، وسندان التَّعَمُّق ، وغوص بحر الفكر ؛ لظهرت للخلق أَنباؤها ، ولطفح الخبر اليقين ؛ يعقله الجاهل ويفهمه الغبي ، وانكشف بلا شكٍّ ولا خفاء نقاب الدَّسِّ والظَّنِّ والتَّخمين ، وصار رجوع خيوط الفتوحات طُرّاً في جانبها المشرق كواصف الشَّمس بالضوء إِلى سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله وأَمير المؤمنين وبقيَّة أَهل البيت الأَطهار عليهم السلام.

بل لم يقم للإِسلام شعاع نور قَطُّ إِلَّا ببركته صلى الله عليه وآله وبقيَّة أَهل البيت الأَطهار عليهم السلام ، فلا يُقاس بهم من هذه الأُمَّة أَحد ولا يُسوَّىٰ بهم مَنْ جَرَت نعمتهم عليه أبداً : هم أَساس الدِّين ، وعماد اليقين ، إِليهم يفيء الغالي وبهم

---

(١) الفتوح ، أَحمد بن أَعثم الكوفي ، ٢ : ٣٨٩ ـ ٢٩٥.

(٢) اسم الإِشارة عائد إِلى النكتة المُتقدِّمة ؛ وهي : أَنَّ جميع الفتوحات الإِسلاميَّة في جانبها المُشرق في زمن خلفاء السقيفة الثلاث عائدة إِلى أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه).

يلحق التَّالي ، ولهم خصائص حقّ الولاية ، وفيهم الوصيَّة والوراثة. وليس في ذلك نحو تعصُّب أَو عاطفة ـ وإِنْ كانتا بلحاظهم نوراً ـ بل للشَّواهد التأريخيَّة الصَّارخة بها قصَّاصات كُتُب العامَّة قبل كُتُب الخاصَّة.

فانظر : ما تُشير إِليه بيانات الوحي والتقول التأريخيَّة ، منها :

بيان أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه) في جوابه على سؤال مَنْ قال له: «يا أَمير المؤمنين ، أَرأَيتَ لو كان رسول اللّـه صلى الله عليه وآله ترك ولداً ذكراً قد بلغ الحلم ، وآنس منه الرشد ، أَكانت العرب تُسَلِّم إِليه أَمرها ؟ قال : **لا ، بل كانت تقتله إِنْ لم يفعل ما فعلت ، إِنَّ العرب كرهت أَمر مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وحسدته على ما آتاه اللّـه من فضله ، واستطالت أَيَّامه حتَّىٰ قذفت زوجته ، ونَفَّرت به ناقته ، مع عظيم إِحسانه إِليها ، وجسيم مننه عندها ، وأَجمعت مذ كان حيّاً على صرف الأَمر عن أَهل بيته بعد موته ، ولو لا أَنَّ قريشاً جعلت اسمه ذريعة إِلى الرئاسة وسِلَّماً إِلى العزِّ و الإِمرة ، لَـمَا عبدت اللّـه بعد موته يوماً واحداً ، ولأَرتدَّت في حافرتها ، وعاد قارحها جذعاً ، وبازلها بكراً ، ثُمَّ فتح اللّـه عليها الفتوح ، فأثرت بعد الفاقة ، وتموَّلت بعد الجهد والمخمصة ... ثُمَّ نُسبت تلك الفتوح إِلى آراء ولاتها ، وحسن تدبير الأُمراء القائمين بها ، فتأَكَّد عند النَّاس نباهة قوم وخمول آخرين ، فكُنَّا نحن مِـمَّن خمل ذكره ، وخبت ناره ، وانقطع صوته وصيته ، حتَّىٰ أَكل الدَّهر علينا وشرب ، ومضت السنون والأَحقاب بما فيها ، ومات كثير مِـمَّن يعرف ، ونشأ كثير مِـمَّن لا يعرف. وما عسىٰ أَنْ يكون الولد لو كان ! إِنَّ رسول اللّـه صلى الله عليه وآله لم يقرِّبني بما تعلمونه من القرب للنَّسب واللحمة ، بل للجهاد والنصيحة ، أَفتراه لو كان له ولد هل كان يفعل ما فعلت ! وكذلك لم يكن يقرب ما قربت ، ثُمَّ لم يكن**

عند قريش والعرب سبباً للحظوة والمنزلة ، بل للحرمان والجفوة ، اللَّهمَّ إِنَّك تعلم أَنِّي لم أَرد الإِمْرَة ، ولا علو الملك والرياسة ، وإِنَّما أَردتُ القيام بحدودك، والأَداء لشرعكَ ، ووضع الأُمور في مواضعها ، وتوفير الحقوق على أَهلها ، والمضي على منهاج نبيّكَ ، وإِرشاد الضال إِلى أَنوار هدايتك»[1].

ودلالته واضحة. وقوله (صلوات اللّـه عليه) : «**ثُمَّ نُسبت تلك الفتوح إِلى آراء ولاتها ، وحسن تدبير الأُمراء القائمين بها ، فتأَكَّد عند النَّاس نباهة قوم وخمول آخرين**» يُعرِّض بنفسه وببقيَّة أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) ؛ فإِنَّ ما قدَّموه للإِسلام من جهود وآراء وحسن تدبير أَخذته الأُمراء والولاة، واحتالوا عليها ونسبوها لأَنفسهم ظلماً وجوراً ، وهذا ما يشير إِليه تتمَّة هذا البيان الشَّريف : «**فكُنَّا نحن مِـمَّن خمل ذكره ، وخبت ناره ، وانقطع صوته وصيته ، حتَّىٰ أَكل الدَّهر علينا وشرب ، ومضت السنون والأَحقاب بما فيها، ومات كثير مِـمَّن يعرف ، ونشأ كثير مِـمَّن لا يعرف**».

رجوع المسلمين إِلى جادَّة الحقِّ

قتل المستولي الثالث وتولية أَمير المؤمنين عليه السلام بالإِجماع

الإِجماع على تولية أَمير المؤمنين عليه السلام سابقة لم تحدث في التأريخ ولن تحدث

ومنه تَتَّضح : نكتة محاصرة أَهل مصر والعراق والبحرين القديمة والصَّحابة للمستولي الثالث عثمان وإِزالته عن ملكه ؛ فبعدما اتَّسع الخرق على الرَّاقع ، وبان الصبح لذي عينين ؛ لبريق حال أَمير المؤمنين عليه السلام ، ولمعان

---

(١) نهج البلاغة ، شرح ابن أَبي الحدد المعتزلي ، ٢٠ : ٢٩٨ ـ ٢٩٩/ ح٤١٤.

صفاته وأَفعاله ، فانبثق نور الحقيقة وتجلَّىٰ ظلام الجهل ، فشُمَّ برق النجاة ؛ طَأْطَأَتْ على إِثره رؤوس المسلمين فأَرحلوا مطايا التَّشمر : فقتلوا عثمان ونصَّبوا سيِّدَ الأَوصياء عليّ بن أَبي طالب عليه السلام بانتخابٍ شعبيٍّ لم يتمَّ ذلك لأَحدٍ من المستولين الثلاثة الَّذين راموا كسر راية الهدىٰ ، ومحو الكلمة الَّتي الزمها اللّـه للمتقين ، فإِنَّ الأَوَّل قد أَتىٰ بالسيف والإِرغام ، والثَّاني بالتَّنصيب ، والثَّالث بالثَّلاثة ، بل لم تتمَّ لأَحدٍ من المسلمين قَطُّ ، بل ولا لجملة البشريَّة.

فانظر : بيانات الوحي والنقول التأريخيَّة ، منها :

بيان أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه) : «... **فإِنَّ اللّـه عزَّوجلَّ بعث محمَّداً صلى الله عليه وآله للنَّاس كافَّة ... وكان من بعده ما كان من التَّنازع في الأَمر ، وتولَّىٰ أَبو بكر ، وبعده عمر ، ثُمَّ عثمان ، فلمَّا كان من أَمره ما كان أَتيتموني فقلتم : «بايعنا» فقلتُ : «لا أَفعل» فقلتم : «بلىٰ» فقلت : «لا» وقبضتُ يدي فبسطتُموها ، ونازعتكم فجذبتموها ، وتداككتم عَلَيَّ تداك الإبل الهيم على حياضها يوم ورودها ، حتَّىٰ ظننتُ أَنَّكم قاتلي ، وأَنَّ بعضكم قاتل بعض ، فبسطتُ يدي فبايعتموني مختارين ...**»[1].

فأَين يوجد مِثْل هذا ؟! أَظنَّ ظانٌّ أَنَّه يوجد في غير آل الرسول صلى الله عليه وآله ؟! كلا وربُّ الرَّاقصات.

وهذا لم يكن محض صدفة ، بل لحضوره عليه السلام السَّاخن في السَّاحة والميدان ، وهذا ما قصده عثمان حين وجَّه خطابه له عليه السلام بقوله : «**إِنْ تربصتَ**

---

(١) الإِحتجاج ، ١ : ٢٣٦.

بي فقد تربصتَ بِمَنْ هو خيرٌ منِّي ومِنكَ ...»[١].

وهذه صفحة من صفحات سيرته عليه السلام المغمورة ، بعدما أَشتبهت الأَقلامُ وشطَّ الكلامُ وشطح المقالُ ، فنسبوه (صلوات اللّـه عليه) خَطَأً واشتباهاً بعد رحيل سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله : جليس داره مدَّة خمسة وعشرين سنة، ونسوا أَنَّه : الشَّمسُ الطَّالعة للعَالَم وهي بالأُفق بحيث لا تنالها الأَيدي والأَبصار ، والبدر المنير ، والسِّراج الزَّاهر ، والنُّور السَّاطع ، والنَّجم الهادي في غياهب الدُّجىٰ ، والبيد القفار ، ولُـجَج البحار.

الثَّاني : دور الإِمام الصَّادق عليه السلام ، فهناك صفحات جمَّة مُغيَّبة في حياته الشَّريفة ، منها : إِتِّبَاع أَهالي دول المغرب العربي[٢] ـ مصر وتونس والجزائر والمغرب ـ لمدرسة أَهل البيت عليهم السلام ؛ فإِنَّه تمَّ على يديه الكريمتين ، فقد ربَّىٰ جماعة من تلامذته ، بل وبعض أَبنائه وأَحفاده وأرسلهم إِلى تلك الدُّول. هذه هي البذرة الأُوْلىٰ لولادة الدَّولة الإِسماعليَّة والفاطميَّة.

وعصارة القول : ينبغي لطالب الحقيقة السَّعي ومحاولة كشف ملفَّات وأَدوار أَهل البيت عليهم السلام الخفيَّة ؛ لتتمَّ النَّظرة الشَّاملة والكاملة والمتوازنة لحقائقهم عليهم السلام ؛ الجامعة لمجالات وعلوم لا حصر لها ، وأَنَّ كلَّ واحدٍ منهم (صلوات اللّـه عليهم) : رَجُل التَّدبير ، والفتح الثقافي والعقائدي والمعرفي في السِّرِّ والعلن.

---

(١) الاحتجاج ، ١ : ٢٢٩.

(٢) هناك قبيلة من أَكبر قبائل البربر الأمازيغا ، تقطن دول : تونس والجزائر والمغرب تسمَّىٰ : (كوتاما) لا زالت باقية على مذهب أَهل البيت عليهم السلام.

القضيَّة العاشرة :

تفسير أَسماء وصفات وأَفعال أَهل البيت عليهم السلام بلغة حضاريَّة

إِنَّه بعدما كانت حقائق أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) الصَّاعدة موجودات في عوالم علويَّة صاعدة ، وكانت أَسماء وصفات إِلٰهيَّة حاكمة على جملة العوالم وكافَّة المخلوقات اللامتناهية ، وتُديرها وتُدبِّر أُمورها وشؤونها وأَحوالها كانت أَسمائهم (صلوات اللّـه عليهم) وأَوصافهم وأَفعالهم منظومة ودورة معارف ؛ يبلغ المُتدبِّر بها أَعالي الجنان ، ويسبح ويغور في بحور عوالم معارف لا متناهية. وعليه : فينبغي أَنْ لا تُفسَّر ولا تُقرأ بسطحيَّة وبلغة جافَّة؛ وأَنْ لا تُحصر بالبُعد النَّفسي والفردي ، بل لابُدَّ أَنْ تُفسَّر وتُقرأ بتفسير وقراءة عصريَّة حضاريَّة ، وبالبُعد المجتمعي والأُممي والحضاري الإِلٰهيّ ، وبالبُعد العوالمي الشَّامل لجملة عوالم الخلقة ومخلوقاتها اللامتناهية.

وخذ على ذلك الأَمثلة التالية :

شجاعة أَهل البيت عليهم السلام شجاعة قيادة إِلٰهيَّة

الأَوَّل : (شجاعة أَهل البيت صلوات اللّـه عليه) ؛ فإِنَّها وإِنْ كانت تحتاج إِلى عضلات بدنيَّة ، وجرأة نفسيَّة وروحية وعقليَّة وغيرها من الأَبعاد الفرديَّة ، لكنَّها لا تقتصر على ذلك ، بل هي شجاعة أُمميَّة ومجتمعيَّة وحضاريَّة وقيادة إِلٰهيَّة ؛ يتحمَّلون فيها مصير أَجيال جملة المخلوقات وفي طُرِّ العوالم ، فشجاعتهم (صلوات اللّـه عليهم) ليست كشجاعة عنترة بن شداد

ـ مثلاً ـ تحتاج إِلى عضلات وجرأة نفسيَّة وروحيَّة فحسب ـ كما كُنَّا ولا زلنا نلهج بهذا التَّفسير المُنحط والخاطئ ، وأشعارنا وأَدبيَّاتنا وخطاباتنا وكتاباتنا ومنابرنا قائمة على ذلك ، والمُضرّ بهم (صلوات اللّـه عليهم) أَشدُّ من دون قياس من إِضرار يزيد بن معاوية وجيشه (عليهم لعائن اللّـه) بأَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) ؛ لأَنَّ تلك قتلت الأَبدان وحرمت أَهلها حياة فانية ، بينما هذه قتلت وتقتل أَرواح ومعارف وعلوم أَهل البيت عليهم السلام وتحرم المسلمين ، بل البشريَّة ، بل المخلوقات حياة أَبديَّة ، ومن ثَمَّ تحتاج نفوسنا وأَرواحنا وعقولنا وقلوبنا وطبقات حقائقنا ووجوداتنا إِلى التطهير من نجاسة ورجاسة هذه التفسيرات ـ وإِنَّما قُطْب أَقطاب شجاعتهم (صلوات اللّـه عليهم) : قيادة إِلٰهيَّة.

وهذا ما تشير إِليه بيانات الوحي ، والنقول التأريخيَّة[1] ، منها :

١ـ بيان أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه) : «... **أَنَا أَخو رسول اللّـه وابن عمِّه ، وسيف نقمته ، وعماد نصرته ، وبأسه وشدَّته ، أَنَا رحىٰ جهنَّم الدائرة ، وأَضراسها الطَّاحنة ، أَنا مؤتم البنين والبنات ، وقابض الأَرواح، وبأس اللّـه الَّذي لا يردّه عن القوم المجرمين ، أَنا مجدل الأَبطال وقاتل**

---

(١) **ينبغي الإِلتفات** : أَنَّ التأريخ علم جَمّ ، ومواد خطيرة دائماً ، فإِنَّه ليس سلسلة أَحداث فحسب ، وإِنَّما عبارة عن حقول مُتعدِّدة ، وحضارة مُتجسِّدة ومُتجسِّمة في كلِّ أَبعادها ، ومن ثَمَّ لابُدَّ أَنْ يقرأه ويدرسه المُتخصِّصون بعلوم عديدة ، منها : علم : (أَمنيّ) و(عسكريّ) و(نفسيّ) و(سياسيّ) و(اقتصاديّ) و(تجاري) و(صناعي) و(زراعي) و(حضاري) و(قانوني) و(حقوقي) و(أَخلاقي).

الفرسان ، ومبير من كفر بالرحمٰن ...»[١] .[٢]

٢ـ بيانه (صلوات اللّـه عليه) أَيضاً : «... **واللّـه لو تظاهرت العرب على قتالي لما ولَّيت ، ولو أَمكنتني الفرصة من رقابها لما بقَّيت ...**»[٣].

٣ـ بيانه (صلوات اللّـه عليه) أَيضاً ، في إِجابته لليهوديّ الَّذي سأل عن علامات الأَوصياء ، قال : «... **وأَمَّا السَّادسة يا أَخا اليهود فإِنّا وردنا مع رسول اللّـه صلى الله عليه وآله مدينة أَصحابك خيبر على رجالٍ من اليهود وفرسانها من قريش وغيرها ، فتلقَّونا بأَمثال الجبال من الخيل والرِّجَال والسلاح ، وهم في أَمنع دارٍ ، وأَكثر عدد ، كُلّ ينادي يدعو**[٤] **ويبادر إلى القتال ، فلم يبرز إِليهم**

---

(١) بحار الأَنوار ، ٣٣ : ٢٨٣/ ح٥٤٧.

(٢) **يجدر الإلتفات :**

أَوَّلاً : أَنَّ جميع أَسباب : القوَّة والقدرة والقيادة والإِدارة والحُكم وما شاكلها بيد أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) ، لكنَّهم يستعملونها بطريقة سلميَّة ، مدنيَّة ، حضاريَّة. فراجع بياناتهم (صلوات اللّـه عليهم) وسِيَرهم وأَحوالهم وشؤونهم تجد صدق ما نقول واضحاً وجليّاً.

ثانياً : أَنَّ أَحد أَسباب قوَّة وقدرة أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) : أَنَّهم ينصفون عدوّهم قبل أَنْ ينصفوا وليَّهم ، فذاك أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه) يأمر ذويه بإِنصاف قاتله ابن ملجم (لعنة اللّـه عليه) حتَّىٰ في صغائر ومحقَّرات الأُمور ، مع أَنَّه اعتدىٰ عليه بالغدر والغيلة والفتك والدجل ، وبدناءة لا أَخلاقيَّة في المواجهة والمجابهة ، بل ولا أَخلاقيَّة في العدوان ، ومع كُلّ هذا وغيره لم يكن لِعَلِيّ الطهر (صلوات اللّـه عليه) إِلَّا الإِنصاف معه ، فأَي نفس هذه.

(٣) بحار الأَنوار ، ٢١ : ٢٦/ ح٢٥. أَمالي الصدوق : ٣٠٧.

(٤) خ . ل : (ويدعو).

من أَصحابي أَحد إِلَّا قتلوه ، حتَّىٰ إِذا احمَّرت الحدق ، ودُعيتُ إِلى النِّزال، وأهمَّت كلّ امرئ نفسه ، والتفت بعض أَصحابي إِلى بعض وكلّ يقول : يا أَبا الحسن ، انهض ، فأنهضني رسول اللّـه ﷺ إِلى دارهم ، فلم يبرز إِلَيَّ منهم أَحدٌ إِلَّا قتلته ، ولا يثبت لي فارس إِلَّا طحنته ، ثُمَّ شددتُ عليهم شَدَّة اللَّيث على فريسته حتَّىٰ أَدخلتهم جوف مدينتهم مسدّداً عليهم ، فاقتلعتُ باب حصنهم بيدي حتَّىٰ دخلتُ عليهم مدينتهم وحدي ، أَقتل مَنْ يظهر فيها من رجالها ، وأَسبي مَنْ أَجد من نسائها حتَّىٰ افتتحتها وحدي ، ولم يكن لي فيها معاون إِلَّا اللّـه وحده»[1].

٤ـ ما ورد عن أَحواله (صلوات اللّـه عليه) يوم خيبر أَيضاً ، عن أَبي رافع مولىٰ رسول اللّـه ﷺ ، قال : «فلَمَّا دنا من الحصن خرج إِليه أَهله فقاتلهم ، فضربه رجلٌ من اليهود فطرح ترسه من يده ، فتناول عَلِيٌّ عليه السلام باب الحصن فتترَّس به عن نفسه ، فَلَم يَزَلْ في يده وهو يُقاتل حتّىٰ فتح اللّـه عليه، ثُمَّ أَلقاه من يده ، فلقد رأيتني في سبعة نفر أَنا منهم نجهد على أَنْ نقلب ذلك الباب فما استطعنا أَنْ نقلبه»[2].

٥ـ عن أَبي جعفر عليه السلام ، قال : «حدَّثني جابر بن عبد اللّـه : أَنَّ عليّاً عليه السلام حَمَلَ الباب يوم خيبر حتَّىٰ صعد المسلمون عليه ، فاقتحموها ففتحوها ، وإِنَّه حُرِّك بعد ذلك فَلَمْ يحمله أَربعون رجلاً»[3]. وعن جابر أَيضاً : «ثُمَّ اجتمع

---

(١) بحار الأَنوار ، ٣٨ : ١٧٩/ ح١. الخصال ، ٢ : ١٤ ـ ٢٥. الاختصاص : ١٦٣ و١٨١.
(٢) بحار الأَنوار ، ٢١ : ٤.
(٣) المصدر نفسه.

عليه سبعون رَجُلاً فكان جهدهم أَنْ أَعادوا الباب»[١].

٦ـ عن عبد اللّـه بن عمرو بن العاص ، قال : «إِنَّ رسول اللّـه صلى الله عليه وآله دفع الرَّاية يوم خيبر إِلى رَجُلٍ من أَصحابه فرجع منهزماً ، فدفعها إِلى آخر فرجع يُجبِّن أَصحابه ويُجبِّنونه ، قد ردَّ الرَّاية منهزماً ، فقال رسول اللّـه صلى الله عليه وآله: «**لأُعطين الراية غداً رَجُلاً يحبُّ اللّـه ورسوله ، ويحبُّه اللّـه ورسوله ، لا يرجع حتَّىٰ يفتح اللّـه على يديه**» فَلَمَّا أصبح قال : **ادعوا لي عَلِيّاً** ، فقيل له : يا رسول اللّـه ، هو رمد، فقال : **ادعوه** ، فلمَّا جاء تفل رسول اللّـه صلى الله عليه وآله في عينيه وقال: «**اللَّهُمَّ ، ادفع عنه الحرّ والبرد**» ثُمَّ دفع الراية إِليه ومضىٰ ، فَما رجع إِلى رسول اللّـه صلى الله عليه وآله إِلَّا بفتح خيبر. ثُمَّ قال : إِنَّه لَـمَّا دَنَا من القموص أَقبَلَ أَعداء اللّـه من اليهود يرمونه بالنَّبل والحجارة ، فحمل عليهم عَلِيّ عليه السلام حتَّىٰ دَنَا من الباب ، فثنَّىٰ رجله ثُمَّ نزل مغضباً إِلى أَصل عتبة الباب فاقتلعه ، ثُمَّ رمىٰ به خلف ظهره أَربعين ذراعاً. قال ابن عمرو : ما عجبنا من فتح اللّـه خيبر على يدي عَلِيّ عليه السلام ، لكنَّا عجبنا مِنْ قلعه الباب ورميه خلفه أَربعين ذراعاً ، ولقد تكلَّف حمله أَربعون رجلاً فما أَطاقوه...»[٢].

٧ـ عن الإِمام الصَّادق ، عن آبائه عليهم السلام : «**إِنَّ أَمير المؤمنين عليه السلام قال في رسالته إِلى سهل بن حنيف رحمه الله ، واللّـه ما قلعتُ باب خيبر ورميت به خلف ظهري أَربعين ذراعاً بقوَّة جسديَّة ، ولا حركة غذائيَّة ، لكنِّي أُيدتُ بقوَّةٍ ملكوتيَّةٍ ، ونفس بنور ربِّها مضيئة ...**»[٣].

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢١ : ٤.
(٢) المصدر نفسه : ٢٦/ ح٢٤.
(٣) المصدر نفسه / ح٢٥.

٨ـ سأل عمر أَمير المؤمنين عليه السلام عن ذلك اليوم : «يا أبا الحسن ، لقد اقتلعتَ منيعاً ، وأَنتَ ثلاثة أَيَّام خميصاً ، فهل قلعتها بقوَّةٍ بشريَّةٍ ؟! فقال : **ما قلعتها بقوَّةٍ بشريَّةٍ ، ولكن قلعتُها بقوَّةٍ إِلٰهيَّة ، ونفس بلقاء ربِّها مطمئنَّة رضيَّة**»[1].

٩ـ عن سلمان الفارسي رضي الله عنه ، قال : «... قلنا : يا أَمير المؤمنين ، من هؤلاء ؟ قال: **بقيَّة قوم عاد ، كُفَّار لا يؤمنون باللّـه (عزَّوجلَّ) أَحببتُ أَن أُريكم إِيّاهم ، وهذه المدينة وأَهلها أُريد أَنْ أهلكهم وهم لا يشعرون**. قلنا : يا أمير المؤمنين ، تهلكهم بغير حُجَّة ؟ قال: **لا ، بل بحُجَّةٍ عليهم**. فدنا منهم وترآىٰ لهم ، فَهَمُّوا أَنْ يقتلوه ، ونحن نراهم وهم يرون[2]، ثُمَّ تباعد عنهم ودنا مِنَّا ، ومسح بيده على صدورنا وأَبداننا وتكلَّم بكلماتٍ لم نفهمها ، وعاد إِليهم ثانية حتَّىٰ صار بإِزائهم وصعق فيهم صعقة. قال سلمان : لقد ظننَّا أَنَّ الأَرض قد انقلبت ، والسَّمآء قد سقطت ، وأَنَّ الصَّواعق مِنْ فيه قد خرجت، فَلَمْ يَبْقَ منهم في تلكَ السَّاعة أَحد ، قلنا : يا أمير المؤمنين ، ما صنع اللّـه بهم ؟ قال : **هلكوا وصاروا كُلَّهم إِلى النَّار**. قلنا : هذا معجز ، ما رأينا ولا سمعنا بمثله. فقال عليه السلام: **أَتريدون أَنْ أُريكم أَعجب من ذلك** ؟ فقلنا: لا نطيق بأسرنا على احتمال شيء آخر ، فَعَلَىٰ مَنْ لا يتوالاك ؛ ويؤمن بفضلكَ وعظيم قدرك على اللّـه عزَّوجلَّ لعنة اللّـه ، ولعنة اللاعنين والملائكة والخلق

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢١ : ٤٠/ ح٣٧.

(٢) في المصدر : (وهم لا يروننا).

أَجمعين إِلى يوم الدِّين ...»[١].

١٠ـ ما ورد عن أَبي بكر مُخاطباً عمر ، ومُحذِّراً إِيّاه من أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه) : «... ناشدتك اللّـه يا عمر لَـمَا تركتني من أَغاليطكَ وتربيدكَ ، فواللّـه لو هَمَّ بقتلي وقتلكَ لقتلنا بشماله دون يمينه ، وما ينجينا منه إِلَّا ثلاث خصال ... أَنسيت له يوم أُحد وقد فررنا بأَجمعنا ، وصعدنا الجبل ، وقد أَحاطت به ملوك القوم وصناديدهم ، موقنين بقتله ، لا يجد عنه محيصاً للخروج من أَوساطهم ، فلَمَّا أَنْ سدَّد القوم رماحهم نكس نفسه عن دابَّته حتَّىٰ جاوزه طعان القوم ، ثُمَّ قام قائماً في ركابه وقد طرق عن سرجه ... ثُمَّ عهد إِلى رئيس القوم فضربه ضربة على رأسه فبقي على فكٍّ ولسان ، ثُمَّ عمد إِلى صاحب الراية العظمىٰ فضربه ضربة على جمجمته ففلقها ، فمرَّ السيف يهوي في جسده فبرأه ودابَّته نصفين ، فلَمَّا أَن نظر القوم إلى ذلك انحطوا من بين يديه ، فجعل يمسحهم بسيفه مسحاً حتَّىٰ تركهم جراثيم خموداً على تلعةٍ من الأَرض ، يتمرَّغون في حسرات المنايا ، يتجرَّعون كؤوس الموت ، قد اختطف أَرواحهم بسيفه ، ونحن نتوقَّع منه أَكثر من ذلك ، ولم نكن نضبط أَنفسنا من مخافته ، حتَّىٰ ابتدأتَ أَنتَ إِليه فكان منه إِليك ما تعلم، ولولا أَنَّه أَنزل اللّـه إِليه آية من كتاب اللّـه لَكُنَّا من الهالكين ، وهو قوله : ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾[٢] ...»[٣].

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٧ : ٣٣ـ ٤٠/ ح٥.

(٢) النحل : ٩٦.

(٣) بحار الأَنوار ، ٢٩ : ١٤٠ ـ ١٤٥/ ح٣٠. الإِحتجاج ، ١ : ١٢٧ ـ ١٣٠.

ودلالته ـ كدلالة سوابقه ـ واضحة.

ثُمَّ إِنَّه ينبغي الإِلتفات في المقام إِلى النقاط الثلاث التَّالية :

الأُوْلَىٰ : أَنَّ هناك مُمَيِّزات وخصائص ونعوت اختصَّ بها أَمير المؤمنين (صلوات اللّٰـه عليه) من بين جملة الخلائق ، منها : أَنَّ يد ساحة القدس الإِلٰهيَّة قدَّرت أَنْ لا يدخل (صلوات اللّٰـه عليه) في جيشٍ قَطُّ ويُهزَم.

ومعناه : أَنَّ لسؤدده (صلوات اللّٰـه عليه) تموِّج بنحو يجعل الجيش الَّذي يُشارك فيه لا يُهزَمُ أَبداً.

الثَّانية : أُصيب أَمير المؤمنين (صلوات اللّٰـه عليه) في معركة أُحد بجراحات عجيبة وبالغة الشدَّة والخطورة ، بقيت الزهراء صلوات اللّٰـه عليها تداويها وتعالجها لأَشهر عديدة ، ولعلَّه أُصيب فيها بجراحات أَكثر مِـمَّا أُصيب به بدن سيِّد الشهداء (صلوات اللّٰـه عليه) يوم العاشر من المُحرَّم ، والَّتي أَحصتها بيانات الروايات بـ : (١٨٠٠) جرح ، وهذه ضريبة البطولة الَّتي قام بها (صلوات اللّٰـه عليه) في معركة أُحد.

الثَّالثة : المعروف في كُتُب التأريخ : أَنَّ المسلمين انتصروا في بادي الأَمر في معركة أُحد لكنَّهم انهزموا بعد ذلك.

والحقُّ : أَنَّ لهذه الواقعة تتمَّة حذفتها أَقلام أَصحاب السقيفة والدولة الأُمويَّة ؛ لكونها مرتبطة بأَمير المؤمنين (صلوات اللّٰـه عليه) ، وهي : أَنَّ المسلمين انتصروا بعد ذلك ، فكانت خاتمة معركة أُحد إِنتصاراً للمسلمين.

وهذا ما تُشير إِليه بيانات الوحي والقصَّاصات والنُّقول التأريخيَّة ، منها : ما ذكره أَبو بكر في هذا الدَّليل ، وما ذكره عمر في الدَّليل التَّالي ،

ويضاف إليهما :

أَوَّلاً : بيان زيارة أَمير المؤمنين عليه السلام يوم الغدير ، عن الإمام الهادي عليه السلام: «... **ويوم أُحُدٍ إذ يُصعِدُون ولا يلوُون على أَحدٍ ، والرَّسُولُ يدعوهم في أُخراهم ، وأَنتَ تذُودُ بُهَمَ المشركين عن النَّبيِّ ذات اليمين وذات الشَّمال ؛ حتَّىٰ رَدَّهُمُ اللّـهُ تعالىٰ عنكما خائفين ، ونَصَرَ بِكَ الخاذِلِين...**»[1].

ثانياً : لو كانت قريش قد انتصرت في نهاية المعركة فلماذا لم يغيروا على المدينة المنوَّرة ويسبوا نسائها وأَطفالها ، ويسلبوا أَموالها ، فقريش الَّتي أَكلت نساؤها كبد حمزة عليه السلام كيف يُعقل أَنْ لا تفعل ذلك ، وركبوا الجمال وانصرفوا إلى مكَّة عائدين.

ومنه يتَّضح : السِّرّ في ما بلغ إليه أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه) من مقاماتٍ ، بعدما لم يكن بين اللّـه (العزيز الجبَّار) وبين أَحدٍ من خلقه قرابة ، فاللّـه وإِنْ كان كريماً ، لكنَّه يعطي كُلَّ مخلوقٍ بحسبه.

١١ـ ما تقدَّم عن أَبي واثلة[2] شقيق بن سلمة ، قال : «كنتُ أُماشي عمر بن الخطَّاب إِذْ سمعتُ منه همهمة ، فقلتُ له : مه يا عمر ، فقال : ويحكَ، أَمَا ترىٰ الهزبر القثم ابن القثم الضَّارب بالبهم ، الشَّديد على مَنْ طغا

---

(١) بحار الأَنوار ، ٩٧ : ٣٦٥.

(٢) هكذا في الكتاب ومصدره ، وفيه وهم ، والصحيح : أَبي وائل. راجع : التقريب ، وأسد الغابة ، وغيرهما. (البحار).

وبغا[١] بالسَّيفين والراية ، فالتفتُ فإذا هو عَلِيُّ بن أبي طالب ، فقلتُ له : يا عمر ، هو عَلِيُّ بن أبي طالب ، فقال : ادن منِّي أُحدِّثُكَ عن شجاعته وبطالته ، بايعنا النَّبيّ صلى الله عليه وآله يوم أُحد على أَنْ لا نفرَّ ، وَمَنْ فَرَّ مِنَّا فهو ضال ، وَمَنْ قُتِلَ مِنَّا فهو شهيد ، والنَّبيّ صلى الله عليه وآله زعيمه ، إِذْ حمل علينا مائة صنديد ، تحت كُلّ صنديدٍ مائة رَجُلٍ أَو يزيدون ، فأزعجونا عن طاحونتنا ، فرأيتُ عَلِيّاً كاللَّيث يَتَّقي الذر[٢]، إِذْ قد حمل كفّاً مِنْ حصىٰ فرمىٰ به في وجوهنا ، ثُمَّ قال : «**شاهت الوجوه ، وقُطَّت وبُطَّت ولُطَّت ، إِلى أَين تفرُّون ؟ إِلى النَّار ؟**» فلم نرجع ، ثُمَّ كَرَّ علينا الثانية وبيده صفيحة يقطر منها الموت ، فقال : «**بايعتم ثُمَّ نكثتم ، فواللّـه ، لأَنتم أَولىٰ بالقتل مِـمَّن أَقتُل**» ، فنظرتُ إِلى عينيه كأَنَّهما سليطان يتوقَّدان ناراً ، أَو كالقدحين المملوّين دماً ، فما ظننتُ إِلَّا ويأتي علينا كلّنا، فبادرتُ أَنا إِليه من بين أَصحابي ، فقلت : يا أَبا الحسن ، اللّـه اللّـه ، فإِنَّ العرب تفرّ وتكرّ ، وإِنَّ الكرَّة تنفي الفرَّة ، فكأَنَّه استحيىٰ ، فولَّىٰ بوجهه عنِّي، فما زلتُ أُسَكِّن روعة فؤادي ، فواللّـه ما خرج ذلك الرُّعب من قلبي حتَّىٰ السَّاعة ...»[٣].

١٢ـ احتجاجه (صلوات اللّـه عليه) في خبر الشورىٰ : «... **نشدتكم**

---

(١) هكذا في نسخة المُصنِّف. وفيه تصحيف. والصحيح : إِمَّا : (طغىٰ وبغىٰ) ، كما في المصدر ، أَو (طغا وبغىٰ). والأَوَّل يأتي من اليائي والواوي كليهما. (حاشية البحار).

(٢) خ . ل : (الدرق).

(٣) بحار الأَنوار ، ٢٠ : ٥٢ ـ ٥٣.

باللّـه ، هل فيكم أَحَد قتل من بني عبد الدار تسعة مبارزة[١]، كلّهم بأخذ اللواء ، ثُمَّ جاء صُوأب الحبشي مولاهم وهو يقول : واللّـه لا أَقتُل بسادتي إِلَّا مُحَمَّداً ، قد أَزبد شدقاه واحمرَّت عيناه ، فاتَّقيتموه وحُدتُم عنه ، فخرجتُ إِليه ، فلَمَّا أقبل كأَنَّه قبَّة مبنيَّة ، فاختلفتُ أَنا و هو ضربتين ، فقطعته بنصفين ، وبقيت رجلاه وعجزه وفخذاه قائمة على الأَرض ، تنظر إِليه المسلمون ويضحكون منه؟ قالوا : اللَّهُمَّ ، لا»[٢].

١٣ـ ما ورد في معركة صفين : «... وخرج العبَّاس بن ربيعة بن الحارث الهاشمي فأبلىٰ ... فقال معاوية : من خرج إِلى هذا فقتله فله كذا وكذا. فوثب رَجُلان من لخم من اليمن فقالا : نحن نخرج إِليه فقال : اخرجا ، فأَيّكما سبق إِلى قتله فله من المال ما ذكرتُ وللآخر مِثْل ذلك ، فخرجا إِلى مقرِّ المبارزة وصاحا بالعبَّاس ، ودعواه إلى القتال ، فقال : استأذن صاحبي وأَعود إِليكما ، وجاء إِلى عَلِيٍّ عليه السلام ليستأذنه ، فقال له : أعطني ثيابكَ وسلاحكَ وفرسكَ ، ولبسها وركب الفرس وخرج إِليهما [فظنَّا] أَنَّه على العبَّاس ... فتقدَّم إِليه أَحد الرجلين فالتقيا ضربتين ، ضربه عَلِيّ عليه السلام على مراق بطنه قطعه بإثنتين ، فظنَّ أَنَّه أخطأه ، فلَمَّا تحرَّك الفرس سقط قطعتين ، وغار فرسه وصار إِلى عسكر عَلِيّ عليه السلام ، وتقدَّم الآخر فضربه عَلِيٌّ عليه السلام فأَلحقه بصاحبه ... و... في وصف ليلة الهرير : ... إِنَّ قتلاه عرفوا في النهار ؛ فإِنَّ ضرباته كانت على وتيرة واحدة ؛ إِن ضرب طولاً قَدَّ ، أَو عرضاً قَطَّ وكانت**

---

(١) في المصدر : (مبارزة غيري).

(٢) بحار الأَنوار ، ٢٠ : ٦٩/ح٤. الخصال ، ٢ : ١٢١ و ١٢٤.

كأَنَّها مكواة بالنَّار»[1]. [2]

---

(١) بحار الأَنوار ، ٣٢ : ٦٠١/ ح٤٧٥.

(٢) ظنَّ كثير خطأً : أَنَّ غاية غايات أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه) من حرب الجمل وصفِّين والنهروان هزيمة وإِبادة الطرف ونسفه عسكريّاً ، والحقُّ : أَنَّ الَّذي كان يتوخَّاه أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه) وأنجزه : (فَقْئُ الفتنة).

وإِلى هذا أَشارت بياناته (صلوات اللّـه عليه) ، منها :

أَوَّلاً : بيانه عليه السلام : «... **فأَنا فقأتُ عين الفتنة بباطنها وظاهرها** ...». بحار الأَنوار ، ٢٦ : ١٥٢ـ ١٥٣/ ح٤٠. المحتضر : ٨٧.

ثانياً : بيانه عليه السلام أَيضاً : «... **فأَنا فقأتُ عين الفتنة ، ولم يكن ليجترئ عليها أَحد غيري ، بعد أَنْ ماج غيهبها ، واشتدَّ كلبها** ...». بحار الأَنوار ، ٤١ : ٣٤٨ ـ ٣٤٩/ ح٦١. نهج البلاغة ، ١: ١٩٩ ـ ٢٠١.

ثالثاً : بيانه عليه السلام أَيضاً : «**أنا فقأتُ عين الفتنة ، ولولا أَنا ما قوتل أَهل النهروان ولا أَصحاب الجمل ، ولولا أَنِّي أَخشىٰ أَنْ تتَّكلوا فتدعوا العمل لأخبرتكم بالَّذي قضىٰ اللّـه على لسان نبيّكم لـمَنْ قاتلهم ؛ مبصراً بضلالهم ، عارفاً للهدىٰ الَّذي نحن عليه**». بحار الأَنوار ، ٣٣ : ٣٥٦/ ح٥٨٨.

رابعاً : بيان الإِمـام الباقر في تفسيره لبيان أَمير المؤمنين عليهما السلام : «... **فقأت عين الفتنة ، وأَقتل أُصول الضلالة** ...». بحار الأَنوار ، ٣٩: ٣٤٨ـ ٣٤٩/ ح٢٠. مناقب آل أَبي طالب ، ١ : ٥١٢ ـ ٥١٤.

ودلالة الجميع واضحة ؛ فإِنَّه عليه السلام ـ مثلاً ـ بيَّن في حرب الجمل : أَنَّ أُمّ المؤمنين والصحابي يُقتلا إِذا زاغا عن جادَّة الدِّين وحارباه ؛ فإِنَّ مُوقعيَّة أُمّ المؤمنين والصحابي لا تعني المقايضة على أَصل الدِّين.

وهذه البصيرة العظيمة وبيان المراتب أَعظم من دون قياس من الإِنتصار والحسم العسكري في معركة الجمل وهزيمة عائشة ومَنْ ضلَّ من الصحابة ، وأَعظم من دون قياس أَيضاً من الإِنتصار عسكريّاً على معاوية في حرب صفِّين ، فإِنَّ سن ←

وترسيخ الثوابت الإنسانيَّة ، بل الحضاريَّة العوالميَّة أَعظم من الحسم العسكري ، فمثلاً : كان المُعتقد السَّائد عند المسلمين دينيّاً وسياسيّاً : أَنَّ القرآن النَّاطق ـ وهو : الإمام من أَهل البيت عليهم السلام ـ لا يعدل ولا يُعادل القرآن الصامت ـ المصحف الشريف ـ ، لكن : أَمير المؤمنين عليه السلام أَثبت في معركة صفِّين بطلان وضحالة هذا الإعتقاد ؛ وأَنَّ القرآن الصامت لا يقي الفتنة ، ولا يعطي الهداية من دون القرآن النَّاطق. وهذه عبرة وبصيرة سنَّها وأَنجزها أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه) في معركة صفِّين أَعظم من إبادة معاوية وجيشه.

وعلى هذا قس ما حصل في معركة النهروان ؛ فإِنَّ ما حقَّقه (صلوات اللّـه عليه) فيها من إنجاز حضاري أَعظم من دون قياس من الحسم والإنتصار العسكري وهزيمة أَصحاب النهروان ؛ فإِنَّهم كانوا أَصحاب فتنة فقأها (صلوات اللّـه عليه) وبنىٰ فيها بصيرة حضاريَّة ، عظيمة وخطيرة في المسلمين ، بل في البشريَّة ، بل وفي جملة المخلوقات ؛ فإِنَّ الخوارج كانوا يتمترسون بـ : (سبُّوح قدُّوس) ، وبـ : شعار (لا حكم إِلَّا لِلّـه) ؛ وهو شعار حقّ وعدل ، لكن الزيغ كان يكمن في منهاجهم ، ومعناه : أَنَّ الشعار العادل ينبغي أَن لا يغرَّ العاقل ، فلابُدَّ من النظر إِلى ما ورائه ، ومن ثَمَّ أَجاب (صلوات اللّـه عليه) عن شعارهم هذا : أَنَّه : «كلمة حقّ أُريد بها باطل...». بحار الأَنوار، ٣٣ : ٣٣٨/ ح٥٨٣، ومعناه : أَنَّ كلمة الحقّ قد تكون فتنة ؛ ومن ثَمَّ المصحف الشريف قد يكون فتنة ، وأُمومة المؤمنين قد تكون فتنة ، وصحبة سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله قد تكون فتنة. وهذه الفتن لا تُرفع ولا تُفقأ عينها إِلَّا بأَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم).

إِذَنْ : القرآن الصَّامت لا محالة يكون فتنة إِذا تُرك القرآن النَّاطق.

ثُمَّ إِنَّه لا يمكن تأسيس هذه البصيرة وما شاكلها في المسلمين ، بل في جملة البشريَّة، بل في كافَّة المخلوقات وفي طُرُّ العوالم إِلَّا بيد أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه) ؛ فإِنَّه مَنْ كان يجرأ على قتال أُمّ المؤمنين والصحابة كالزبير وطلحة إِذا عادوا أَصل الدِّين غير أَمير المؤمنين عليه السلام مؤسس دين الإِسلام بعد سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله.

وعلى هذا قس : شجاعة بقيَّة أَهل البيت (صلوات اللّٰـه عليهم) من أَصحاب الدائرة الاِصطِفائيَّة الأُولىٰ ، بل وأَصحاب الدائرة الاِصطِفائيَّة الثانية كـ : أَبي الفضل العبَّاس عليه السلام.

وبالجملة : هناك فارق سنخيٌّ مهول وعظيم جِدّاً ، بل من دون قياس بين شجاعة وبطولة أَهل البيت (صلوات اللّٰـه عليهم) ؛ المُنطلِقة من الصفات والأَسماء الإِلٰهيَّة ـ كـ : اسم : (الـجبَّار ، والمُتكبِّر ، والقهَّار ، والقابض ، والخافض ، والمُذِل ، والخبير ، والعظيم ، والمُقيت ، والحقّ ، والقوي ، والمتين، والمُميت ، والقادر ، والمُقتدِر ، والمتعال ، والمُنتَقِم ، ومالك المُلك ، والجامع ، والمانع ، والضَّار) ـ ، وبين شجاعة وبطولة ما عداهم ، المُنطلِقة من الصفات الرُّوحيَّة والنزعات النفسانيَّة.

ومنه يتَّضح : أَنَّ ثبات أَمير المؤمنين (صلوات اللّٰـه عليه) يوم أُحد وما شاكله : ثبات كفاءة قيادة إِلٰهيَّة ، وشجاعة إِدارة ربانيَّة ، وثبات مُعالجة إِلٰهيَّة لحلحلة الأَزمات. بخلاف فرار جملة الصحابة في ذلك اليوم وما شاكله ؛ فإِنَّه: فرار عن كفائة قيادة ، وجبن عن إِدارة ومعالجة وحلحلة الأَزمات. ومن ثَمَّ لا يجوز ولا يحقُّ لأَحدٍ منهم البَتَّة التَّصدِّي لإِدارة أُمور المسلمين أَو

→ **والخلاصة** : أَنَّ العبرة الَّتي توخَّاها أَمير المؤمنين عليه السلام من حروبه أَعظم من دون قياس من المكاسب السياسيَّة والعسكريَّة. وهذه بصيرة بنيويَّة عقائديَّة ، معرفيَّة ، حضاريَّة ، ونظام الدِّين ، تبقىٰ شاخصة إِلى ما بعد عَالَم الآخرة الأَبديَّة ، يجب على المخلوق الإِلتفات إِليها والعضّ عليها بضرس قاطع.

بعضهم ؛ وذلك من باب السالبة بانتفاء موضوعها.

زهد أَهل البيت عليهم السلام زهد قيادة إلهيَّة

المثال الثَّاني : (زهد أَهل البيت صلوات اللّـه عليهم) ؛ فإِنَّه ليس زهداً نفسيّاً فرديّاً ، بل زهد أُممي ومجتمعي وحضاري ؛ وزهد قيادة إِلٰهيَّة ، ونظام تدبير إِلٰهي لجملة العوالم وكافَّة المخلوقات ، مُنطلِق من الأَسمآء والصفات والفضائِل الإِلٰهيَّة.

أَمانة أَهل البيت عليهم السلام

المثال الثَّالث : (أَمانتهم صلوات اللّـه عليهم) : فإِنَّها ليست فرديَّة وبُعداً نفسيّاً ، بل أَمانة أُمميَّة ومجتمعيَّة وحضاريَّة وأَمانة قيادة إِلٰهيَّة ، يُتحمَّل فيها مصير طُرّ العوالم وسائر المخلوقات ، مُنطلِقة من الأَسمآء والصفات والفضائل الإِلٰهيَّة.

عطف أَهل البيت عليهم السلام

المثال الرابع : (عطفهم ورأفتهم صلوات اللّـه عليهم) ؛ فإِنَّها ليست فرديَّة وذا بُعد نفسي فحسب ، بل عطف ورأفة أُمميَّة ومجتمعيَّة وحضاريَّة ، وعطف ورأفة قيادة إِلٰهيَّة ، وكفاءة نظام اقتصادي شامل لجملة أَرجاء الدولة الإِسلاميَّة الإِلٰهيَّة ؛ الشَّاملة لطرِّ العوالم وجميع المخلوقات ، مُنطلِقة من الأَسماء والصفات والفضائل الإِلٰهيَّة ، تشمل كافَّة طبقات المخلوقات المحرومة.

عدل أَهل البيت عليهم السلام

المثال الخامس : (عدلهم صلوات اللّـه عليهم) ؛ فإِنَّه ليس فرديّاً ونفسيّاً فحسب ، وإِنَّما عدل أُمَّة ومجتمع وحضارة ، وعدل إِدارة وقيادة ومنظومة إِلٰهيَّة ، وكفاءة نظام إِدارة وقيادة عادلة شامل لكافَّة أَرجاء الدولة الإِسلاميَّة الإِلٰهيَّة ؛ الشاملة لكلِّ العوالم وجملة المخلوقات ، مُنطلِقة من الأَسمآء والصفات والفضائل الإِلٰهيَّة.

بيعة الغدير لأَهل البيت عليهم السلام في الحاضرة الدوليَّة في العصر الراهن

ومن كُلِّ ما تقدَّم تتَّضح : فلسفة سجود وخضوع أَرواح وعقول نُخب البشريَّة في العصر الراهن ، وإِقرارها : بيعة غدير أُخرىٰ لأَمير المؤمنين ولبقيَّة أَهل البيت الأَطهار (صلوات اللّـه عليهم) في أَروقة الأُمم المُتَّحدة على عهده (صلوات اللّـه عليه) لمالك الأَشتر رحمه الله : «... **ثُمَّ اعْلَم يا مالك ... النَّاس ... صنفان : إِمَّا أَخٌ لَكَ في الدِّين ، وإِمَّا نظيرٌ لَكَ في الخَلْقِ ...**»[1].[2]

---

(١) نهج البلاغة ، المختار من كتب أَمير المؤمنين عليه السلام ورسائله : ٤٥٠ ـ ٤٥١/ ٥٣ ، من عهد له عليه السلام، كتبه للأشتر النخعي رضي الله عنه.

(٢) إِنَّ أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه) بيَّن في عهده هذا لمالك الأشتر رحمه الله : كيفيَّة اللولب النسقي بين وظائف وأجنحة وأَعضاء الدولة.
وبعدما يقرب من أَلف وأَربعمائة عام أَبصرت نخب البشر لما يقرب من مئتي دولة في الأُمم المُتَّحدة : أَنَّ في هذا العهد خارطة مستقبليَّة وكفوءة لإِدارة تنمية حضارة البشر. وهذا يُدلِّل ـ بعدما وصلت عقليَّة البشر في العصر الراهن في كيفيَّة إِدارة ←

وهذه أُمميَّة أَمير المؤمنين وبقيَّة أَهل البيت (صلوات اللّٰـه عليهم) لا يصحُّ تفسيرها ببعد فرديٍّ أَو نفسيٍّ.

صفة : (كظم الغيظ)

وعلى هذا قس : بقيَّة أَسماء وصفات وفضائل أَهل البيت عليهم السلام كـ : (صفة كظم الغيظ)[1]، فإِنَّ ما جرىٰ على الإِمام موسىٰ بن جعفر عليهما السلام في السجن ومكابدته ومعاناته ينبغي أَنْ لا يقتصر تفسيرها على البعد الفردي والنفسي ، وإِنَّما كظم غيظ أُمميّ ومجتمعيّ وحضاريّ ، وقيادة إِلٰهيَّة ، وكفاءة

→ الدولة إِلى الحكومة الالكترونيَّة، وهي أَحد آليَّات الإِنسيابيَّة ـ على أَنَّ ما ذكره (صلوات اللّٰـه عليه) في هذا العهد معادلات جبَّارة.

(١) لابأس بالإِلتفات إِلى أَنَّ صفة : (كظم الغيظ) وردت في بيانات الوحي في حقِّ اثنين من أَهل البيت عليهم السلام بصفةٍ خاصَّة : أَمير المؤمنين والإِمام موسىٰ الكاظم عليهما السلام ، أَمَّا بقيَّة أَهل البيت عليهم السلام فإِنَّها تُذكر لهم بصفةٍ جمعيَّة.

فانظر : بيانات الوحي الواردة في حقِّ أَمير المؤمنين عليه السلام ، منها :

بيان زيارته عليه السلام يوم الغدير : «... **وَأَشْهَدُ اَنَّكَ لَمْ تَزَلْ لِلْهَوى مُخالِفاً ، وَلِلتُّقىٰ مُـحالِفاً ، وَعَلى كَظْمِ الْغَيْظِ قادِراً ، وَعَنِ النّاسِ عافِياً غافِراً... وَأَنْتَ الْكاظِمُ لِلْغَيْظِ ، وَالْعافي عَنِ النّاسِ ، وَاللّٰـهُ يُحِبُّ الْـمُـحْسِنينَ...**». بحار الأَنوار ، ٩٧ : ٣٦٠ـ٣٦٨.

ولاحظ : بيانات الوحي الواردة في حقِّ الإِمام موسىٰ بن جعفر عليهما السلام، منها :

بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله : «... **أَوصيائي من بعدي بعدد نقباء بني إِسرائيل ... فإِذا انقضت مدَّة جعفر قام بالأَمر بعده موسىٰ ويُدعىٰ بالكاظم** ...». بحار الأَنوار ، ٣٦ : ٣٠٤ـ٣٠٦/ ح١٤٤. كفاية الأَثر : ٨ـ٩.

نظام إِدارة وقيادة إِلٰهيَّة شاملة لجملة أَرجاء الدولة الإِسلاميَّة الإِلٰهيَّة ؛ الشَّاملة لجميع العوالم وسائر المخلوقات ، مُنطلقة من الأَسماء والصفات والفضائل والأَفعال الإِلٰهيَّة ، ومن ثَمَّ استفزاز الدولة العبَّاسيَّة العظمىٰ[1] له (صلوات اللّٰـه عليه) ليس بما هو رَجُلٌ فردٌ ، بل بما لديه قاعدة شعبيَّة ، وإِمكانيَّات مجتمعيَّة وأُمميَّة وحضاريَّة وإِلٰهيَّة ، فأَرادت أَنْ تذهب به إِلى المنازلة المُعلنة ؛ كيما تُبيد إِنجازاته وإِنجازات آبائه وأَجداده المجتمعيَّة والأُمميَّة والحضاريَّة والإِلٰهيَّة

---

(١) اعترف المُؤرِّخون والباحثون بأَنَّ السلطة العبَّاسيَّة أَوسع نطاقاً وأَقوىٰ اقتداراً وقوَّة من أَوج السلطة الأَمويَّة مساحة ورقعة وكيفيَّة وجبروتاً وآليَّاتاً.
لكن : في موازاة ذلك قام المنافس الوحيد : نظام مدرسة أَهل البيت (صلوات اللّٰـه عليهم) ؛ فإِنَّ السلطة العباسيَّة لم يكن لها أَيّ منافس ورقيب يتناطح ويتدافع معها بقدر مدرسة أَهل البيت عليهم السلام. وهذه قضيَّة أُخرىٰ وظاهرة ثابتة باعتراف المؤرخين والباحثين ، ولم تنشأ من باب الصدفة.
ثُمَّ إِنَّه بقدر اِتِّسَاع رقعة الدولة الإِسلاميَّة بعد استشهاد سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله ، واِتِّسَاع رقعة النظام المُتسلِّط على المسلمين والبلدان الإِسلاميَّة اتَّسعت بموازاة ذلك قدرة نظام مدرسة أَهل البيت عليهم السلام.
إِذَنْ : مدرسة أَهل البيت عليهم السلام هي الفصيل الوحيد المراقب ، والَّذي تتوجَّس منه السلطات خوفاً ورعباً ، والضَّاج لمضاجعها ، والمنافس الرقيب ، صاحب القدرة المتنامية في مدافعة سلطة السقيفة ، وسلطة بني أُميَّة ، وسلطة بني العبَّاس ، وصاحب القدرة والإِمكانيَّات والسيطرة على المسلمين وبلدانهم. وهذه الظاهرة لا زالت قائمة إِلى يومنا هذا منذُ بدايات أَيَّام السقيفة.

العظيمة، وبنيانهم الحضاريّ والإلٰهيّ الخطير، فكظم عليه السلام هذا الاستفزاز[١]، فأَراد هارون العبَّاسي السفيه[٢] إبادة حضارة دين الإِسلام وإِقامة مقامها : ما أَسَّسه من مجون وإِباحيَّة وانفلات ماديّ ، ولغة الدم والسجون ، فأَبىٰ (صلوات اللّٰـه عليه) إِلَّا أَنْ يجعل اللغة : لغة الإِنسانيَّة ، ولغة المنطق ، ولغة

---

(١) **ينبغي الإِلتفات** : أَنَّ في شخصيَّة الإِمام الكاظم (صلوات اللّٰـه عليه) جهات ملحميَّة عديدة ، وبيانات أَهل البيت (صلوات اللّٰـه عليهم) المستفيضة والموارد التاريخيَّة المنقولة عند الفريقين تُعزِّز: أَن أَمواج أَحداث كانت معتركة في شخصيَّته.

(٢) إِطلاق صفة السَّفاهة على هارون العبَّاسيّ ليس من باب التحامل ، وإِنَّما لبيان واقع ؛ فإِنَّه لم يعش حقيقة العلم ، وإِنَّما عاش العنف وسفك الدماء ، وتجنيد العلم لبساط وبلاط جوره ، ولتثبيت وتوسيع قدرته ونفوذه التسلطي الدكتاتوري.
بعد الإِلتفات : أَنَّ العلم إِنْ جُنِّدَ للتسلُّط والدكتاتوريَّة والقدرة الذاتيَّة والإِستبداد فتلك طامَّة كبرىٰ وخطر عظيم ، بخلاف تجنيد القدرة للعلم ففتح عظيم.
وإِلى هذا تشير بيانات الوحي ، منها :
الحديث المشهور عن سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله : «**إِذا رأيتم العلماء على أَبواب الملوك فبئس العلماء وبئس الملوك ، وإِذا رأيتم الملوك على أَبواب العلماء فنعم العلماء ونعم الملوك**».
ومن ثَمَّ كيف يُقال عن الدولة العبَّاسيَّة : أَنَّها دولة من العصور الذهبيَّة في الإِسلام، وعصرها عصر ذهبيّ في الإِسلام وهي تخاف الفكر وتقمعه ، وتُقبع الإِمام الكاظم عليه السلام طوال أَربعة عشر سنة في قعر السجون ، فكفىٰ ضحكاً على ذقون البشر ؛ فإِنَّ تلك آثار هارون وقصوره الَّتي بناها لأَلف ليلة وليلة حمراء والجواري الَّتي يتكنَّس بها على الحدود العراقيَّة السوريَّة في منطقة الرقَّة لا زالت آثارها وآثار اللعب والدف والهوس والهلوسة والنزوات الخسيسة إِلى الآن موجودة.

المبادئ ، ولغة العقل والتعقُّل ، وإِنْ استلزم ذلك إِبادة بدنه الشَّريف.

وثوريَّته (صلوات اللّـه عليه) ليست كثوريَّة وتطرُّف الزيديَّة ؛ وثوريَّة الثوار وتطرُّفهم ، وتطرُّف الخط الثوري الأَحمق ، بل ثوريَّة حضارة وإِنسانيَّة.

وبعبارة أُخرىٰ : اجتمعت في الإِمام الكاظم (صلوات اللّـه عليه) : سُنَّة الإِمام الحسن وسُنَّة الإِمام الحسين عليهما السلام ، فإِنَّ معاوية (عليه اللعنة) أَراد استفزاز الإِمام الحسن (صلوات اللّـه عليه) ليحاربه ؛ كيما يُبيد كُلَّ موروث أَصحاب الكساء عليهم السلام ، لكنَّه (صلوات اللّـه عليه) لم يعطه تلك الذريعة ، وحافظ على جيشٍ مُؤلَّفٍ من (٧٠) أَلف مُقاتل مُحترف.

إِذَنْ : ليس حال الإِمام الكاظم وبقيَّة أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) كحال الجموديِّين ـ خلافاً لِـمَا تخيَّله البعض ـ ، بل حراك من دون هوادة ، لكن بخُلقٍ وتعقُّلٍ.

وإِلى هذا الخط تشير بيانات الوحي ، منها :

بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام : «... **أَنَّ إِمارة بني أُميَّة كانت بالسيف والعسف والجور ، وأَن إِمامتنا بالرفق والتألف والوقار والتَّقيَّة ، وحسن الخلطة والورع والإِجتهاد ، فرغِّبُوا النَّاس في دينكم ، وفيما أَنتم فيه**»[1].

(١) بحار الأَنوار ، ٦٦ : ١٧٠/ ح١١. الخصال ، ٢ : ٨ .

القضيَّة الحادية عشرة :

الإمامة الإلهيَّة وأَبحاثها ظواهر تكوينيَّة وعقليَّة

هناك خطأٌ فاحشٌ أَرتكبته أَقلام كُتُب مُتكلِّمي المدارس الإِسلاميَّة الأُخرىٰ ، بل اتَّسع الخرق على الرَّاقع فانسحب إِلى بحوث كثير من مُتكلِّمي الإِماميَّة ؛ فإِنَّهم زعموا : إِختصاص بحث الإِمامة الإِلٰهيَّة بالقيادة الإِعتباريَّة ـ كما تقدَّم ـ ؛ ومن باب علم السياسة والقانون وما شاكلهما ، غير أَنَّه عريٌّ عن أَيِّ شاهدٍ ، بل ظنون فاسدة ، وتوهمات كاذبة أملتها عليهم أَنفسهم الأَمَّارة بالسوء.

بل ، المُتمعِّن في بيانات الوحي ـ منها ما تقدَّم ـ يراها على عكس المطلوب أَدلُّ ، بل صارخة بحقيقة معيَّنة ، أَلَا وهي : أَنَّ الإِمامة الإِلٰهيَّة وأَبحاثها من الأُمور والظواهر التَّكوينيَّة والعقليَّة ، ومن أَنكر ذلك فقد كابر وأَنكر شيئاً واضحاً.

نعم ، بعض ذيول أَبحاثها أُمور إِعتباريَّة.

وعليه : فَمِنْ الخطأ الفاحش مراعاة الباحث والمستنبط في أَبواب العقائد ، بل مُطلق المعارف الإِلٰهيَّة ؛ واستخدام الموازين والقواعد والقوانين الإِعتباريَّة فيها ؛ لإِختصاصها بـ : (فقه الفروع) ، وبينهما بون وفرق سنخيّ شاسعٌ.

وهذه قضيَّة مُهمَّة يجدر الإِلتفات إِليها.

القضيَّة الثانية عشرة :

مقام الحُجِّيَّة الإلهيَّة أعمُّ من النُّبوَّة والرسالة

(المُلك) عنوان من عناوين الإمامة الإلهيَّة

من مميِّزات ومختصَّات مدرسة أهل البيت عليهم السلام : أنَّها لا تُخصِّص مقام الحُجِّيَّة بالنُّبوَّة والرِّسالة ، بل تُعمّمه لمقام الإمامة الإلٰهيَّة ، وقد وردت في بيانات وحيانيَّة كثيرة ، وبعناوين مختلفة ، منها :

المُلك ، قال تعالىٰ : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ * وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾[1]، أي : إماماً يملك الأُمور ؛ فمع أنَّ طالوت ليس برسول ولا نبيٍّ ، لكنَّه بُعث وقُلِّد بمقاليد سماويَّة مُعيَّنة ، وهي بعثة : مُلك واصطفاء ، وحاكميَّة ، وإدارة وتدابير إلٰهيَّة.

وقوله تقدَّس ذكره : ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[2] برهانٌ وحيانيٌّ دالٌّ على أنَّ طالوت من المصطفين ، ومبعوث بعثة إمامة من قِبَل اللّٰه سبحانه

---

(١) البقرة : ٢٤٦ ـ ٢٤٧.

(٢) البقرة : ٢٤٧.

وتعالىٰ، وله ولاية تطبيق الشريعة.

وقوله جلَّ قوله: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[1]. برهان وحيانيّ دالّ على أَنَّ قِوام الإمامة الإلٰهيَّة لا يحصل إِلَّا بالتولِّي والتَّبرِّي.

(١) البقرة: ٢٤٩.

القضيَّة الثالثة عشرة :

روح القدس أَحد أَرواح أَهل البيت عليهم السلام

الوراثة الإِصطفائيَّة

هناك مطلب لطالما بقيت البحوث العلميَّة المُعقَّدة مُترجِّلة فيه ، وقد سبَّب عدم فهمه : الإِنحراف والقول بالتناسخ لدىٰ جملة من الفرق الصوفيَّة، والعرفانيَّة والباطنيَّة ، بل والمسيحيَّة المنحرفة ، ينبغي الإِلتفات إِليه، حاصله : أَنَّ الثابت في بيانات الوحي المتواترة : أَنَّ رُوح القدس ـ وهو حقيقة القرآن الكريم الصَّاعدة ، والوارد في بيان قوله تعالىٰ : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾[1] ـ مودع في ذوات الأَنبياء عليهم السلام ، وأَحد أَرواحهم من النَّبيّ آدم عليه السلام إِلى سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله ، ثُمَّ بقيَّة أَهل البيت عليهم السلام.

فانظر : بيانات الوحي ، منها :

١ـ بيان الإِمام الباقر عليه السلام ، عن جابر ، قال : «سألته عن علم العَالِم ، فقال : **يا جابر ، إِنَّ في الأَنبياء والأَوصياء خمسة أَرواح : روح القدس ، وروح الإِيمان ، وروح الحياة ، وروح القوَّة ، وروح الشهوة ، فبروح القدس يا جابر عرفوا** (خ.ل : علمنا) **ما تحت العرش إِلى ما تحت الثرىٰ ، ثُمَّ قال : يا جابر ،**

---

(١) الشورى : ٥٢.

إِنَّ هذا الأَرواح يصيبها الحدثان إِلَّا أَنَّ روح القدس لا يلهو ولا يلعب»[١].

٢ـ بيانه عليه السلام أَيضاً ، عن أَبي بصير ، قال : «سألته عن قول اللّـه عزَّوجلَّ : ﴿**يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ**﴾[٢] فقال : **جبرئيل الَّذي نزل على الأَنبياء ، والرُّوح تكون معهم ومع الأَوصياء ، لا تفارقهم ، تفقِّههم وتسدِّدهم من عند اللّـه ...**»[٣].

٣ـ بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام ، عن أَبي بصير ، قال : «قلتُ لأَبي عبداللّـه عليه السلام : جُعِلْتُ فداك ، أَخبرني عن قول اللّـه تبارك وتعالىٰ : ﴿**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا**﴾[٤] قال: **يا أَبا مُحَمَّد ، خَلْقٌ واللّـه أَعظم من جبرئيل وميكائيل ، وقد كان مع رسول اللّـه صلى الله عليه وآله يخبره ويسدِّده ، وهو مع الأَئمَّة عليهم السلام يخبرهم ويسدِّدهم**»[٥].

٤ـ بيانه عليه السلام أَيضاً : «**... فينا روح رسول اللّـه صلى الله عليه وآله**»[٦].

٥ـ بيانه عليه السلام أَيضاً ، عن إِبراهيم بن عمر ، قال : «قلت لأَبي عبداللّـه عليه السلام: أخبرني عن العلم الَّذي تعلمونه ، أَهو شيء تعلَّمونه من أَفواه الرجال بعضكم من بعض ، أَو شيء مكتوب عندكم من رسول اللّـه صلى الله عليه وآله ؟

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٥ : ٥٥/ح١٥. بصائر الدرجات : ١٣٢.
(٢) النحل : ٢.
(٣) بحار الأَنوار ، ٢٥ : ٦٣/ح٤٣. بصائر الدرجات : ١٣٧.
(٤) الشورى : ٥٢.
(٥) بحار الأَنوار ، ٢٥ : ٥٩/ح٢٧. بصائر الدرجات : ١٣٥.
(٦) المصدر نفسه : ٦٢/ح٤١. بصائر الدرجات : ١٣٦.

فقال: **الأَمر أعظم من ذلك ، أَمَا سمعتَ قول اللّـه عزَّوجلَّ في كتابه : ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾**[1] قال : قلتُ : بلىٰ ، قال : **فلَمَّا أَعطاه اللّـه تلك الرُّوح علم بها، وكذلك هي إِذا انتهت إِلى عبد علم بها العلم والفهم** ـ يُعَرِّض بنفسه عليه السلام ـ»[2].

٦ـ بيانه عليه السلام أَيضاً ، عن الحارث بن المغيرة ، قال : « **إِنَّ الأَرض لا تُترك بغير عَالِـمٍ** . قلت : الَّذي يعلم عَالِـمكم ما هو ؟ **قال : وراثة من رسول اللّـه صلى الله عليه وآله ومن عَلِيّ بن أَبي طالب عليه السلام ، عِلْمٌ يستغنىٰ به عن النَّاس ولا يستغني النَّاس عنه**. قلتُ : وحكمة تقذف في صدره أَو تُنكتُ في أُذنه ؟ **قال : ذاك وذاك**»[3].

وهذه وغيرها الكثير براهين وحيانيَّة دالَّة على وراثة ، لكنَّها ليست ماديَّة إِعتباريَّة ، بل إِصطفائيَّة تكوينيَّة ملكوتيَّة ، لكنَّه لا تعني القول بالتناسخ الباطل بالضَّرورة الدِّينيَّة ، وإِنَّما تعني : أَنَّ هناك جُنداً وجواهراً وخوادماً ملكوتيَّة ، تنتقل للخدمة من صفيٍّ مُتقدِّم إِلى آخر متأخر زماناً.

وإِلى هذا أَشارت بيانات الوحي الأُخرىٰ ، منها :

ما ورد في بيانات الروايات ، أَنَّه : «أتت فاطمة بنت رسول اللّـه صلى الله عليه وآله

---

(١) الشورى : ٥٢.

(٢) بحار الأَنوار ، ٢٥ : ٦٢/ ح٤٠. بصائر الدرجات : ١٣٦.

(٣) المصدر نفسه ، ٢٦ : ٦٢/ ح١٤١. بصائر الدرجات ، ٢ : ١٢٠/ ح١١٦٩ ـ ١.

بإبنيها الحسن والحسين عليهما السلام إلى رسول اللّـه صلى الله عليه وآله في شكواه الَّذي توفِّي فيه فقالت : **يا رسول اللّـه ، هٰذان ابناك فورِّثهما شيئاً. فقال : أَمَّا الحسن فإِنَّ له هيبتي وسؤددي ، وأَمَّا الحسين فإِنَّ له شجاعتي وجودي**»[1].

وهذه وراثة اِصطفائيَّة ، فالهيبة والسؤدد جُنْدٌ روحانيَّة ملكوتيَّة مغروزة في ذات سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله ، وجواهر مُجرَّدة ومُسخَّرة لحقيقته وذاته صلى الله عليه وآله المُقدَّسة ، انتقلت إلى ذات الإِمام المجتبىٰ عليه السلام ، لكن من دون زوالها عن ذاته صلى الله عليه وآله الشَّريفة ، هذه حال الوراثة الإِصطفائيَّة.

وعلى هذا قس : ما ورِثه سيِّد الشهداء عليه السلام من جدِّه صلى الله عليه وآله من شجاعة وجود. بل وكُلُّ وراثة تحصل من هذا القبيل لكلِّ معصومٍ ، لكنَّها لا تزول ولا تتزلزل عن ذات المورِّث ، بل تبقىٰ على حالتها السَّابقة ، بخلاف الوراثة الماديَّة.

الوراثة الإِصطفائيَّة لا تحجب الوراثة الماديَّة

وهذه الوراثة الإِصطفائيَّة لا تحجب ـ بالضرورة الدِّينيَّة ـ عن الوريث الوراثة الماديَّة ، خلافاً لِـمَا أَصرَّ عليه أَصحاب سُنَّة السقيفة ، من أَنَّ وراثة الكُمَّل ـ كوراثة فاطمة الزهراء عليها السلام من أَبيها صلى الله عليه وآله وراثة إِصطفائيَّة ملكوتيَّة فقط ـ تحجب الوراثة الماديَّة.

وغير خفيٍّ : أَنَّ هذه جرأَة على الشَّريعة القويمة ، وهتك لأَستار السُّنَّة

---

(١) بحار الأَنوار ، ٤٣ : ٢٦٣/ ح١٠. إرشاد المفيد : ١٦٩. إعلام الورىٰ : ٢١٠.

الكريمة ، تضع منها الحبلىٰ لشناعتها ، وتضحك منها الثكلىٰ لغرابتها.

وهذا ما أَشارت إِليه بيانات الوحي الوافرة الباهرة ، منها :

بيان خطبة فاطمة الزهراء عليها السلام : «... **أَيُّها المسلمون ، أَأُغلب على إرثي؟ يا بن أَبي قحافة ، أَفي كتاب اللّـه ترث أَباك ولا أَرث أَبي؟ لقد جئت شيئاً فريًّا! أَفعلىٰ عمد تركتم كتاب اللّـه ونبذتموه وراء ظهوركم؟! إِذ يقول: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾(١)، وقال فيما اقتصَّ من خبر يحيىٰ بن زكريّا إِذْ قال : ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾(٢)، وقال: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾(٣)، وقال: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾(٤)، وقال : ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾(٥)، وزعمتم أَنْ لَا حظوة لي ولا أرث من أَبي ، ولا رحم بيننا، أَفخصَّكم اللّـه بآية أَخرج منها أَبي؟! أَم هل تقولون : أَهل ملتين لا يتوارثان؟ أَو لستُ أَنا وأَبي من أَهل ملَّة واحدة ؟ أَم أَنتم أَعلم بخصوص القرآن وعمومه من أَبي وابن عمي؟! فدونكم مخطومة مرحولة تلقاكَ يوم حشركَ ، فنعم الحَكَم اللّـه ، والزعيم محمَّد ، والموعد القيامة ، وعند السَّاعة يخسر المبطلون ، ولا ينفعكم إِذ تندمونَ**

---

(١) النمل : ١٦.

(٢) مريم : ٥ ـ ٦.

(٣) الأنفال : ٧٥.

(٤) النساء : ١١.

(٥) البقرة : ١٨٠.

، و﴿لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[١]، و﴿مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾[٢] ...»[٣].

ودلالته واضحة.

القول بثبوت الوراثة الماديَّة لفاطمة عليها السلام دون الإصطفائيَّة

هذا ، وقد زاد كثير من علماء الخاصَّة فضلاً عن غيرهم في الطين بِلَّة ؛ فناقشوا في وراثتها عليها السلام الإصطفائيَّة ، ثُمَّ ادَّعوا ثبوت المادِيَّة في حقِّها عليها السلام حسب، لكنَّها : عثرة فاحشة ، وزلَّة عظيمة طائشة ، ودعوة ساقطة عن كلِّ قيمةٍ واعتبارٍ ، وعريَّة عن كلِّ شاهد ومِثْال ، ويرد عليها ما أَوردناه على سابقتها حرفاً بحرف ، بل المُتمعِّن في بيانات الوحي الباهرة الوافرة يراها صارخة ومثبتة لهذه الحقيقة كالأُولىٰ ، فإِنَّهما كفرسي رهان ورضعي لبان يجريان في حقِّها عليها السلام ، والعصمة لأَهلها.

وراثة الصلاح والفساد

بل الوارد في بيانات الوحي : أَنَّ المؤمن الصالح ، بل والشَّخص الطالح لا يورِّث المال فحسب ، بل والصلاح إِنْ كان صالحاً ، والفسق والفجور إِنْ كان طالحاً.

---

(١) الأنعام : ٦٧.

(٢) الزمر : ٤٠.

(٣) بحار الأَنوار ، ٢٩ : ٢٢٦ ـ ٢٢٧. الاحتجاج ، ١ : ١٣٨ ـ ١٣٩.

فانظر : بيانات الوحي ، منها :

أَوَّلاً : بيان قوله تعالىٰ : ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾[1].

ثانياً : بيان الإِمام الباقر والصَّادق عليهما السلام : «**يحفظ الأَطفال بصلاح آبائهم ؛ كما حفظ اللّٰـه الغلامين بصلاح أَبويهما**»[2].

ثالثاً : بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام : «**إِنَّ اللّٰـه يحفظ ولد المؤمن إِلى أَلف سنة ، وإِنَّ الغلامين كان بينهما وبين أَبيهما سبعمائة سنة**»[3].

رابعاً : بيانه عليه السلام أَيضاً : «**إِنَّ اللّٰـه ليفلح بفلاح الرَّجُل المؤمن ولده وولد ولده ، ويحفظه في دويرته ودويرات حوله ، فلا يزالون في حفظ اللّٰـه؛ لكرامته على اللّٰـه ، ثُمَّ ذكر الغلامين ، فقال : ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ أَلَم تر أَنَّ اللّٰـه شكر صلاح أَبويهما لهما**»[4].

خامساً : بيان الإِمام الرِّضا عليه السلام : «**أَوحىٰ اللّٰـه عزَّوجلَّ إِلى نبيٍّ من الأَنبياء إِذا أُطعتُ رضيتُ ، وإِذا رضيتُ باركتُ ، وليس لبركتي نهاية ، وإِذا**

---

(١) الكهف : ٨٢.
(٢) بحار الأَنوار ، ٧١ : ٢٣٦/ ح١.
(٣) المصدر نفسه/ ح٢.
(٤) المصدر نفسه / ح٣.

عُصيتُ غضبتُ ، وإذا غضبتُ لعنتُ ، ولعنتي تبلغ السَّابع من الوراء»[1].

ومنه يتَّضح : ما ورد في حقِّ الإمام الحُجَّة بن الحسن عجل الله تعالى فرجه الشريف : «**أنَّ القائم عليه السلام يقتل أَولاد قتلة الحسين عليه السلام ؛ لرضاهم بفعل آبائهم**»[2].

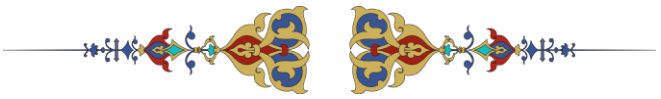

(١) بحار الأَنوار ، ٧٣ : ٣٤١/ ح٢٣.

(٢) المصدر نفسه.

القضيَّة الرابعة عشرة :

الإِصلاح الأَكبر يكمن في بث البصيرة

إِعداد الكُلّ لمركزيَّة المعصوم من أَهل البيت عليهم السلام

إِنَّ الإِصلاح الأَكبر يقوم على بث البصيرة في الأُمَّة الإِسلاميَّة والإِيمانيَّة ، بل في كافَّة البشريَّة.

وأَكبر طريق صلاح وإِصلاح : إِعداد الكُلّ لمركزيَّة المعصوم عليه السلام ، وبث منهاج أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) ، لكن : لا بآليَّة تُنفِّر الطرف.

وهذا الطريق يحتاج إِلى توازن ، وهو صعب ومستصعب. والمُحكَّم في المقام قاعدة : (لا يسقط الميسور بالمعسور).

وهذه بحوث معرفيَّة مُعقَّدة.

القضيَّة الخامسة عشرة :

مقام الولاية الإلهيَّة الكبرى لأَهل البيت عليهم السلام

إِنَّ مقام الولاية الإِلٰهيَّة الكبرىٰ ـ وما قد يُعبَّر عنه بـ : (الدولة الإِلٰهيَّة) ـ لسيِّد الأَنبياء ولبقيَّة أَهل البيت (صلوات اللّٰـه عليهم) على جملة العوالم وكافَّة المخلوقات أَرفع شأناً وأَخطر دوراً وأَعظم هولاً من دون قياس من إِمامتهم (صلوات اللّٰـه عليهم) السياسيَّة ، وحُجِّيَّتهم الإِلٰهيَّة في هذه النشأة الأَرضيَّة ؛ فإِنَّ الدولة الإِلٰهيَّة لا تقتصر على الحاكميَّة الإِلٰهيَّة في النشأة الأَرضيَّة ، وإِنَّما تعتمد على حاكميَّة اللّٰـه في طُرِّ العوالم وعلى سائر المخلوقات ـ كما تقدَّم ـ.

إِذَنْ : ليس المراد من ولاية أَهل البيت (صلوات اللّٰـه عليهم) الولاية السياسيَّة في حقبة زمنيَّة ضيِّقة ، أَو حقبة زمنيَّة خاصَّة بِعَالَم النشأة الأَرضيَّة ، بل شاملة لِكُلِّ العوالم ؛ وجميع المخلوقات الإِلٰهيَّة اللامتناهية ، وشاملة لكافَّة أُمورها وأَحوالها[1] وشؤونها.

وإِلى هذا تشير بيانات الوحي الوافرة الباهرة ، منها: ما تقدَّم ، ويضاف إِليها :

بيان قوله جلَّ ثناؤه : ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ * فَأَزَلَّهُمَا

---

(١) مرجع الضمير في (أُمورها) ، و (أَحوالها) ، و(شؤونها) : «كُلّ العوالم وجميع المخلوقات».

﴿الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾[١].

فإنَّه برهان وحيانيٌّ دالٌّ على أَنَّ غاية النشأة الأَرضيَّة إِلى حين ، وخلافة خليفة اللّـه ليست مقرونة بها ، كحال ولاية اللّـه ودينه.

بعد الإِلتفات : أَنَّ هناك فوارق بين الدِّين والشريعة[٢]، منها :

أَوَّلاً : أنَّ دين اللّـه واحد ؛ وهو دين الإِسلام.

فانظر : بيانات الوحي ، منها :

بيان قوله تعالىٰ ذكره : ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾[٣].

بخلاف الشَّريعة ؛ فإِنَّها مُتعدِّدة.

فلاحظ : بيانات الوحي الأُخرىٰ ، منها :

بيان قوله تبارك وتعالىٰ : ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[٤].

ثانياً : أَنَّ دين الإِسلام شامل لجميع المخلوقات ، وفي كُلِّ العوالم ؛ من بداية الخلقة إِلى ما لا نهاية ، ومن ثَمَّ يكون عَالَم الآخرة الأَبديَّة محكوماً به ؛

---

(١) البقرة : ٣٥ ـ ٣٦.

(٢) ينبغي أَنْ لا يُخلط ـ كما خلطت كثير من كُتُب علم الكلام ـ بين مباحث الدِّين ، ومباحث الشريعة.

(٣) آل عمران : ١٩.

(٤) المائدة : ٤٨.

فهو النظام الحاكم لأَهل الجنَّة في الجنان ، ولأَهل النَّار في النيران.

بخلاف الشريعة ؛ فإِنَّها مختصَّة بالنشأة الأَرضيَّة ، وبالثقلين (الإِنس والجن) ، وهذا ما يُوضِّح نكتة اشتقاقها ؛ فإِنَّها مشتقَّة من الشروع والإِبتداء.

وعليه : فالموقعيَّة العقائديَّة والمعرفيَّة المرتبطة تداعياتها بالدِّين تكون أَعظم هولاً ، وأَخطر أَثراً ، وأَعظم فائدةً من الموقعيَّة العقائديَّة المرتبطة تداعياتها بالشريعة.

وحيث إِنَّ ولاية أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) ومقاماتهم من الدِّين، بل من أُصوله وأُسسه فلا تختصُّ بالنشأة الأَرضيَّة ، بل شاملة لكُلِّ العوالم ؛ وكافَّة المخلوقات اللامتناهية ، وتداعياتها أَخطر وأَعظم هولاً.

وهذا ما تشير إِليه بيانات الوحي ، منها :

١ـ بيان أَمير المؤمنين عليه السلام ـ المُتقدِّم ـ : «... **وليبعثن اللّـه أَحياء من آدم إلى محمَّد صلى الله عليه وآله كُلّ نبيٍّ مرسل ، يضربون بين يدي بالسيف هام الأَموات والأَحياء والثقلين جميعاً. فيا عجباً وكيف لا أَعجب من أَمواتٍ يبعثهم اللّـه أَحياء يُلبُّون زمرة زمرة بالتَّلبية : لبيكَ لبيكَ يا داعي اللّـه ... وإِنَّ لي الكرَّة بعد الكرَّة ، والرَّجعة بعد الرَّجعة ، وأَنا صاحب الرَّجعات والكرَّات، وصاحب الصولات والنقمات ، والدولات العجيبات ... وَأَنا الحاشر إلى اللّـه ... وَأَنا صاحب الجنَّة والنَّار ، وأسكن أَهل الجنَّة الجنَّة ، وأسكن أَهل**

[النَّار] النَّار ، وإِلَيّ تزويج أَهل الجنَّة ، وإِلَيّ عذاب أَهل النَّار ، وإِلَيّ إِياب الخلق جميعاً ، وأَنا الاياب الَّذي يؤوب إِليه كُلّ شيء بعد القضاء ، وإِلَيّ حساب الخلق جميعاً ... وأنا المؤذن على الأَعراف ... وَأَنا خازن الجنان وصاحب الأَعراف ، وَأَنا ... الحُجَّة على أَهل السماوات والأَرضين وما فيهما وما بينهما ، وَأَنا الَّذي احتجَّ اللّٰـه به عليكم في ابتداء خلقكم ...» [(١)].

ودلالته واضحة على شمول إِمامة أَهل البيت (صلوات اللّٰـه عليهم) لجملة المخلوقات وسائر العوالم ، منها : عَالَم البرزخ ، وعَالَم الرَّجعة ـ آخرة الدُّنيا ـ ، وعَالَم القيامة ، وعَالَم الآخرة الأَبديَّة ـ الجنَّة والنَّار الأَبديَّتان ـ وعَالَم الذَّرِّ والميثاق ؛ وبقيَّة العوالم.

٢ـ بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام ، عن المُفضَّل بن عمر ، قال : «... فقلت له: يابن رسول اللّٰـه فَعَلِيّ بن أَبي طالب عليه السلام يدخل محبّه الجنَّة ومبغضه النَّار أَو رضوان ومالك ؟ فقال: ... **فَعَلِيّ بن أَبي طالب عليه السلام إِذاً قسيم الجنَّة والنَّار عن رسول اللّٰـه صلى الله عليه وآله ، ورضوان ومالك صادران عن أَمره بأمر اللّٰـه تبارك وتعالىٰ ، يا مُفَضَّل ، خذ هذا فإِنَّه من مخزون العلم ومكنونه ، لا تخرجه إِلَّا إِلى أَهله**»[(٢)].

ودلالته قد اتَّضحت.

---

(١) بحار الأَنوار ، ٥٣ : ٤٦ ـ ٤٩/ ح٢٠.

(٢) المصدر نفسه ، ٣٩ : ١٩٤ ـ ١٩٦/ ح٥. علل الشرائع : ٦٥.

هول وعظمة وخطر ولاية الزهراء عليها السلام الإلهيَّة

ومنه يتَّضح : أَنَّ بيانات الوحي الظافرة الوافرة بعدما رسمت لفاطمة الزهراء صلوات اللّـه عليها موقعيَّة في الدِّين ؛ فلا تكون ولايتها ولاية إِمامة سياسيَّة مختصَّة بهذه النشأة الأَرضيَّة ، بل ولاية إِلٰهيَّة كبرىٰ شاملة لجملة العوالم وطُرّ المخلوقات. ومن ثَمَّ ليس من المناسب للباحث في علم الكلام وغيره التساؤل عن ثبوت إِمامتها السياسيَّة في هذه النشأة ، فإِنَّ ما تتمتَّع به (صلوات اللّـه عليها) من ولاية إِلٰهيَّة كبرىٰ هي أَعظم خطراً وأَرفع شأناً وأَعلىٰ مقاماً من دون قياس من الإِمامة السياسيَّة ؛ والرسالات الإِلٰهيَّة الأَرضيَّة ، مع أَنَّ الثابت في بيانات الوحي والمُسلَّمات العقائديَّة والفقهيَّة : أَنَّ لها (صلوات اللّـه عليها) أَدواراً في حكومة سيِّد الأَنبياء وحكومة أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليهما وعلى آليهما) السياسيَّتين في عَالَم آخرة الدُّنيا (الرَّجعة).

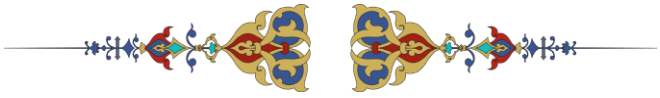

القضيَّة السَّادسة عشرة :

خارطة جملة عوالم الخلقة برسم وتخطيط أَهل البيت عليهم السلام

إِنَّ المستفاد من بيانات الوحي : أَنَّ خارطة مسار جملة عالم الدُّنيا برسم وتخطيط أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) ، بل وخرائط مسارات كافَّة العوالم وجميع مخلوقاتها ، كـ : عَالَمَ البرزخ ، وعَالَمَ الرجعة ، وعَالَمَ القيامة ، وعَالَمَ الآخرة الأَبديَّة ، وعوالم ما بعدها ، بل وعوالم ما قبل هذه النشأة الأَرضيَّة لم تكن إِلَّا بتخطيطهم (صلوات اللّـه عليهم) وهندستهم وتنفيذهم.

فانظر : بيانات الوحي ، منها :

١ـ بيان أَمير المؤمنين عليه السلام ـ المُتقدِّم ـ : «... **أَنا دحوتُ أَرضها، وأَنشأتُ جبالها ، وفجَّرتُ عيونها ، وشققتُ أَنهارها ، وغرستُ أَشجارها ، وأَطعمتُ ثمارها ، وأَنشأتُ سحابها ، وَأَسمعتُ رعدها ، ونوَّرتُ برقها ، وأَضحيتُ شمسها ، وأَطلعتُ قمرها ، وأَنزلتُ قطرها ، ونصبتُ نجومها ... وسكنتُ أَطوادها ، وأَنشأتُ جواري الفلك فيها ، وأَشرقتُ شمسها ... ادخلوا الباب سجّداً أغفر لكم خطاياكم وأزيد المحسنين ، بي وعلى يديّ تقوم السَّاعة...**»[1].

٢ـ بيانه عليه السلام أَيضاً : «« **... أَنَا مُنزل الملائكة منازلها ... أَنا المُنادي لهم : أَلستُ بربِّكم ؛ بأَمر قيُّوم لم يزل ... أَنا صاحب الهبات بعد الهبات ولو أَخبرتكم لكفرتم ... أَنا منشئ الأَنام ... أَنا صاحب النجوم ، أَنا مُدبِّرها بأَمر**

(١) بحار الأَنوار، ٣٩: ٣٤٨.

ربّي ... أَنا المُعطِي ، أَنا المُبذِل ، أَنا القابض يدي على القبض ... أَنا صاحب القطر والمطر ، أَنا صاحب الزلازل والخسوف ... أَنا صاحب الغيث بعد القنوط...»[١].

٣ـ بيان خطبته عليه السلام أَيضاً : «**أَنَا عندي مفاتيح الغيب ... أَنا أَقمتُ السَّماوات بأَمر ربِّي ... أَنا أَمر الحي الَّذي لا يموت ، أَنا ولي الحقّ على سائر الخلق ... أَنا المفوَّض إِليَّ أَمر الخلائق ، أَنَا خليفة الإِلٰه الخالق ... أَنا أرسيتُ الجبال الشَّامخات ، وفجَّرتُ العيون الجاريات ... أَنَا مُقدِّر الأَقوات ، أَنا ناشر الأَموات ، أَنا منزل القطر ، أَنَا مُنَوِّر الشَّمس والقمر والنجوم ، أَنَا قيِّم القيامة ... أَنَا محصي الخلائق وإِنْ كثروا ...**»[٢].

٤ـ بيانه عليه السلام أَيضاً ، الوارد في حقِّ أَهل البيت عليهم السلام : «**... هذا كُلّه لآل محمَّد لا يُشاركهم فيه مُشارك ... خلقهم اللّـه من نور عظمته ، وولَّاهم أَمر مملكته ...**»[٣].

٥ـ بيانه عليه السلام أَيضاً ، عن سلمان (رضوان اللّـه عليه) ، قال: «**... وإِنَّ اللّـه عزَّوجلَّ جعل أَمر الدُّنيا إِلَيّ** ...قال سلمان: ...ثُمَّ إِنَّ أَمير المؤمنين عليه السلام أَمر الريح فسارت بنا إلى جبل قاف فانتهيت[٤] إليه ، وإذا هو من زمرِّدة

---

(١) مشارق أَنوار اليقين في أَسرار أَمير المؤمنين عليه السلام، الخطبة الإِفتخاريَّة: ١٦٥ ـ ١٦٦.
(٢) المصدر نفسه : ٢٦٩ ـ ٢٧٠.
(٣) بحار الأَنوار ، ٢٥ : ١٦٩ ـ ١٧٤/ ح٣٨.
(٤) في المصدر : (فانتهينا).

خضراء وعليها[١] ملك على صورة النسر ، فلمَّا نظر إلى أمير المؤمنين عليه السلام قال الملك : السَّلَامُ عَلَيْكَ يا وصيّ رسول اللَّـه وخليفته ، أَتأذن لي في الكلام؟ فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلام وقال له: **إِنْ شئتَ تكلَّم ، وإِنْ شئتَ أَخبرتُكَ عمَّا تسألني عنه**. فقال الملك: بل تقول أنت يا أمير المؤمنين. قال: **تُريد أَنْ آذن لَكَ أَنْ تزور الخضر** عليه السلام، قال: نعم، فقال عليه السلام: **قد أذنتُ لَكَ** ... فقال سلمان : يا أَمير المؤمنين ، رأيتُ الملك ما زار الخضر إِلَّا حين أَخذ إذنكَ. فقال عليه السلام: **والَّذي رفع السماء بغير عمدٍ ، لو أَنَّ أَحدهم رام أَنْ يزول من مكانه بقدر نفسٍ واحدٍ لَـمَا زال حتَّىٰ آذن له ، وكذلك يصير حال ولدي الحسن ، وبعده الحسين وتسعة من ولد الحسين... والَّذي فلق الحبَّة وبرأ النسمة إِنِّي لأَملك من ملكوت السَّماوات والأَرض ما لو علمتم ببعضه لما احتمله جنانكم...**»[٢].

٦ـ بيان الإِمام الباقر عليه السلام: «**إِنَّ اللَّـه لم يزل فرداً مُتَفَرِّداً في الوحدانيَّة ، ثُمَّ خلق محمَّداً وعليّاً وفاطمة** عليهم السلام ... **وفوَّض أَمر الأَشياء إِليهم في الحُكم والتصرُّف والإِرشاد ، والأَمر والنهي في الخلق ؛ لأَنَّهم الولاة فلهم الأَمر والولاية والهداية ، فهم أَبوابه ونوَّابه وحجَّابه ، يُحلِّلون ما شآء ، ويُحرِّمون ما شآء ، ولا يفعلون إِلَّا ما شآء ، عباد مُكرمون ، لا يسبقونه بالقول ، وهم بأمره يعملون...**»[٣].

٧ـ بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام ـ المتقدِّم ـ ، عن المفضَّل بن عمر ، قال:

---

(١) في نسخة : (من زمرِّدة خضرة وعليه).
(٢) بحار الأَنوار، ٢٧: ٣٣ ـ ٤٠/ ح٥. المحتضر: ٧١ ـ ٧٦.
(٣) بحار الأَنوار ، ٢٥: ٣٣٩/ ح٢١.

«... فقلتُ له: يابن رسول اللّـه ، فعَلِيّ بن أَبي طالب عليه السلام يُدخل مُحبّه الجنَّة ومبغضه النَّار أَو رضوان ومالك ؟ فقال: **يا مفضَّل ... فَعَلِيّ بن أَبي طالب عليه السلام إِذاً قسيم الجنَّة والنَّار عن رسول اللّـه صلى الله عليه وآله ، ورضوان ومالك صادران عن أَمره بأمر اللّـه (تبارك وتعالىٰ)، يا مفضَّل ، خُذ هذا ؛ فإِنَّه من مخزون العلم ومكنونه ، لا تخرجه إِلَّا إِلى أَهله**»[1].

٨ـ إِطلاق بيانه عليه السلام ، عن إِسماعيل بن عبد العزيز ، قال : «قال لي جعفر بن مُحَمَّد عليه السلام : **إِنَّ رسول اللّـه صلى الله عليه وآله كان يُفوَّض إِليه ... وإِنَّ اللّـه فوَّض إِلى مُحَمَّد صلى الله عليه وآله نبيّه فقال: ﴿مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾**[2]، فقال رَجُلٌ: إِنَّما كان رسول اللّـه صلى الله عليه وآله مفوَّضاً إِليه في الزَّرع والضَّرع ، فلوّىٰ جعفر عليه السلام عن عنقه مُغضباً ، فقال: **في كُلِّ شيءٍ ، واللّـه في كُلِّ شيءٍ**»[3].

٩ـ بيان زيارتهم (صلوات اللّـه عليهم) الجامعة: «...**السَّلام عليكم يا أَهل بيت النُّبوَّة ، وموضع الرسالة ... وقادة الأُمم ... وساسة العباد ... إِصطفاكم بعلمه ... وفوَّض إِليكم الأُمور ، وجعل لكم التَّدبير ، وعرَّفكم الأَسباب ... وأَعطاكم المقاليد ، وسخَّر لكم ما خلق ... إِياب الخلق إِليكم ، وحسابهم عليكم ، وفصل الخطاب عندكم ... وأَمره إِليكم ... لم تزالوا بعين اللّـه وعنده ، وفي ملكوته تأمرون ، وله تخلفون ، وإِيَّاه تُسبِّحون ، وبعرشه محدقون ، وبه حافُّون حتَّىٰ مرَّ بكُم علينا ، فجعلكم في بيوتٍ أَذن اللّـه أَنْ**

---

(١) بحار الأَنوار ، ٣٩ : ١٩٤ـ١٩٦/ ح٥. علل الشرائع : ٦٥.

(٢) الحشر : ٧.

(٣) بحار الأَنوار ، ١٧ : ٩/ ح١٦. بصائر الدرجات : ١١١ ـ ١١٢.

تُرفع ويُذكر فيها اسمه ...»[١].

١٠ـ بيان زيارة أَمير المؤمنين عليه السلام : «**...السَّلام عليك يا أَمير المؤمنين عَلِيّ ابن أَبي طالب ... السَّلام عليكَ يا ... صاحب الدُّنيا ... السَّلام عليكَ يا حافظ سرّ اللّـه ، وممضي حكم اللّـه ، ومجلي إِرادة اللّـه ، وموضع مشيَّة اللّـه ... ووليّ الملك الديَّان ... السَّلام عليكَ يا عماد الجبَّار ... السَّلام عليكَ يا مشهوراً في السَّماوات العليا ومعروفاً ، في الأَرضين السَّابعة السفلىٰ ... السَّلام عليكَ أَيُّها النَّازل من عليِّين ، والعَالِم بما في أَسفل السَّافلين ... اجتباكَ اللّـه لقدرته ، فجعلكَ عصا عزِّه ، وتابوت حكمته ...**»[٢].

ودلالة الجميع واضحة ، ولا غبار عليها.

ومن ثَمَّ لا تكون بياناتهم المعرفيَّة وسِيَرهم وأَفعالهم عليهم السلام استراتيجيَّة حضارة فحسب ، بل واستراتيجيَّة عوالم ومخلوقات لا يعيها[٣] بقيَّة البشر ، بل ولا بقيَّة الأَنبياء والملائكة المُقرَّبين عليهم السلام. ومن ثَمَّ فلسفة بياناتهم (صلوات اللّـه عليهم) وسِيَرِهم وأَفعالهم ليست محدودة بأَمد زمانيّ دنيويّ ، بل ولا بعَالَم الدُّنيا برمَّته ؛ فإِنَّ ساحة القدس الإِلٰهيَّة وظفتهم لرسم خارطة مسار جملة العوالم وطرّ المخلوقات.

ومنه يتَّضح : مدىٰ وضوح جملة الخريطة التَّكوينيَّة واستراتيجيَّة العوالم ومخلوقاتها لدىٰ أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم).

---

(١) بحار الأَنوار، ٩٩/ الزيارة الثالثة: ١٤٦ ـ ١٥٩.

(٢) المصدر نفسه ، ٩٧ : ٣٤٧ ـ ٣٥٢. المزار الكبير : ٩٧ ـ ١٠١.

(٣) مرجع الضمير : (بيانات أَهل البيت عليهم السلام المعرفيَّة وسِيَرهم وأَفعالهم).

القضيَّة السَّابعة عشرة :

ثبوت آليَّات إمامة أَهل البيت عليهم السلام منذُ بدأ الخليقة

إِنَّه حينما يرد في بيانات الوحي : أَنَّ الإِمام من أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) أُوتي منصب الإِمامة الإِلٰهيَّة في سنٍّ (كذا) فمعناه : أَنَّ إِمامته وبعثة الإِمامة الإِلٰهيَّة فُعِّلت في حقِّه في هذه النشأة الأَرضيَّة في ذلك السنّ المُبارك ، أَمَّا ما زوِّد به من آليَّات الإِمامة الإِلٰهيَّة كـ : (العلم اللدنِّي) لم تُعطَ له في ذلك السن فحسب ، بل وليس من حين ولادته ، ولا في أَرحام أُمَّهاته[1]

---

(١) **ينبغي الإِلتفات** : أَنَّه ليس المراد من معنىٰ : «الأَرحام المُطهَّرة» الوارد في بيانات الوحي الواصفة لأَحد العوالم السالفة الَّتي مرَّ بها أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) طهارة تلك الأَرحام من الفاحشة فحسب ، بل مطهَّر من مطلق الذنوب. وهذه ضرورة دينيَّة متواترة عند الإِماميَّة (أَعزَّهم اللّـه) ، فجملة الأَرحام الَّتي مرَّت بها حقائق أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) في عَالَم الأَرحام مطهَّرة ومعصومة إِلى حواء.

وعلى هذا قس: بيان قوله تعالىٰ الوارد في حقِّ سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله : ﴿**وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ**﴾ [الشعراء: ٢١٩] ، فإِنَّه برهانٌ وحيانيٌّ دالٌّ على أَنَّ جميع آباء وأَجداد سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله ـ ويتبعه بقيَّة أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) ـ إِلى آدم عليه السلام مُوحِّدين ، بل معصومين : إِمَّا أَنبياء أَو أَوصياء. وهذه ضرورة دينيَّة أُخرىٰ متواترة أَيضاً ومجمع عليها عند الإِماميَّة (أَعزَّهم اللّـه تعالىٰ).

فانظر : ما ذكره صاحب البحار المجلسي قدس سره : «اتَّفقت الإِماميَّة (رضوان اللّـه عليهم) على أَنَّ والدي الرسول وكُلّ أَجداده إِلى آدم عليه السلام كانوا مسلمين ، بل كانوا من الصدِّيقين : إِمَّا أَنبياء مرسلين ، أَو أَوصياء معصومين ، ولعلَّ بعضهم لم يظهر الإِسلام تقيَّة أو لمصلحة دينيَّة. قال أَمين الدِّين الطبرسي رحمه الله في مجمع البيان : «قال ←

أَو أَصلاب آبائه (صلوات اللّـه عليهم) ، وإِنَّما مُنذُ أَوَّل وجوده وكينونته في العوالم السَّالفة.

وهذه نكتة مُهمَّة جِدّاً يجدر الإِلتفات إِليها.

ومنه تتَّضح كثير من بيانات الوحي الواردة في المقام ، منها :

١ـ ما ورد عن أَمير المؤمنين عليه السلام في بيان ولادة سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله : «... **ومحمَّد صلى الله عليه وآله سقط من بطن أُمِّه ، واضعاً يده اليسرىٰ على الأَرض ، ورافعاً يده اليُمنىٰ إِلى السَّماء ويُحرِّك شفتيه بالتَّوحيد ، وبدا من فيه نوراً...**»[1].

٢ـ ما ورد عن سيِّد الأَنبياء في بيان ولادة أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليهم وعلى آلهما) : «... **ولقد هبط حبيبي جبرئيل في وقت ولادة عَلِيّ ، فقال: يا حبيب اللّـه ، العَلِيّ الأَعلىٰ يقرء عليكَ السَّلَام ويُهنئكَ بولادة أَخيكَ عَلِيّ، ويقول : هذا أَوَان ظهور نُبوَّتك ، وإِعلان وحيكَ ، وكشف رسالتكَ ، إِذ أَيدتكَ بأَخيكَ ووزيركَ وصنوكَ وخليفتكَ ، ومَنْ شددتُ به**

← أَصحابنا : ... أَنَّ آباء النَّبيّ صلى الله عليه وآله إِلى آدم كُلّهم كانوا مُوحِّدين ، وأَجمعت الطائفة على ذلك ، ورووا عن النَّبيّ صلى الله عليه وآله أَنَّه قال : «**لم يزل ينقلني اللّـه من أَصلاب الطَّاهرين إِلى أَرحام المطهَّرات حتَّىٰ أَخرجني في عَالَمكم هذا ، لم يدنسني بدنس الجاهليَّة**». **ولو كان في آبائه عليهم السلام كافر لم يصف جميعهم بالطهارة ، مع قوله سبحانه : ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾** [التوبة: ٢٨]. ولهم في ذلك أدلَّة ليس هنا موضع ذكرهَا. انتهىٰ». مجمع البيان، ٤ : ٣٢٢...». بحار الأَنوار ، ١٥ : ١١٧.

(١) بحار الأَنوار ، ١٥ : ٢٦٠ـ ٢٦١/ ح١١. الاحتجاج : ١١٨ ـ ١١٩.

أَزركَ ، وأَعلنتُ به ذكركَ ، فقم إِليه واستقبله بيدكَ اليمنىٰ ... فقمتُ مبادراً فوجدتُ فاطمة بنتُ أَسد أُمّ عَلِيّ وقد جاء لها المخاض ... فقال حبيبي جبرئيل : ... أُمدد يدكَ يا مُحمَّد ، فمددتُ يدي اليمنىٰ نحو أُمَّه فإذا أَنا بعَلِيٍّ على يدي ، واضعاً يده اليمنىٰ في أُذنه اليمنىٰ ، وهو يؤذِّن ويُقيم بالحنيفيَّة ، ويشهد بوحدانيَّة اللّـه (عزَّوجلَّ) وبرسالاتي[1]، ثُمَّ انثنىٰ إِلَيَّ وقال : السَّلَام عليكَ يا رسول اللّـه، ثُمَّ قال لي : يا رسول اللّـه أَقرء ؟ قلتُ: اِقرء ، فوالَّذي نفس مُحمَّد بيده ، لقد ابتدأ بالصحف الَّتي أَنزلها اللّـه (عزَّوجلَّ) على آدم ، فقام بها ابنه شيث؛ فتلاها من أَوَّل حرف فيها إِلى آخر حرف فيها ، حتَّىٰ لو حضر شيث لأَقَرَّ لَه أَنَّه أَحفظ له منه ، ثُمَّ تلا صحف نوح ، ثُمَّ صحف إِبراهيم ، ثُمَّ قرأ توراة موسىٰ حتَّىٰ لو حضر موسىٰ لأَقرَّ له بأَنَّه أَحفظ لها منه ، ثُمَّ قرأ زبور داود حتَّىٰ لو حضر داود لأَقرَّ بأَنَّه أَحفظ لها منه ، ثُمَّ قرأ إِنجيل عيسىٰ حتَّىٰ لو حضر عيسىٰ لأَقَرَّ بأَنَّه أَحفظ لها منه ، ثُمَّ قرأ القرآن الَّذي أَنزله اللّـه عَلَيَّ من أَوَّله إلى آخره ، فوجدته يحفظ كحفظي له السَّاعة من غير أَنْ أَسمع منه آية ، ثُمَّ خاطبني وخاطبته بما يُخاطَب الأَنبياء الأَوصياء ، ثُمَّ عاد إِلى حال طفوليَّته ، وهٰكذا أَحَد عشر

---

(١) في روضة الواعظين : (برسالتي). وفي الروضة : (ويشهد لِلّـه بالوحدانية وبرسالتي).

إِماماً من نسله ...»[١].

٣ـ بيان الإِمام الرضا (صلوات اللّـه عليه) : «للإِمام علامات : ... **وإِذا وقع إِلى الأَرض من بطن أُمِّه وقع على راحتيه ، رافعاً صوته بالشَّهادتين...»**[٢].

٤ـ ما ورد في بيان ولادة الحُجَّة بن الحسن عجل الله تعالى فرجه الشريف ، عن نسيم ومارية : «**أَنَّه لَـمَّا خرج صاحب الزمان من بطن أُمّه سقط جاثياً على ركبتيه ، رافعاً سبابتيه إِلى السَّماء ، ثُمَّ عطس وقال : الحمد للّـه ربِّ العالمين ، وصلَّىٰ اللّـه على مُحَمَّد وآله عبداً داخراً لِلّـه ، غير مستنكف ولا مستكبر، ثُمَّ قال : زعمت الظلمة : أَنَّ حُجَّة اللّـه داحضة ، ولو أُذن لنا في الكلام لزال الشَّكُّ**»[٣].

ودلالة الجميع واضحة ، ولا غبار عليها.

باستشهاد سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله انقطعت درجة من درجات الوحي

ثُمَّ إِنَّ عقيدتنا نحن الإِماميَّة بعدم انقطاع علم أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) اللدنِّي بعد استشهاد سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله ورحيله إِلى الرفيق الأَعلىٰ.

ومنه تتَّضح : بيانات الوحي الواردة في المقام ، منها :

---

(١) بحار الأَنوار ، ٣٥ : ٢١ـ ٢٢/ ح٥. الروضة : ١٧ ـ ١٨. روضة الواعظين : ٧٢ ـ ٧٤.
(٢) بحار الأَنوار ، ٢٥ : ١١٦/ ح١. الخصال ، ٢ : ١٠٦. عيون الأَخبار : ١١٩ ـ ١٢٠.
(٣) بحار الأَنوار ، ٧٣ : ٥٣/ ح٥. مختار الخرائج : ٢١٦.

١ـ بيان شعر فاطمة الزهراء (صلوات اللّـه عليها) الوارد في حقّ أَبيها صلى الله عليه وآله بعد رحيله :

«قد كان جبريل بالآيات يؤنسنا فغبتَ عنَّا وكلّ الخير محتجب»[١]

٢ـ بيان زيارته صلى الله عليه وآله : «... **أُصبنا بكَ يا حبيب قلوبنا ، فما أَعظم المصيبة بكَ حيث انقطع عنَّا الوحي ، وحيث فقدناكَ ، فإِنَّا للّـه وإِنّا إِليه راجعون** ...»[٢].

فإِنَّ المراد منها ليس انقطاع تمام الوحي عن بقيَّة أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) ، بل انقطاع درجة ونور عظيم ومرتبة صاعدة من مراتبه عنهم (صلوات اللّـه عليهم).

(١) بحار الأَنوار ، ٢٩ / ب : ١١ : ٥٢/ ح٤.
(٢) المصدر نفسه ، ٩٩ : ٢١٢/ ح١.

القضيَّة الثامنة عشرة :

كلام الإمام وحيٌ إلهيٌّ

ينبغي الإلتفات : أَنَّ الوحي الإلٰهي على مراتب ودرجات ، منها : كلام الإمام المعصوم عليه السلام ؛ فإنَّه وإنْ لم يكن وحياً نبويّاً ، لكنَّه وحي إمامة إلٰهيَّة وعلم لدنِّيّ.

وهذا ما تشير إليه بيانات الوحي ، منها :

١ـ بيان الإمام الصَّادق عليه السلام : «**إنَّ للّٰـه عموداً من نور ، حجبه اللّٰـه عن جميع الخلائق ، طرفة عند اللّٰـه ، وطرفه الآخر في أُذن الإمام ، فإذا أَراد اللّٰـه شيئاً أَوحاه في أُذن الإمام** عليه السلام»[1].

٢ـ بيانه عليه السلام أَيضاً ، عن صالح بن سهل ، قال : «**كنتُ جالساً عنده فقال لي إبتداءً منه : يا صالح بن سهل ، إنَّ اللّٰـه جعل بينه وبين الرسول رسولاً ؛ ولم يجعل بينه وبين الإمام رسولاً ، قال : قلتُ : وكيف ذاك ؟ قال: جعل بينه وبين الإمام عموداً من نور ينظر اللّٰـه به إلى الإمام ، وينظر الإمام به إليه ، فإذا أَراد علم شيء نظر في ذلك النور فعرفه**»[2].

ودلالته ـ كدلالة سابقة ـ واضحة.

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٦ : ١٣٤/ ح٩. بصائر الدرجات ، ٢ : ٣٤٠/ ح١٥٧٠ ـ ١.

(٢) المصدر نفسه : ١٣٤ ـ ١٣٥/ ح١٠. بصائر الدرجات ، ٢ : ٣٤٠/ ح١٥٧١ـ٢. المختصر : ١٢٨.

ومنه يتَّضح : مدىٰ إنحطاط وشذوذ منهج بعض من ينتمي من الباحثين إلى مدرسة أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) ، فإنَّه يتعامل مع البيانات النبويَّة وبيانات بقيَّة أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) كتعامله مع كلام العلماء ؛ فله الأَخذ به وله الإعراض عنه.

وهذا المنهج وأَشباهه ونظائره يكشف بنحو : (الإنْ)[1] عن وجود خلل عقائديّ ومعرفيّ خطير في دخيلة هذا الباحث وفي منظومته العقائديَّة والمعرفيَّة ، وأَنَّ لديه مناقشة ونقار ـ والعياذ باللّـه تعالىٰ ـ في أَصل إمامة أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) ؛ وإلَّا فبعد الإعتقاد والبناء والإلتزام بإمامتهم عليهم السلام ؛ وأَنَّهم أَوصياء ومعصومون ؛ وكلامهم نمط وحي إلٰهيّ لدنِّيّ؛ كيف يكون المخلوق بالخيار في كلامهم (صلوات اللّـه عليهم) بين الأَخذ والردّ ، كحال كلام العلماء!!.

(١) أَي : بالبرهان الإنِّي ، أَي : من المعلول إلى العلَّة.

القضيَّة التَّاسعة عشرة :

مجالات العلم اللَّدنِّي

إنَّ بيان قوله تعالىٰ : ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾[1]، وبيان قوله تقدَّس ذكره : ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا﴾[2]، برهانان وحيانيَّان دالَّان على أَنَّ العلم اللَّدنِّي والملكوتي واللَّاهوتي الَّذي يتمتَّع به سيِّد الأَنبياء ﷺ وبقيَّة أَهل البيت الأَطهار عليهم السلام يُستثمر ويُستخدم في موارد خاصَّة ، ليس منها : استخدامه في الأُمور العاديَّة ، بل ولا في الجانب العسكري والأَمني وإِقامة الدِّين والدفاع عنه.

وحينئذٍ لابُدَّ للمعصوم عليه السلام من المكابدة والمُجاهدة في تحصيل معلوماتها وعلومها من خلال سلوك الأَسباب الطبيعيَّة.

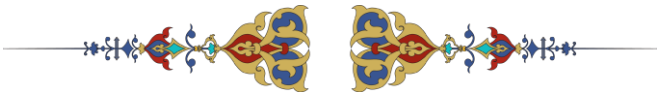

(١) الأعراف : ١٨٨.

(٢) الجن : ٢٥.

القضيَّة العشرون :

حقيقة الإمامة الإلهيَّة والإمام عليه السلام في نوره

ينبغي الإلتفات : أَنَّ حقيقة الإمام والإمامة الإلٰهيَّة ليست في بدن الإمام (صلوات اللّٰـه عليه) ، وإنَّما في نوره وفي طبقات حقيقته عليه السلام الصَّاعدة.

وهذا ما تشير إليه بيانات الوحي ، منها :

بيان أَمير المؤمنين (صلوات اللّٰـه عليه) : «**... الإمام ... ظاهره أَمر لا يُملك ، وباطنه غيب لا يُدرك ... وهل يُعرف أَو يوصف أَو يعلم أَو يفهم أَو يدرك أَو يملك مَنْ هو شعاع جلال الكبرياء ، وشرف الأَرض والسَّماء؟ جلَّ مقام آل مُحمَّد صلى الله عليه وآله عن وصف الواصفين ، ونعت النَّاعتين ، وأَنْ يقاس بهم أَحد من العالمين ... الإمام ... بشر ملكيّ ، وجسد سماويّ ، وأَمر إلٰهيّ ، وروح قدسيّ ، ومقام عليّ ، ونور جليّ ، وسرّ خفيّ ، فهو ملك الذات ، إلٰهيُّ الصفات ... وهذا كلّه لآلِ مُحمَّد لا يُشاركهم فيه مشارك ... خلقهم اللّٰـه من نور عظمته ، وولَّاهم أَمر مملكته ، فهم سرّ اللّٰـه المخزون ... و ... الكواكب العلوية ، والأَنوار العلويَّة المشرقة من شمس العصمة الفاطميَّة ، وفي سماء العظمة المُحمَّديَّة ، والأَغصان النبويَّة الثابتة في دوحة الأَحميَّة والأَسرار الإلٰهيَّة المودعة في الهياكل البشريَّة ...**»[1].

وهذه المرتبة والدرجة أَعظم من مرتبة ودرجة الآخرة الأَبديَّة ، ومن ثَمَّ من مُقوِّمات معرفة الإمامة الإلٰهيَّة ؛ ومعرفة الإمام من أَهل البيت

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٥ : ١٦٩ ـ ١٧٤/ ح٣٨.

(صلوات اللّـه عليهم) : معرفتهم ومعرفة مقاماتهم وشؤونهم في هذا العالم الأَرضي ، وفي العوالم التَّالية ، والعوالم السَّالفة كـ : (عَالَمَ النور).

وعليه : فأَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) وإِنْ كانوا من حيث أَبدانهم الشَّريفة المُقدَّسة هم أَبناء الجزيرة العربيَّة ، لكنَّهم من حيث أَنوارهم المُقدَّسة هم أَبناء الملكوت وأَبناء السَّاحة الرُّبوبيَّة.

وعلى هذا قس : النُّبوَّة وحقيقة سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله.

وإِلى هذا تشير بيانات الوحي ، منها :

بيان قوله جلَّت آلاؤه : ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾[1].

ودلالته واضحة ؛ فإِنَّه أَخذ (الوحي) كأَحد الفصول والمراتب الصَّاعدة لحقيقة ذات سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله ، وحيث عَبَّر عنه بصيغة الفعل المضارع (يوحي) ، المفيد للتجدُّد والإِستمرار التأبيدي ؛ دلَّ ذلك على أَنَّ أَحد مراتب ذاته صلى الله عليه وآله المُقدَّسة : بحر وحي زخَّار ، لا ينزف ولا نهاية له أَبد الآباد ودهر الدُّهور ، ما دام اللّـه عزَّ وجلَّ حاجة في خلقه.

وعليه : فلابُدَّ أَنْ يكون هذا النحو من الوحي فوق عَالَمَ الآخرة الأَبديَّة ، بل وفوق العرش ، بل وفوق عَالَمَ الأَسماء والصفات الإِلٰهيَّة المعهودة.

(١) الكهف : ١١٠.

القضيَّة الحادية والعشرون :

مقام الإمامة الإلهيَّة أعظم من مقام نبوَّة بقيَّة الأنبياء عليهم السلام

إنَّ إمامة أمير المؤمنين وبقيَّة أهل البيت الأطهار (صلوات اللّـه عليهم) أعظم مرتبة ، وأخطر شأناً وهولاً ، وأرفع مقاماً من نَبوَّات بقيَّة أنبياء أُولي العزم عليهم السلام ، بل إنَّما كانت لهم قيمة ؛ لكونهم وقعوا في سلسلة التَّمهيد لنبوَّة سيِّد الأنبياء ؛ وإمامة أهل البيت (صلوات اللّـه عليهم).

بل ما كان يتمتَّع به بقيَّة أنبياء أُولي العزم عليهم السلام من إمامة فمع أنَّ مقامها ومرتبتها ودرجتها تأتي بعد إمامة الدائرة الاصطِفائيَّة الثانية لأهل البيت (صلوات اللّـه عليهم).

فانظر : بيانات الوحي ، منها :

١ـ بيان سيِّد الأنبياء صلى الله عليه وآله : «**إنَّ موسىٰ سأل ربَّه (عزَّوجلَّ) فقال : يا ربّ اجعلني من أُمَّة مُحمَّد ، فأوحىٰ اللّـه تعالىٰ إليه : يا موسىٰ ، إنَّكَ لا تصل إلى ذلك**»[1].

٢ـ بيان أمير المؤمنين عليه السلام : «... **إنَّ نور أبي يوم القيامة يُطفئ أنوار الخلائق**[2] **إلَّا خمسة أنوار : نور مُحمَّد صلى الله عليه وآله ، ونوري ، ونور الحسن والحسين، ونور تسعة من ولد الحسين ، فإنَّ نوره من نورنا الَّذي خلقه اللّـه تعالىٰ قبل**

---

(١) بحار الأنوار ، ٢٦ : ٢٦٨/ ح٣. عيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢٠٠.
(٢) في المصدر : (ليطفئ أنوار الخلائق كُلّهم).

أَنْ يخلق آدم بألفي عام»[١].

٣ـ بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام ، عن يوسف بن أَبي سعيد ، قال : «**... إِذا كان يوم القيامة ، وجمع اللّـه تبارك وتعالىٰ الخلائق كان نوح صلَّىٰ اللّـه عليه أَوَّل مَنْ يُدعا به ، فيقال له : هل بَلَّغتَ ؟ فيقول : نعم. فيقال له : مَنْ يشهد لكَ ؟ فيقول : مُحمَّد بن عبد اللّـه صلى الله عليه وآله. قال : فيخرج نوح صلَّىٰ اللّـه عليه فيتخطَّىٰ النَّاس حتَّىٰ يجئ إِلى مُحمَّد صلى الله عليه وآله وهو على كثيب المسك ومعه عَلِيّ عليه السلام ... فيقول نوح لمُحمَّد صلى الله عليه وآله : يا مُحمَّد ، إِنَّ اللّـه تبارك وتعالىٰ سألني : هل بَلَّغتَ ؟ فقلتُ : نعم ، فقال : مَنْ يشهد لكَ ؟ فقلتُ : مُحمَّد ، فيقول : يا جعفر ويا حمزة ، اذهبا واشهدا له ؛ أَنَّه قد بَلَّغ. فقال أَبو عبد اللّـه عليه السلام: فجعفر وحمزة هما الشَّاهدان للأَنبياء عليهم السلام بما بلَّغوا. فقلتُ : جعلتُ فداك ، فَعَلِيّ عليه السلام أَين هو ؟ فقال : هو أعظم منزلة من ذلك**»[٢].

لكنَّها[٣] مُتقدِّمة على نَبوَّاتهم ؛ فإِمامة النَّبيّ إِبراهيم عليه السلام نالها بعد أَنْ تمتَّع بالنُّبوَّة ثُمَّ الرِّسالة ثُمَّ الخلَّة.

---

(١) بحار الأَنوار ، ٣٥ : ٦٩/ ح٣. الإِحتجاج : ١٢٢. أَمالي الشَّيخ : ١٩٢.

(٢) بحار الأَنوار ، ٧ : ٢٨٢ ـ ٢٨٣/ ح٤.

(٣) مرجع الضمير : (إِمامة بقيَّة أَنبياء أُولي العزم عليهم السلام) ، فتكون العبارة كالتَّالي : «إِنَّ إِمامة بقيَّة أَنبياء أُولي العزم عليهم السلام ـ مع أَنَّ إِمامة أَهل البيت من أَصحاب الدائرة الإِصطفائيَّة الأُولىٰ عليهم السلام مُتقدِّمة عليها، بل وإِمامة أَهل البيت من أَصحاب الدائرة الإِصطفائيَّة الثانية عليهم السلام مُتقدِّمة عليها أَيضاً ، لكنَّها (أَي : إِمامة بقيَّة أَنبياء أُولي العزم عليهم السلام) ـ مُتقدِّمة على نبوَّاتهم ورسالاتهم الإِلٰهيَّة».

لكن : هذا لا يُنافي أَنَّ النُّبوَّة فضيلة من الفضائل اللدنيَّة الاِصطفائيَّة الإلٰهيَّة ، لم تكن مُتوفِّرة لدىٰ أَئمَّة أَهل البيت صلوات اللّٰـه عليهم.

نعم ، سينالون (صلوات اللّٰـه عليهم) أَجرها ومقامها في الآخرة الأَبديَّة؛ ببركة طاعاتهم الأُخرىٰ.

وبالجملة : أَنَّ إِمامة أَهل البيت (صلوات اللّٰـه عليهم) من أَصحاب الدائرة الاِصطِفائيَّة الأُولىٰ مُتقدِّمة بالضرورة على إِمامة أَهل البيت عليهم السلام من أَصحاب الدائرة الاِصطِفائيَّة الثانية، كـ: (أَبي الفضل العبَّاس ، وعبدالمطلب، وعبداللّٰـه ، وأَبي طالب ، وحمزة ، وجعفر الطيار). وإِمامة أَهل البيت من أَصحاب الدائرة الاِصطِفائيَّة الثانية مُتقدِّمة على إِمامة بقيَّة أَنبياء أُولي العزم عليهم السلام فضلاً عن تقدُّمها على إِمامة بقيَّة الرُّسُل والأَنبياء والأَوصياء والأَصفياء عليهم السلام. وإِمامة أَنبياء أُولي العزم عليهم السلام مُتقدِّمة على نبوَّاتهم ورسالاتهم الإلٰهيَّة ؛ لأَنَّهم نالوها بعد النُّبوَّة والرسالة فتكون أَعظم.

وعليه : تكون إِمامة أَهل البيت من أَصحاب الدائرة الاِصطِفائيَّة الأُولىٰ (صلوات اللّٰـه عليهم) مُتقدِّمة بمراتب ودرجات على نبوَّة بقيَّة أَنبياء أُولي العزم عليهم السلام فضلاً عن نبوَّة بقيَّة الأَنبياء والرُّسُل عليهم السلام. فالتفت واغتنم تربت يداك.

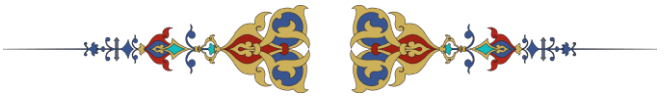

القضيَّة الثانية والعشرون :

إِمامة أَهل البيت عليهم السلام تدفع وترفع اصطكاك وتخاصم المخلوقات المُكرَّمة

إِنَّه لولا أَصحاب الكساء (صلوات اللّٰـه عليهم) ، وهذا البيت والأُسرة الكونيَّة العوالميَّة لحصل الإِصطكاك والتصادم والتخاصم والاختلاف بين جملة كُمَّل البشر ـ الأَنبياء والرُّسل والأَوصياء والأَصفياء عليهم السلام ـ في إِدارة الدولة الإِلٰهيَّة ، بل ولحصل ذلك أَيضاً بين من يديرها من بقيَّة المخلوقات كالملائكة ، وإِلى هذا الإِصطكاك تُشير بيانات الوحي ، منها :

بيان قوله جلَّ قوله : ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾[1] .

وحلُّ ذلك الاصطكاك والتصادم والتخاصم والإِختلاف لا يكون إِلَّا بالأيادي الإِلٰهيَّة : أَهل البيت الأَطهار : سيِّد الأَنبياء وبقيَّة أَهل البيت صلوات اللّٰـه عليهم.

وإِلى هذا تشير بيانات الوحي ، منها :

١ـ بيان أَمير المؤمنين (صلوات اللّٰـه عليه) : «... **ويطيعنا كُلَّ شيءٍ حتَّىٰ السَّماوات والأَرض ، والشَّمس والقمر والنجوم ، والجبال والشجر والدواب والبحار ، والجنَّة والنَّار** ...»[2] .

٢ـ بيانه (صلوات اللّٰـه عليه) أَيضاً : «... **الإِمام كلمة اللّٰـه ، وحُجَّة**

---

(١) صَ : ٦٩.

(٢) بحار الأَنوار ، ٢٦ : ٧/ ح١.

اللّـه، ووجه اللّـه ، ونور اللّـه ، وحجاب اللّـه ، وآية اللّـه يختاره اللّـه ويجعل فيه ما يشاء ، ويوجب له بذلك الطَّاعة والولاية على جميع خلقه ، فهو وليُّه في سماواته وأَرضه ، أَخذ له بذلك العهد على جميع عباده ، فَمَنْ تقدَّم عليه كفر باللّـه من فوق عرشه ، فهو يفعل ما يشاء ، وإِذا شَاءَ اللّـه شَاءَ ... ويرىٰ ما بين المشرق والمغرب ؛ فلا يخفىٰ عليه شيء من عَالَمَ المُلك والملكوت ... فالولاية هي حفظ الثغور ، وتدبير الأُمور ، وتعديد الأَيّام والشهور ... والنَّبيّ والعترة ... رأس دائرة الإِيمان ، وقطب الوجود ، وسمآء الجود ، وشرف الموجود، وضوء شمس الشرف ، ونور قمره ... فالإِمام هو السراج الوهاج ، والسبيل والمنهاج ... والغدير المغدق ، والمنهج الواضح المسالك ، والدليل إذا عمت المهالك ، والسحاب الهاطل ، والغيث الهامل ... والبحر الَّذي لا ينزف ... مهيمن اللّـه على الخلائق ، وأمينه على الحقائق ، حُجَّة اللّـه على عباده ... هذا كلّه لآل مُحَمَّد لا يشاركهم فيه مشارك ... خلقهم اللّـه من نور عظمته، وولاهم أَمر مملكته ، فهم سرّ اللّـه المخزون ، وأَولياؤه المُقَرَّبون ... السَّماوات والأَرض عند الإِمام كيده من راحته يعرف ظاهرها من باطنها، ويعلم برها من فاجرها ، ورطبها ويابسها ... فهم ... مبدء الوجود وغايته ، وقدرة الربّ ومَشِيَّته ... وحجج اللّـه على الأَوَّلين والآخرين ... وأَنَّ اللّـه لم يخلق أَحداً إِلَّا وأَخذ عليه الإِقرار بالوحدانيّة ، والولاية للذُّرِّيَّة الزَّكِيَّة ، والبراءة من أَعدائهم ...» [1].

٣ـ بيانه (صلوات اللّـه عليه) أَيضاً : «... وأَنا أَمير المؤمنين ... وخليفة

(١) بحار الأَنوار ، ٢٥ : ١٦٩ ـ ١٧٤/ ح٣٨.

ربّ العالمين ... والحُجَّة على أَهل السَّماوات والأَرضين وما فيهما وما بينهما...»[١].

٤ـ بيانه (صلوات اللّـه عليه) ، عن سلمان ، قال : «... ثُمَّ إِنَّ أَمير المؤمنين عليه السلام أَمر الريح فسارت بنا إِلى جبل قاف فانتهيت[٢] إِليه ، وإِذا هو من زمرّدة خضراء ، وعليها مَلك على صورة النسر ، فلمَّا نظر إِلى أَمير المؤمنين عليه السلام قال المَلك : السَّلام عليك يا وصيّ رسول اللّـه وخليفته ، أَتأذن لي في الكلام ؟ فردَّ عليه السَّلام وقال له : **إِنْ شئتَ تكلَّم ، وإِنْ شئتَ أَخبرتُكَ عمَّا تسألني عنه.** فقال المَلك : بل تقول أَنتَ يا أَمير المؤمنين ، قال : **تريد أَنْ آذن لكَ أَنْ تزور الخضر** عليه السلام . قال : نعم. فقال عليه السلام: **قد أذنتُ لك ، فأسرع المَلك** ... فقال سلمان : يا أمير المؤمنين ، رأيتُ المَلك ما زار الخضر إِلَّا حين أَخذ إذنكَ. **فقال** عليه السلام : **والَّذي رفع السَّمآء بغير عمد ترونها ، لو أَنَّ أَحدهم رام أَنْ يزول من مكانه بقدر نفس واحد لَـمَا زال حتَّىٰ آذن له ، وكذلك يصير حال ولدي الحسن وبعده الحسين وتسعة من ولد الحسين ...»**[٣].

٥ـ بيان الإِمام الصادق عليه السلام ، عن المفضَّل ، قال : «... قلتُ له : يا بن رسول اللّـه ، فعلِيّ بن أَبي طالب عليه السلام يدخل محبيه الجنَّة ومبغضيه النَّار أَو رضوان ومالك ؟ فقال : ... **فعليّ بن أَبي طالب إِذاً قسيم الجنَّة والنَّار عن**

---

(١) بحار الأَنوار ، ٥٣ : ٤٦ ـ ٤٩/ ح ٢٠.

(٢) في المصدر : (فانتهينا).

(٣) بحار الأَنوار ، ٢٧ : ٣٣ ـ ٤٠/ ح ٥. المختصر : ٧١ ـ ٧٦.

رسول اللّـه صلى الله عليه وآله ، ورضوان ومالك صادران عن أمره ...»[١].

٦ـ بيان الإمام الجواد عليه السلام : «... **إنَّ اللّـه تبارك وتعالىٰ لم يزل متفرِّداً بوحدانيَّته ، ثُمَّ خلق مُحَمَّداً وعليّاً وفاطمة فمكثوا أَلف دهر ، ثُمَّ خلق جميع الأَشياء فأشهدهم خلقهم ، وأجرىٰ طاعتهم عليها ، وفوَّض أُمورهم إليهم ...»**[٢].

٧ـ بيان زيارتهم (صلوات اللّـه عليهم) : «... **السَّلام على أُمراء الإِسلام ، وملوك الأَديان ... السَّلام على كهوف الكائنات وظلّها ...»**[٣].

ودلالة الجميع واضحة.

ومنه يتَّضح : الجمّ الغفير من بيانات الوحي ، منها :

أَوَّلاً : بيان سيِّد الأَنبياء مُخاطباً أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليهما وعلى آلهما) : «**يا عَلِيُّ ، كُنتَ مع الأَنبياء سرّاً ، ومعي جهراً**»[٤].

ثانياً : بيان أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه) : «**كُنتُ مع الأَنبياء باطناً ومع رسول اللّـه ظاهراً**»[٥].

(١) بحار الأَنوار ، ٣٩ : ١٩٥/ ح٥. علل الشرائع : ٦٥.
(٢) بحار الأَنوار ، ١٥ : ١٩/ ح٢٩.
(٣) المصدر نفسه ، ٩٩ : ٥٣.
(٤) مشارق أَنوار اليقين : ٢٤٨. الأَنوار النعمانيَّة ، ١ : ٣٠٩.
(٥) مصباح الهداية : ١٤٢.

القضيَّة الثالثة والعشرون :

تَعَصِّي البعض عن قبول ما ورد في حقِّ أَهل البيت عليهم السلام

العجب مِـمَّن يدَّعي ويزعم انتسابه إِلى مدرسة أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) وهو لا يقبل ببيانات الوحي الواردة في حقِّهم ، ويرفض طُرق العامَّة فضلاً عن طُرق الخاصَّة ، وكأَنَّه يقطع نفسه عن تراث السُّنَّة الشَّريفة.

وقد حكمت كلمة المسلمين بالإِجماع على مَنْ يقطع نفسه عن هذا التراث العظيم والخطير بـ : الخروج عن مِلَّة المسلمين ؛ فإِنَّ أَقلّ وأَدنىٰ مراتب الإِسلام ؛ ولا يصير الشخص من عبدة الشَّيطان[1] قبوله بالروايات المتواترة بين الفريقين.

والإِنسان وإِنْ كان حرّاً في ذلك ، لكن : عليه أَنْ يعلن عن نفسه ، ويكون صريحاً مع الآخرين ، ولا يخدعهم ، ولا يُشبِّه ولا يُزيِّف عليهم : أَنَّه من المُتشبِّثين ببيانات الثقلين ، والصدق هو الأَهم ، والخداع معيب ودجل ومكر وخديعة.

وإِلى أَصحاب هذا الخطّ تشير بيانات الوحي ، منها :

بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله : «... **أَيُّها النَّاس ، مالكم إِذا ذُكِرَ إِبراهيم وآل إِبراهيم أَشرقت وجوهكم ، وإِذا ذُكِرَ مُحَمَّد وآل مُحَمَّد قست قلوبكم**

---

(١) مشكلة (إِبليس) وأزمته السرمديَّة في الخلقة ، الَّتي تذكرها بيانات الوحي لبدء طريق الشَّرِّ تكمن في عدم الولاية لولي اللّـه (عزَّوجلَّ).

وعبست وجوهكم؟! والَّذي نفسي بيده لو عمل أَحدكم عمل سبعين نبيّاً لم يدخل الجنَّة حتَّىٰ يحبّ هذا أَخي عليّاً وولده ، ثُمَّ قال عليه السلام: إِنَّ للّٰـه حقّاً لا يعلمه إِلَّا أَنا وَعَلِيّ ، وإِنَّ لي حقّاً لا يعلمه إِلَّا اللّٰـه وعَلِيّ ، وله حقّ لا يعلمه إِلَّا اللّٰـه وأَنا»[1].

ودلالته واضحة ؛ فإِنَّ أَصحاب هذا الخطّ والمنهج والمسلك ومن جرىٰ على شاكلتهم يُحاولون بكُلِّ ما أُوتوا من صنعةٍ ـ بدعوىٰ التَّحقيق ـ بهدم كُلّ ما ورد من شؤونٍ وأَحوالٍ ومقاماتٍ وفضائلٍ وكمالاتٍ في حقِّ أَهل البيت (صلوات اللّٰـه عليهم) تحت ذريعة : الغلو ؛ وما شاكله من ادِّعاء: ضعف السند أَو الدلالة ؛ وإِنْ كان ذلك ثابتاً بعشرات ، بل بمِئات الطُرق والبيانات الوحيانيَّة والسِّيَر والنقول التأريخيَّة وما شاكلها ، وكانت دلالاته صريحة وواضحة كالشَّمس الضاحية ولا غبار عليها ، وفي مقابل ذلك لا يتورَّعون ولا تجد هذه الحساسيَّة موجودة عندهم في حقِّ بقيَّة المخلوقات ، فيتشَبَّثون من دون أَيّ تقوىٰ بكُلِّ شاردةٍ وواردةٍ ، كتشبُّث الغريق بالطحلب؛ لإِثبات مقامات وكرامات وفضائل وكمالات لبقيَّة المخلوقات ، ولا يعتنون بسندها ولا بدلالتها ، فما عدا مِمَّا بدا.

(١) بحار الأَنوار ، ٢٧ : ١٩٦/ ح٥٦. الروضة : ١٤٧.

القضيَّة الرابعة والعشرون :

الاستلزام بين معرفة التَّوحيد والنُّبوَّة والإمامة

إِنَّ ما ورد في دعاء الإِمام الصادق (صلوات اللّـه عليه) : « **اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي نَفْسكَ ، فإِنَّكَ إِنْ لم تعرِّفني نفسكَ لم أَعرف نبيّكَ ، اللَّهُمَّ عرِّفني رسولكَ ؛ فإِنَّكَ إِنْ لم تعرِّفني رسولكَ لم أَعرف حُجَّتكَ ، اللَّهُمَّ عرِّفني حُجَّتَكَ ؛ فإِنَّكَ إِنْ لم تُعَرِّفني حُجَّتكَ ضللتُ عن ديني**»[1] برهان وحيانيٌّ دالٌّ على أَنَّ أَيَّ خللٍ في معرفة التَّوحيد سيؤدِّي لا محالة إِلى خللٍ في معرفة النُّبوَّة ؛ وخللٍ في معرفة حقيقة سيِّد الأَنبياء ﷺ ، وأَيّ خللٍ في معرفة النُّبوَّة ؛ وحقيقة سيِّد الأَنبياء ﷺ سيُؤدِّي لا محالة إِلى خللٍ في معرفة حقيقة الإِمام والإِمامة الإِلٰهيَّة ؛ وحقائق أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) ، وأَيُّ خللٍ في معرفة الإِمام والإِمامة الإِلٰهيَّة ؛ وحقائق أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) سيُؤدِّي لا محالة إِلى خللٍ في المنظومة المعرفيَّة والعقائديَّة والوقوع في الضَّلال والزيغ والإِنحراف.

ولازمه : أَنَّه كُلَّما ازدادت معرفة المخلوق بالتوحيد ازدادت معرفته بالنُّبوَّة وبحقيقة سيِّد الأَنبياء ﷺ ، وكلَّما ازدادت معرفته بالنُّبوَّة وبحقيقة سيِّد الأَنبياء ﷺ ازدادت معرفته بالإِمام ؛ وبالإِمامة الإِلٰهيَّة ؛ وبحقائق أَهل

---

(١) بحار الأَنوار ، ٥٢ : ١٤٦ ـ ١٤٧/ح٧٠. كمال الدين ، ٢ : ١٢. الكافي ، ١ : ٣٣٧ ـ ٣٤٢. غيبة النعماني : ٨٦ و٨٧. غيبة الشَّيخ : ٢١٧.

البيت (صلوات اللّـه عليهم) ، وكُلَّما ازدادت معرفته بالإِمام وبالإِمامة الإِلٰهيَّة وبحقائق أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) كُلَّما حصَّنَ نفسه عن الوقوع في الضَّلال والزيغ والإِنحراف.

القضيَّة الخامسة والعشرون :

المعرفة المستقبليَّة لسيِّد الأَنبياء وسيِّد الأَوصياء عليهما السلام

إِنَّ ما ورد في بيان الدعاء الوارد في زيارة الإِمام الحسن العسكري (صلوات اللّـه عليهم) : «... **يا دائم يا ديموم يا حي يا قيوم ... أَتوسَّلُ إِليك بحبيبك مُحَمَّد ، ووصيِّه عَلِيّ ابن عَمِّه وصهره على ابنته ، اللَّذين خَتَمتَ بهما الشرائع ، وفتحت بِهِمَا التَّأويل والطلائع...**»[1] برهان وحيانيٌّ دالٌّ على قاعدة ومعادلة معرفيَّة ، وعبارة مختصرة عن المعرفة المستقبليَّة لـحقيقة سيِّد الأَنبياء ولحقيقة سيِّد الأَوصياء صلوات اللّـه عليهما وعلى آلهما ، وخارطة طريق لمعرفة : مقاماتهما الَّتي ستُبتلىٰ بها المخلوقات غادياً في العوالم اللاحقة ؛ شاءت أَم أَبت.

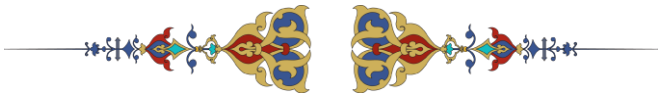

(١) بحار الأَنوار ، ٩٩ : ٦٨. مصباح الزائر : ١٣ ـ ٢١٤.

القضيَّة السادسة والعشرون :

(المعرفة) أَعظم ما يهبه المعصوم عليه السلام لزائره

إِنَّ المعرفة أَعظم هديَّة وذخيرة ودرس يُعطيه المعصوم عليه السلام لزائره ، لكن بشرط أَن يكون الزائر عارفاً بحقِّه ، ويفهم ما يقرأه من حقائق ومعاني الزيارة.

والمعرفة الحقَّة هي العملة الصَّعبة في عَالَم : القبر والبرزخ والرَّجعة والقيامة والآخرة الأَبديَّة وما بعدها.

وهذا ما تُشير إِليه بيانات للوحي ، منها :

بيان قوله تقدَّس ذكره : ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[1] .

ودلالته واضحة.

(١) المجادلة : ١١.

القضيَّة السَّابعة والعشرون :

تطوُّر النظام السياسي بنموِّ العقل البشري

مرَّ عقل الإِنسان وفكره وسلسلة مدارس البشر إِلى يومنا هذا ـ ولا زالت منذُ كانت البشريَّة تعيش في الكهوف ، ثُمَّ البداوة ، ثُمَّ العشيرة والقبيلة ، ثُمَّ الريف ، ثُمَّ المدينة ، ثُمَّ الأَمصار[1] ـ بتأريخ في تصوير النظام السياسي.

إِذَنْ : مرَّت البشريَّة بسلسلة مدارس تطوَّر فيها العقل البشري إِلى أَنْ وصل إلى صياغات وآليَّا عديدة ؛ نبذ فيها البشر الإِستبداد والتعجرف ـ والَّذي رُبَما يُسَمَّىٰ بـ : (الديكتاتوريَّة) ونظام حاكميَّة الفرد ، وهو نوع من العدالة السياسيَّة والعدالة الحقوقيَّة ـ وحاول تخطِّي الإِستبداد الفردي إِلى الإِستبداد : الحزبي والقومي والعنصري والعرقي والشعوبي ، لكن جميع ذلك خطوط وأَلوان من الإِستبداد مرَّت عبر الأَجيال والحضارات ؛ ترقَّىٰ عنها العقل البشري وتجاوزها في العصر الرَّاهن.

إِذَنْ : تخطَّىٰ العقل البشري عقبات من الإِستبداد ، ووصل إِلى مرحلة كُلَّما كانت مشاركة المجتمع والمجموع أَكثر كُلَّما كانت الرقابة ؛ وكان العدل والعدالة والحريَّة ؛ وعدم التفرُّد وعدم الإِستبداد مُتحقِّقاً أَكثر.

إِنْ قُلْتَ : على هذا كيف تؤمن مدرسة أَهل البيت (صلوات اللّٰـه

---

(١) الأَمصار جمع : مصر ، ومعناه : البلد المشتمل على المدن والأَرياف.

عليهم) بحكومة الفرد المعصوم ؛ فإنَّه نحو ديكتاتوريَّة واستبداد فردي.

قلتُ : هذا قياس مع الفارق ؛ فإنَّ مدرسة أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) تؤمن بالمشاركة للجميع والمجموع في كُلِّ طبقات المجتمع ، ودور المعصوم عليه السلام دورٌ ضروريٌّ ، وقطب مُنَسِّق ومُحرِّك في النُّظم والإِدارة والتَّدبير. بخلاف الديكتاتوريَّة فإنَّها تعني : إِعاقة حصول الجميع على الفُرص المُستحقَّة ليصلوا إِلى التنامي العام.

بعد الإِلتفات : أَنَّ الإِعاقة الفكريَّة والرُّوحيَّة أَخطر من دون قياس من الإِعاقة البدنيَّة ؛ لأَنَّ الإِعاقة البدنيَّة لا تُعيق المخلوق عن التكامل ، بخلاف الإِعاقة الفكريَّة والرُّوحيَّة ؛ فإنَّها تُعيقه عن التكامل ، بل قد يحصل من صاحبها دماراً للبشريَّة ، ودور المعصوم عليه السلام يجعل الفرص مُتاحة في كُلِّ الجوانب والمجالات ، فلا تُعيق شريحة من المجتمع شريحة أُخرىٰ ، سوآء أَكان في الجانب الإِقتصادي أَو الإِجتماعي أَو الحقوقي أَو الرُّوحي أَو التعليمي أَو التنموي أَو غيرها.

وبعبارة أُخرىٰ : أَنَّه لابُدَّ لحركة البشر من لولبٍ في هندسة : النظام المروي ، ونظام الشبكة المائيَّة ، ونظام الشبكة الكهربائيَّة ، ونظام الشبكة الزراعيَّة ، ونظام الشبكة الإِقتصاديَّة ، ونظام الشبكة التجاريَّة ، وهلمَّ جرّاً؛ مُنسِّق وقُطب رحىٰ يُسبِّب إِنسيابيَّة جميع الأَطراف. هكذا حال دور الإِمام عليه السلام في إِنسيابيَّة الدولة الإِلٰهيَّة وإِدارتها؛ ببركة ما مُتِّع به من العلم اللدنِّي؛ وبقيَّة الآليَّات والمقامات والفضائل والكمالات الإِلٰهيَّة ، بخلاف بقيَّة

البشر ؛ فإنَّهم لَـمَّا لم يتمتَّعوا بذلك العلم اللدنِّي وببقيَّة الآليَّات والمقامات والفضائل والكمالات الإلٰهيَّة عجزوا عن القيام بدور المعصوم تنظيراً فضلاً عن التطبيق ، ومن ثُمَّ كُلَّما أَتوا بنظامٍ لإدارة الدولة أَو النظام[1] السياسي أَو النظام الإقتصادي وما شاكلها تجده سرعان ما تتكشَّر ثغراته ونواقصه وتناقضاته وينهار.

رجوع إلى صلب الموضوع

إذَنْ : حصل لدىٰ العقل البشري نوع تنمويَّة في الإدارة والتدبير ، بعد الإلتفات : أَنَّه كُلَّما تكاملت البشريَّة كُلَّما تعقَّدت ثقافتها : الأَمنيَّة والعسكريَّة والسياسيَّة والإقتصاديَّة والصحيَّة والمروريَّة وهلمَّ جرّاً ، وصعب : نظمها وتدبيرها وإدارتها.

وهذا برهانٌ عقليٌّ دالٌّ على علوِّ سُؤدد سيِّد الأَنبياء وبقيَّة أَهل البيت (صلوات اللّٰـه عليهم) ، وتقدُّمهم على جملة بقيَّة كُمَّل المخلوقات ؛ فإنَّ العقل البشري بعدما كان في دوامة التنامي والتكامل اللامتناهي كان يتعطَّش دائماً ويطلب مُعَلِّماً أَكبر وأَعظم : شأناً ومقاماً ؛ ورفعةً وفضلًا وكمالًا.

ومنه يتَّضح : عدم غرابة القول بتقدُّم شؤون وأَدوار ومسؤوليَّات ومقامات وفضائل وكمالات : آباء وأَجداد سيِّد الأَنبياء وأَمير المؤمنين

---

(١) هذا وما بعده عطف على كلمة : (الدولة) ، فتكون العبارة كالتالي : «ومن ثَمَّ كُلَّما أَتوا بنظام لإدارة الدولة ، أَو أَتوا بنظام لإدارة النظام السياسي ، أَو أَتوا بنظام لإدارة النظام الإقتصادي ...».

(صلوات اللّـه عليهما وعلى آلهما) من أَصحاب الدائرة الإِصطفائيَّة الثانية ، كـ : (عبداللّـه ، وأَبي طالب ، وعبدالمطَّلب ، وهاشم ، وعبد مناف عليهم السلام) على جملة من تقدَّمهم من كُمَّل المخلوقات منهم : بقيَّة أَنبياء أُولي العزم كالنَّبيِّ إِبراهيم عليه السلام ؛ لأَنَّ مسؤوليَّة اللَّاحق تكون أَعظم وأَخطر وأَعقد ، فالمجتمع البشري صار في زمان آباء وأَجداد سيِّد الأَنبياء وأَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليهما وعلى آلهما) : أَعقد إِدارة وتدبيراً وصلاحاً من أَزمنة بقيَّة جملة الأَنبياء والرُّسل السَّابقين ؛ كالنَّبيِّ : إِبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ عليهم السلام ؛ فتكون مقامات وشؤون ومسؤوليَّات المدير والمُدبِّر لشؤون هذه الأَعصار المتأَخِّرة أَرفع وأَعظم خطراً.

إِنْ قلتَ : إِنَّه على هذا الأَساس يلزم أَنْ يكون الإِمام الثاني عشر عجل الله تعالى فرجه الشريف ومقامه ودوره ومسؤوليَّاته وشؤونه وفضائله وكمالاته اَرفع وأَعظم خطراً من مقامات وأَدوار ومسؤوليَّات وشؤون وفضائل وكمالات سيِّد الأَنبياء وبقيَّة أَصحاب الكساء (صلوات اللّـه عليهم) ؛ لأَنَّ الـمجتمع البشري في زمان إِمامته عجل الله تعالى فرجه الشريف تطوَّر عمَّـا كان في تلك الأَزمنة ، وتعقَّدت إِدارته ومسؤوليَّاته ، وتعقَّد صلاحه ، لكنَّه مخالف للضَّرورة الدينيَّة ، فإِذا بطل هذا اللازم فالملزوم[1] مثله.

---

(١) المراد من الملزوم : (أَنَّ آباء وأَجداد سيِّد الأَنبياء وأَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليهما وعلى آلهما) أَفضل شأناً وأَعلىٰ وأَعظم وأَخطر أَدواراً ومسؤوليَّات ومقامات وفضائل وكمالات إِلٰهيَّة مِنْ جميع مَنْ تقدَّمهم من جملة كُمَّل المخلوقات ، كبقيَّة أَنبياء أُولي العزم عليهم السلام ؛ لأَنَّ مسؤوليَّاتهم (صلوات اللّـه عليهم) كانت أَعظم وأَخطر وأَعقد من مسؤوليَّات من تقدَّمهم).

قلت : صحيح : أَنَّ إِدارة المجتمع وإِصلاحه قد تعقَّد أَكثر مِـمَّا كان في زمان سيِّد الأَنبياء وبقيَّة أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) ، لكنَّ الثابت في عقيدتنا نحن الإِماميَّة ؛ وما دلَّت عليه بيانات القرآن الكريم وروايات الفريقين المتواترة ، منها : بيان قوله تعالىٰ : ﴿**وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾[1]: أَنَّ المخلوق الأَوَّل والرئيس الَّذي يتولَّىٰ إِدارة الأُمور في هذا الزمان ، بل وفي كُلِّ زمان : سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله ، ووزرائه : أَمير المؤمنين وبقيَّة أَهل البيت منهم : الإِمام الثَّاني عشر (صلوات اللّـه عليهم) ؛ ضمن نظام واحد للدولة الإِلٰهيَّة العظيمة ، لا يحجزهم فاصِل عَالَم البرزخ وغيره عن أَداء مسؤوليَّاتهم ؛ وإِدارة شؤون هذه النشأة الأَرضيَّة على مرِّ الدهور والأَزمان.

وهذا ما تشير إِليه بيانات الوحي ، منها :

١ـ بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله منضمّاً إِليه بيان أَمير المؤمنين عليه السلام ـ المُتقدِّم ـ : «... **أَيُّهَا اَلنَّاسُ ، خُذُوهَا عَنْ خَاتَمِ اَلنَّبِيِّينَ** صلى الله عليه وآله : «**إِنَّهُ يَمُوتُ مَنْ مَاتَ مِنَّا وَلَيْسَ بِمَيِّتٍ ، وَيَبْلَى مَنْ بَلِيَ مِنَّا وَلَيْسَ بِبَالٍ**» ، **فَلاَ تَقُولُوا بِمَا لاَ تَعْرِفُونَ ، فَإِنَّ أَكْثَرَ اَلْـحَقِّ فِيمَا تُنْكِرُونَ** ...»[2].

٢ـ بيان أَمير المؤمنين عليه السلام ـ المتقدِّم أَيضاً ـ : «... **إِنَّ مَيِّتنا لم يمت ، وغائبنا لم يغب ، وإِنَّ قتلانا لن يُقتلوا** ...»[3].

---

(١) التوبة : ١٠٥.

(٢) نهج البلاغة / خ٨٦ : ١٤٣.

(٣) بحار الأَنوار ، ٢٦ : ٦/ ح١.

٣ـ ما حصل لسماعة مع الإمام الصَّادق عليه السلام ، قال : «دخلتُ على أَبي عبداللّـه عليه السلام وأَنا أُحدِّث نفسي ، فرآني فقال : **مالك تُحدِّث نفسكَ ؟ تشتهي أَنْ ترىٰ أَبا جعفر ؟** قلتُ : نعم ، قال : **قم فادخل البيت**. فدخلتُ فإِذا هو أَبو جعفر عليه السلام. **قال : أَتىٰ قوم من الشيعة الحسن بن عَلِيّ عليهما السلام بعد قتل أَمير المؤمنين عليه السلام فسألوه فقال : تعرفون أَمير المؤمنين إِذا رأيتموه ؟ قالوا : نعم. قال : فارفعوا الستر ، فعرفوه فإِذا هم بأَمير المؤمنين عليه السلام لا ينكرونه ، وقال أَمير المؤمنين : يموتُ مَنْ مات منَّا وليس بمَيِّت ، ويبقىٰ من بقي مِنَّا حُجَّة عليكم**»[1].

٤ـ بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام ، قال : «**إِنَّ أَمير المؤمنين عليه السلام أَتىٰ أَبا بكر فقال له : أَما أَمركَ رسول اللّـه صلى الله عليه وآله أَنْ تطيعني؟** فقال : لا ، ولو أَمرني لفعلتُ. قال : **فانْطَلِق بنا إِلى مسجد قبا ؛ فإِذا رسول اللّـه صلى الله عليه وآله يُصَلِّي ، فلمَّا انصرف قال عَلِيّ عليه السلام: يا رسول اللّـه ، إِنِّي قلت لأَبي بكر : أَمركَ اللّـه ورسوله أَنْ تطيعني ، فقال : لا. فقال رسول اللّـه صلى الله عليه وآله : قد أَمرتُكَ فأطعه.** قال : فخرج فلقي عمر وهو ذعر فقال له : مالك ؟ فقال : قال لي رسول اللّـه صلى الله عليه وآله : كذا وكذا. فقال عمر : تبّاً لأُمَّةٍ ولَّوكَ أَمرَهم ، أَمَا تعرف سحر بني هاشم؟!»[2].

٥ـ بيان الإِمام الكاظم عليه السلام ، قال : «**خرجتُ مع أَبي إِلى بعض أَمواله ،**

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٧ : ٣٠٣ ـ ٣٠٤/ ح٤. بصائر الدرجات : ٧٨.
(٢) المصدر نفسه/ ح٦. بصائر الدرجات : ٧٨.

فلمَّا برزنا إِلى الصَّحراء استقبله شيخ أَبيض الرأس واللحية ، فسلَّم عليه فنزل إِليه أَبي جعلتُ أسمعه يقول له : جُعِلْتُ فداك ، ثُمَّ جلسا فتساءلا طويلاً ، ثُمَّ قام الشَّيخ وانصرف وودَّع أَبي ، وقام ينظر في قفاه حتَّىٰ توارىٰ عنه ، فقلتُ لأَبي : مَنْ هذا الشَّيخ الَّذي سمعتكَ تقول له ما لم تقله لأَحد ؟ قال : هذا أَبي»[1].

٦ـ بيانه عليه السلام أَيضاً ، عن إِبراهيم بن أَبي البلاد ، قال : «قلتُ لأَبي الحسن الرضا عليه السلام: حدَّثني عبد الكريم بن حسَّان ، عن عبيدة بن عبد اللّـه ابن بشر[2] الخثعميّ عن أَبيك أَنَّه قال : **كُنتُ ردف أَبي وهو يريد العريض ، قال: فلقيه شيخ أَبيض الرَّأس واللّحية يمشي ، قال : فنزل إِليه فقبَّل بين عينيه**. فقال إِبراهيم : ولا أَعلمه إِلَّا أَنَّه قَبَّلَ يده ، **ثُمَّ جعل يقول له : جُعِلْتُ فداك ، والشَّيخ يوصيه ، قال : وقام أَبي حتَّىٰ توارىٰ الشَّيخ ثُمَّ ركب ، فقلتُ: يا أبه ، مَنْ هذا الَّذي صنعت به ما لم أَركَ صنعته بأحد ؟ قال : هذا أَبي يا بنيّ»**[3].

٧ـ ما حصل لسماعة مع الإِمام أَبي الحسن عليه السلام ، قال : «كُنْتُ عند أَبي الحسن عليه السلام فأطلت الجلوس عنده ، فقال : **أَتحب أَنْ ترىٰ أَبا عبداللّـه** عليه السلام؟ فقال : وددتُ واللّـه. فقال: **قم وادخل ذلك البيت**. فدخلتُ البيت فإذا أَبو

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٧ : ٣٠٥/ ح٨. بصائر الدرجات : ٨٠ ـ ٨١.

(٢) في المصدر : (بشير).

(٣) بحار الأَنوار ، ٢٧ : ٣٠٣/ ح٣. بصائر الدرجات : ٧٨.

عبداللّـه عليه السلام قاعد»[١].

٨ـ بيان الإمام الرضا عليه السلام ، عن الحسن الوشاء ، قال : «قال لي إبتداءً : **إنَّ أَبي كان عندي البارحة** ، قلتُ : أبوك ؟ قال : **أَبي** ، قلتُ : أَبوك ؟ قال : **أَبي** ، قلتُ : أَبوك ؟ قال : **في المنام ، إنَّ جعفراً عليه السلام كان يجيئ إلى أَبي فيقول : يا بنيَّ إفعل كذا ، يا بنيَّ إفعل كذا يا بنيّ إفعل كذا**. قال : فدخلتُ عليه بعد ذلك فقال لي : **يا حسن ، إنَّ منامنا ويقظتنا واحدة**»[٢].

٩ـ بيان زيارة أَمير المؤمنين عليه السلام : «... **بأَبي أَنتَ وأُمّي يا أَمير المؤمنين ، أَشهدُ أَنَّك تراني وتبصرني وتعرف كلامي وتجيبني ، وتعرف ما يجنّه قلبي وضميري ...**»[٣].

ودلالة الجميع واضحة.

(١) بحار الأَنوار ، ٢٧ : ٣٠٤/ ح٥. بصائر الدرجات : ٧٨.
(٢) بحار الأَنوار ، ٢٧ : ٣٠٢/ ح١. قرب الإسناد : ١٥١ ـ ١٥٢.
(٣) بحار الأَنوار ، ٩٧ : ٣٥١/ ح٣٤. المزار الكبير : ٩٧ ـ ١٠١.

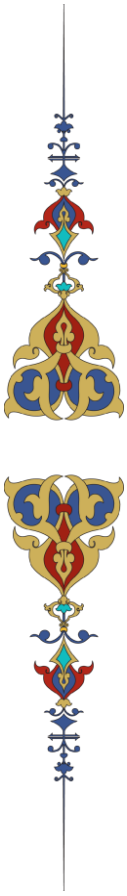

* القرآن الكريم.

١. الإحتجاج ، أحمد بن عَلِيّ بن أَبي طالب الطبرسي.

٢. إحقاق الحقّ ، القاضي السيِّد نور الله الحسيني المرعشي التستري.

٣. الاختصاص ، الشَّيخ المفيد محمَّد بن محمَّد بن النعمان العكبري البغدادي.

٤. الأربعون حديثاً ، العلَّامة محمَّد باقر المجلسي.

٥. الإرشاد ، محمَّد بن محمَّد ، الشَّيخ المفيد.

٦. إرشاد القلوب ، الشَّيخ الحسن بن أَبي الحسن عَلِيّ بن محمَّد الدَّيلمي.

٧. أُصول الكافي ، الشَّيخ محمَّد بن يعقوب الكلينيّ.

٨. إعلام الورىٰ ، الفضل بن حسن الطَّبرسي.

٩. الخرائج والجرائح ، قطب الدِّين الراوندي.

١٠. إلزام النَّاصب في إثبات الحُجَّة الغائب ، الشَّيخ عَليّ اليزديّ الحائريّ.

١١. الأَمالي ، أَبي جعفر محمَّد بن الحسن الطُّوسي .

١٢. الأَمالي ، الشَّيخ الصدوق، محمد بن علي بن بابويه القُمِّيّ.

١٣. الأَنوار النعمانيَّة ، السيِّد نعمة الله الجزائري.

١٤. بحار الأَنوار ، الشَّيخ محمَّد باقر المجلسي.

١٥. بصائر الدرجات ، الشَّيخ أَبو جعفر محمَّد بن الحسن بن فروخ الصَّفَّار.

١٦. تحف العقول ، ابن شعبة الحرَّاني.

١٧. تفسير العياشي ، محمَّد بن مسعود العياشيّ.

١٨. تفسير القُمِّيّ ، عَلِيّ بن إِبراهيم القمي.

١٩. التَّفسير المنسوب إِلى الإِمام العسكري عليه السلام ، الإِمام أَبي محمَّد الحسن بن عليّ العسكري عليه السلام.

٢٠. تفسير فرات الكوفي ، فرات بن إِبراهيم الكوفي.

٢١. تفضيل الأَئمَّة : (مخطوط).

٢٢. التَّوحيد ، الشَّيخ الصَّدوق، محمَّد بن عليّ بن بابويه القُمِّيّ.

٢٣. ثواب الأَعمال ، الشَّيخ الصَّدوق، محمَّد بن عَلِيّ بن بابويه القُمِّيّ.

٢٤. الخصال ، الشَّيخ الصَّدوق، محمَّد بن عليّ بن بابوي القُمِّيّ.

٢٥. دلائل الإِمامة ، محمَّد بن جرير الطَّبري.

٢٦. الروضة البهية ، زين الدِّين بن عَلِيّ الشَّهيد الثَّاني.

٢٧. روضة الواعظين ، الشَّيخ محمَّد بن فتَّال النيشابوري.

٢٨. السرائر ، أَبي جعفر محمَّد بن منصور بن أَحمد بن إدريس الحلّي.

٢٩. سنن ابن ماجة ، أَبو عبد الله محمَّد بن يزيد القزويني.

٣٠. شرح نهج البلاغة ، ابن أَبي الحديد المعتزلي.

٣١. علل الشرائع ، الشَّيخ الصَّدوق، محمَّد بن عَلِيّ بن بابويه القُمِّيّ.

٣٢. عوالم العلوم ، الشَّيخ عبدالله البحراني ، الشَّيخ محمَّد باقر الموحد الأَبَطحي .

٣٣. عيون أَخبار الرضا عليه السلام ، الشَّيخ الصَّدوق، محمَّد بن عَلِيّ بن بابويه القُمِّيّ.

٣٤. عيون الأَخبار ، بو محمَّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري.

٣٥. الغدير ، عبد الحسين الأَميني.

٣٦. غيبة النعماني ، محمَّد بن إِبراهيم النعماني.

٣٧. الفتوح ، أَحمد بن أَعثم الكوفي.

٣٨. الفضائل ، شاذان بن جبرئيل القُمِّيّ.

٣٩. قرب الإِسناد ، عبدالله بن جعفر الحميريّ القُمِّيّ.

٤٠. قواعد العقائد ، الخواجة نصير الطُّوسيّ.

٤١. الكافي ، الشَّيخ محمَّد بن يعقوب الكليني.

٤٢. كتاب : (سُلَيم بن قيس) ، سُلَيم بن قيس الهلالي.

٤٣. كفاية الأَثر ، الشَّيخ أَبو القاسم عَلِيّ بن محمَّد بن عَلِيّ الخزّاز القُمِّيّ الرازيّ.

٤٤. الكلمات المكنونة ، الفيض الكاشاني.

٤٥. إِكمال الدِّين ، الشَّيخ الصَّدوق، محمَّد بن عَلِيّ بن بابويه القُمِّيّ.

٤٦. كنز الفوائد ، الشَّيخ محمَّد بن عليّ الكراجكيّ الطرابلسيّ.

٤٧. كنز جامع الفوائد ، علم بن سيف بن منصور النَّجفي الحلّيّ.

٤٨. مجمع البيان ، أَبي علي الفضل بن الحسن الطَّبرسي.

٤٩. المحاسن ، المحدّث أَبي جعفر أَحمد بن محمَّد بن خالد البرقيّ.

٥٠. المحتضر ، الشَّيخ عزّ الدِّين أَبو محمَّد الحسن بن سليمان بن محمَّد الحلّيّ.

٥١. مختصر البصائر ، الحسن بن سليمان الحلّيّ.

٥٢. المزار الكبير ، الشَّيخ محمَّد بن جعفر المشهديّ.

٥٣. مستدرك سفينة البحار، الشَّيخ عليّ النمازيّ الشاهروديّ.

٥٤. مشارق أَنوار اليقين في أَسرار أَمير المؤمنين عليه السلام ، رجب البرسي.

٥٥. مصباح الزائر ، السيِّد رضي الدِّين عَلِيّ بن موسىٰ بن طاووس.

٥٦. مصباح الهداية ، السيِّد روح الله الخميني الموسويّ.

٥٧. معارج العُلىٰ : (مخطوط).

٥٨. معاني الأَخبار ، الشَّيخ الصَّدوق، محمَّد بن عَلِيّ بن بابويه القُمِّيّ.

٥٩. المُقدِّمة، ابن خلدون؛ عبد الرحمٰن بن محمَّد بن محمَّد، ولي الدِّين الحضرميّ الإشبيليّ.

٦٠. من لا يحضره الفقيه ، الشَّيخ الصَّدوق، محمَّد بن عَلِيّ بن بابويه القُمِّيّ.

٦١. المناقب ، عليّ بن محمَّد الواسطيّ أَبو الحسن ، ابن المغازلي.

٦٢. مناقب آل أَبي طالب ، محمَّد بن عليّ بن شهر آشوب.

٦٣. نهج البلاغة ، للإمام أَمير المؤمنين عَلِيّ بن أبي طالب عليه السلام.

٦٤. الهداية الكبرىٰ ، الحسين بن حمدان الخصيبي.

٦٥. وسائل الشيعة، محمَّد بن الحسن الحرّ العامليّ.

الْمُقَدَّمَة ٧

تعريف ماهيَّة وحقيقة الإمام والإمامة الإلهيَّة ١١

تعاريف المدارس البشريَّة للإمامة الإلهيَّة ١٢

جملة مُؤاخذات على تعاريف المدارس البشريَّة للإمامة الإلهيَّة ١٢

المُؤاخذة الأُولى : ١٤

حصر دور الإمامة الإلهيَّة على البعد السياسي ١٤

المُؤاخذة الثَّانية : ١٤

إنقطاع إمامة الإمام عليه السلام بعد انتقاله إلى عَالَم البرزخ ١٤

المُؤاخذة الثَّالثة : ١٥

عدم شمول إمامة أَهل البيت عليهم السلام الإلهيَّة لبقيَّة العوالم ١٥

المُؤاخذة الرَّابعة : ١٧

الإمام عليه السلام مُجَرَّد ناقل وحي ١٧

أَحد الفوارق بين أَهل البيت عليهم السلام وبقيَّة كُمَّل المخلوقات ١٧
حقيقة إِمامة أَهل البيت عليهم السلام على طبقات لا متناهية ١٩
الإِمامة : بعثة إِلهيَّة ٢٥
الإِمامة الإِلهيَّة : (هداية إِيصاليَّة) ٢٦
الإِمام مفروض الطَّاعة ٢٧
الإِمامة الإِلهيَّة حقيقة تكوينيَّة ٢٧
إِمامة أَهل البيت عليهم السلام شراكة مقامات ٣٢
لإِمامة أَهل البيت عليهم السلام أَيادٍ خطيرة ومهولة ٣٣
الاسم الأَعظم ٣٣
رُوحُ القُدُس ٣٥
الفارق بين أَهل البيت عليهم السلام وبقيَّة الصحابة ٤٠
بعض خصائص هذا المبحث ٤٥
قضايا ثلاث ٤٨
القضيَّة الأُولى : ٤٨
روح القدس هو حقيقة القرآن الكريم الصَّاعدة ٤٨
القضيَّة الثَّانية : ٥٠
حقيقة القرآن الكريم الصَّاعدة من عَالَم الأَمر ٥٠

المُقدِّمة الأُولى : ٥١

ليلة القدر مخلوق إلهيّ خطير ٥١

المُقدِّمة الثَّانية : ٥٢

حقيقة ليلة القدر أَحد طبقات حقيقة فاطمة عليها السلام المتوسِّطة ٥٢

المُقَدِّمة الثَّالثة : ٥٣

أَحَد طبقات حقيقة الزَّهراء عليها السلام : النَّفس الكُلِّيَّة ٥٣

القضيَّة الثَّالثة : ٥٤

وحي وجود سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله النَّازل من طبقات نوره المباركة ٥٤

حقيقة أَمير المؤمنين عليه السلام الصَّاعدة الباب الحصري لحقيقة سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله الصَّاعدة .. ٦٠

الفيوضات الإلهيَّة لا تكون إلاَّ عن طريق حقيقة سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله وحقيقة أَمير المؤمنين عليه السلام ٦١

العلم اللدنِّي وعلم التَّأويل ٦٧

إمامة أَهل البيت عليهم السلام لها سر ولها علانية ٦٩

وحي الإمامة وحي إلهيّ من دون واسطة ٧٠

حاكميَّة إمامة أَهل البيت عليهم السلام شاملة لجملة البشر ٧٢

الأَدب الإلهي كاشف عن صلاحيات ومواقع إلهيَّة ٧٣

شمول الإمامة الإلهيَّة لجملة أَحوال وشؤون العوالم والمخلوقات ٧٧

إمامة أَهل البيت عليهم السلام مهيمنة على المخلوقات هيمنة اللَّطيف على الأَغلظ ٨٩
الإمامة الإلهيَّة : تجلِّيات للذات الإلهيَّة المُقدَّسة ٩٥
عصارة ما تقدَّم : ٩٧
التعريف المناسب لحقيقة إمامة أَهل البيت عليهم السلام ١٠٠
التَّعريف المناسب لماهية وحقيقة الإمام عليه السلام ١٠٠
خاتمة ١٠١
القضيَّة الأُوْلى : ١٠١
أَبدان أهل البيت عليهم السلام أَبدان سماويَّة نوريَّة ١٠١
طهارة دم أَهل البيت عليهم السلام وكُلّ ما يعرض على أَبدانهم الشريفة ١٠١
أَوَّلاً : ١١٢
إنكار الملازمة القائلة : «كُلَّما حكم العقل به حكم الشرع به» ١١٢
ثانياً : ١١٢
إنكار الشَّهَادة الثَّالثة فِي تَشَهُّد الصَّلاة ١١٢
الدَّليل والبرهان العقليُّ الأَوَّل : ١١٣
التَّوحيدُ أَمرٌ مجموعيٌّ ١١٣
الشَّهادات الثَّلاث أَركان التَّوحيد المأخوذة بشرط المجموع ١١٣
الشَّهادة الثَّالثة كالأُولَى والثَّانية روح العبادة ١١٣

الدَّليل والبرهان العقليُّ الثَّاني : ١١٧
الشَّهادة الثَّالثة توحيد وإقرار بفعل اللَّه الأعظم ١١٧
دخول الشَّهادة الثَّالثة ـ كالثَّانية ـ في الشَّهادة الأُولى ١١٧
الفارق بين البرهان العقليّ الأَوَّل والبرهان الثَّاني ١٢٢
الدَّليل والبرهان الْعَقْلِيُّ الثَّالث : ١٢٢
لَوْ لَمْ تُشَرَّع الشَّهادة الثَّالثة في تشهُّد الصَّلاة وما شاكله لانْتَفَت غاية الرِّسالة الإلهيَّة . ١٢٢
الدَّليل والبرهان الْعَقْلِيُّ الرَّابِعُ : ١٢٦
فناء ذات المعصوم عليه السلام في الذَّات المُقدَّسة فناء حكاية ١٢٦
ذِكْرُ المعصوم عليه السلام ومخاطبته ذِكْرٌ للَّه تعالى ومخاطبة له عزوجل ١٢٦
الشَّهادة الثَّالثة ـ كالأُولى والثَّانية ـ توحيدٌ وذِكْرٌ إلهيٌّ عظيمٌ ١٢٦
خَلْطُ الملائكة بين الذَّات الْمُقَدَّسَة وحقائق أَهْل الْبَيْتِ عليهم السلام الصَّاعدة ١٣٦
مُؤَيِّدات ١٤١
بيانات الوحي المُشيرة لِمَا تقدَّم في البراهين الْعَقْلِيَّةِ ١٤١
اِتِّضاح نِكَات وفلسفات العديد من طوائف وبيانات الوحي ١٤١
لا معنى لتبليغ الشَّهادة الأُولى والثَّانية مع عدم تبليغ الشَّهادة الثَّالثة ١٤١
نكران الشَّهادة الثَّالثة يستلزم جحود التَّوحيد ونكران الشَّهادة الأُولى والثانية ١٤١
تقارن واقعي وتَكْوِينِيّ بين حقائق الشَّهادات الثَّلاث ١٤٧

الشَّهادةُ الثَّالثة شرطٌ مِنْ شُروطِ الشَّهادة الأُولى ١٥٣
الشَّهادة الثَّالثة تستلزم الشَّهادة الأُولى ومن شروطها ١٥٣
قَرنُ الشَّهادات الثَّلاث في فِطَرِ المخلوقات ١٥٨
الْفَطَرَةُ أَمْرٌ مُركَّبٌ من أَركان التَّوحيد الثَّلاثة وهي الدِّين الخالص ١٥٨
مَنْ لَمْ يقرَّ بالشَّهادة الثَّالثة فَلَيْسَ مِنَ الإسلام في شَيءٍ ١٦٢
عدم الاتيان بالشَّهادة الثَّالثة جاهليَّة أُولى ١٦٧
الشَّكَ في الشَّهادة الثَّالثة كفرٌ باللَّه تعالى خطيرٌ جِدّاً ١٧٤
التَّقصير في الشَّهادة الثَّالثة شِرْكٌ عظيمٌ ١٧٤
قرن الشَّهادات الثَّلاث في بدايات الْخِلْقَة والعوالم الصَّاعدة ١٨٢
قرن سائر المخلوقات للشَّهادات الثَّلاث ١٨٧
قرن مَقَامَات وشؤون أَمِير الْمُؤْمِنِين عليه السلام بِمَقَامَات وشؤون سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله في جُمْلَةِ الْعَوَالم ١٩٢
أَخذ الميثاق بالشَّهادات الثَّلاث في بِدَاية الْخِلْقَة عَلَى جُمْلَة المخلوقات ١٩٦
أَهْل الْبَيْتِ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ) هم الوحدانيَّة الكُبرى ٢٠١
الشَّهادة الثَّالثة هي الوحدانيَّة الكُبرى في مقام التَّوحيد الأَفعالي ٢٠١
بالشَّهادة الثَّالثة تَتَحَقَّق الصِّلَة بين الخَالِق والمَخْلُوق ٢٠٤
بالشَّهادة الثَّالثة يتحقَّق التَّوحيد وسائر الخير وتتحقَّق حقائق العباداتِ ٢٠٤

ترابطٌ تكوينيٌّ وثيق بين الاِعتقاد والاِقرار بالشَّهادة الثَّالثة ومعرفة الذَّات الْمُقَدَّسَة .. ٢١١
إِقامة الشَّهادة الثَّالثة إِقامة للدِّين وحقائق العبادات ٢١١
الشَّهادة الثَّالثة هي الفاصل بين الجنَّة والنَّار ٢١٦
مَا حَوته الأَنبياء من كمالات لم يكن إِلاَّ بالاِعتقاد والإِقرار بالشَّهادة الثَّالثة ٢٢٢
طهارة المخلوق وقبول أَعماله لا تكون إِلاَّ بقرن الشَّهادات الثَّلاث ٢٢٨
رفع الأَعمال لا يكون إِلاَّ بمجموع الشَّهادات الثَّلاث ٢٢٨
استمرار الهبة الإِلهيَّة لا يكون إِلاَّ بالاِعتقاد والاِقرار بالشَّهادة الثَّالثة ٢٣٥
وأَمَّا الأَدِلَّة والبيانات الوحيانيَّة ، فهي : ٢٣٨
الفارق بين مُصطلح : (الإِعتبار) و (التنزيل) ٢٣٩
طوائف بيانات الوحي الواردة في تشهُّد الصَّلاة ٢٤٧
الجمع بين هذه الطوائف بعد تعارضها ٢٤٩
الوجه الأَوَّل : ٢٥١
تقدُّم قطعي الصدور على ظنيِّ الصدور ٢٥١
الوجه الثَّاني : ٢٥٢
تقدُّم الصريح أَو الأَظهر على الظاهر ٢٥٢
الوجه الثّالث : ٢٥٣
تقدُّم المخالف لأَخبار وآراء العامَّة ٢٥٣

منهج التَّفكيك في مقام الاستنباط بين فروع الدِّين وأُصوله يُعمي الحقيقة ٢٥٧
القضيَّة الثانية : ٢٥٩
فائدة وثمرة التَّعَرُّف على ماهيَّة الإمامة الإلهيَّة والإمام ٢٥٩
القضيَّة الثَّالثة : ٢٦١
وجوب أَخذ الطبقات الثلاث في الحدِّ التَّام لماهيَّة الإمام عليه السلام ٢٦١
طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام علل غائيَّة ٢٦١
القضيَّة الرَّابعة : ٢٦٥
توظيف الأَضداد أَحد صفات أَهل البيت عليهم السلام الإلهيَّة ٢٦٥
القضيَّة الخامسة : ٢٦٧
استحالة الإحاطة بالجهة المخلوقيَّة في حقائق أَهل البيت عليهم السلام ٢٦٧
القضيَّة السَّادسة : ٢٦٩
إنبثاق شؤون المخلوق من السَّاحة الإلهيَّة ٢٦٩
القضيَّة السَّابعة : ٢٧١
قصور مدارس البشر المعرفيَّة ٢٧١
ما ذكرته مدارس البشر المعرفيَّة لا يُمثِّل جملة المعارف ٢٧١
القضيَّة الثَّامنة : ٢٧٨
كميَّة تراث الوحي الواصلة إلينا نَزْرٌ يسير ٢٧٨

القضيَّة التَّاسعة : ٢٨٠
أَدوار أَهل البيت عليهم السلام الخفيَّة ٢٨٠
رجوع المسلمين إِلى جادَّة الحقِّ ٢٩٢
قتل المستولي الثالث وتولية أَمير المؤمنين عليه السلام بالإِجماع ٢٩٢
الإِجماع على تولية أَمير المؤمنين عليه السلام سابقة لم تحدث في التأريخ ولن تحدث ٢٩٢
القضيَّة العاشرة : ٢٩٥
تفسير أَسماء وصفات وأَفعال أَهل البيت عليهم السلام بلغة حضاريَّة ٢٩٥
شجاعة أَهل البيت عليهم السلام شجاعة قيادة إِلهيَّة ٢٩٥
زهد أَهل البيت عليهم السلام زهد قيادة إِلهيَّة ٣٠٩
أَمانة أَهل البيت عليهم السلام ٣٠٩
عطف أَهل البيت عليهم السلام ٣٠٩
عدل أَهل البيت عليهم السلام ٣١٠
بيعة الغدير لأَهل البيت عليهم السلام في الحاضرة الدوليَّة في العصر الراهن ٣١٠
صفة : (كظم الغيظ) ٣١١
القضيَّة الحادية عشرة : ٣١٥
الإِمامة الإِلهيَّة وأَبحاثها ظواهر تكوينيَّة وعقليَّة ٣١٥
القضيَّة الثانية عشرة : ٣١٦

مقام الحُجِّيَّة الإلهيَّة أَعَمُّ من النُّبوَّة والرسالة ٣١٦

القضيَّة الثالثة عشرة : ٣١٨

روح القدس أَحد أَرواح أَهل البيت عليهم السلام ٣١٨

الوراثة الإِصطفائيَّة لا تحجب الوراثة الماديَّة ٣٢١

القول بثبوت الوراثة الماديَّة لفاطمة عليها السلام دون الإِصطفائيَّة ٣٢٣

وراثة الصلاح والفساد ٣٢٣

القضيَّة الرابعة عشرة : ٣٢٦

الإِصلاح الأَكبر يكمن في بث البصيرة ٣٢٦

القضيَّة الخامسة عشرة : ٣٢٧

مقام الولاية الإِلهيَّة الكبرى لأَهل البيت عليهم السلام ٣٢٧

هول وعظمة وخطر ولاية الزهراء عليها السلام الإِلهيَّة ٣٣١

القضيَّة السَّادسة عشرة : ٣٣٢

خارطة جملة عوالم الخلقة برسم وتخطيط أَهل البيت عليهم السلام ٣٣٢

القضيَّة السَّابعة عشرة : ٣٣٧

ثبوت آليَّات إِمامة أَهل البيت عليهم السلام منذُ بدأ الخليقة ٣٣٧

باستشهاد سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله انقطعت درجة من درجات الوحي ٣٤٠

القضيَّة الثامنة عشرة : ٣٤٢

كلام الإمام وحيٌ إلهيٌّ ٣٤٢

القضيَّة التَّاسعة عشرة : ٣٤٤

مجالات العلم اللَّدنِّي ٣٤٤

القضيَّة العشرون : ٣٤٥

حقيقة الإمامة الإلهيَّة والإمام عليه السلام في نوره ٣٤٥

القضيَّة الحادية والعشرون: ٣٤٧

مقام الإمامة الإلهيَّة أَعظم من مقام نبوَّة بقيَّة الأَنبياء عليهم السلام ٣٤٧

القضيَّة الثانية والعشرون : ٣٥٠

إمامة أَهل البيت عليهم السلام تدفع وترفع اصطكاك وتخاصم المخلوقات المُكرَّمة ٣٥٠

القضيَّة الثالثة والعشرون : ٣٥٤

تَعَصِّي البعض عن قبول ما ورد في حقِّ أَهل البيت عليهم السلام ٣٥٤

القضيَّة الرابعة والعشرون : ٣٥٦

الاستلزام بين معرفة التَّوحيد والنُّبوَّة والإمامة ٣٥٦

القضيَّة الخامسة والعشرون : ٣٥٨

المعرفة المستقبليَّة لسيِّد الأَنبياء وسيِّد الأَوصياء عليهما السلام ٣٥٨

القضيَّة السادسة والعشرون : ٣٥٩

(المعرفة) أَعظم ما يهبه المعصوم عليه السلام لزائره ٣٥٩

القضيَّة السَّابعة والعشرون : ٣٦٠

تطوُّر النظام السياسي بنموِّ العقل البشري ٣٦٠

رجوعٌ إلى صلب الموضوع ٣٦٢

فهرست المصادر ٣٦٩

فهرست المحتويات ٣٧٥